

كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس
سبورتنج – الإسكندرية
أسرة القديس ديديموس
للدراستات الكنسية

خدمة الخلاص

أنت الذي خدمت لي الخلاص

مراجعة وتقديم

القمص تادرس يعقوب ملطي

دراسات كنسية متنوعة (٤)

اسم الكتاب : خدمة الخلاص.
إعداد : أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية.
الناشر : كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس - اسبورتنج.
الطبعة : الأولى - أكتوبر ٢٠٠٧
المطبعة : مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط.
ت: ٠١٢ ٢١٥٢٨٥٦ & تليفاكس: ٠٣ ٤٥٩٦٤٥٢
رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٢١٨٠٥
الترقيم الدولي : 2 - 040 - 392 - 977 I.S.B.N.

خدمة الخلاص / أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية . - الإسكندرية :
كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس - اسبورتنج ، ٢٠٠٧
٤٧٢ ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٢ ٠٤٠ ٣٩٢ ٩٧٧
١ - الخلاص (المسيحية)

٢٧٣/٤



حضرة صاحب الغبطة والقداسة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

تقديم

في أسلوب بسيط ورائع يُلهب هذا الكتاب قلوبنا نحو الالتقاء بالله محب البشر. لقد اعتمد على حكمة الله الحيّة كما عاشها آباؤنا القديسون، فكشَفَ لنا عن رحلة حياتنا على الأرض، **كرحلة مفرحة ممتعة** حيث لا يرافقنا الله فحسب، وإنما يحتضنا فيه، ويودُّ أن يقيم مسكنه فينا.

يصوِّر لنا الكتاب **قصة الخلاص في فكر الله** من قبل سقوط الإنسان، وتحركه على الدوام بحبّه الإلهي الفائق. إنه يعمل حتى الآن ويبقى يعمل من أجلنا حتى بعد التقائنا معه في اليوم الأخير.

يحمل الكتاب فكرًا كتابيًا نقيًا، مع شرح للكثير من التساؤلات التي تثور في أذهان الكثيرين. عالج الكتاب الكثير من المعضلات الكتابية في بساطة وبمنطق لاهوتي روحي مفرح.

يكشف هذا العمل الجميل عن حقيقة رحلتنا نحو السماء التي لم تعد بعيدة عنا، لكن عربونها قائمٌ فينا:

١. إنها رحلة مفرحة، وكما يقول القديس أغسطينوس: «ليكن المسيحي "هليلويا" من رأسه إلى قدميه». كما يقول: «لنغنّ أثناء رحلتنا فلا نشعر بمتاعبها».

٢. رحلة كل مؤمن هي رحلة البشرية كلها، فعلاقة المؤمن الشخصية بالله محب كل البشرية، لا يمكن عزلها عن رحلة الكنيسة الجامعة، إذ هو عضوٌ فيها، وهي تعترّ به ولا تستغني عنه.

٣. يقف المؤمن في كل لحظة أمام الله، فيجد فيه الشبع الحقيقي: يرتمي في أحضان الآب الذي يشبعنا بأبوته، وقد أرسل ابنه الوحيد ذبيحة حب ورئيس كهنة سماوي، وملِكًا يقتنينا ويقيم منّا ملوكًا في السماء!

نقف أمام حكمة الله المتجسد فنراه في السماء، بكرنا، رصيدنا الذي لا ينضب. يفتح لنا باب الرجاء للدخول إلى شركة الأمجاد السماوية. نتطلع إلى روح الله القدوس فنراه ساكنًا فينا، يقيم منّا هيكلًا مقدسًا. يقودنا بنفسه، يأخذ ممّا للمسيح ويخبرنا، يجدّد طبيعتنا ويقدّسنا على الدوام حتى نحمل صورة عريسنا السماوي.

أخيرًا ليبارك الرب في هذا العمل الذي قام به أبونا الحبيب القس مرقس داود مع مجموعة من الشباب.

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بسبورتنج

مقدمة

القارئ الحبيب في الرب يسوع المسيح...

الكتاب الذي بين يديك هو محاولة لشرح أساسيات الإيمان المسيحي من خلال أسئلة وإجاباتها. الكثير من هذه الأسئلة مثار على نطاق واسع سواء بين المسيحيين أنفسهم، أو موجه إلى المسيحيين ممن يسألونهم عن إيمانهم وعقيدتهم. وقد راعينا أن تعتمد إجابات الأسئلة أساساً على آيات الكتاب المقدس والنصوص الليتورجية وشروحات آباء الكنيسة وأقوالهم.

لقد رأينا أن أية محاولة لشرح الإيمان المسيحي، والعلاقة بين الإنسان والله، لا يمكن أن تكون إلا من خلال منظور الخلاص. فالحديث عن طبيعة الله، أو إيماننا به كإله واحد مثلث الأقانيم، أو طبيعة المسيح، أو غيرها من ركائز الإيمان المسيحي، يمكن أن يُنظر له على أنه موضوع فلسفي إذا لم يكن الأساس الذي يُبنى عليه الحديث هو أساس خلاص الله للبشرية التي سقطت، بغواية الشيطان، تحت سلطان الخطية والفساد. وعلى ذلك جاءت الأسئلة التي نجيبها في هذا الكتاب ملتزمة بتتبع خط الخلاص بدءاً من خلق الإنسان بدافع محبة الله وانتهاءً بالخلاص الكامل للإنسان في ملكوت السماوات عند مجيء المسيح الثاني. لذلك لم نستوف في هذا الكتاب الحديث عن عقيدة الثالوث المسيحي، أو الحديث عن طبيعة السيد المسيح الإله المتجسد، إلا بالقدر الذي يرتبط بموضوع الخلاص كأساس لعلاقة الله بالإنسان بعد السقوط. وهكذا أعطينا هذا الكتاب عنوان "أنت الذي خدمت لي الخلاص"، وهو مأخوذ عن صلوات القديس الغريغوري في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

وستجد، أيها القارئ الحبيب، الآيات التي استشهدنا بها في إجاباتنا على الأسئلة مكتوبة بالكامل مع ذكر الشواهد، وكذلك النصوص الليتورجية وأقوال الآباء. وقد حاولنا قدر إمكاننا، أن تحمل الاقتباسات المختارة المفاهيم الواضحة والمحددة التي

تجيب على الأسئلة بشكل مباشر، كما يجب أن تكون هذه المفاهيم واضحة أيضاً في أذهان المؤمنين بالإيمان المسيحي.

هذا العمل هو أيضاً محاولة لعمل منهجي في شرح الإيمان. بمعنى أننا اجتهدنا أن تكون أقسام الكتاب، والموضوعات تحت كل قسم، والأسئلة تحت كل موضوع؛ ملتزمة بخط فكري متسلسل، بحيث أنها تصلح — من وجهة نظرنا — أن تكون منهجاً لشرح أساسيات الإيمان المسيحي. ولذلك وضعنا في نهاية كل موضوع من الموضوعات الأربعة عشر الواردة في الكتاب استنتاجات يمكن أن نستخلصها من إجاباتنا على الأسئلة الواردة تحت كل موضوع، والتي تصلح أن تكون مبادئ أساسية في شرح الإيمان، بحيث أنه إذا وضعنا كل مجموعة من الاستنتاجات تحت سابقتها لتكوّن آمناً صورة متكاملة متسلسلة عن الإيمان المسيحي ابتداءً من الخلق إلى المجيء الثاني.

نعتذر، أيها القارئ الحبيب، عن الإطالة في إجابات بعض الأسئلة، والسبب في ذلك هو رغبتنا في وضوح الإجابة مع تدعيمها بأكثر من آية من الكتاب المقدس، وأكثر من قول من أقوال الآباء قدر المستطاع.

ستجد، أيها القارئ الحبيب، قرصاً مُدمجاً (CD) هدية مع هذا الكتاب يحتوي على نفس أسئلة هذا الكتاب وإجابات صوتية لها، مع إمكانية متابعة آيات الكتاب المقدس وأقوال الآباء على شاشة الكمبيوتر. والإجابات الصوتية تحمل نفس الخط الفكري الموجود في الكتاب، مع ملاحظة أن الإجابة الصوتية ليست مجرد قراءة للكتاب، ولا الكتاب مجرد تفريغ للإجابة الصوتية. كما يوجد على القرص المدمج نص الكتاب نفسه. ويمكن الاستفادة من القرص المدمج في الاجتماعات الكنسية ومدارس الأحد، عن طريق عرض الأسئلة مكتوبة على الشاشة مع آيات الكتاب المقدس وأقوال الآباء التي تجيب على الأسئلة. كما يمكن الاستماع إلى الإجابات الصوتية فقط سواء على الكمبيوتر، أو على أجهزة MP3 Players.

أخيراً نقول إن الإيمان المسيحي ليس هو مجرد حقائق يدركها الإنسان بعقله البشري، بل هو يفوق إدراك العقل البشري. لكن الإيمان المسيحي يقبله الإنسان على أساس الخضوع للإعلان الإلهي باتضاع الفكر مع الخبرة الروحية الداخلية التي يختبرها الإنسان في داخل أعماقه بالعشرة الحقيقية مع الله، ليتمتع بفرحٍ روحيٍّ لا يُنطق به ومجيد.

هذا لا يلغي وجود مُحَدَّدَات وثوابت للإيمان لا بُدَّ أن يعرفها ويقبلها كل مؤمن، وهو ما حاولنا أن نتناوله في هذا الكتاب.

نطلب إلى أبينا السماوي، وابنه يسوع المسيح ربنا، والروح القدس أن يُثَبِّتَنَا في الإيمان الأرثوذكسي إلى النفس الأخير، ويعطينا أن يكون إيماننا حياً ومعاشاً وعملياً، بصلوات القديسة العذراء مريم، وآبائنا الرسل الأطهار الذين كرزوا بالإيمان إلى كل العالم، والقديس مارمرقس كاروز الديار المصرية، وراعينا الحبيب الجالس على كرسي مارمرقس قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث أطل الله حياته سنين كثيرة وأزمنة سالمة هادئة مديدة. آمين.

أسرة القديس ديميتريوس الضمير

للدراسات الكنسية

القسم الأول

خلقتني إنسانًا كمحب للبشر



هذا هو القسم الأول من موضوعنا العام "أنت الذي خدمت لي الخلاص"، وقد أعطيناه هذا العنوان المأخوذ من صلوات القديس الغريغوري، لأنه يبدأ من بداية قصة الإنسان بخلقته على صورة الله.

ويحتوي هذا القسم على ستة موضوعات، الثلاثة الأولى هي:

١. الخلق

٢. الوصية والسقوط

٣. الموت ونتائج السقوط

ثم ثلاثة موضوعات أخرى تتدرج تحت بند "الإعداد للفداء" وهي:

٤. اختيار شعب إسرائيل

٥. الذبيحة والكهنوت

٦. الناموس والنبوات

الموضوع الأول

الخلق

تبدأ قصة علاقة الإنسان بالله من خلقته للإنسان، لذلك كان من اللازم أن نبدأ الحديث عن "خدمة الخلاص" من موضوع "الخلق".

لقد انشغل الكثيرون على مدى الأجيال بالسؤال عن سبب خلق الله للإنسان. وكانت الفكرة الخاطئة لدى البعض أن الله قد خلق الإنسان لكي يقدم له العبادة! لذلك نبدأ موضوعنا بشرح الأسباب الحقيقية التي من أجلها خلق الله الإنسان.

لقد حرص الكتاب المقدس على أن يذكر بالتفصيل كيفية خلق الإنسان بطريقة متميزة عن بقية المخلوقات التي امتاز عنها بأنه الوحيد المخلوق على صورة الله ومثاله. لذلك سوف نتناول كيفية خلق الله للإنسان على صورته ومثاله، وما صار له من مواهب نتيجة هذا الامتياز الفريد.

وأخيراً نتعرض لشرح المفهوم الصحيح لراحة الله في اليوم السابع بعد إتمامه لعمل الخلق.

١ - لماذا خلق الله الإنسان؟

يتبادر إلى أذهان الكثيرين هذا السؤال عن سبب خَلَقَ الله للإنسان، ونبدأ إجابتنا عليه من صلوات القديس الغريغوري:

«الذي من أجل الصلاح وحده، ممّا لم يكن كوّنَت الإنسان، وجعلته في فردوس النعيم.» (القديس الغريغوري)

الله صالحٌ، وقد خلق الإنسان من العدم "ممّا لم يكن" من أجل صلاحه. وصلاح الله يرتبط بمحبته، ففي مفهومنا المسيحي نعرف أن "الله محبة" (١ يوحنا ٤: ٨)، ومن فيض هذه المحبة خَلَقَ الله الإنسان لكي يتمتع بمحبته كما بصلاحه.

لذلك خَلَقَ الإنسان على صورة الله كتعبير عن المحبة الخاصة التي قدّمها الله له. ومن هنا صارت المحبة هي التفاعل الطبيعي بين الله والإنسان الذي يحمل صورته، وصرنا نحن نحب الله "لأنه هو أحبنا أولاً" (١ يوحنا ٤: ١٩).

نجد هذا المعنى بكل وضوح أيضاً في صلوات القديس الغريغوري:

«قدوس قدوس أنت أيها الرب وقدوس في كل شيء، وبالأكثر مختاراً هو نور جوهريتك، وغير موصوفة هي قوة حكمتك، وليس شيء من النطق يستطيع أن يحدّ لُجّة محبتك للبشر. خلقتني إنساناً كمحب للبشر، ولم تكن أنت محتاجاً إلى عبوديتي، بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك. من أجل تعطفاتك الجزيلة كوّنَتني إذ لم أكن، أقمت السماء لي سقفاً، وثبّت لي الأرض لأمشي عليها. من أجلي ألجمت البحر، من أجلي أظهرت طبيعة الحيوان، أخضعت كل شيء تحت قدمي، لم تدعني معوزاً شيئاً من أعمال كرامتك. أنت الذي جبلتني ووضعت يدك عليّ، وكتبت في صورة سلطانتك، ووضعت في موهبة النطق، وفتحت لي الفردوس لأتنعم، وأعطيتني علم معرفتك. أظهرت لي شجرة الحياة...» (القديس الغريغوري)

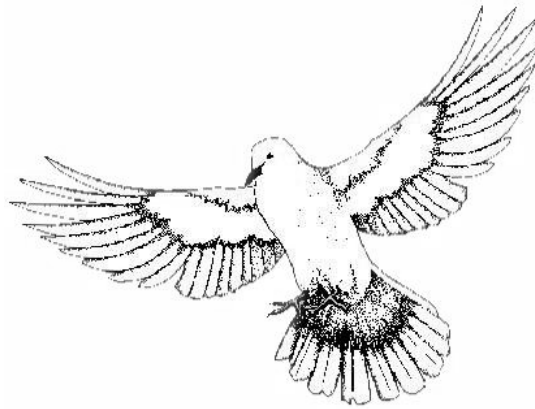
هكذا يظهر بوضوح من كلمات هذا المقطع الجميل من القداس أن سبب خَلَقَ الله لنا هو المحبة "خَلَقْتَنِي إِنْسَانًا كَمُحِبِّ لِلْبَشَرِ"، فانه خَلَقَ الإنسان ليس عن احتياجٍ له في أي شيء، بل فقط لأنه يحبه.

ويؤكد ذلك سفر الأمثال:

"فَرِحَةٌ فِي مَسْكُونَةِ أَرْضِهِ، وَلِذَا تَنِي مَعَ بَنِي آدَمَ." (أم ٨: ٣١)

والمُتَحَدِّثُ هنا هو الحكمة، ويُقصد بالحكمة هنا أَقْنُومُ الابن. ونفهم من القول الإلهي "ولِذَا تَنِي مَعَ بَنِي آدَمَ" مقدار محبة الله للإنسان، والتي من أجلها خَلَقَهُ على صورته ومثاله.

إِذَا قَدْ خَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ وَمِثَالِهِ لَيْسَ عَنْ حَاجَةٍ لَهُ فِي شَيْءٍ، بَلْ فَقَطْ مِنْ أَجْلِ صِلَاحِهِ وَفَيْضِ مَحَبَّتِهِ غَيْرِ الْمَحْدُودَةِ.



٢ - ما هو أهم امتياز ميّز الله به الإنسان عن باقي الخليقة؟

تتخصر إجابة هذا السؤال في أمر واحد أساسي جداً، وهو أن الإنسان لم يُخلَق كسائر المخلوقات الأخرى، بل قد خُلِقَ على صورة الله ومثاله، فيقول سفر الحكمة:

"فإن الله خَلَقَ الإنسان خالداً، وصنعه على صورة ذاته." (حك ٢: ٢٣)

ثم نقرأ في سفر التكوين عن خَلْق الإنسان:

"وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التي تدبُّ على الأرض. فخلَقَ الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض، وأخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدبُّ على الأرض. وقال الله إني قد أعطيتكم كل بقلٍ يُبْزَرُ بزرّاً على وجه كل الأرض، وكل شجرٍ فيه ثمرٌ شجرٍ يُبْزَرُ بزرّاً لكم يكون طعاماً. ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابةٍ على الأرض فيها نفسٌ حيّةٌ، أعطيتُ كل عشبٍ أخضر طعاماً. وكان كذلك. ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسنٌ جداً. وكان مساءً وكان صباحٌ يوماً سادساً." (تك ١: ٢٦-٣١)

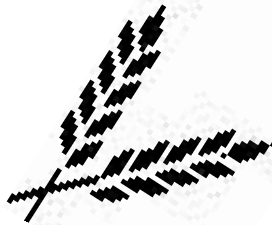
ونلاحظ أن تعبير "صورة الله" قد تكرر ثلاث مرات في هذا الجزء كتأكيد لحقيقة خَلْق الإنسان على صورة الله.

كما نلاحظ قول الكتاب المقدس "ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسنٌ جداً"، فهذه هي المرة الوحيدة التي يُذكر فيها تعبير "حسنٌ جداً" بعد خَلْق الإنسان، بينما بعد كل يومٍ من أيام الخليقة قبل خَلْق الإنسان كان يكتفي الكتاب بقول "رأى الله ذلك أنه حسنٌ". وهذا أيضاً تأكيد لتلك الحقيقة الهامة بتميُّز الإنسان بخلقه على صورة الله.

ويشرح القديس أنثاسيوس هذا الأمر في كتابه "تجسّد الكلمة"^١ قائلاً:

«... فلم يكتفِ الله بخلق البشر مثل باقي الكائنات غير العاقلة على الأرض، بل خلّقهم على صورته وأعطاهم شركة في قوة كلمته (الله الكلمة) حتى يستطيعوا بطريقة ما، ولهم بعض من ظلّ (الكلمة) وقد صاروا عقلاء، أن يبقوا في سعادة ويحيوا الحياة الحقيقية، حياة القديسين في الفردوس.» (تجسّد الكلمة ف ٣/٣)

إذاً خلّق الإنسان يختلف عن باقي الكائنات، فقد خلّق على صورة الله وقد أعطاه الله — كما ذكرَ القديس أنثاسيوس — شركة في قوة كلمته، وهذا هو السبب في أن الإنسان مخلوقٌ عاقلٌ إذ له شركة في قوة الله الكلمة.



^١ نظراً لأهمية كتاب "تجسّد الكلمة" للقديس أنثاسيوس الرسولي، واعتمادنا عليه في إجابات الكثير من الأسئلة في هذا الكتاب، سنقوم بكتابة اسم الكتاب بعد كل جزء نقتبسه منه، ونتبعه بحرف "ف" للدلالة على فصل الكتاب ثم رقم الفصل الذي اقتبسنا منه، ثم علامة "/" وبعدها رقم الفقرة. مع ملاحظة أننا قد اعتمدنا على الترجمة العربية التي قام بها ونشرها المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية.

٣- كيف نال الإنسان امتياز الخلق على صورة الله؟

٤- كيف أخذ الإنسان الحياة؟

٥- ما معنى الحياة بالنسبة للإنسان في هذه المرحلة (قبل السقوط)؟

لكي نعرف كيف حصل الإنسان على امتياز الخلق على صورة الله، نقرأ ما كُتبَ في الأصحاح الثاني من سفر التكوين:

"وَجَبَلَ الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونَفَخَ في أنفه نَسَمَةَ حَيَاةٍ.
فصار آدم نفساً حَيَّةً." (تك ٢: ٧)

ففي سفر التكوين الأصحاح الأول نجد أن الوحي الإلهي يتكلم عن كل الخليقة بما فيها الإنسان، ثم في الأصحاح الثاني نجد أنه يعود ويتحدث عن خلق الإنسان بشيء من التفصيل، لكي يوضح الامتياز الذي حصل عليه هذا المخلوق الفريد، إذ قد جبَّله الله تراباً من الأرض، ثم نفخَ في أنفه نسمة حياة.

إذا فحياة الإنسان مصدرها نفخة إلهية من الله، وبالتالي أصبحت حياته ترتبط تماماً بالله مصدر هذه الحياة. وقد صار الإنسان بذلك يتكوَّن من عنصرين: أحدهما أرضي "التراب"، والآخر سماوي "نسمة الحياة" التي أخذها بالنفخة الإلهية.

ونعلم أن النفخة بالنسبة للإنسان هي أن يقوم بإخراج الهواء من الرئتين في عملية الزفير حتى ينتهي الهواء الموجود في رئتيه، فيحتاج إلى عملية شهيق مرَّةً أخرى. أمَّا بالنسبة لله فالأمر ليس كذلك، فعندما نقول أن الله قد نفخ نسمة حياة في الإنسان، فهذا يعني أن الله قد قدَّم تيار حياة على الدوام وبلا انقطاع للإنسان.

هكذا بالنفخة الإلهية التي أخذها الإنسان من الله صارت له الحياة، وصارت له صورة الله. كما صارت الحياة بالنسبة للإنسان متوقَّفة على اتصاله الدائم والتصاقه بالله.

٦- ما هي المواهب التي صارت للإنسان بخلقه على صورة الله؟

امتاز الإنسان عن سائر الخليقة بخلقه على صورة الله، وبهذا الامتياز صارت له مواهب وامتيازات أخرى لم يَنَلْها أيُّ من المخلوقات الأخرى وهي:

أ - العقل:

لقد أصبح الإنسان مخلوقاً عاقلاً، وهو أمر يتفرد به عن سائر المخلوقات كما قال القديس أثناسيوس:

«... فلم يكتف الله بخلق البشر مثل باقي الكائنات غير العاقلة على الأرض، بل خلَقهم على صورته وأعطاهم شركة في قوة كلمته (الله الكلمة) حتى يستطيعوا بطريقة ما، ولهم بعض من ظلِّ (الكلمة) وقد صاروا عقلاء، أن يَبْقُوا في سعادة ويحيوا الحياة الحقيقية، حياة القديسين في الفردوس.» (تجسُّد الكلمة ف ٣/٣)

ب - الخلود:

أيضاً أصبح الإنسان، من خلال خلقة على صورة الله، مخلوقاً خالداً يمكنه إذا حافظ على صورة الله داخله أن يظلَّ خالداً، أي حياً إلى الأبد كما ذُكرَ في سفر الحكمة:

"فإن الله خلَقَ الإنسان خالداً، وصنعه على صورة ذاته." (حك ٢: ٢٣)

ج - معرفة الله:

فالإنسان هو المخلوق الوحيد وسط الخليقة كلها الذي لديه إدراك ومعرفة بالله خالقه، كنتيجة طبيعية لخلقه على صورة الله. وفي ذلك يقول القديس أثناسيوس الرسولي:

«عندما خَلَقَ الله ضابط الكل الجنس البشري، بواسطة كلمته الذاتي، لأنه يعرف جيداً ضعف طبيعة البشر وعجزها عن أن تعرف الخالق من نفسها، ولا تستطيع أن تكون أية فكرة عن الله على الإطلاق، وذلك بسبب أنه (الله) "غير المخلوق"، أما الكائنات فهي مخلوقة من العدم. وبينما هو (الله) روح لا جسد له، فإن البشر قد خُلِقُوا في جسد أرضي من أسفل. وبصفة عامة هناك عجز كبير في قدرة المخلوقات على أن تدرك وتعرف خالقها، ولهذا فإن الله، بسبب صلاحه، تحنّ على الجنس البشري ولم يتركهم بعيداً عن معرفته لئلا يكون وجودهم في الحياة بلا أية منفعة.

لأنه أية منفعة للمخلوقات لو أنها لم تعرف خالقها؟ أو كيف يمكن أن تكون (المخلوقات) عاقلة لو لم تعرف كلمة الآب، الذي به خُلِقُوا؟ لأنهم لن يتميّزوا بالمرّة عن المخلوقات غير العاقلة (الحيوانات) لو أنهم انحصروا فقط في معرفة الأمور الأرضية. ولماذا خَلَقَهُم الله طالما أنه لم يكن يريد لهم أن يعرفوه؟

ولكي لا يحدث هذا، ولأنه صالح في ذاته، فقد جعل لهم نصيباً في صورته الذاتي (الذي هو) ربنا يسوع المسيح، وخلقهم على صورته ومثاله حتى أنه — بسبب تلك النعمة — فإنهم عندما يرون تلك الصورة أي كلمة الآب، يمكنهم عن طريقه أن يصلوا إلى معرفة الآب، وإذا يعرفون خالقهم فإنهم يحيون حياة حقيقية سعيدة مغبوبة.»

(تجسّد الكلمة ف ١١/١-٣)

بحسب كلمات القديس أثناسيوس، نجد أن معرفة الله هامة وضرورية للإنسان لأن بدونها لن يمتاز الإنسان عن باقي المخلوقات غير العاقلة. وفي نفس الوقت يستحيل على الإنسان أن يعرف الله بذاته، إذ يستحيل على المخلوق المحدود أن يعرف الخالق غير المحدود. فكان لا بُدَّ أن يخلق الله البشر على صورته ومثاله كما ذكّر القديس أثناسيوس: "فقد جعل لهم نصيباً في صورته الذاتي (الذي هو) ربنا يسوع المسيح،

وخلّفهم على صورته ومثاله حتى أنه – بسبب تلك النعمة – فإنهم عندما يرون تلك الصورة أي كلمة الآب، يمكنهم عن طريقه أن يصلوا إلى معرفة الآب". أي أن الإنسان، إذ هو مخلوق على صورة ربنا يسوع المسيح الابن الكلمة، فإنه بذلك يستطيع أن يعرف الله الابن؛ ثم من خلال معرفة الإنسان بالله الابن، يتمكّن من معرفة الله الآب، وبذلك يكون الإنسان قد تمكّن من اقتناء معرفة حقيقية بالله.

د – الحرية:

خلّق الإنسان صاحب إرادة حرة، إذ لا يمكن أن نتصوّر الإنسان المخلوق على صورة الله بلا حرية، وإلاّ صارت صورة الله في الإنسان صورة مشوّهة. فإذا كان الله مطلق الحرية، فلا بدّ أن الإنسان المخلوق على صورته يكون حرّاً أيضاً.

هـ – السلطان على باقي الخليقة:

منح الله الإنسان منذ خلقته السلطان على كل الخليقة، فكانت الخليقة خاضعة لآدم وتطيعه، كما قيل في سفر التكوين:

"وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلّطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدّبابات التي تدبّ على الأرض." (تك ١ : ٢٦)

"وجبّل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حيّة فهو اسمها." (تك ٢ : ١٩)

هذه هي باختصار أهم المواهب التي اقتناها الإنسان بخلقته على صورة الله: العقل، الخلود، معرفة الله، الحرية، السلطان على باقي الخليقة.

٧- ما هي أدلة محبة الله للإنسان؟

سبق أن أوضحنا أن الله قد خلق الإنسان من أجل المحبة، وقد تجلّت هذه المحبة بكل وضوح من خلال تعاملات الله مع الإنسان بعد خلّقه فيما يلي:

أ - غرس الجنة من أجله:

نقرأ في سفر التكوين:

"وَعَرَسَ الرَّبُّ الْإِلَهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الْإِلَهُ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةً لِلْأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ." (تك ٢: ٨، ٩)

وقد قيل أيضًا:

"وَأَخَذَ الرَّبُّ الْإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا." (تك ٢: ١٥)

فمن محبة الله للإنسان أن صنع الجنة من أجله، وأنبت فيها كل شجرة جيدة، ووضع فيها آدم لكي يعملها ويحفظها.

ب - سلّطه على كل الخليقة:

جعل الله آدم رأسًا للخليقة وتاجًا لها، فأحضر إليه كل الحيوانات والطيور لكي يُطلق عليها أسماء كما ذُكر في سفر التكوين:

"وَجَبَلَ الرَّبُّ الْإِلَهُ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّ وَكُلَّ طَيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلَّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ

حيّة فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع
حيوانات البرية. (تك ٢: ١٩ ، ٢٠)

ج – خَلَقَ لَهُ مَعِينًا نَظِيرَهُ:

نجد في سفر التكوين:

"وقال الرب الإله ليس جيدًا أن يكون آدم وحده، فأصنع له مُعِينًا
نظيره... فأوقع الرب الإله سُبَاتًا على آدم فنام، فأخذ واحدةً من
أضلاعه وملاً مكانها لحمًا. وبَنَى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم
امرأةً وأحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظمٌ من عظامي ولحمٌ من
لحمي. هذه تُدعى امرأةً لأنها من امرءٍ أُخِذَتْ. لذلك يترك الرجل أباه
وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدًا واحدًا." (تك ٢: ١٨-٢٤)

فالله، كمحب للبشر، لم يشأ أن يظلَّ آدم وحيدًا، لذلك صنع له حواء من جنبه ومن
عظامه لكي تكون له معِينًا نظيره فلا يبقى وحيدًا. ولا يفوتنا هنا أن نوَكِّد أن الله خَلَقَ
لآدم حواء واحدة، أي امرأة واحدة فقط. ومن هنا كانت شريعة الزوجة الواحدة في
المسيحية استنادًا إلى الوضع الأصلي الذي أسَّسه الله نفسه.

هكذا من كل ما سبق يمكننا أن نفهم كيف كانت كل تعاملات الله مع الإنسان دليلًا
على مقدار محبته غير المحدودة للإنسان، إذ هو حقًا الإله المحب للبشر.



٨- ما معنى أن الله استراح في اليوم السابع؟

بعد انتهاء الكتاب المقدس من قصة الخلق، جاء في سفر التكوين:

"فَأَكْمَلَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكُلَّ جَنْدِهَا. وَفَرَّغَ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. وَبَارَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لِأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللَّهُ خَالِقًا." (تك ٢: ١-٣)

يتساءل البعض عن قصد الكتاب المقدس من تعبير "استراح الله"، فنقول إنه بالنسبة لنا نحن البشر، الراحة هي أن يتوقف الإنسان عن العمل بعد شعوره بالتعب والإرهاق من كثرة العمل حتى يتمكن بعد ذلك من استكمال ومواصلة عمله. أمّا بالنسبة لله فالأمر ليس هكذا، فإله لا يتعب حتى يستريح بهذا المفهوم البشري، ولكن الراحة بالنسبة لله يُقصد بها فرحه بخليقته وفرح خليقته به. ولكن للأسف فالإنسان بالخطية قد أفسد هذه الراحة، ولم يستطع أن يفرح ويتمتع بمحبة الله خالقه، وهو الأمر الذي من أجله قد جاء السيد المسيح بعد ذلك حتى يدخل مع الإنسان في عهد جديد وراحة جديدة، بدلاً من تلك التي قد أفسدها الإنسان بالخطية.

ونلاحظ أن يوم الراحة "يوم الرب" في العهد القديم كان هو اليوم السابع من الأسبوع "السبت"^٢، أمّا في العهد الجديد فقد صار يوم الراحة "يوم الرب" هو يوم الأحد الذي قام فيه الرب يسوع المسيح من بين الأموات. لذلك تعتبر الكنيسة أن الرب يسوع قد قام من الأموات في "اليوم الثامن"^٣ الذي صنع فيه راحته الجديدة بإتمامه للخلاص.

^٢ كلمة "سبت" كلمة عبرية الأصل معناها "راحة". ونلاحظ أن الرقم "سبعة" في اللغة الفرنسية هو "SEPT"، وهو يُكتب بحروف تعطي نفس نطق كلمة "سبت"، وإن كان الحرف "P" لا يُنطق للتخفيف.

^٣ يوم "الأحد" بحسب تسميته هو أول أيام الأسبوع، كما أن يوم "السبت" هو اليوم السابع والأخير من الأسبوع. ولكن تعتبر الكنيسة أن مخلصنا قد قام من بين الأموات في يوم الأحد "اليوم الثامن" وليس الأول، على اعتبار أنه قد صار يوم راحة جديد صنعه ربنا يسوع المسيح بخلاصه وقيامته من بين الأموات. ولذلك صار الرقم "ثمانية" في الكتاب المقدس يرمز بصفة عامة إلى الأبدية أي ما هو فوق الزمان والمكان، على أساس أن الخليقة المادية قد خلقت في سبعة أيام. فالحثان، الذي يرمز إلى المعمودية في العهد الجديد، كان يتم في اليوم الثامن؛ وعدد الأنفس التي خلصت من الطوفان، الذي يرمز أيضاً إلى المعمودية، ثمانية أنفس؛ وأمثلة أخرى.

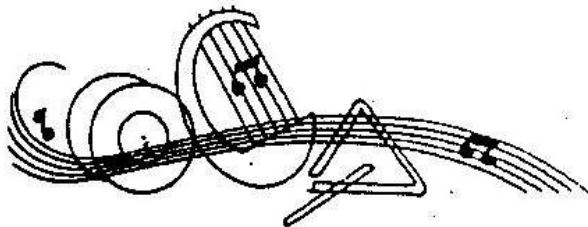
وهذا هو السبب الذي من أجله تُرتَّل الكنيسة في قُدَّاسات أيام الآحاد والأعياد لحن "الليلويا فاي بيه بي"، ومعناه "هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، فلنفرح ونبتهج فيه..."، كتأكيد من الكنيسة على أن هذا اليوم هو يوم الراحة الجديدة التي صنعها الله من جديد للإنسان لكي يدخل في عشرة معه مرةً أخرى.

ومن هنا ندرك كيف أن اليهود قد أساءوا فهم وصية الراحة في يوم السبت وتقديس يوم الرب. فتقديس يوم الرب كان هدفه الدخول في شركة المحبة المتبادلة بين الله والإنسان، وليس مجرد التوقُّف عن العمل. فالسيد المسيح عندما شفى مريض بركة بيت حسدا يوم السبت قائلاً له: "قُمْ. احمل سريرك وامش" (يو ٥: ٨)، احتجَّ اليهود عليه لأنه جعل المريض يحمل سريره يوم السبت، فردَّ عليهم السيد المسيح قائلاً: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو ٥: ١٧)، ومن قول السيد المسيح هذا نستطيع أن نفهم أن معنى الراحة بالنسبة لله ليس هو إطلاقاً التوقُّف عن العمل، بل هو تقديم المحبة وصنع الرحمة مع الإنسان الذي خلقه. فالله يعمل كل حين وعلى الدوام.

كما لا نُغفل ما ذكره سفر التكوين:

"وبارك الله اليوم السابع وقَدَّسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً." (تك ٢: ٣)

فنفهم من ذلك أن الراحة أيضاً قُصدَ بها اكتمال عملية الخلق، لقد استراح الله هنا بمعنى أنه قد أكمل وأتمَّ عملية الخلق ليبدأ في الاهتمام بخليقته كضابطٍ لكلٍ وكمحبٍ للبشر.



الاستنتاجات

١. الله خلق الإنسان من أجل المحبة.
٢. اختصَّ الله الإنسان بخلقه على صورته ومثاله، فخلقه تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم حياً بنفخة من الله.
٣. خلقة الإنسان على صورة الله أعطته: العقل، الخلود، معرفة الله، الحرية، السلطان على باقي الخليقة.
٤. من محبة الله للإنسان أنه أعطى حواء لآدم بطريقة خاصة من ضلع من أضلاعه.
٥. راحة الله هي الدخول في شركة المحبة المتبادلة بينه وبين الإنسان.



الموضوع الثاني

الوصية والسقوط

يظن البعض أن الوصية، التي أعطاه الله للإنسان بعد خلقته بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر، هي امتحان أو فخ وضعه الله للإنسان. لكن من خلال إجابات الأسئلة المختصة بموضوعنا سنكتشف أن للوصية مفهوم آخر في فكر الله المحب للبشر.

كما سنعرف أيضاً من خلال إجابات أسئلة هذا الموضوع: عن الشيطان مصدر الشر، وعن كيفية سقوطه في الشر، وكيفية خداعه لآدم وحواء ولكل البشر حتى يومنا هذا.

١- لماذا أعطى الله للإنسان وصية بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر؟

٢- لماذا لم يخلق الله الإنسان غير قابل للسقوط في عصيان الله؟

٣- هل كانت الوصية بغرض امتحان الإنسان؟

٤- هل كانت الوصية فخاً وضعه الله للإنسان؟

٥- إعطاء الله وصية للإنسان (وقد عصاها الإنسان)، هل يتعارض مع محبة الله؟

٦- إن كان الله بعلمه السابق يعلم بما سيفعله الإنسان من عصيان، فلماذا أعطاه الوصية؟ ولماذا تركه يسقط في العصيان؟ ولماذا خلقه من الأصل؟

٧- لماذا كان الحكم القاسي بالموت الذي حكم به الله على الإنسان بعد سقوطه؟

٨- لماذا سُميت الشجرة التي أوصى الله بعدم الأكل منها بشجرة معرفة الخير والشر؟

تدور هذه الأسئلة كلها حول نفس الفكرة، وبالتالي لها نفس الإجابة تقريباً. فقد أعطى الله الإنسان الوصية حسب قول الكتاب المقدس:

"وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت." (تك ٢: ١٦، ١٧)

إن كانت المحبة هي التفاعل الطبيعي بين الإنسان والله خالقه: فمن جهة الله الخالق، المحبة مؤكدة وثابتة ولا تتغير إذ أن الله محبة؛ أمّا من جهة الإنسان المخلوق فلا بُدَّ أن المحبة التي يقدّمها إلى الله تكون بكامل حريته وإرادته وإلاّ صارت محبة إجبارية لا قيمة لها. فالمحبة والحرية عنصران يرتبطان ببعضهما البعض، فلا المحبة التي يُقدّمها الإنسان يمكن أن تكون بالإجبار بدون حرية، كما لا يمكننا أن نقول إن الله يحب الإنسان وفي نفس الوقت لا يعطي الإنسان الحرية في أن يبادلّه المحبة بملء الإرادة.

وعلى هذا كانت الوصية هي النصيحة أو الفرصة التي قدّمها الله للإنسان حتى يستطيع أن يُعبر بها الإنسان عن محبته لله بملء إرادته وحريته إذا أطاعها، أو أن يرفضها ويعصاها ويكون بذلك قد رفض محبة الله له بإرادته الحرة والكاملة.

ومن هنا، إذا تساءلنا لماذا لم يخلق الله الإنسان غير قابل للسقوط؟ نقول إذا حدث ذلك ستكون محبة الإنسان لله محبة بالإجبار إذ ليس عنده بديل آخر، بل وسيكون الإنسان صورة مشوّهة لله لأنه كان سيصبح بلا حرية.

وإذا تساءلنا هل كانت الوصية فخاً أو امتحاناً للإنسان؟ نقول بالطبع لا، فالوصية كانت نصيحة هامة للإنسان لكي يتعلّم كيف يسير مع الله دون أن يسمع لغواية عدو الخير.

وإذا تساءلنا لماذا أعطى الله الوصية للإنسان رغم علمه السابق بأن الإنسان سيسقط في العصيان؟ نجيب على ذلك بأن الإنسان حر، وعلم الله السابق لا يمكن أن يُبطل حرية الإنسان.

وإذا تساءلنا لماذا كان الحكم القاسي بالموت على الإنسان بعد سقوطه؟ نجيب قائلين بأن الإنسان كان يعلم من قبل سقوطه بأنه إذا أخطأ سيموت، وبالتالي لم يكن الحكم قاسياً ولا فجائياً بالنسبة للإنسان لأن الله قد سبق وأعلمه بذلك كنصيحة نابعة من محبته للإنسان. كما أن الموت لم يكن فقط حكماً على الإنسان، بل كان أيضاً نتيجة طبيعية لما فعله عندما تعدّى الوصية الإلهية. لأن بتعدّي الإنسان للوصية دخل في

عصيان الله بطاعته لصوت عدو الخير ضد نصيحة الله الغالية ووصيته، وبهذا انفصل الإنسان عن الله مصدر حياته، وبانفصاله عن الله يكون قد فَقَدَ الحياة ودخل في حالة الموت.

وإذا تساءلنا لماذا سُمِّيتَ الشجرة بشجرة معرفة الخير والشر؟ نقول بأن هذه التسمية كانت رمزية، بمعنى أن الإنسان إذا أكل منها وأخطأ يكون بذلك قد عصى الله وعرف الشر بعد أن كان لا يعرف إلا الخير بحسب خلقتة، لذلك قال الله بعد سقوط الإنسان:

"هوذا الإنسان قد صار كواحدٍ مِنَّا عارفاً الخير والشر." (تك ٣: ٢٢)

فالإنسان قد عرف الشر بمعنى أنه قد اختبره وسقط تحت سلطانه، أمّا بالنسبة لله فقد كان يعرف أن هناك شرّاً، ولكن بالطبع دون أن يختبره أو يمارسه أو يسقط تحت سلطانه، فمعرفة الله للشر تختلف تماماً عن معرفة الإنسان للشر.

وفي القداس الغريغوري يصلي الكاهن:

«... وعرفّنتني شوكة الموت. غرسٌ واحدٌ نهيتني أن أكل منه، هذا الذي قلت لي لا تأكل منه وحده، فأكلت بإرادتي وتركت عني ناموسك برأيي، وتكاسلت عن وصاياك. أنا اختطففت لي قضية الموت.»
(القداس الغريغوري)

فالقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات يوضّح ويشير إلى أن سقوط الإنسان تحت الخطية كان بملء إرادته وحرّيته، إذ أن الإنسان هو الذي خالف ناموس الله، وهو الذي أكل من الثمرة المُحرّمة، وبالتالي فهو ذاته الذي جلب على نفسه الحكم وليس الله.

ويقول القديس أنثاسيوس:

«ولكن لعلمه أيضاً أن إرادة البشر يمكن أن تميل إلى أحد الاتجاهين (الخير أو الشر)، سبق فأمنّ النعمة المعطاة لهم بوصية ومكان،

فأدخلهم في فردوسه وأعطاهم وصيةً حتى إذا حفظوا النعمة واستمروا صالحين، عاشوا في الفردوس بغير حزن ولا ألم ولا هم، بالإضافة إلى الوعد بالخلود في السماء. أمّا إذا تعدّوا الوصية وارتدّوا (عن الخير) وصاروا أشراراً، فليعلموا أنهم سيجلبون الموت على أنفسهم حسب طبيعتهم، ولن يحيا بعد في الفردوس، بل يموتوا خارجاً عنه ويبقوا إلى الأبد في الفساد والموت. وهذا ما سبق أن حذرنا منه الكتاب المقدس بفم الله قائلاً: "من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت". و"موتاً تموت" لا تعني بالقطع مجرد الموت فقط، بل البقاء في فساد الموت إلى الأبد.» (تجسّد الكلمة ف ٣/٤، ٥)

فالقديس أثناسيوس يوضّح أن الله من أجل صلاحه قد سبق فأمنّ النعمة المعطاة للإنسان بوصية ومكان. أي أن الله لكي يجعل الإنسان يحافظ على النعم والعطايا التي منحه إياها الله فقد آمنّ له ذلك بأن حفظه في مكانٍ هو جنة عدن، وأعطاه وصيةً إذا أطاعها يستطيع من خلالها أن يحيا إلى الأبد، وبذلك يمكن أن نعتبر الوصية بمثابة صمام أمان بالنسبة للإنسان كان هدفها حمايته وليس سقوطه.

ولكن إذا خالف البشر الوصية فهُم بذلك كما يقول لنا القديس أثناسيوس "سيجلبون الموت على أنفسهم حسب طبيعتهم". أي أن الإنسان بالخطية ينفصل عن الله فيعود إلى أصله كمخلوق ترابي من الأرض مصيره الطبيعي هو الموت والفساد وليس الحياة والخلود.

ويقدّم القديس أثناسيوس ملاحظة هامة في هذا الجزء إذ يقول إن الموت ليس هو مجرد الموت الجسدي الذي نعرفه بل هو البقاء في فساد الموت إلى الأبد، أي البقاء في هذه الحالة من الفساد والعدم بدون إمكانية للإصلاح أو التغيير.

٩- إن كان الله أزلّيًا وهو كليّ الصلاح، فمن أين جاء الشر إذا؟

وجود الله وجود أزلّي أي ليس له بداية، وهو كامل في صلاحه وقداسته كما في كل صفاته. وهو خالق كل الخليقة، وبالتالي خليقته كلها أيضًا صالحة بحسب خلقة لها. من هنا يفرض السؤال نفسه عن مصدر الشر الذي أغوى الإنسان بالسقوط في العصيان وهو الشيطان^١ عدو كل خير.

يقول سفر حزقيال:

"يا ابن آدم، ارفع مرثاةً على ملك صور وقُلْ له هكذا قال السيد الرب أنت خاتم الكمال، ملآن حكمة وكامل الجمال. كنتَ في عدن جنة الله كل حجر كريم ستارتك، عقيق أحمر وياقوت أصفر وعقيق أبيض وزبرجد وجزع ويشب وياقوت أزرق وبهرمان وزمرد وذهب. أنشأوا فيك صنعة صيغة الفصوص وترصيعها يوم خلقت. أنت الكروب المنبسط المظلل، وأقمْتُك. على جبل الله المقدس كنتَ. بين حجارة النار تمشيت. أنت كاملٌ في طرقك من يوم خلقتَ حتى وُجدَ فيك إثمٌ. بكثرة تجارتك ملأوا جوفك ظلمًا فأخطأت. فأطرحك من جبل الله وأبيدك أيها الكروب المظلل من بين حجارة النار. قد ارتفع قلبك لبهجتك. أفسدتَ حكمتك لأجل بهائك. سأطرحك إلى الأرض، وأجعلك أمام الملوك لينظروا إليك. قد نجستَ مقداسك بكثرة آثامك بظلم تجارتك، فأخرجُ نارًا من وسطك فتأكلك، وأصيرُك رمادًا على الأرض أمام عيني كل من يراك. فيتحير منك جميع الذين يعرفونك بين الشعوب، وتكون أهوالًا ولا تُوجد بعد إلى الأبد." (حز ٢٨: ١٢-١٩)

^١ كلمة "شيطان" كلمة عبرية الأصل تعني "مُقاوم".

وإن كان الحديث في هذا الجزء مُوجَّه إلى ملك صور، إلا أنه بشكل رمزي يتحدث عن الشيطان إذ يقول عنه: "أنت الكروب المنبسط المُظَلَّل، وأقمتك. على جبل الله المقدس كنت. بين حجارة النار تمشيت. أنت كامل في طرقك من يوم خلقت حتى وُجِدَ فِيكَ إِثْمٌ". فواضح أن الحديث هنا عن الشيطان وليس عن ملك صور، فملك صور لا يمكن أن يُدعى "الكروب المنبسط المُظَلَّل". كما أن ملك صور شخص أُمِّي لا يعرف الله فلا يمكن أن يُقال عنه "أنت كامل في طرقك".

إذاً الحديث هنا عن الشيطان الذي كان ملاكاً (كروباً)^٢، وقد كان كاملاً إلى أن سقط في الكبرياء والعصيان، فسقط من السماء "جبل الله".

وفي سفر إشعياء:

"كيف سقطت من السماء يا زهرة، بنت الصبح؟ كيف قُطِعَتْ إلى الأرض يا قاهر الأمم؟ وأنت قُلْتَ في قلبك أَصْعَدُ إلى السماوات. أرفع كرسيي فوق كواكب الله، وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال. أَصْعَدُ فوق مرتفعات السحاب. أصيرُ مثل العلي. لكنك انحدرت إلى الهاوية، إلى أسافل الجب." (إش ١٤: ١٢-١٥)

أيضاً الحديث في هذا الجزء مُوجَّه إلى ملك بابل، إلا أنه يأخذ بُعداً رمزياً ويتحدث عن الشيطان، ويتضح منه أن سبب سقوط الشيطان كان خطية الكبرياء "وأنت قُلْتَ في قلبك أَصْعَدُ إلى السماوات... أصيرُ مثل العلي".

كذلك نجد شهادة العهد الجديد عن سقوط الشيطان في رسالة بطرس الثانية:

"لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا، بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم، وسلمهم محروسين للقضاء." (٢بط ٢: ٤)

^٢ للمزيد عن هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب "السماء" لنيافة الأنبا يوانس أسقف الغربية المتتبع.

من ذلك نفهم أن الشيطان هو أحد الكروبيم وقد سقط هو وملائكته، ليصبح هو مصدر الشر في العالم، وصار يحسد الإنسان على عطايا الله له كما يقول سفر الحكمة:

"لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم. فيذوقه الذين هم من حزبه."
(حك ٢: ٢٤، ٢٥)

وهي نفس الكلمات التي يُصَلَّى بها الكاهن في القداس الباسيلي:

"يا الله العظيم الأبدي الذي جَبَلَ الإنسان على غير فساد، والموت الذي دَخَلَ إلى العالم بحَسَدِ إبليس هدمته... (صلاة الصلح في القداس الباسيلي)

ومن خلال حسد إبليس للإنسان دَخَلَت الخطية إلى العالم عندما أغوت الحيّة حواء، فدخل الموت إلى العالم.

وقد يتساءل أحد: لماذا لم يُخَلِّص الله الشيطان كما خَلَّص الإنسان؟ والإجابة هي أن الشيطان يختلف في طبيعته عن الإنسان، فسقوط الشيطان — بحسب طبيعته — كان عن إصرارٍ وتحدٍّ لله، وعن غير استعداد للرجوع. على عكس الإنسان الذي أخطأ عن غواية وضعف، ثم نَدِمَ على الخطية وطلَّبَ الخلاص.

إذاً قد كان الشيطان أحد الكروبيم، ولكن دَخَلَهُ الكبرياء فسقط من رتبته هو وملائكته الذين صاروا الملائكة الأشرار أو الأرواح الشريرة أو الشياطين. ويبدو أن ذلك قد حدث عندما اجتازت الملائكة جميعاً اختباراً سقط فيه إبليس وجنوده. وبسقوط الشيطان صار هو مصدر الشر في العالم، إلى أن يأتي المسيح في مجيئه الثاني حيث يُطْرَح الشيطان في النار الأبدية المُعَدَّة له ولملائكته.



١٠- انتهى الحوار بين حواء والحیة بسقوط حواء في الغواية. ففي آية مرحلة من الحديث كان يجب إنهاء الحوار؟

١١- ما هو المدخل الذي دَخَلَتْ منه الحیة (الشيطان) لحواء؟

١٢- هل سقوط آدم وحواء كان فجائيًا أم على مراحل؟ وإن كان على مراحل، فما هي هذه المراحل؟

بعد أن تعرّفنا من خلال إجابة السؤال السابق على كيفية دخول الشر إلى العالم، نتعرّض في هذا السؤال إلى موضوع الحروب الروحية التي نُحَارِبُ بها من قِبَل الشيطان.

ولكي نعرف كيف تمّ السقوط، وما هو مدخل الحیة إلى حواء؛ نستشهد بما جاء في سفر التكوين:

"وكانت الحیة أحيّل جميع حيوانات البرية التي عمّلها الرب الإله، فقالت للمرأة أحقًا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحیة من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحیة للمرأة لن تموتا! بل الله عالمٌ أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدةٌ للأكل، وأنها بهجةٌ للعيون، وأن الشجرة شهيةٌ للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل." (تك ٣: ١-٦)

كانت البداية حواراً فتحتة الحيّة مع حواء، حيث سألتها عن وصية الله كما لو كانت لا تعرفها: "أحقاً قال الله لا تأكل من كل شجر الجنة؟" وعندما أجابتها حواء وشرحت لها الوصية الإلهية، وأن عصيانها سينتج عنه الموت، بدأت الحيّة في التشكيك في صدق وصية الله قائلة: "لن تموتا!" هنا كان يجب على حواء إنهاء الحوار مباشرة وانتهاز الحيّة لأنها شككت في صدق أقوال الله.

ونلاحظ أن هذا هو المدخل الذي دائماً ما يدخل منه الشيطان للإنسان، مدخل التشكيك في صدق وصايا الله وفي صدق وعوده.

لذلك قال السيد المسيح لليهود:

"أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتلاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم ممّاً له، لأنه كذاب وأبو الكذاب." (يو ٨: ٤٤)

والشيطان كما وصفه السيد المسيح "كذاب وأبو الكذاب"، إذ هو دائماً يدّعي عدم صدق أقوال الله. بل ويقدم تصورات خاطئة عن الحقيقة كما قالت الحيّة لحواء: "بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر".

وقد حذر القديس بولس الرسول من هذا الخداع قائلاً:

"ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحيّة حواء بمكرها، هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح." (٢كو ١١: ٣)

وبخداع إبليس، المدفوع بحسده، دخل الموت إلى العالم كما يذكر سفر الحكمة:

"لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم. فيذوقه الذين هم من حزبه." (حك ٢: ٢٤، ٢٥)

لذلك قيل في سفر الرؤيا عن الشيطان عند المجيء الثاني للسيد المسيح إنه سيُعاقب على أذاليه وأكاذيبه التي حاول أن يُغوي بها الناس:

"فطرحَ التنين العظيم، الحيَّة القديمة المدعو إبليس والشيطان، الذي يُضِلُّ العالم كله، طُرَحَ إلى الأرض، وطُرِحَتْ معه ملائكته." (رؤ ١٢ : ٩)

إذاً يمكننا القول بأن مراحل السقوط في الخطية هي كالتالي:

أ – حوار مع الخطية

كانت أول خطوة لسقوط آدم وحواء في الخطية هي دخول حواء في حوار مع الحيَّة.

ب – ضعف الإيمان

إذ أن الشيطان هو الكذاب والمُضِلُّ الذي يُشكِّك في صدق أقوال الله. لذلك فالمرحلة الثانية من مراحل السقوط في الخطية هي أن يقبل الإنسان أكاذيب الشيطان نتيجة ضعف الإيمان وعدم الثقة في صدق وصايا الله ووعوده.

ج – رؤية جديدة خاطئة للأمور

عندما يضعف إيمان الإنسان في صدق وصايا الله وأقواله نتيجة تشكيك الشيطان وأكاذيبه، يبدأ الإنسان في رؤية الأمور بشكل جديد خاطئ، فتتكوَّن لديه نظرة جديدة قد شكَّلتها أكاذيب الشيطان، تمامًا مثلما حدث مع حواء، إذ بعد حديثها مع الحيَّة يقول الكتاب: "فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر".

مع ملاحظة أن الله عندما خلق الشجر والنباتات قد خلقها جميعًا شهية للنظر وجيدة للأكل كما يقول سفر التكوين: "وأُنبَتَ الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وشجرة الحياة في وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر" (تك ٢ : ٩).

فالشجر جميعه كان شهياً للنظر وجيداً للأكل لأنه خليفة الله، ولكن شهوة خطية الكبرياء — أن يكون آدم وحواء مثل الله — جعلت رؤيتهما للشجرة أنها جيدة للأكل وبَهْجَةً للعيون وشهيةً للنظر، ليست من أجل جمال خلقتها، ولكن من أجل الشهوة التي تسلّطت على حواء وآدم من خلال خداع الشيطان.

د — فعل الخطية

بعدما يبدأ الإنسان في النظر للأمور بشكل خاطئ من منظور شهواته الرديّة، تكون النتيجة أنه يسقط في فعل الخطية، كما حدث مع حواء إذ أنها بعدما رأت الشجرة جيدة للأكل وبَهْجَةً للعيون وشهية للنظر قيل: "فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل".

هكذا نرى كيف يجب أن نتعامل مع خداع الشيطان برفض كاملٍ لأكاذيبه، وطاعةٍ كاملةٍ لكلمة الله الحيّة بحسب قول السيد المسيح نفسه:

"الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني..." (يو ١٤ : ٢١)



الاستنتاجات

١. خَلَقَ الله الإنسان، على غير فسادٍ، صاحب حرية وسلطان لأنه مخلوق على صورة الله.
٢. الله من محبته أعطى الإنسان (الحر) وصيةً، لكي يكون له حرية الاختيار لإطاعة الوصية من أجل محبته لله "الله سبق فأَمَنَ النعمة المعطاة للإنسان بوصية ومكان...". (القديس أثاناسيوس الرسولي)
٣. دخل الموت إلى العالم بحسد إبليس، إذ كان هو أيضاً أحد الكروبيم، ولكنه عصى الله من أجل الكبرياء، وقد حَسَدَ إبليس الإنسان على محبة الله له.
٤. مدخل الشيطان للإنسان هو دائماً التشكيك في صدق أقوال الله.
٥. مراحل سقوط الإنسان: حوار مع الخطية، ضعف الإيمان، رؤية جديدة خاطئة، فعل الخطية.



الموضوع الثالث

الموت ونتائج السقوط

لقد خُلِقَ الإنسان كترابٍ من الأرض، ونَفَخَ اللهُ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حيّةً. هكذا ارتبطت حياة الإنسان باتصاله والتصاقه بالله كمصدرٍ لحياته. وبعصيان الإنسان لله، وتصديقه وتبعيته لمشورة الشيطان، سقط الإنسان في الشر وحُكِمَ عليه بالموت.

وعلى ضوء هذا سنناقش في موضوعنا "الموت ونتائج السقوط": معنى الموت، ومظاهره وعلاماته التي بدأت في الظهور على الإنسان كنتائج للسقوط في خطية العصيان.

كما سنناقش أيضاً: أسباب عدم سماح الله للإنسان بالأكل من شجرة الحياة، وعدم تراجع الله عن حكمه بالموت على الإنسان أو اكتفائه بتوبة الإنسان، وعدم موت الإنسان مباشرة بعد السقوط.

١ - ما هو معنى الموت؟

خَلَصْنَا من إجابتنا للسؤال الخامس الوارد بالموضوع الأول "الخلق" عن معنى الحياة أنها بالنسبة للإنسان هي الاتصال والالتصاق بالله مصدر حياة الإنسان وواهبها له. وهنا نجيب على السؤال العكسي عن معنى الموت.

يقول القديس أثاناسيوس:

«وهكذا خَلَقَ الله الإنسان وكان قصده أن يبقى في غير فساد. أما البشر فإذا احتقروا التفكير في الله ورفضوه، وفكروا في الشر وابتدعوه لأنفسهم، فقد حُكِمَ عليهم بحُكم الموت الذي سبق إنذارهم به، ومن ذلك الحين لم يبقوا بعد كما خُلِقُوا، بل إن أفكارهم قادتهم إلى الفساد ومَلَكَ عليهم الموت. لأن تعدي الوصية أعادهم إلى حالتهم الطبيعية، حتى أنهم كما وُجِدُوا من العدم هكذا أيضاً بالضرورة يلحقهم الفناء بمرور الزمن.

فإن كانوا وهم في الحالة الطبيعية — حالة عدم الوجود — قد دُعُوا إلى الوجود بقوة الكلمة وتحنُّه، كان طبيعياً أن يرجعوا إلى ما هو غير موجود (أي العدم)، عندما فقدوا كل معرفة بالله. لأن كل ما هو شر فهو عدم، وكل ما هو خير فهو موجود. ولأنهم حصلوا على وجودهم من الله الكائن، لذلك كان لا بُدَّ أن يُحْرَمُوا إلى الأبد من الوجود. وهذا يعني انحلالهم وبقاءهم في الموت والفساد (الفناء).

فالإنسان فإن بطبيعته لأنه خُلِقَ من العدم، إلا أنه بسبب خلخته على صورة الله الكائن كان ممكناً أن يقاوم قوة الفناء الطبيعي، ويبقى في عدم فناء، لو أنه أبقى الله في معرفته كما تقول الحكمة "حِفْظُ الشرائع

تحقق عدم البلى^١، وبوجوده في حالة عدم الفساد (الخلود) كان ممكناً أن يعيش منذ ذلك الحين كالله كما يشير الكتاب المقدس إلى ذلك حينما يقول "أنا قلتُ إنكم آلهة وبنو العليِّ كلكم. لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون"^٢. « (تجسّد الكلمة ف ٤/٤-٦)

يوضح القديس أثناسيوس أن الإنسان خُلِقَ من العدم، أي من حالة عدم الوجود، وذلك بقوة الله الكلمة الأزلي وتحنّنه، وقد خُلِقَ خالداً على صورة الله ومثاله وعلى غير فساد. ولكن برفض البشر لإطاعة الله ووصيته، بكامل إرادتهم وحرّيتهم، انفصلوا عن الله وحُكِمَ عليهم بالحكم الذي سبق الله وأنذرهم أنهم سيسقطون تحته إذا عصوا الوصية، وهو حكم الموت. وعلى ذلك فقد أوضح القديس أثناسيوس أن الموت هو الانفصال عن الله والرجوع إلى حالة العدم — أي عدم الوجود — التي كان الإنسان عليها قبل خلقه.

ويستكمل القديس أثناسيوس حديثه في كتاب "تجسّد الكلمة":

«فإن الله لم يكتفِ بأن يخلُقنا من العدم، ولكنه وهبنا أيضاً بنعمة الكلمة (الأزلي) إمكانية أن نعيش حسب الله، ولكن البشر حوّلوا وجوههم عن الأمور الأبدية، وبمشورة الشيطان تحوّلوا إلى أعمال الفساد الطبيعي، وصاروا هم أنفسهم السبب فيما حدث لهم من فساد بالموت. لأنهم كانوا — كما ذكرتُ سابقاً — بالطبيعة فاسدين، لكنهم بنعمة اشتراكهم في الكلمة (الأزلي) كان يمكنهم أن يفلتوا من الفساد الطبيعي لو أنهم بقوا صالحين.

وبسبب أن الكلمة سكّنَ فيهم، فإن فسادهم الطبيعي لم يمسه كما يقول سفر الحكمة "الله خلق الإنسان لعدم الفساد وجعله على صورة

^١ حك ٦: ١٩

^٢ مز ٨٢: ٦، ٧

أزليته لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم"^٣. وبعدها حدث هذا (دخول الموت إلى العالم نتيجة الخطية والعصيان) بدأ البشر يموتون، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فمن ذلك الوقت فصاعداً بدأ الفساد يسود عليهم، بل صار له سيادة على كل البشر أقوى من سيادته الطبيعية، وذلك لأنه حدث نتيجة عصيان الوصية التي حذرهم أن لا يخالفوها.» (تجسد الكلمة ف ١/٥، ٢)

يؤكد هنا القديس أثناسيوس المفهوم الذي سبق أن شرّحه، مع إضافة أن الموت لم يكن مجرد رجوع إلى حالة عدم الوجود التي كان عليها الإنسان قبل خلقته، بل أكثر من ذلك هو الدخول في حالة الفساد الذي ساد على طبيعة الإنسان حتى أنه صار ساقطاً تحت سلطان الشر الذي سبق أن قال عنه القديس أثناسيوس: "لأن كل ما هو شر فهو عدم، وكل ما هو خير فهو موجود".

إذاً الموت هو الانفصال عن الله، والرجوع إلى حالة العدم، حالة عدم الوجود، التي كان عليها الإنسان قبل خلقته. وليس ذلك فقط بل وأيضاً الدخول في حالة الفساد الذي صار سائداً على الطبيعة البشرية.



^٣ حك ٢: ٢٣، ٢٤

٢ - ما هي نتائج السقوط؟

لقد سقط الإنسان في عصيان وصية الله، لذلك أصابه الموت والفساد. وقد أوضحنا في إجابة السؤال السابق أنه بالموت قد انفصل عن الله، ولذلك فبمجرد سقوط الإنسان، بدأت معاناته من نتائج السقوط والخطية، وبدأت مظاهر الموت وعلاماته وتظهر عليه، كما جاء في سفر التكوين:

"فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعَيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعِلِمًا أَنَّهُمَا عَرِيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تَيْنٍ وَصَنَعَا لِنَفْسِهِمَا مَآزِرَ.

وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهِهِمَا مَاشِيًّا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ إِلَهِهِمَا فِي وَسْطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ إِلَهِ آدَمَ وَقَالَ لَهُ أَيْنَ أَنْتَ؟ فَقَالَ سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لِأَنِّي عَرِيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ. فَقَالَ مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عَرِيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا؟ فَقَالَ آدَمُ الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِيَ هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ. فَقَالَ الرَّبُّ إِلَهِهُمَا لِلْمَرْأَةِ مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتَ؟ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ. فَقَالَ الرَّبُّ إِلَهِهُمَا لِلْحَيَّةِ لِأَنَّكَ فَعَلْتَ هَذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وَحُوشِ الْبَرِّ. عَلَى بَطْنِكَ تَسْعِينَ وَتَرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَأَضَعُ عَدَاوَةَ بَيْنِكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ. وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ تَكْثِيرًا أَكْثَرَ أَتْعَابِ حَبْلِكَ، بِالْوَجْعِ تَلْدِينَ أَوْلَادًا. وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيقَاكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ. وَقَالَ لآدَمَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا لَا تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الْأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ

لَكَ، وتَأْكُلُ عَشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ
الَّتِي أَخَذْتَ مِنْهَا. لِأَنَّكَ تَرَابٌ، وَإِلَى تَرَابٍ تَعُودُ.

وَدَعَا آدَمُ اسْمَ امْرَأَتِهِ حَوَاءَ لِأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. وَصَنَعَ الرَّبُّ الْإِلَهَ لآدَمَ
وَامْرَأَتِهِ أَقْمَصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا.

وَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهَ هُوَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ
وَالشَّرَّ. وَالْآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا
إِلَى الْأَبَدِ. فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الْإِلَهَ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أَخَذَ
مِنْهَا. فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكُرُوبِيمَ، وَلَهَبَ سَيْفًا
مُتَقَلِّبًا لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ. (تك ٣: ٦-٢٤)

من هذا الجزء من سفر التكوين يمكننا استخلاص نتائج السقوط، ومظاهر الموت
الذي أصاب آدم في النقاط التالية:

أ — فقدان البراءة والنقاوة والقداسة مع الشعور بالعُري والخجل

بعد أن ذَكَرَ الكتاب المقدس أن آدم وحواء قد أَكَلَا مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ،
قال "فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعِلِمًا أَنَّهُمَا عَرِيَانَانِ"، وهنا بدأت أول علامات الموت والفساد
في الظهور وهي فقدان النقاوة مع الشعور بالعُري والخجل، لذلك حاول آدم وحواء
سِتْرَ عَرِيَّتِهِمَا بِأَوْرَاقِ التِّينِ. لكننا نعلم أن أوراق التين ترمز إلى الرياء^٤، ولذلك نرى

^٤ يُذَكِّرُنَا هَذَا بِحَادِثَةِ لَعْنِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ لِشَجَرَةِ التِّينِ غَيْرِ الْمَثْمُورَةِ، وَهِيَ الْحَادِثَةُ الَّتِي نَتَذَكَّرُهَا فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ مِنَ
البَصْخَةِ الْمُقَدَّسَةِ، حَيْثُ كَانَتْ تَحْتَوِي الشَّجَرَةَ عَلَى وَرَقٍ فَقَطْ دُونَ ثَمَرٍ، فَلَعْنَهَا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ فَيَبَسَتْ. وَلَمْ يَكُنْ
لَعْنِ السَّيِّدِ لَهَا بِسَبَبِ عَدَمِ إِثْمَارِهَا، بَلْ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ وَرَقًا فَقَطْ دُونَ ثَمَرٍ، كَمَا يَقُولُ الْقَدِيسُ مَرْقُسُ الْبَشِيرُ:
"فَنَظَرَ شَجَرَةَ تَيْنٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا، لِأَنَّهُ
لَمْ يَكُنْ وَقْتُ التِّينِ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْكَ ثَمَرًا بَعْدَ إِلَى الْأَبَدِ! وَكَانَ تَلَامِيذُهُ يَسْمَعُونَ"
(مر ١١: ١٣، ١٤). وَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّهُ بِالنَّسْبَةِ لِشَجَرِ التِّينِ تَظْهَرُ الْبَرَامَةُ الزَّهْرِيَّةُ — الَّتِي تَتَمَرُّ فِيهَا بَعْدَ —
قَبْلَ ظَهْوَرِ الْوَرَقِ، وَبِالتَّالِي وَجُودِ وَرَقٍ فِي شَجَرَةِ التِّينِ يَعْنِي بِالتَّأَكُّدِ وَجُودَ ثَمَرٍ. وَلِهَذَا لَعْنُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ
شَجَرَةَ التِّينِ لِأَنَّ مَنَظَرَهَا وَعَلَيْهَا الْوَرَقُ يُوحِي بِوُجُودِ ثَمَرٍ عَلَى خِلَافِ الْحَقِيقَةِ. وَبِذَلِكَ صَارَتْ شَجَرَةُ التِّينِ
تُمَثِّلُ حَيَاةَ الرِّيَاءِ الَّتِي يُخْفِي فِيهَا الْإِنْسَانُ خَطَايَاهُ وَشَهَوَاتِهِ خَلْفَ مَظَاهِرٍ مِنَ الْعِبَادَةِ الشَّكْلِيَّةِ، تَمَامًا مِثْلَ الْأَمَةِ
الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي قِيلَ عَنْهَا: "هَذَا الشَّعْبُ يَكْرُمُنِي بِشَفَافَتِهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعَدٌ عَنِّي بَعِيدًا" (مر ٧: ٦).

أن الله قد رفض سترَ عُرِي آدم بأوراق التين، فصنع له أقمصاً من الجلد الناتج عن ذبح الحيوانات، فلو كان الأمر مجرد ستر للعُرِي لَمَا كان هناك فرق بين أوراق التين وأقمصة الجلد، ولكن كان قصد الله أن الرياء لا يستر خطية الإنسان، ولكن ما يسترها ويُكفّر عنها هو دم الذبيحة الحقيقية وهي جسد ربنا يسوع المسيح المبذول من أجل حياة العالم كما سنرى فيما بعد.

ب — الخوف

بعد سقوط آدم وحواء في الخطية، قال الكتاب أنهما "سَمِعَا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاخْتَبَأَ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة". وعندما نادى الله آدم وقال له: "أين أنت؟"، ردَّ قائلاً: "سَمِعْتُ صوتك في الجنة فخشيت، لأني عريان فاخْتَبَأْتُ".

من الواضح أن آدم وحواء قد اعتادا سماع صوت الله ماشياً في الجنة، ولكن بعد السقوط أدخلت الخطية الخوف والاضطراب إلى داخلهما، فالإنسان الذي كان قبل ذلك يفرح بالله وبلقائه، صار الآن يخشاه ويخافه بل ويخْتَبِئُ منه.

ج — الألم والتعب

صار الألم من نصيب حواء كنتيجة للخطية "تَكْثِيرًا أَكْثَرَ أتعاب حَبْلِكَ، بالوجع تلدين أولاداً"، كما صار التعب من نصيب آدم "ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تُنْبِتُ لك، وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً^٥ حتى تعود إلى الأرض التي أُخِذْتَ منها. لأنك ترابٌ، وإلى ترابٍ تعود".

^٥ هذا لا يعني أن آدم لم يكن يعمل في الجنة قبل السقوط، إذ قيل: "وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها" (تك ٢: ١٥). ولكن بعد السقوط كان يعمل بالتعب وعرق الوجه، بل وكانت الأرض تُنْبِتُ له الشوك والحسك عوض الثمر والخير.

فالإنسان الذي كان في راحة وفرح، نجده الآن في ألم وتعَب ووجع بسبب سقوطه في الخطية ودخول الموت والفساد إليه.

د - لعنة الأرض

لُعِنَت الأرض بسبب عصيان آدم "ملعونة الأرض بسببك". فقبل السقوط كانت كل الخليقة خاضعة لآدم إذ كان آدم هو تاج الخليقة، وكان آدم خاضعاً لله. أي أن الخليقة كلها كانت خاضعة لله في آدم. ولكن بسقوط آدم في الخطية وعصيان الله، عصت الخليقة آدم. ومن هنا أصبحت الأرض تُبْتِ الشوك والحسك عوض الخير والثمر، وأصبح الحيوان يهاجم الإنسان والإنسان يخاف الحيوان.

وهكذا صارت الأرض ملعونة، وتنتظر هي الأخرى تجديدها كما يقول القديس بولس الرسول: "لأن انتظار الخليقة يتوقّع استعلان أبناء الله. إذ أُخْضِعَت الخليقة للبطل - ليس طوعاً، بل من أجل الذي أُخْضِعَهَا - على الرجاء" (رو ٨: ١٩، ٢٠). فالخليقة تنتظر تجديدها لأنها قد خضعت "للْبَطْل" أي للباطل، ليس من ذاتها "ليس طوعاً"، بل من خلال آدم رأسها "بل من أجل الذي أُخْضِعَهَا". لذلك فهي تنتظر "على الرجاء"، وتتوقّع "استعلان أبناء الله".^٦

ويشرح القديس بولس الرسول نتائج السقوط بالنسبة للبشرية كلها قائلاً:

"من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دَخَلَتِ الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع".
(رو ٥: ١٢)

أي أنه بالنسبة لآدم حدثت الخطية أولاً، وهي عصيان وصية الله، ثم لحَقَهَا الموت والفساد؛ أمّا بالنسبة لنسل آدم فقد دخل الموت والفساد من خلال آدم،

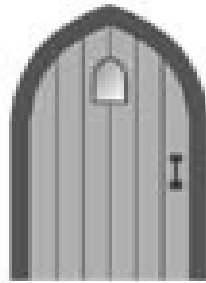
^٦ سيأتي الشرح المفصّل لموضوع تجديد الخليقة في إجابة السؤال التاسع من القسم الخامس من هذا الكتاب ص ٤٣١.

ثم تسلّطت الخطية وازدادت جدًّا بعد ذلك نتيجة الانفصال عن الله، مصدر كل صلاح وبرٍّ.

نفس هذه الفكرة نجدها عند القديس أثناسيوس في القول الذي أوردناه في السؤال السابق:

«وبسبب أن الكلمة سكَنَ فيهم، فإن فسادهم الطبيعي لم يمسه كما يقول سفر الحكمة "الله خلق الإنسان لعدم الفساد وجعله على صورة أزليته لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم"^٧. وبعدها حدث هذا (دخول الموت إلى العالم نتيجة الخطية والعصيان) بدأ البشر يموتون، هذا من جهة؛ ومن جهةٍ أخرى فمن ذلك الوقت فصاعدًا بدأ الفساد يسود عليهم، بل صار له سيادة على كل البشر أقوى من سيادته الطبيعية، وذلك لأنه حدث نتيجة عصيان الوصية التي حذَّروهم أن لا يخالفوها.» (تجسُّد الكلمة ف ٢/٥)

إذا بسقوط آدم فَقَدَ النقاوة والبراءة والقداسة، وشَعَرَ بالْغُري والخجل، والخوف، والألم، والتعب، ولُغِنَت الأرض بسببه. وهكذا ظهرت عليه مظاهر الموت وعلاماته نتيجة عصيانه لله، وهكذا دَخَلَ الفساد ودَخَلَتِ الخطية وتسلّطت على كل البشر من نسل آدم.



^٧ حك ٢: ٢٣، ٢٤

٣ - لماذا لم يسمح الله للإنسان بالأكل من شجرة الحياة؟

بعد سقوط آدم قيل في سفر التكوين:

"وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحدٍ مِنَّا عارفاً للخير والشر. والآن لعنه يَمُدُّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجَه الرب الإله من جنة عَدْنٍ ليعمل الأرض التي أُخِذَ منها. فَطَرَدَ الإنسان، وأقامَ شرقي جنة عَدْنٍ الكروبيم، ولهيب سيفٍ مُتَقَلِّبٍ لحراسة طريق شجرة الحياة." (تك ٣: ٢٢-٢٤)

بسقوط الإنسان في عصيان الوصية لم يَعُدْ عارفاً للخير فقط كما خَلَقَهُ الله، بل صار عارفاً للشر وساقطاً تحت سلطانه، وأصابه الفساد وحُكِمَ عليه بالموت وطُرِدَ من الجنة. كان هذا هو حال الإنسان بعد السقوط.

ومن محبة الله للإنسان أنه لم يسمح له بالأكل من شجرة الحياة وهو على هذا الحال المؤلم، لأنه إذا أكل منها وهو على هذا الحال فإنه سيحيا إلى الأبد هكذا، أي سيبقى في الموت والفساد إلى الأبد. ولذلك قال الرب: "والآن لعنه يَمُدُّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد". وكلمة "الآن" يُقصد بها هنا وقت ما بعد السقوط، وما وصل إليه الإنسان من فساد وموت.

كما أنه بالسقوط صار محكوماً على الإنسان بالموت، أي بالحرمان من الحياة. وبالتبعية صار الإنسان محروماً من الأكل من شجرة الحياة التي في وسط الجنة، فأقام الله الكروبيم ولهيب سيفٍ مُتَقَلِّبٍ لحراسة طريق شجرة الحياة.

ولا يفوتنا أن نلاحظ قول القديس يوحنا الرسول في رسالته الأولى عن الرب يسوع إنه هو الحياة: "فإن الحياة أُظهِرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرت لنا." (١يو ١: ٢). لذلك فقد عاد الإنسان ليأكل من شجرة الحياة الحقيقية، مرةً أخرى، من خلال سرِّ الافخارستيا الذي فيه نأكل جسد ربنا

يسوع المسيح ونشرب دمه الكريم، هذا السرُّ الذي بواسطته نُعطى خلاصًا وغفرانًا للخطايا وحياةً أبديةً لكل مَنْ يتناول منه.

ثم يأتي ذكر "شجرة الحياة" في آخر أسفار الكتاب المقدس، سفر الرؤيا:

"مَنْ يَغْلِبْ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسْطِ فِرْدَوْسِ اللَّهِ." (رؤ ٢: ٧)

"طُوبَى لِلَّذِينَ يَصْنَعُونَ وَصَايَاهُ لِكَيْ يَكُونَ سُلْطَانُهُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ، وَيَدْخُلُوا مِنَ الْأَبْوَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ، لِأَنَّهُ خَارِجًا الْكَلَابُ وَالسَّحَرَةُ وَالزَّانَاةُ وَالْقَتْلَةُ وَعِبَدَةُ الْأَوْثَانِ وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ وَيَصْنَعُ كَذِبًا." (رؤ ٢٢: ١٤، ١٥)

هكذا يؤكد سفر الرؤيا أن الأكل من شجرة الحياة لن يكون إلا للغالبين الذين تمسكوا بوصايا الله في حياتهم على الأرض لينالوا الحياة الأبدية في ملكوت السماوات.



٤ - لماذا لم يسامح الله الإنسان ولم يتراجع - بمقتضى رحمته -

عن أن يحكم على الإنسان بالموت؟

٥ - لماذا لم يكتفِ الله بأن يُقدِّم الإنسان توبةً عن خطيته؟

إن كان الله رؤوف وكثير الرحمة، إلّا إنه صادقٌ أيضاً في أحكامه ووعوده وكلامه حيث يقول الكتاب المقدس: "ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً" (رو ٣: ٤)، كما يتكرّر مراراً في الكتاب تعبير "صادقةٌ هي الكلمة" أي كلمة الله. لذلك لم يكن يليق بالله أن يتراجع عن الحكم الذي سبق أن حذر آدم منه إذا أكل من شجرة معرفة الخير والشر. ويقول القديس أنثاسيوس:

«لأن الموت أيضاً، وكما قلتُ سابقاً، صارت له سيادة شرعية علينا (بسبب التعدي)، منذ ذلك الوقت فصاعداً، وكان من المستحيل التهرب من حكم الناموس، لأن الله هو الذي وَضَعَه بسبب التعدي، فلو حدث هذا لأصبحت النتيجة مرعبة حقاً وغير لائقة في نفس الوقت. لأنه من غير اللائق طبعاً أن الله بعدما تكلم بشيءٍ مرّةً يتّضح أنه فيما بعد كاذبٌ، أي أن الله بعد أن أمرَ أن الإنسان يموت موتاً، أن يتعدّى الوصية ولا يموت، بل تَبْطُل كلمة الله. وسيكون الله غير صادق إن كان الإنسان لا يموت بعد أن قال الله إنه سيموت.» (تجسّد الكلمة ف ٢/٦، ٣)

ويضيف القديس أنثاسيوس أن الندم على فعل الخطية والتوبة عنها لم تكن كافيةً لرفع حكم الموت:

«لكن إن كان هذا هو ما يجب أن يحدث، فمن الناحية الأخرى نجد أنه لا يتفق مع صدق الله الذي يقتضي أن يكون الله أميناً من جهة حكم

الموت الذي وَضَعَهُ، لأنه كان من غير اللائق أن يظهر الله أبو الحق كاذبًا من أجلنا.

إذًا، ماذا كان يجب أن يُفعل حيال هذا؟ أو ما الذي كان يجب على الله أن يعملهُ؟ أَيْطَلَب من البشر التوبة عن تعديّاتهم؟ ويمكن أن يرى المرء أن هذا يليق بالله ويقول: كما أن البشر صاروا إلى الفساد بسبب التعديّ، فإنهم بسبب التوبة يمكن أن يعودوا إلى عدم الفساد وللخلود.

لكن التوبة تعجز عن حفظ أمانة الله لأنه لن يكون الله صادقًا إن لم يظل الإنسان في قبضة الموت (لأنه تعدّى فحُكِمَ عليه بالموت كقول الله الصادق). ولا تقدر التوبة أن تُغيّر طبيعة الإنسان، بل كل ما تستطيعه هو أن تمنعه عن أعمال الخطية.

فلو كان تعدّي الإنسان مجرد عمل خاطئ ولم يتبعه فساد، لكانت التوبة كافية. أما الآن بعد أن حدث التعديّ، فقد تورّط البشر في ذلك الفساد الذي كان هو طبيعتهم ونُزِعَتْ منهم نعمة مماثلة صورة الله، فما هي الخطوة التي يحتاجها الأمر بعد ذلك؟ أو مَنْ ذا الذي يستطيع أن يُعيد للإنسان تلك النعمة ويرده إلى حالته الأولى إلا كلمة الله الذي خلق في البدء كل شيءٍ من العدم؟» (تجسّد الكلمة ف ١/٧-٤)

يؤكد هنا القديس أثاناسيوس نفس النقطة السابقة عن أن قبول الله لتوبة الإنسان يتعارض مع صدق أقواله "التوبة تعجز عن حفظ أمانة الله".

ويضيف القديس أثاناسيوس: "ولا تقدر التوبة أن تُغيّر طبيعة الإنسان، بل كل ما تستطيعه هو أن تمنعه عن أعمال الخطية. فلو كان تعدّي الإنسان مجرد عمل خاطئ ولم يتبعه فساد، لكانت التوبة كافية". أي أن التوبة لا يمكن وحدها أن تعيد الإنسان إلى حالة النقاوة التي كان عليها أولاً، كما لا تستطيع التوبة أن تشفي طبيعة الإنسان التي أصابها الفساد نتيجة الخطية.

ويمكن تشبيه هذا الأمر بمرريض مصاب بنزلة برد لتعرضه للبرد الشديد دون أن يستعد بالملابس الثقيلة المناسبة، فيذهب إلى الطبيب للعلاج. فهل يمكن أن يكتفي الطبيب بأن ينصحه بالألا يفعل ذلك ثانيةً وأن يلبس الملابس الثقيلة المناسبة للجو البارد؟! بالطبع لا، بل عليه أن يقدم له العلاج أولاً ثم تأتي النصيحة بعد ذلك.

لكن وإن كان الله لم يتراجع عن الحكم على الإنسان بالموت، ولم يكتفِ بتوبته لأنها غير كافية لشفاء طبيعته من الفساد؛ إلا أنه — بمقتضى رحمته — أخذ طبيعتنا البشرية بالتجسد لكي يجددنا، ويأخذ عنا حكم الموت الذي كان محكوماً به علينا عن استحقاق.

ومن ذلك نفهم أن الله لم يسامح الإنسان، ولم يتراجع عن الحكم عليه لأن هذا يتعارض مع صدق أقوال الله وأحكامه. ومن جهة أخرى لم يكتفِ الله بأن يقدم الإنسان توبة لأن التوبة لا تستطيع نزع الفساد من طبيعته وتجديدها.



- ٦- لماذا لم يمت الإنسان بالجسد مباشرةً بعد السقوط؟
- ٧- هل عدم موت الإنسان بالجسد مباشرةً بعد السقوط يتعارض مع صدق أقوال الله؟

عرفنا أن الله قد خلق الإنسان من أجل المحبة، وهو ثابت في محبته للإنسان التي لا تتغير. فعلى الرغم من سقوط الإنسان في خطية عصيان الله واستحقاقه لحكم الموت، إلا أن الله في حديثه مع الحيّة بعد السقوط أعطى الإنسان وعدًا بالخلاص:

"وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه." (تك: ٣: ١٥)

حيث تُمثّل هذه الآية أول وعد بالخلاص، وأول نبوة عن مجيء المسيح المُخلص من نسل المرأة، بل ويعتبرها البعض إحدى الآيات المحورية في سفر التكوين.

لقد كان لحكم الموت الذي حُكِمَ به على الإنسان ثلاثة جوانب: الموت الروحي وهو الانفصال عن الله، وقد حدث بعد السقوط مباشرةً؛ والموت الأدبي وهو الوقوع تحت سلطان الخطية والفساد اللذين تسلّطا على آدم وحواء وكل البشرية من بعدهما، وقد حدث أيضًا بعد السقوط مباشرةً؛ أمّا الجانب الثالث، وهو الموت الجسدي فقد تأجّل قليلاً لكي يعطي الله لآدم وحواء فرصة من الزمن ليكون لهما نسل يأتي منه المُخلص الموعود به. حيث أن آدم وحواء، وقت السقوط، لم يكن لهما نسل بعد. ثم حدث الموت الجسدي بعد ذلك.

هكذا ظلّ الله صادقاً في أقواله، وتمّ حكم الموت على الإنسان؛ كما ظلّ ثابتاً في محبته، وأعطى الوعد بالخلاص وتمّمه بالتجسّد والصليب.



٨- لماذا نرى الشر ينتشر من حولنا؟

٩- لماذا الأتاعاب في الأرض؟ ولماذا الأمراض والكوارث الطبيعية وغيرها؟

بسقوط الإنسان فَسَدَتْ طبيعته، وصار الألم والتعب من نصيبه. وبدأ زيغان الإنسان إلى الشر الذي تسلَّط وانتشر في العالم بين جميع البشر. وفي ذلك يقول القديس أثناسيوس:

«... وبعدما حدث هذا (دخول الموت إلى العالم نتيجة الخطية والعصيان) بدأ البشر يموتون، هذا من جهة؛ ومن جهةٍ أخرى فمن ذلك الوقت فصاعداً بدأ الفساد يسود عليهم...

فالبشر لم يقفوا عند حدٍّ معيَّن في خطاياهم، بل تمادوا في الشر حتى أنهم شيئاً فشيئاً تجاوزوا كل الحدود، وصاروا يخترعون الشر حتى جلبوا على أنفسهم الموت والفساد. ثم توغلوا في الظلم والمخالفة ولم يتوقفوا عند شرٍ واحد، بل كان كل شر يقودهم إلى شر جديد حتى أصبحوا نهَمِين في فعل الشر (لا يشبعون من فعل الشر).

ففي كل مكان انتشر الزنى والسرقة وامتلأت الأرض كلها بالقتل والنهب. ولم يراعوا حرمة أي قانون، بل كانوا يسلكون في الفساد والظلم، بل صاروا يمارسون الشرور بكل أنواعها أفراداً وجماعات. فنشبت الحروب بين المدن، وقامت أمم ضد أمم وتمزقت المسكونة كلها بالثورات والحروب، وصار كل واحدٍ يتنافس مع الآخر في الأعمال الشريرة.

كما إنهم لم يكونوا بعيدين عن الخطايا التي هي ضد الطبيعة كما قال الرسول والشاهد للمسيح (القديس بولس الرسول): "لأن إنائهم

استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة، وكذلك الذكور أيضاً، تاركين استعمال الأنثى الطبيعي، اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض، فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور، ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المَحَقَّ^٨.» (تجسّد الكلمة ف ٥/٢-٥)

استعرض القديس أثناسيوس في هذا الجزء أنواع الشرور والخطايا التي انتشرت بين البشر نتيجة الموت والفساد اللذين أصابا البشرية نتيجة عصيان آدم.

أمّا فيما يخص الأرض، فقد لُعِنَتْ بسبب خطية آدم، وبدأت تُنبت الشوك والحسك عوض الخير والثمر، كما بدأت تعلن عن عصيانها للإنسان بالأمراض والزلازل والبراكين والكوارث الطبيعية بكل أشكالها.

هكذا نجد أن ما نراه من حولنا من شرور ومظالم منتشرة في العالم، وما نراه من أتعاب وأمراض وكوارث طبيعية سببه الأساسي هو الفساد الذي دخل إلى العالم بعصيان آدم الأول. أمّا بخلص ربنا يسوع المسيح، آدم الثاني، فقد دخل البر، ودخلت القداسة.



^٨ روم ١: ٢٦، ٢٧

الاستنتاجات

١. الموت بالنسبة للإنسان هو الانفصال عن الله مصدر حياته.
٢. جاءت نتائج الخطية (وهي أيضاً مظاهر الموت وعلاماته): فقدان للبراءة والنقاوة والقداسة، إحساس بالعُري والخجل، خوف، ألم، تعب، ولعنة للأرض التي كان آدم مُتسلطاً عليها.
٣. لم يسمح الله لآدم بالأكل من شجرة الحياة: من جهةٍ، لئلا يحيا إلى الأبد في حالة الموت والفساد التي كان عليها بعد السقوط؛ ومن الجهة الأخرى، لأنه كان محكوماً عليه بالموت والحرمان من الحياة.
٤. لم تتعارض رحمة الله اللانهائية مع تنفيذ حكم الموت على الإنسان لأنه لم يكن من اللائق بالله، الصادق في أحكامه، أن يتراجع عما سبق وأُذِر به الإنسان. كما أن توبة الإنسان لم تكن كافية لنزع الفساد الذي أصاب طبيعة الإنسان نتيجة الخطية.
٥. الله، في محبته للبشر التي لا تتغير، لم يسمح بموت الجسد وفساده مباشرةً بعد السقوط، حتى يكون للإنسان نسلٌ يأتي منه المخلص الموعود به. ولكنه تمَّ كلمته ومات الإنسان بعد ذلك.
٦. لما دَخَلَ الموت للإنسان، دَخَلَ الفساد وتسلَّطت الخطية وانتشرت بين جميع البشر. كما لُعِنَت الأرض بسبب خطية الإنسان، وصارت تعلن عن عصيانها للإنسان بالأمراض والزلازل والبراكين والكوارث الطبيعية بكل أشكالها.



الموضوع الرابع

اختيار شعب إسرائيل

يتساءل الكثيرون عن سبب دعوة الله لشخصٍ معيّن ليكون أبًا لشعبٍ مختارٍ خاصٍّ بالله. كما يتساءلون عن الأسس التي قام عليها اختيار الله لإبراهيم أبي الآباء، ليكون هو هذا الشخص.

ويظن البعض أن الله باختياره لشعب إسرائيل قد تخلّى عن جميع الشعوب الأخرى، وانحصر اهتمامه في شعبه الذي كان ينحاز ويحابي له على حساب باقي الشعوب.

هذا ما سنتناوله من خلال إجاباتنا على أسئلة موضوعنا "اختيار شعب إسرائيل"، لنوضح أن هذا الأمر كان أحد تدابير الله المحب للبشر للإعداد لفداء جميع البشر من كل الشعوب والألسنة والأجناس بلا تمييز أو تفرقة.

١ - هل فَقَدَ الإنسان محبة الله له بعد سقوطه في العصيان؟

٢ - هل أظهر الله محبة نحو الإنسان بعد السقوط؟

الله هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد، ليس عنده تغيير ولا ظل دوران. وإذا كان الله محبة، وقد خَلَقَ الإنسان من أجل المحبة؛ فمحبتته للإنسان باقية إلى الأبد، حتى بعد سقوط الإنسان في عصيان وصية الله، لأن الله يظل أميناً إلى الأبد.

ويمكننا ملاحظة الكثير من دلالات محبة الله للإنسان بعد سقوطه، ففي نفس الوقت الذي سقط فيه الإنسان، نجد أن الله يقدّم له أول وعد بالخلاص في حديثه مع الحيّة:

"وأضعُ عداوةَ بينك وبين المرأة، وبين نسلِك ونسلها. هو يَسْحَقُ رأسك، وأنتِ تَسْحَقِينَ عَقْبَهُ." (تك ٣: ١٥)

بعد ذلك صنع الله لآدم وحواء أقمصاً من جلدٍ بدلاً من أوراق التين لكي يَسْتُرَ عريهما، لأن الجلد يأتي من ذبح الحيوانات، أي أن الله قد علّم آدم وحواء طقس الذبيحة التي بها يُسْتَرُ عُرْي الخطية:

"وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصاً من جلدٍ وألبسهما." (تك ٣: ٢١)

وعندما ازداد الشر وقَتَلَ قايين أخاه هابيل بسبب الحسد، وكَذَبَ على الله محاولاً إخفاء جريمته، نجد محبة الله ظاهرة في ردّه على قايين القاتل الذي خاطب الله قائلاً:

"إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الْأَرْضِ، فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلَنِي. فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ لَذَلِكَ كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايِينَ فَسَبْعَةُ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ مِنْهُ. وَجَعَلَ الرَّبُّ لِقَايِينَ عِلَامَةً لِكَيْ لَا يَقْتُلَهُ كُلُّ مَنْ وَجَدَهُ." (تك ٤: ١٤، ١٥)

فعلى الرغم من خطية قايين، إلا أننا نجد محبة الله موجودة وظاهرة وتشمل الإنسان بالمراحم والرفات.

كذلك في القداس الباسيلي يصلي الكاهن:

«قدوس قدوس قدوس بالحقيقة أيها الرب إلهنا، الذي جبلنا وخلقنا ووضعنا في فردوس النعيم. وعندما خالفنا وصيتك بغواية الحيّة، سقطنا من الحياة الأبدية، ونفينا من فردوس النعيم؛ فلم تتركنا عنك أيضاً إلى الانقضاء.» (القداس الباسيلي)

فبالرغم من الخطية والسقوط إلا أن الله لم يتركنا بعيداً عنه "لم تتركنا عنك إلى الانقضاء".

إذاً محبة الله ثابتة لا تتغير، وقد ظهرت بوضوح نحو الإنسان حتى بعد سقوطه.



٣ - كيف كان يجب أن يستفيد الإنسان من تجربة السقوط ونتائجها؟

٤ - كيف سلك الإنسان بعد طرده من الجنة، وبعد الطوفان؟

إذ اختبر الإنسان فرح الحياة مع الله، كما اختبر بعد ذلك مرارة السقوط والخطية التي بدأ يعاني منها؛ كان من المفترض أن يتعلم الإنسان أن يحيا مع الله ويتمسك بوصاياه. فهو وإن كان محكوماً عليه بالموت، إلا أن الله أظهر محبته له، وقدم له وعد الخلاص؛ وبالتالي كان لازماً عليه أن يتشبث بالله ويحفظ وصاياه ويتمسك بوعد الخلاص الذي حصل عليه. ولكن، للأسف، لم يفعل الإنسان ذلك؛ بل، على العكس، ازداد الإنسان في الشر، وتمادى في الخطية، كما ذكر في سفر التكوين:

"وَحَدَّثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الْأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، أَنْ أَبْنَاءَ اللَّهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لَأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. فَقَالَ الرَّبُّ لَا يَدِينُ رُوحِي فِي الْإِنْسَانِ إِلَى الْأَبَدِ، لِزَيْغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً. كَانَ فِي الْأَرْضِ طَغَاءٌ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللَّهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوُلِدْنَ لَهُمْ أَوْلَادًا، هَؤُلَاءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مِنْذُ الدَّهْرِ ذُوُوا اسْمٍ.

ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصوّر أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه." (تك ٦: ١-٦)

"أبناء الله" يُقصد بهم أبناء شيث. وشيث هو ابن آدم الذي وُلِدَ له بعد مقتل هابيل، ويُحسب أنه هو وأولاده النسل المقدس الذي بولادته قيل: "حينئذٍ ابتدئ أن يدعى باسم الرب" (تك ٤: ٢٦). فقد تزوج أبناء شيث "أبناء الله" من "بنات الناس"، ويُقصد بهم بنات قايين. وقايين يمثل النسل الشرير الذي ظلّ يتوارث الشر والخطية، حتى جاء لامك من نسل قايين، وقد كان مثالا للكبرياء والانتكال على القوة والذراع البشري حتى أنه قال: "إنه يُنتقم لقايين سبعة أضعاف، وأما للامك فسبعة وسبعين" (تك ٤: ٢٤).

أي إذا كان الله قد وعد قايين جده بالانتقام له مِمَّنْ يَقتله سبعة أضعاف؛ فلامك، بقوته وذراعه البشري بدون الله، يستطيع أن ينتقم لنفسه سبعة وسبعين ضعفاً. هكذا اختلط النسل المقدس نسل شيث بالنسل الشرير نسل قايين بسبب الشهوة والجمال الجسدي "أبناء الله رأوا بنات الناس أنهنَّ حسناتٌ. فاتَّخَذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا"، وكانت النتيجة أن تفسَّى الشر بين جميع البشر ممَّا أحزن قلب الله جداً "فَحَزَنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الْإِنْسَانُ فِي الْأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ".

حينئذٍ قرَّرَ الله أن يُنهي حياة جميع البشر باستثناء ثماني أنفس هم: نوح وزوجته، وأولاده الثلاثة سام وحام ويافت وزوجاتهم الثلاثة. لذلك أَمَرَ الله نوح ببناء الفلك:

"فَقَالَ اللَّهُ لَنُوحٍ نَهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لِأَنَّ الْأَرْضَ امْتَلَأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الْأَرْضِ. اصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكَاً مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلِ الْفُلَّكَ مَسَاكِنَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ".
(تك ٦: ١٣، ١٤)

واستمرَّ نوح في بناء الفلك مدة حوالي مئة سنة، كان من المفترض أن تكون هذه الفترة فترة إنذار للبشر وسبب لتوبتهم، إلَّا أن ذلك لم يحدث حتى جاء الطوفان. هكذا أُبِيدَ الشر، وقَدَّمَ الله للبشرية بداية حياة جديدة مُمَثِّلَةً في نوح وأولاده.

كان من المفترض أيضاً بعد تجربة الطوفان أن يتعلَّم الإنسان أن الخطيئة خاطئة جداً، وأنه لا سلام ولا راحة إلَّا في أن يحيا الإنسان مع الله. ولكن، لشديد الأسف، لم يتعلَّم الإنسان الدرس ولا حتى بعد الطوفان؛ بل قام ببناء برج بابل:

"وَكَانَتْ الْأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً. وَحَدَّثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بَقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هَلُمَّ نَصْنَعْ لِبَنًا وَنُشْوِيهِ شَيْئًا. فَكَانَ لَهُمْ اللَّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحُمْرُ مَكَانَ الطِّينِ. وَقَالُوا هَلُمَّ نَبْنِ لِأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبَرْجًا رَأْسَهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لِأَنْفُسِنَا اسْمًا لئلا نتبدد على وجه كل الأرض. فنزل

الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما. وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلمّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض، فكفوا عن بنيان المدينة، لذلك دُعِيَ اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض. ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض." (تك ١١ : ١-٩)

هكذا، بعد الطوفان، بدلاً من أن يتضع البشر، ويدركوا أن خلاصهم يكمن في البعد عن الخطية والالتصاق بالله؛ لجأوا إلى بناء برج كبير حتى يستطيعوا أن يحتموا فيه إذا جاء الله بطوفان آخر "هلمّ نبين لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسما. ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض". فكانت النتيجة أن قام الله بببللة ألسنتهم وتبديدهم من هناك على وجه كل الأرض دون أن يأتي بطوفان جديد، كما سبق أن وعد، ولم ينفعهم البرج الذي حاولوا أن يبنوه.

أي أن الإنسان ازداد في الشر وتمادى في الخطية بدلاً من طاعة الله والسلوك مع الله في حياة مقدسة. وبالتالي لم يستفد الإنسان من تجربة السقوط وما تلاه من نتائج مرّة، كما لم يتعلم من تجربة الطوفان.



٥ - لماذا دعا الله أحد الأشخاص ليكون أبًا لشعب خاص به (بالله)؟

لأول وهلة قد يبدو التساؤل صعبًا عن سبب اختيار الله لأحد الأشخاص، وهو إبراهيم، ليكون أبًا لشعبٍ يعتبره الله شعبه الخاص والمختار. لكن كما سبق أن عرفنا من إجابة السؤال السابق أن الشر ظلَّ ينتشر ويستشري بين البشر، إذ لم يتعلَّم الإنسان من درس السقوط، فتمادى في عصيان الله حتى جاء الطوفان. وبعد ذلك لم يتعلَّم من درس الطوفان، وقرَّر أن يبني برج بابل، فبدَّه الله على وجه الأرض. لذلك جاء التدبير الإلهي بأن يختار الله إنسانًا بارًّا يأتي من نسله شعب يقوده الله بنفسه، ويضع فيه ناموسه ووصاياه حتى يأتي منه المسيح، الذي سيصير مخلصًا للعالم كله وليس لهذا الشعب فقط.

فبعد الحديث عن برج بابل في سفر التكوين الأصحاح الحادي عشر، نجد الأصحاح الثاني عشر يبدأ بالحديث مباشرةً عن دعوة الله لإبراهيم:

"وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمةً عظيمةً وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة. وأباركُ مباركيك، ولاعنك ألعنه. وتباركُ فيك جميع قبائل الأرض. فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط. وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنةً لما خرج من حاران." (تك ١٢ : ١-٤)

هكذا ذهب أبرام (إبراهيم) من أرضه ومن عشيرته، وأطاع الله بالإيمان كما حدَّثنا القديس بولس الرسول في الأصحاح الحادي عشر - أصحاح الإيمان - من الرسالة إلى العبرانيين. وهكذا عاش إبراهيم في طاعة الله إلى أن طلب منه الله أن يقدم ابنه إسحاق له ذبيحةً فأطاع أمر الرب. حينئذٍ أعطى الله له وعدًا عظيمًا مُقسَّمًا بذاته كما نرى في الكتاب المقدس:

"ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانيةً من السماء وقال بذاتي أقسمتُ، يقول الرب، أني من أجل أنك فعلتَ هذا الأمر، ولم تمسك ابنك وحيدك،

أُبَارِكُكَ مَبَارَكَةً، وَأَكْثَرُ نَسْلِكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلِكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، وَيَتَبَارَكَ فِي نَسْلِكَ جَمِيعِ أُمَمِ الْأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي." (تك ٢٢: ١٥-١٨)

فنتيجة طاعة إبراهيم لله أعطاه الوعد العظيم بأن يكون نسله شعباً "كنجوم السماء وكرمل الذي على شاطئ البحر"، وفي نسله تتبارك كل البشرية "ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض".

ويشرح القديس بولس الرسول في رسالة غلاطية معنى الوعد بأن يتبارك في نسل إبراهيم جميع أمم الأرض:

"وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لَا يَقُولُ "وَفِي الْأَنْسَالِ" كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ "وَفِي نَسْلِكَ" الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ." (غل ٣: ١٦)

يكشف القديس بولس الرسول أن كلمة "في نسلك" التي قيلت لإبراهيم كانت بالمفرد، فهي ليست "في الأنسال"، لأن الله كان يتحدث عن نسل واحدٍ معيّنٍ من أبناء إبراهيم وهو شخص السيد المسيح المخلص.

ومن ذلك نفهم أن الله دعا أحد الأشخاص (إبراهيم) ليكون أباً لشعبه إسرائيل، الشعب المختار في العهد القديم، لكي يرعى هذا الشعب ويهيئته بإعطائه الشريعة والوصايا والناموس والوعود والنبوات عن الخلاص، ومن هذا الشعب يأتي المسيح المخلص، ولكن ليس لشعب إسرائيل فقط، بل للعالم كله.



٦- لماذا اختار الله إبراهيم ليكون أب الآباء؟

شرحنا في إجابة السؤال السابق سبب دعوة الله لأحد الأشخاص ليكون أبًا لشعب خاص به، أمّا في هذا السؤال الحالي فنشرح سبب وقوع اختيار الله على إبراهيم ليكون هو هذا الشخص الذي يصير أبًا لشعب الله المختار في العهد القديم.

بدايةً نوّكد أنه ليس عند الله محاباة، فقد اختار إبراهيم لأجل إيمانه وبرّه. ولعلّ حياة إبراهيم أكبر دليل على ذلك، فعندما دعا الله إبراهيم للخروج إلى أرض غريبة، أطاع إبراهيم في الحال كما نقرأ في سفر التكوين:

"وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة. وأبارك مباركك، ولاعنك ألعنه. وتبارك فيك جميع قبائل الأرض. فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط. وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران." (تك ١٢ : ١-٤)

نلاحظ هنا مقدار الطاعة العجيب الذي قدّمه إبراهيم لله. فبمجرد أن قال له الرب "اذهب من أرضك"، نجده في الحال يرتحل من أرضه "فذهب أبرام كما قال له الرب".

ولم يقف أمر طاعة إبراهيم عند الخروج من موطنه الأصلي، بل أيضًا عزمه على أن يقدّم ابنه مُحرقَةً لله كما يخبرنا الكتاب المقدس:

"وحدّث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم، فقال له يا إبراهيم. فقال هأنذا. فقال خذ ابنك وحيدك، الذي تحبّه، إسحاق، واذهب إلى أرض المريا، وأصعده هناك مُحرقَةً على أحد الجبال الذي أقول لك. فبكر إبراهيم صباحاً وشدّ على حماره، وأخذ اثنيْن من غلمانِه معه، وإسحاق ابنه، وشقّقَ حطباً لمُحرقةٍ، وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله." (تك ٢٢ : ١-٣)

فإبراهيم الرجل البار الذي اعتاد على طاعة الله، عندما طلب الله منه أن يقدم إسحاق ابنه وحيدة ذبيحة، لم يتوان أو يتباطأ؛ بل يخبرنا الكتاب المقدس أنه قد قام باكراً لتنفيذ الأمر الإلهي "فبكر إبراهيم صباحاً".

ويستكمل الكتاب المقدس القصة:

"ثم مَدَّ إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم! إبراهيم! فقال هأنذا. فقال لا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلَامِ وَلَا تَفْعَلْ بِهِ شَيْئاً، لِأَنِّي الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللَّهِ، فَلَمْ تُمْسِكْ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي." (تك ٢٢: ١٠-١٢)

أي أن إبراهيم شرع بالفعل في تقديم ابنه مُحَرَّقَةً لله، ولكن الله منعه من ذلك لأن الله لا يطلب ولا يقبل الذبائح البشرية، إنما أراد أن يمتحن إبراهيم ويظهر لنا عظم إيمان هذا البار. هكذا نستطيع القول بأن إبراهيم قد قدّم ابنه لله بالنية، ولذلك شهد له الله نفسه أنه خائفٌ الله "لأني الآن عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللَّهِ".

ونقرأ بعد ذلك:

"ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانيةً من السماء وقال بذاتي أَقْسَمْتُ، يقول الرب، أني من أجل أنك فعلتَ هذا الأمر، ولم تُمْسِكْ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، أَبَارِكُكَ مَبَارَكَةً، وَأَكْثُرَ نَسْلِكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، وَيَتَبَارَكَ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الْأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي." (تك ٢٢: ١٥-١٨)

في هذا الجزء أقسم الله لإبراهيم وأعطاه الوعد بأن يتبارك في نسله جميع أُمَمِ الْأَرْضِ، وقد ذكر الكتاب المقدس بوضوح أن إبراهيم قد أخذ هذا الوعد من الله بسبب طاعته لله "من أجل أنك سَمِعْتَ لِقَوْلِي". فمن أجل طاعته تركي إبراهيم ليختار أباً لشعب إسرائيل، الشعب الذي سيأتي منه الرب يسوع المسيح مخلصنا الصالح له المجد.

ولم يكن إبراهيم شخصيةً شهيدَ لها العهد القديم فقط، بل والعهد الجديد أيضاً. فالسيد المسيح نفسه شهيدَ لإبراهيم، أثناء أحد حواراته مع اليهود، معاتباً إياهم على افتخارهم بالبنوة لإبراهيم مع عدم تشبُّههم به في أعماله:

"أجابوا وقالوا له أبونا هو إبراهيم. قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم!" (يو ٨ : ٣٩)

والقديس استفانوس يبدأ حديثه مع اليهود، قبل رجمه، من دعوة الله لإبراهيم:

"وقال له اخرج من أرضك ومن عشيرتك، وهلمَّ إلى الأرض التي أريك. فخرج حينئذٍ من أرض الكلدانيين وسكنَ في حاران. ومن هناك نقله، بعد ما مات أبوه، إلى هذه الأرض التي أنتم الآن ساكنون فيها. ولم يُعطه فيها ميراثاً ولا وطأة قدم، ولكن وعدَ أن يعطيها ملكاً له ولنسله من بعده، ولم يكن له بعد ولدٌ. وتكلمَّ الله هكذا أن يكون نسله متغرباً في أرض غريبة، فيستعبدوه ويسبيئوا إليه أربع مئة سنة، والأمة التي يُستعبدون لها ساديينها أنا، يقول الله. وبعد ذلك يخرجون ويعبدونني في هذا المكان. وأعطاه عهد الختان، وهكذا ولدَ إسحاق وختنه في اليوم الثامن. وإسحاق ولدَ يعقوب، ويعقوب ولدَ رؤساء الآباء الاثني عشر." (أع ٧ : ٣-٨)

فالقديس استفانوس، أول شهداء المسيحية، في استعراضه لحياة إبراهيم بصفته أصل ورأس شعب إسرائيل؛ يقدِّم شهادته عن إبراهيم الذي أطاع الله وخرج من أرضه، وصدَّق وآمن بوعد الله له بأن نسله يرث أرض كنعان بعد سنين كثيرة، وذلك على الرغم من أنه حتى ذلك الوقت لم يكن له نسلٌ "ولم يُعطه فيها ميراثاً ولا وطأة قدم، ولكن وعدَ أن يعطيها ملكاً له ولنسله من بعده، ولم يكن له بعد ولدٌ".

ونختم حديثنا بأقوى ما قيل عن أبينا إبراهيم، وهو ما ذكره القديس بولس الرسول في أصحاب الإيمان الشهير برسالة العبرانيين:

"بالإيمان إبراهيم لما دُعِيَ أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيدياً أن يأخذه ميراثاً، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي. بالإيمان تغرَّب في أرض الموعد كأنها غريبة، ساكناً في خيام مع إسحاق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه. لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله. بالإيمان سارة نفسها أيضاً أخذت قدرة على إنشاء نسل، وبعد وقت السن ولدت، إذ حَسِبَت الذي وَعَدَ صادقاً. لذلك وُلِدَ أيضاً من واحد، وذلك من مُمَات، مثلُ نجوم السماء في الكثرة، وكالرمل الذي على شاطئ البحر الذي لا يُعَدُّ." (عب ١١ : ٨-١٢)

فبالإيمان خرج إبراهيم من أرضه، وبالإيمان تغرَّب في أرض كنعان ساكناً الخيام. ولكن يكشف لنا هنا القديس بولس الرسول، بوحى الروح القدس، السبب الذي من أجله قد فعل إبراهيم هذا الأمر "لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله". لقد كان إبراهيم يحيا على الأرض، ولكن أنظاره كانت مرتفعة إلى السماء حيث يترجى أحضان الله وأورشليم السماوية أكثر من أي شيء آخر.

ثم يواصل القديس بولس الرسول حديثه المُلهم عن رجل الإيمان إبراهيم قائلاً:

"بالإيمان قدَّم إبراهيم إسحاق وهو مجرَّب. قدَّم، الذي قَبَلَ المواعيد، وحيداً الذي قيل له إنه بإسحاق يُدعى لك نسل. إذ حَسِبَ أن الله قادرٌ على الإقامة من الأموات أيضاً، الذين منهم أخذه أيضاً في مثال." (عب ١١ : ١٧-١٩)

يُدخلنا القديس بولس الرسول هنا، بوحى الروح القدس، إلى داخل فكر أبينا إبراهيم أثناء رحلته إلى جبل المُرِّيَّ ليقدم إسحاق ابنه ذبيحةً. فإسحاق هو الابن الذي قال الله لإبراهيم عنه "بإسحاق يُدعى لك نسل"، وفي نفس الوقت طلب منه الله أن يقدمه

مُحرقةً، ولم يكن بعد لإسحاق نسلٌ؛ فكيف يطيع إبراهيم الله ويقدم إسحاق مُحرقَةً، وهو بعينه الذي من المفترض — حسب وعد الله — أن يأتي منه النسل الذي مثل نجوم السماء ومثل رمل البحر في الكثرة؟!

ويقدم الرسول الإجابة على هذا السؤال بأن إبراهيم "حَسِبَ أن الله قادرٌ على الإقامة من الأموات". فقد كان لإبراهيم الإيمان بأنه لا بُدَّ أن يطيع الله حتى وإن تعارض هذا مع الفكر البشري، وقد آمن أنه حتى وإن قدم ابنه مُحرقَةً، فالله قادرٌ أن يقيمه ثانيةً ليأتي منه بنسلٍ كما وعدَ. وبالفعل عاد إبراهيم بإسحاق حيًّا بعد أن كان في حكم الموتى، وقد كان ذلك مثال للقيامة "الذين منهم (من الموتى) أخذه (عاد إبراهيم بإسحاق حيًّا) أيضًا في مثال (مثال للقيامة من الأموات)".

هكذا تتضح أمامنا أسباب اختيار الله لإبراهيم بالذات ليكون هو رئيس الآباء لشعبه المختار، وأبًا بالجسد لمخلصنا الصالح يسوع المسيح. وتتلخص أسباب هذا الاختيار في طاعته وإيمانه^١.



^١ مع عظمة شخصية إبراهيم، إلا أن الكتاب المقدس قد ذَكَرَ أيضًا بعض ضعفاته وأخطائه لئلا يظن أحد أنه كاملٌ بلا خطية. فشخص السيد المسيح هو الوحيد الكامل الذي بلا خطية. لكن طاعة إبراهيم وإيمانه وإحساسه المستمر بمخافة الله قد جعلت منه هذه الشخصية العملاقة، وهذا ممَّا يعطينا الرجاء في حياتنا مع الله، وفي توبتنا وغفران خطايانا.

٧- لماذا بدا الله قاسياً في العهد القديم يأمر بالقتل والتحريم؟

٨- لماذا طردَ الله الكثير من الأمم أمام شعبه إسرائيل؟

في إجابتنا على هذين السؤالين نود أن نوّكد أن الله لم يطرد الشعوب الوثنية من أمام شعب إسرائيل، ولم يأمر شعبه إسرائيل بقتلهم وتحريمهم بسبب قسوته عليهم؛ بل بسبب استحقاق هذه الشعوب لهذا الحكم نتيجة خطاياهم التي تبادوا في فعلها وأصرّوا على ارتكابها رغم إمهال الله وطول أناته عليهم.

ففي أحد أحاديث الله لإبراهيم، يخبره عن عبودية نسله شعب إسرائيل في أرض مصر لمدة أربع مئة سنة، ثم عودتهم بعد ذلك لامتلاك أرض كنعان بعد أن يمتلئ كأس خطايا الأموريين سكان أرض كنعان:

"فقال لأبرام اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم،
ويستعبدون لهم فيذلّونهم أربع مئة سنة. ثم الأمة التي يُستعبدون لها
أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأملك جزيلة. وأما أنت فتمضي إلى
آبائك بسلام وتدفن بشيعة صالحة. وفي الجيل الرابع يرجعون إلى
ههنا، لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً." (تك ١٥: ١٣-١٦)

نفهم من عبارة "لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً" أن خطايا الأموريين، حتى ذلك الوقت، لم تكن قد اكتملت بعد إلى الحد الذي يستوجب طردهم من أرضهم. أي أن كأس خطاياهم لم يصل بعد إلى ملئه. فرغم علم الله السابق بأن الشعوب الأمورية لن تتخلّى عن الخطية، إلا أنه قد أعطاهم الفرصة الكاملة للرجوع عن الخطايا، ولم يسمح بدخول بني إسرائيل إلى أرضهم في كنعان حتى يكتمل ذنبهم. وهكذا يكون طردهم منها ليس ظلماً من الله لهم، ولا تحييراً من الله لشعبه؛ بل عن استحقاق نتيجة تمسكهم بخطاياهم.

وفي الوصايا التي قَدَّمَهَا اللهُ لشعبه في سفر اللاويين نسمع:

"بكل هذه لا تتنجَّسوا، لأنه بكل هذه قد تنجَّس الشعوب الذين أنا طاردتهم من أمامكم فتنجَّست الأرض. فأجتزي ذنبها منها، فتقذِف الأرض سكانها. لكن تحفظون أنتم فرائضي وأحكامي، ولا تعملون شيئاً من جميع هذه الرِّجاسات، لا الوطني ولا الغريب النازل في وسطكم، لأن جميع هذه الرِّجاسات قد عَمَلَهَا أَهْلُ الأَرْضِ الذين قبلكم فتنجَّست الأرض. فلا تقذِفكم الأرض بتنجيسكم إِيَّاهَا كما قذفت الشعوب التي قبلكم. بل كل مَنْ عَمَلَ شيئاً من جميع هذه الرِّجاسات تُقَطِّعُ الأَنْفُسُ التي تعملها من شعبها. فتحفظون شعائري لكي لا تعملوا شيئاً من الرسوم الرِّجسَةِ التي عَمَلَتْ قبلكم ولا تتنجَّسوا بها. أنا الرب إلهكم."
(لا ٢٤: ٣٠-٣١)

يَقْدِّمُ هنا اللهُ وصاياه لشعبه بالابتعاد عن الخطايا التي كان يفعلها الأموريُّون سكان كنعان، والتي بسببها قد طردتهم الرب من أرضهم. وفي نفس الوقت يحذِّرُ الشعب اليهودي من أنه سيَلْقَى نفس المصير إذا وقع في نفس الخطايا "فلا تقذِفكم الأرض بتنجيسكم إِيَّاهَا كما قذفت الشعوب التي قبلكم".

وفي سفر التثنية يوجِّهُ موسى حديثه لشعب بني إسرائيل قائلاً:

"اسمع يا إسرائيل، أنت اليوم عابرُ الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك، ومدناً عظيمةً ومُحصَّنةً إلى السماء. قومًا عظامًا وطوالاً، بني عَنَاقَ الذين عرفتهم وسمعت مَنْ يَقِفُ في وجه بني عَنَاقَ؟ فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابرُ أمامك ناراً آكلةً. هو يُبِيدُهُمْ وَيُذِلُّهُمْ أمامك، فتطردهم وتُهْلِكُهُمْ سريعاً كما كلمك الرب. لا تَقُلْ في قلبك حين ينفِيهُم الرب إلهك من أمامك قائلاً لأجل برِّي أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض. ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك. ليس لأجل بركٍ وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم

أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك، ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لأبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فاعلم أنه ليس لأجل برّك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها، لأنك شعبٌ صلبٌ الرقبة. (تث ٩ : ١-٦)

يوضّح هنا الله لشعب بني إسرائيل أنه ليس لأجل برّهم أو لأجل أعمالهم الصالحة يُدخلهم إلى أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً، "بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك". فالسبب الذي أعلنه الله بوضوح لطرده الأموريين وإدخال شعب بني إسرائيل، هو شر هذه الشعوب ورجاساتها.

ثم يقدّم سفر التثنية نماذج من خطايا هذه الشعوب فيقول:

"متى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك، لا تتعلّم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم. لا يوجد فيك من يُجيز ابنه أو ابنته في النار، ولا من يعرف عرافةً، ولا عائفٌ ولا مُتفائلٌ ولا ساحرٌ، ولا من يرقّي رُقيةً، ولا من يسأل جانا أو تابعةً، ولا من يستشير الموتى. لأن كل من يفعل ذلك مكروهٌ عند الرب. وبسبب هذه الأرجاس، الرب إلهك طاردهم من أمامك. تكون كاملاً لدى الرب إلهك. إن هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين. وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا. (تث ١٨ : ٩-١٤)

فهذه الشعوب كانت غارقة في عبادة الأوثان بما فيها من نجاسات وانحرافات حتى إنهم كانوا يُجيزون أبناءهم وبناتهم في النار كتقدمات وذبائح للآلهة الوثنية. كما كانوا يمارسون الأعمال الشيطانية بكل أشكالها من سحر ودجل وعرافة وتنجيم واستحضار الأرواح الشريرة. لذلك هنا يوصي الله شعبه بعدم محاكاة هذه الشعوب أو التشبّه بها لئلا يلقي نفس مصيرها من الطرد من الأرض نتيجة ممارستهم لهذه الممارسات التي كان يرفضها الله.

من ذلك نفهم أن الله لم يكن قاسيًا، ولم يطرد الشعوب الوثنية من أمام بني إسرائيل إلا بسبب استحقاقهم لذلك من أجل استمرارهم وإصرارهم على خطاياهم وشرورهم. ومن أهم الأدلة على ذلك: أهل نينوى، الذين كانوا شعبًا وثنيًا لا يعرف الله، وبالطبع غارقًا في نفس خطايا وشرور الأموريين، بل وقد حكمَ الله عليهم بالموت كما حكمَ على شعوب الأموريين؛ إلا أنه عند توبتهم بمناداة يونان النبي، غفر لهم الله خطاياهم وقَبِلَ توبتهم ورفع غضبه عنهم وعن مدينتهم. وهذا يدلُّ على رحمة الله وغنى لُطفه وإمهاله وطول أناته في تعاملاته مع جميع الشعوب حتى الشعوب الأممية التي لم تكن تعبده.



٩- هل كان الله منحازاً لشعب خاص في العهد القديم؟

١٠- هل إله العهد القديم منحازٌ قاسٍ يختلف عن إله العهد

الجديد المُحبِّ الرحوم؟

لقد أوضحنا من خلال إجابة السؤالين السابقين أن الله في العهد القديم لم يكن قاسياً يأمر بالقتل والتحريم؛ بل قد طردَ شعوباً أمام شعب بني إسرائيل لأن كُأس خطايا هذه الشعوب قد وصل إلى ملئه. واستكمالاً لذلك لا بُدَّ أن نوضح أن الله ثابتٌ لا يتغيَّر بين تعاملاته وقضائه مع شعبه إسرائيل وبين تعاملاته وقضائه مع الشعوب الأخرى. كما لم يتغيَّر بين العهد القديم وبين العهد الجديد، إذ ليس عنده تغييرٌ أو ظلٌّ دورانٍ أو محاباةٌ.

أولاً، من جهة عدم تغيُّر الله بين تعاملاته وقضائه مع شعبه إسرائيل وبين تعاملاته وقضائه مع الشعوب الأخرى، فالله لم يطرد الشعوب الوثنية من أمام بني إسرائيل عن ظلمٍ أو تحيُّزٍ أو محاباةٍ لشعبه بل عن استحقاقٍ بسبب خطايا وشرور هذه الشعوب؛ كما أنه عندما أخطأ شعبه إسرائيل وسقط في نفس خطايا أولئك الشعوب، تعامل الله معهم بنفس القياس ونفس المكيال بدون تحيُّزٍ أو محاباة. وقد سبق الله وأعلم شعبه أنهم إن سلكوا في خطايا الشعوب التي كانت تسكن أرض كنعان من قبلهم، فسيهلكون ويبيدون كما حدث أن هلكَتْ وبادت تلك الشعوب. ونجد مثلاً لهذا المعنى في سفر التثنية:

"إذا ولدتُم أولاداً وأولاد أولاد، وأطلتُم الزمان في الأرض، وفسدتُم وصنعتُم تمثالاً منحوتاً صورة شيءٍ ما، وفعلتُم الشر في عيني الرب إلهكم لإغاظته، أشهدُ عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعاً عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتملكوها. لا تطيلون الأيام عليها، بل تهلكون لا محالة. ويبيدُكم الرب في الشعوب، فتبقون عدداً قليلاً بين الأمم التي يسوقكم الرب إليها. وتصنعون هناك آلهةً صنعة أيدي الناس من خشبٍ وحجرٍ ممّا لا يبصر ولا يسمع ولا يأكل ولا يشمُّ.

ثم إن طلبتَ من هناك الرب إلهك تجده إذا التمسته بكل قلبك وبكل نفسك. عندما ضيقَ عليك وأصابتك كل هذه الأمور في آخر الأيام، ترجع إلى الرب إلهك وتسمع لقوله، لأن الرب إلهك إلهٌ رحيمٌ، لا يتركك ولا يهلكك ولا ينسى عهد آبائك الذي أقسم لهم عليه... فاعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل. ليس سواه. واحفظ فرائضه ووصاياها التي أنا أوصيك بها اليوم لكي يحسن إليك وإلى أولادك من بعدك، ولكي تطيل أيامك على الأرض التي الرب إلهك يعطيك إلى الأبد." (تث ٤: ٢٥-٤٠)

عندما أعطى الله وصاياها لشعبه إسرائيل أخبرهم بأنهم إذا حادوا عنها وذهبوا وراء آلهة أخرى، فسيكون مصيرهم هو نفس مصير الشعوب الأخرى بلا تمييز، وهو يقول لهم "أنكم تبيدون سريعاً عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها"، "تهلكون لا محالة"، "يبددكم الرب في الشعوب"؛ وهو نفس ما حدث للشعوب الوثنية بسبب خطيتها. ومن ذلك نفهم أن استمرار وجود شعب بني إسرائيل في أرض كنعان التي أعطاهم الله إياها مرتبط باستمرار حفظهم لوصايا الله وتعاليمه "احفظ فرائضه ووصاياها التي أنا أوصيك بها اليوم لكي يحسن إليك وإلى أولادك من بعدك، ولكي تطيل أيامك على الأرض التي الرب إلهك يعطيك إلى الأبد".

وأيضاً في سفر التثنية يقول الله لشعب إسرائيل:

"فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم، أعطي مطر أرضكم في حينه المبكر والمتأخر. فتجمع حنطتك وخمرك وزيتك. وأعطي لبهائمك عشباً في حقلك فتأكل أنت وتشبع. فاحترزوا من أن تنغوي قلوبكم فتزيعوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها، فيحمر غضب الرب عليكم، ويغلق السماء فلا يكون مطرٌ، ولا تُعطي الأرض غلتها، فتبيدون سريعاً عن الأرض الجيدة التي يعطيكم الرب." (تث ١١: ١٣-١٧)

يَقْدَمُ اللهُ هُنَا نَفْسَ النَّصِيحَةِ لَشَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ "فَإِذَا سَمِعْتُمْ لَوْصَايَايَ"، فَسَيَقْدَمُ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَيَثْبُتَهُمْ فِي الْأَرْضِ. أَمَّا إِذَا سَقَطُوا فِي الشَّرِّ "تَنْغَوِي قُلُوبَكُمْ فَتَزِيغُوا وَتَعْبُدُوا آلِهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُوا لَهَا"، فَمَصِيرُهُمْ سَيَكُونُ نَفْسُ الْمَصِيرِ الَّذِي نَالَهُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ مِنْ شُعُوبٍ وَثْنِيَّةٍ "فَتَبِيدُونَ سَرِيعًا عَنِ الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ الَّتِي يُعْطِيكُمْ الرَّبُّ".

وَيَقُولُ إِرْمِيَا فِي نَبُوْتِهِ:

"ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِي وَإِنْ وَقَفَ مُوسَى وَصَمُؤِيلُ أَمَامِي لَا تَكُونُ نَفْسِي نَحْوَ هَذَا الشَّعْبِ. اطْرَحْهُمْ مِنْ أَمَامِي فَيُخْرِجُوا. وَيَكُونُ إِذَا قَالُوا لَكَ إِلَى أَيْنَ نَخْرُجُ أَنْكَ تَقُولُ لَهُمْ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ الَّذِينَ لَلْمَوْتِ فَإِلَى الْمَوْتِ، وَالَّذِينَ لِلسَّيْفِ فَإِلَى السَّيْفِ، وَالَّذِينَ لِلْجُوعِ فَإِلَى الْجُوعِ، وَالَّذِينَ لِلسَّبْيِ فَإِلَى السَّبْيِ." (إر ١٥: ١، ٢)

عِنْدَمَا حَادَّ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ عَنْ اللَّهِ رَغْمَ وَصَايَاهُ وَتَحْذِيرَاتِهِ الَّتِي قَدَّمَهَا لَهُمْ، فَقَدْ أَعْلَمَهُمُ اللَّهُ مِنْ خِلَالِ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا سَيَنَالُهُمْ مِنْ تَأْدِيبٍ بِالْمَوْتِ وَالْجُوعِ وَالسَّبْيِ شَأْنَهُمْ شَأْنُ الشُّعُوبِ الَّتِي طُرِدَتْ مِنْ أَمَامِهِمْ، وَقَدْ أَكَّدَ أَنَّهُ لَنْ يَقْبَلَ وَسَاطَةً أَوْ شَفَاعَةً حَتَّى مِنْ أَنْبِيَائِهِ الْعِظَمَاءِ الْمَحْبُوبِينَ إِلَيْهِ أَمْثَالُ مُوسَى وَصَمُؤِيلَ.

إِذَا اللَّهُ عَادِلٌ لَا يُحَابِي كَمَا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ أَيْضًا:

"لَأَنْ لَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ مُحَابَاةٌ." (رو ٢: ١١)

وَكَمَا يَقُولُ الْقَدِيسُ بُولُسُ الرُّسُولُ أَيْضًا:

"فَمَاذَا إِذَا؟ أَنَحْنُ أَفْضَلُ كُلَّ الْبَتَّةِ لِأَنَّا قَدْ شَكُونَا أَنْ الْيَهُودَ وَالْيُونَانِيِّينَ أَجْمَعِينَ تَحْتَ الْخَطِيئَةِ." (رو ٣: ٩)

أَيُّ أَنَّ اللَّهَ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ (الْأُمَمِ)، فَلَا يَوْجَدُ إِذَا أَيُّ شَبْهِ مُحَابَاةٍ أَوْ تَحِيْزٍ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى حَسَابِ غَيْرِهِمْ مِنَ الشُّعُوبِ. بَلْ إِنْ اللَّهُ قَدْ سَمَحَ أَنْ يُسَبِّحَ

شعبه بسبب خطاياهم سواء مملكة إسرائيل على يد آشور سنة ٧٢٢ ق.م.، أو مملكة يهوذا على يد بابل، بل وأن يُهدَم الهيكل الذي بُنيَ من أجل اسمه في أورشليم سنة ٥٨٦ ق.م. ثم يُهدَم تمامًا سنة ٧٠م على يد الرومان حسب قول السيد المسيح.

هكذا نرى أن الله لم يكن منحازًا لشعب إسرائيل ضد الشعوب الأخرى، ولم يُحابِ لشعبه الخاص على حسابهم، كما لم يتغيَّر بين تعاملاته وقضائه مع شعبه إسرائيل وبين تعاملاته وقضائه مع الشعوب الأخرى. فقد حذَّر الله بني إسرائيل من الشر والخطية لكي لا يواجهوا نفس مصير الذين سبقوهم من الشعوب الوثنية. وبالفعل عندما حادوا عن الوصية، سُبِّيَ شعب إسرائيل ونالهم نفس المصير بلا تمييز. مع ملاحظة أنه بعد مجيء المسيح لم يَعُدَّ لله شعب خاص، بل صار المؤمنون باسمه من كل شعب، ومن كل لسان، ومن كل جنس، ومن كل أُمَّة، هم شعبه الخاص الذي يُطلق عليه إسرائيل الجديد.

ثانيًا، من جهة عدم تغيُّر الله بين العهد القديم والعهد الجديد، نستشهد بتعليق لقداسة البابا شنودة الثالث في هذا الصدد، إذ أوضح أنه في العهد القديم كان الإنسان عاجزًا عن أن يُميِّز بين الخاطئ والخطية. لذلك كانت مواقف الله الصارمة والشديدة مع الخطاة تَهْدِفُ إلى تأكيد رفض الله الشديد للخطية، وبذلك تصل هذه الرسالة بوضوح للبشر. أمَّا في العهد الجديد حيث جاء السيد المسيح إلهًا مُتَجَسِّدًا وديعًا متواضع القلب، وأرسل الروح القدس ليسكن في المؤمنين، فقد صرنا نُميِّز بين الخطية المرفوضة والخطئة جدًّا، وبين الخاطئ الذي نطلب توبته وخلصه ونثق في قبول الله له إذا قَدَّمَ توبةً عن خطاياهم كما رأينا وتعلَّما من السيد المسيح في تعاملاته مع الخطاة.

إذًا فالله ثابتٌ لا يتغيَّر في جميع صفاته الإلهية من محبة ورحمة، وبالتالي لم يتغيَّر بين العهد القديم والعهد الجديد.



الاستنتاجات

١. الله الذي لا يتغير ظلّ ثابتاً في محبته للإنسان رغم خطيئته، وأعطاه الذبيحة للتكفير عن الخطية، وألبسه أقمصاً من الجلد (الناتج عن الذبيحة) لكي يستر بها عُريّه.
٢. إذ رأى الإنسان النتائج المُرّة للخطية، فبدلاً من أن يثبت في التوبة ومحاولة إرضاء الله بالطاعة، ازداد في الشر حتى جاء الطوفان. ولم يتعلم الإنسان أيضاً بالطوفان، بل قام ببناء برج بابل لكي ينجو من أي طوفان آخر.
٣. هنا بدأ الله في دعوة إبراهيم ليكون أباً لشعبٍ كبيرٍ يسكن الله في وسطه، ويعطيه ناموسه ووصاياه، ويأتي منه المخلص.
٤. لم يكن اختيار الله لإبراهيم عشوائياً، بل لسابق علمه بإيمانه الذي تبرهن في أعمالٍ كثيرة.
٥. طرد الله شعوباً كثيرةً من أمام شعب إسرائيل، لأجل خطية هذه الشعوب. وكانت وعود الله لشعبه قائمة بشرط الثبات في الإيمان العملي. ولمّا لم يثبتوا، في الكثير من الأوقات، تركهم الله لأعدائهم.



الموضوع الخامس

الذبيحة والكهنوت

منذ سقوط الإنسان في الخطية ارتبطت فكرة الذبيحة والدم بالدخول في عهد مصالحة مع الله، وتقديم العبادة له والتقرب إليه. ولم يكن هذا الأمر من اختراع البشر، بل كان من ضمن تدابير الله للإعداد لفداء البشرية.

وكما ارتبطت الذبيحة بالعبادة، كذلك ارتبط الكهنوت بالذبيحة. فطالما كانت هناك ذبيحة، كان بالضرورة وجود كاهن يقدم الذبيحة. وبواسطة الذبيحة يتقدم الكاهن إلى الله ليقوم بدور الوسيط بين الإنسان الخاطئ والله القدوس.

نتعرّف من خلال مناقشتنا لموضوع "الذبيحة والكهنوت" على كيفية بداية معرفة الإنسان بفكرة الذبيحة. كما نتعرّف على سبب الارتباط بين الذبيحة والدم، وبين الدخول في عهد مع الله. وفي نظرة سريعة على ذبائح العهد القديم نتناول أنواعها المختلفة، وأسباب تعدّد هذه الأنواع.

كان لا بُدّ لنا أيضاً أن نتطرّق إلى موضوع الكهنوت، وإلى شخصية ملكي صادق، أول من أُطلقَ عليه لقب "كاهن" في الكتاب المقدس. تلك الشخصية الفريدة التي يكتنفها الكثير من الغموض، وتدور حولها الكثير من التساؤلات.

وأخيراً نتحدّث عن سبط لاوي، سبط الخدمة المكرّس لله، والذي اختير منه الكهنة: هارون وبنوه. ونتحدّث عن كيفية اختيار هذا السبط لهذا العمل.

١ - ما هي أول نتائج السقوط التي شعر بها آدم وحواء؟ وكيف

تصرفاً تجاهها؟ وكيف تصرفَ الله تجاهها؟

٢ - متى بدأ طقس تقديم الذبائح؟ وكيف تعلّمه الإنسان؟

سبق أن شرحنا أن أول نتائج السقوط التي شعر بها آدم وحواء كانت هي الخجل
لأنهما عريانان كما يقول الكتاب المقدس:

"فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا
لأنفسهما مآزر." (تك ٣: ٧)

وكان أول تصرف قام به آدم وحواء تجاه هذا الأمر هو أنهما "خاطا أوراق تين
وصنعا لأنفسهما مآزر" في محاولة لستر عريهما الذي شعرا به نتيجة الخطية.

ولكن الله لم يقبل أن يسترا عريهما بأوراق التين، بل صنع لهما أقمصاً من جلد
وألبسهما كما ذكر سفر التكوين:

"وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصاً من جلد وألبسهما." (تك ٣: ٢١)

ويحمل هذا التصرف من قبل الله دلالة شديدة الأهمية وهي أن الله قد علم آدم
وحواء طقس تقديم الذبائح الدموية، لأن الجلد لن يأتي إلا من الحيوانات بعد ذبحها، مع
ملاحظة أن آدم حتى ذلك الوقت لم يعرف ذبح الحيوانات للأكل لأنه كان نباتياً، ولم
يبدأ الإنسان في أكل اللحوم الحيوانية إلا بعد الطوفان.

ولقد رَفَضَ الله أن يستر آدم وحواء عريهما بأوراق التين، وصنعَ لهما أقمصاً من
جلد لأن الأمر ليس مجرد ستر لعُري الجسد، بل إن إحساسهما بالعُري جاء نتيجة
للخطية، وبالتالي لا يمكن أن يزيل آثار الخطية إلا الذبيحة التي تُقدّم فداءً عن الإنسان
للتكفير عن الخطية^١. بالطبع لم تكن الذبائح الحيوانية قادرة على فداء الإنسان والتكفير

^١ راجع ص ٤٧.

عن خطاياه، ولكن الله أعطى الإنسان هذا الطقس كرمز وتمهيد للذبيحة الحقيقية القادرة على ذلك وهو ربنا ومخلصنا يسوع المسيح.

وهكذا تسلّم آدم من الله مباشرةً مبدأ الذبيحة وطقس تقديمها، وأخذ هذا الطقس يُسلّم من جيلٍ إلى جيلٍ بالتقليد الشفاهي.

ففي أيام قايين وهابيل يذكر الكتاب المقدس:

"وَحَدَّثَ مَنْ بَعْدَ أَيَّامِ أَنْ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الْأَرْضِ قَرْبَانًا لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقَرْبَانِهِ، وَلَكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقَرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاجْتَازَ قَايِينَ جَدًّا وَسَقَطَ وَجْهَهُ." (تك ٤: ٣-٥)

لا بُدَّ أَنْ قَايِينَ وَهَابِيلُ قَدْ تَعَلَّمَا مِنْ آدَمَ عَنْ تَقْدِيمِ الذَّبِيحَةِ، لِذَلِكَ قَدَّمَ هَابِيلُ مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ قَرْبَانًا لِلَّهِ، أَمَّا قَايِينَ فَلَمْ يُقَدِّمْ مِنَ الْغَنَمِ بَلْ مِنْ ثَمَارِ الْأَرْضِ؛ لِذَلِكَ رَفَضَ اللَّهُ قَرْبَانَهُ، وَقَبِلَ قَرْبَانَ هَابِيلَ لِأَنَّهُ قَدَّمَهُ بِحَسَبِ وَصَايَا الرَّبِّ. فَمِنْ الْوَاضِحِ هُنَا أَنَّ التَّقْدِمَةَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ ذَبِيحَةً حَيَوَانِيَةً لِكِي يَقْبَلَهَا اللَّهُ.

وفي أيام نوح عند خروجه من الفلك بعد الطوفان قَدَّمَ أَيْضًا ذَبَائِحَ دُمُومِيَّة:

"وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ لَا أَعُودُ أَلْعَنُ الْأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّهُ تَصَوَّرَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ شَرِيرٌ مِنْذُ حَدَاتِهِ. وَلَا أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ." (تك ٨: ٢٠-٢١)

بمجرد خروج نوح من الفلك بعد الطوفان، بنى مذبحاً للرب، وقَدَّمَ عليه ذبائح من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعدها مُحْرَقَاتٍ للرب. لقد قام نوح بعمل ما تسلّمه من آبائه عن طقس تقديم الذبائح. ومن اللافت للنظر أنه كان يعلم ما

هي الحيوانات الطاهرة وما هي الطيور الطاهرة قبل أن تحددها الشريعة المكتوبة أيام موسى النبي، وهذا يؤكد وجود تقليد شفاهي عن الذبائح الدموية وطقس تقديمها. ولذلك قال الكتاب المقدس إن الله قد قبل ذبائح نوح "فتسّم الرب رائحة الرضا".

وبعد مرور أجيال نقرأ عن إبراهيم أبو الآباء كيف أن المذبح والذبيحة كانا من أساسيات حياته:

"وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له. ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته. وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق. فبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب." (تك ١٢: ٧-٨)

فأينما كان يتحرك إبراهيم، كان يبني مذبحاً للرب ويقدم عليه الذبائح.

إذاً طقس الذبيحة قد سلّمه الله نفسه لآدم، ثم تناقلته الأجيال بالتقليد الشفاهي. وكان ذلك رمزاً وإشارة إلى أن الخلاص لن يتحقق إلا بذبحة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذبيحة الحقيقية الذي ذبح من أجل خلاص العالم كله.



٣- لماذا ارتبط الدخول في عهد بين الله والإنسان بتقديم ذبيحة؟

على مدى الكتاب المقدس كله بعهديه يمكننا بكل وضوح ملاحظة أن الدخول في عهد بين الله والإنسان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بوجود ذبيحة وسفك دم. ويرجع ذلك إلى أن الإنسان بسبب الخطية قد انفصل عن الله، وصارت هناك عداوة بينه وبين الله. ولم يكن من الممكن أن يدخل الإنسان الخاطئ في عهد مع الله إلا بعد أن تتم المصالحة بينهما أولاً. والمصالحة لا يمكن أن تتم إلا بعد تنفيذ حكم الموت المحكوم به على الإنسان، الذي هو أجرة الخطية.

فلذلك علم الله الإنسان طقس الذبيحة الحيوانية في العهد القديم، كما سبق أن شرحنا، حيث يتم حكم الموت في الذبيحة الحيوانية فداءً عن الإنسان، وبذلك تتم المصالحة بين الله والإنسان، ويمكن إقامة العهد بينهما. وكان طقس تقديم الذبيحة الحيوانية في العهد القديم، وارتباطه بإقامة عهد بين الإنسان والله، يعني أمرين في منتهى الأهمية:

أ — أن يدرك الإنسان أنه هو ذاته المستحق للموت، وليست الذبيحة البريئة المذبوحة بدلاً منه. وبالتالي يدرك بشاعة الخطية التي سببت هذا الموت.

ب — أن يشترك الإنسان إلى الذبيحة الحقيقية التي ستذبح من أجل حياة العالم كله، والتي بالفعل ستحرره من سلطان وقيود الخطية.

وننتبع الآن بعض الأمثلة الهامة التي تؤكد ارتباط الدخول في عهد بين الإنسان والله بتقديم ذبيحة وسفك دم، ونبدأها من أبينا إبراهيم بعد خروجه من أرضه ومن عشيرته. فبعد أن أعطاه الله وعداً بأن يرث نسله أرض كنعان، كان أول ما عمله إبراهيم هو أن بنى مذبحاً للرب مقدماً عليه الذبائح:

"وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً

للرب الذي ظهر له." (تك ١٢ : ٧)

ثم نقرأ بعد ذلك في سفر التكوين أن الرب قد ظهر لإبراهيم ليؤكد له وعده بأن نسله يرث أرض كنعان:

"بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلاً لا تخف يا أبرام. أنا ترسُّ لك. أجرك كثير جداً. فقال أبرام أيها السيد الرب، ماذا تُعطيني وأنا ماضٍ عقيماً، ومالك بيتي هو أليعازر الدمشقي؟ وقال أبرام أيضاً إنك لم تعطني نسلًا، وهوذا ابن بيتي وارثٌ لي. فإذا كلام الرب إليه قائلاً لا يرثك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك. ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وعدّ النجوم إن استطعت أن تعدّها. وقال له هكذا يكون نسلك. فأمن بالرب فحسبَه له برًّا." (تك ١٥: ١-٦)

وعلى الرغم من إيمان أبينا إبراهيم بوعد الله، حتى أن الله حسب له هذا الإيمان برًّا؛ إلا أن الله أمره أن يقدم ذبائح لكي يقطع معه ميثاقًا:

"وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليُعطيك هذه الأرض لترثها. فقال أيها السيد الرب، بماذا أعلم أنني أرثها؟ فقال له خذ لي عجلَةً ثلاثيةً (أي عمرها ثلاث سنوات)، وعنزَةً ثلاثيةً، وكبشًا ثلاثيًا، ويمامةً وحمامةً. فأخذ هذه كلها وشقّها من الوسط، وجعل شقّ كل واحدٍ مقابل صاحبه. وأما الطير فلم يشقّه. فنزلت الجوارح على الجثث، وكان أبرام يزجرها.

ولمّا صارت الشمس إلى المغيب، وقع على أبرام سُبَاتٌ، وإذا رُعبَةٌ مظلمةٌ عظيمةٌ واقعةٌ عليه... ثم غابت الشمس فصارت العتمة، وإذا تنور دخانٍ ومصباح نارٍ يجوز بين تلك القطع.

في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلاً لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات. القينيّين والقنزيّين والقدمونيّين والحثيّين والفرزيّين والرفائيّين والأموريّين والكنعانيّين والجرجاشيّين واليبوسيّين." (تك ١٥: ٧-٢٠)

فبحسب أمر الرب أخذ إبراهيم من الحيوانات والطيور وذبحها، ثم اجتاز الله بمجده في وسط هذه الذبائح على هيئة "تنور دخان ومصباح نار"، ليؤكد لإبراهيم دخوله في عهد معه "في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات". ونلاحظ أن الهيئة التي ظهر بها مجد الله لإبراهيم كتَّنور دخان ومصباح نار، هي نفس الهيئة التي قاد بها الله شعب بني إسرائيل في البرية بعد خروجهم من مصر، إذ كان يسير أمامهم في عمود سحاب نهاراً، وفي عمود نار ليلاً (خر ١٣: ٢١، ٢٢).

وننتقل إلى موسى النبي الذي أخرج شعب بني إسرائيل من مصر. فنجد أن الله قد قدَّم له وعداً بأن يُخرج شعب إسرائيل من مصر بيدٍ قويةٍ وبزراعٍ رفيعةٍ، ثم توالى الضربات العشر على المصريين إلى أن جاءت الضربة الأخيرة وهي ضربة الأبقار. لقد كان الله قادراً أن يُميّز بين أبقار المصريين وأبقار إسرائيل، إلا أنه أراد أن يربط ذلك بالذبيحة لكي يصنع عهده معهم. لذلك أوصاهم بأن يذبحوا خروف الفصح ويضعوا من دمه على أبواب بيوتهم، فالببيت الموجود عليه علامة الدم يعبر عنه الملاك المُهْلِك، ولا يدخل إليه ليُهْلِك أبقاره (خر ١١، ١٢). وهكذا تثبت في أذهان الشعب، قبل خروجهم من أرض مصر، مقدار الارتباط بين الذبيحة التي ذبحها كل واحد في بيته، وبين الدخول في العهد مع الله.

وبعد خروج بني إسرائيل من مصر، أكد الله عهده مع شعبه، والذي يمكن أن نطلق عليه العهد الرسمي، بواسطة دم الذبيحة:

"فجاء موسى وحدَّث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام، فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل. فكتب موسى جميع أقوال الرب. وبكر في الصباح وبنى مذبحاً في أسفل الجبل، واثنى عشر عموداً لأسباط إسرائيل الاثني عشر. وأرسل فتيان بني إسرائيل، فأصعدوا مُحْرقات، وذبحوا ذبائح سلامة

للرب من الثيران. فأخذ موسى نصف الدم ووضعه في الطُسُوس. ونصف الدم رشه على المذبح. وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب، فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له. وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال." (خر ٢٤: ٣-٨)

تكلم موسى مع الشعب بالوصايا التي أراد الله أن يلتزموا بها، فتعهد الشعب بالالتزام، فكتب موسى هذه الوصايا في كتاب، وأمر بتقديم ذبائح إلى الله. ثم أعاد قراءة الوصايا على الشعب، حيث كانت هذه الوصايا بمثابة بنود العهد الذي سيدخل فيه الشعب مع الله، فأكد الشعب التزامه بهذه الوصايا. حينئذ رش موسى نصف دم الذبائح على مذبح الرب، والنصف الآخر رشه على الشعب نفسه.

هكذا لم يثبت العهد إلا بالدم، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يستخدم فيها الكتاب المقدس تعبير "دم العهد". ومن هنا نفهم مقدار الارتباط بين إقامة عهد مع الله وبين وجود ذبيحة وسفك دم. فالشعب لم يدخل رسمياً مع الله في عهد، إلا بواسطة هذا الدم، والذي كان بالطبع رمزاً لدم المسيح الذبيحة الحقيقية الذي سيدخل بالبشرية إلى عهد جديد، عهد النعمة.

وفي العهد الجديد أيضاً يذكر القديس بولس الرسول ما قاله السيد المسيح لتلاميذه أثناء العشاء السري:

"كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا، قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى." (١كو ١١: ٢٥)

يؤكد هنا الرب يسوع شخصياً أن العهد الجديد مع الله لا يتأسس إلا بالدم "العهد الجديد بدمي"، ولكن في هذه المرة ليس دم تيوس وعجول، بل دم مخلصنا يسوع المسيح نفسه ابن الله الحي المتجسد.

وهكذا ارتبط الدخول في عهد مع الله بالذبيحة منذ سقوط الإنسان من خلال الذبائح الحيوانية، إلى أن تأسَّس العهد الجديد بدم ربنا يسوع المسيح الذبيحة الحقيقية.



٤ - لماذا الذبيحة ولماذا تكرارها؟

٥ - هل كان الله في العهد القديم إلهاً دموياً لا يُسرُّ إلا بسفك الدم؟

شرحنا من قبل أن طقس الذبيحة في العهد القديم كان يتم بتقديم ذبيحة حيوانية بريئة، لم تفعل خطية، للموت عوضاً عن الإنسان الخاطئ المستحق للموت، لكي تكفر عن خطيته. لذلك نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين:

"لأن كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس يُقام لأجل الناس في ما لله، لكي يقدم قرايين وذبائح عن الخطايا، قادراً أن يترقق بالجهال والضالين، إذ هو أيضاً مُحاط بالضعف. ولهذا الضعف يلتزم أنه كما يقدم عن الخطايا لأجل الشعب هكذا أيضاً لأجل نفسه." (عب ٥: ١-٣)

أي أن الذبائح، كقول القديس بولس الرسول، هي "عن الخطايا". فالسبب الأساسي لتقديم الذبيحة هو وجود الخطية والاحتياج إلى التكفير عنها.

أما تكرارها فكان، من جهة، لأن الإنسان يخطئ بشكل متكرر؛ ومن جهة أخرى، لأن الذبيحة الحقيقية التي ستكفر بالحقيقة عن خطايا جميع البشر لم تكن قد جاءت بعد. لذلك كانت الذبائح في العهد القديم كثيرة ومتكررة لكي يتذكر الإنسان باستمرار احتياجه إلى المخلص، احتياجه إلى الفادي، احتياجه إلى دم المسيح الذي سيُكفر^٢ ويغطي كل خطايا.

إذاً فالأمر لم يكن أن الله يُسرُّ بسفك الدم، بل كان الإنسان هو الذي في احتياج لأن يدرك أن الخطية تنتج موتاً كما يقول القديس بولس في رسالته إلى أهل رومية:

"لأن أجره الخطية هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا." (رو ٦: ٢٣)

^٢ "يُكفر" كلمة عبرية الأصل تعني يغطي أو يستر، وهي تشبه الكلمة الإنجليزية "to cover"، والتي تعني نفس المعنى.

وبالتالي ينكشف أمام الإنسان بوضوح احتياجه إلى دم الذبيحة الذي يكفر عن الخطية كما جاء في الرسالة إلى العبرانيين:

"وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة." (عب ٩: ٢٢)

ولكن بالطبع لا تحصل المغفرة الحقيقية بدم الذبائح الحيوانية التي تتكرر باستمرار ولا تقدر أن ترفع الخطايا، بل بدم المسيح نفسه الذي بذل نفسه مرة واحدة من أجل كل البشرية كلها من آدم وإلى آخر الدهور.



٦- لماذا تعددت أنواع الذبيحة؟ وما هي هذه الأنواع؟

احتوت شريعة العهد القديم على أنواعٍ متعدّدةٍ من الذبائح التي كانت تُقدّم إلى الله. وكان لكل نوعٍ طقسٌ وترتيبٌ يختلف عن الأنواع الأخرى؛ كما كان لكلٍّ منها سببٌ تُقدّم من أجله، ومناسبةٌ تُقدّم فيها. فعلى سبيل المثال، كان لكل عيدٍ من الأعياد اليهودية الذبائح التي ترتبط به. وقد جاء الحديث عن أنواع الذبائح المختلفة وطقس تقديمها في الأصحاحات السبعة الأولى من سفر اللاويين.

لقد تضمّنت الشريعة الموسويّة خمسة أنواعٍ رئيسيةٍ من الذبائح، نتناولها بالحديث بشكلٍ مختصرٍ لنعرف كيف أشار كل نوعٍ منها إلى جانبٍ من جوانب ذبيحة الصليب:

النوع الأول: ذبيحة المُحرقة

هي أول أنواع الذبائح، وقد سُمّيت "مُحرقة" لأنها تُحرق بالكامل على مذبح المُحرقة ولا يأكل منها أحدٌ: لا الكاهن، ولا مُقدّم الذبيحة. فكان كل شخص يأتي بقربانه من البقر أو الغنم أو الطيور، ويضع يده على رأس الذبيحة معترفاً بخطاياها. ثم تُذبح الذبيحة وتوضع على المذبح "ويؤقّد الكاهن الجميع على المذبح مُحرقَةً، وقود رائحة سرورٍ للرب" (لا ١: ٩). وكانت تُقدّم يومياً ذبيحة مُحرقّة صباحاً ومساءً من أجل التكفير عن خطايا كل الشعب، وهي ما كانت تُعرف بالمُحرقة الدائمة.

وتشير ذبيحة المُحرقة بشكلٍ أساسيٍّ إلى طاعة السيد المسيح لله الآب بتقديمه لذاته بكامل إرادته ذبيحةً عنا على الصليب ليكمل خلاصنا بحسب مسرته ومسرة أبيه:

"فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً: الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خُلسةً أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلّى نفسه آخذاً صورة عبدٍ، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسانٍ، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب." (في ٢: ٥-٨)

وقد قُبِلَت ذبيحة المسيح على الصليب، واشتَمَّها الآب "رائحة سرور" كما نقول في ثيؤطوكية الأحد، ولحن "قاي إيطاف إنف" الذي يُقال في يوم الجمعة العظيمة وفي عيدَي الصليب:

«هذا الذي أَصْعَدَ ذاته ذبيحةً مقبولةً على الصليب عن خلاص جنسنا، فاشتَمَّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة.»
(ثيؤطوكية الأحد، القطعة الخامسة عشرة)

النوع الثاني: تقدمة القربان

هي تقدمة غير دموية من الدقيق أو الفريك يُوقَد الكاهن جزءًا منها على مذبح المُحرَّقة "وقود رائحة سرور للرب"، والباقي يأكله الكاهن.

وتشير تقدمة القربان إلى حياة السيد المسيح المقدسة على الأرض، إذ أنها تقدمة غير دموية. فالسيد المسيح قد أَرْضَى الآب السماوي بحياته المقدسة النقية على الأرض كما أَرْضَاهُ بموته على الصليب، لذلك قيل عنه:

"الذي لم يفعل خطيئة، ولا وُجِدَ في فمه مكرٌ." (ابط ٢: ٢٢)

النوع الثالث: ذبيحة السلامة

كانت تُقدَّم ذبيحة السلامة من البقر أو الغنم أو الماعز من أجل تقديم الشكر لله على السلام والرعاية اللذين يُقدِّمهما للإنسان. وكان مُقدَّم الذبيحة يضع يده عليها قبل ذبحها، لكن بدون أن يعترف بخطاياها كما في ذبيحة المُحرَّقة كعلامة على الشكر والعرفان لله. وقد كانت ذبيحة السلامة هي الذبيحة الوحيدة التي يأكل منها الكاهن ومُقدَّم الذبيحة وأقاربه أيضًا، لذلك كانت تُقسَّم ثلاثة أقسام: قسم لله يُحرق على مذبح المُحرَّقة، وقسم للكهنة، والثالث لمُقدَّم الذبيحة نفسه. وهكذا باشتراك الجميع فيها — وبحسب تسميتها — كانت تحمل ذبيحة السلامة معنى السلام والمصالحة التي تحقَّقت بين الله والإنسان، وبين الإنسان وأخيه الإنسان بذبيحة الصليب. فالسيد المسيح

قد صالح البشرية مع الله، وصالح البشرية مع بعضها البعض كما يقول عنه القديس بولس الرسول:

"لأنه هو سلامنا، الذي جعل الاثنين واحداً، ونَقَضَ حائط السياج المتوسط." (أف ٢: ١٤)

وتشير ذبيحة السلامة إلى سرِّ الافخارستيا. فإن كانت ذبيحة السلامة تُقدَّم للتعبير عن الشكر لله، فسرُّ الافخارستيا هو سرُّ الشكر^٣. وكما أن ذبيحة السلامة يشترك فيها الجميع، كذلك سرُّ الافخارستيا هو سرُّ الشركة الذي يشترك فيه كل المؤمنين باسم الرب يسوع المسيح، الذي يقدم جسده ودمه كوليمة إلهية.

النوع الرابع والخامس: ذبيحتا الخطية والإثم

ذبيحتا الخطية والإثم متشابهتان إلى حدٍّ كبيرٍ، ولكلٍّ منهما حالات مختلفة وتفاصيل كثيرة لا مجال هنا للحديث عنها. وقد كان الغرض الأساسي لهما هو ردُّ الشركة بين الله والإنسان الذي أخطأ خطيةً من خطايا السهو، وكان يُسمَح للكهنة بالأكل منهما باستثناء بعض الحالات الخاصة.

وقد كانت كلا الذبيحتين تشير إلى ذبيحة المسيح على الصليب الذي به عادت لنا الشركة مع الله مرةً أخرى. ولقد أشار الكتاب المقدس إلى السيد المسيح كذبيحة إثم على فم إشعياء النبي:

"أما الرب فسرَّ بأن يسحقه بالحرز. إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلًا تطول أيامه، ومسرة الرب بيده تنجح." (إش ٥٣: ١٠)

^٣ كلمة "افخارستيا" Eucharistia كلمة يونانية تعني "شكر".

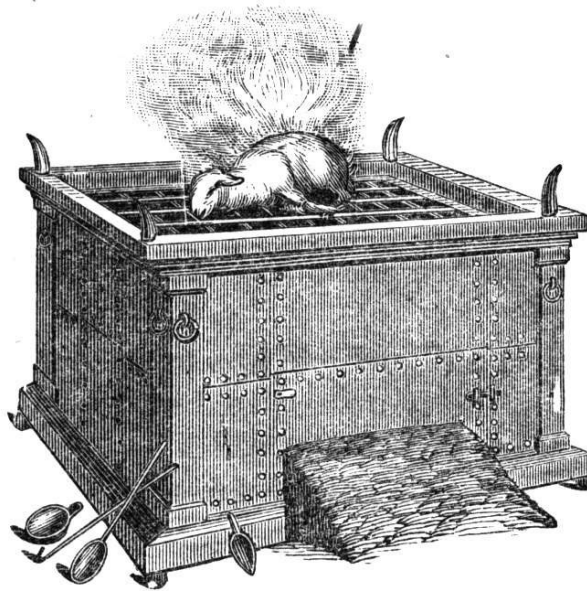
كما أشار الكتاب المقدس إليه كذبيحة خطية على فم القديس بولس الرسول:

"لأنه جعلَ الذي لم يعرف خطيةً، خطيةً لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه."

(٢كو ٥: ٢١)

أي أن ابن الله الوحيد يسوع المسيح، الذي لم يعرف خطيةً إذ هو القدوس البار؛ قد جعله الآب خطيةً من أجلنا لكي نتبرر نحن فيه، ويُقصد بذلك أن الله الآب قد جعله ذبيحة خطية مُقدّمة من أجل خلاص البشرية.

إذاً قد تعددت أنواع الذبائح في العهد القديم في إشارة إلى أن أيًا منها بمفرده لا يصلح أن يصير الكفارة الحقيقية التي تُقدّم من أجل خلاص العالم. لذلك أشار كل نوع من هذه الذبائح بشكلٍ نبويٍّ إلى جانب من جوانب ذبيحة الصليب، تلك الذبيحة الواحدة التي قدّمها الرب يسوع المسيح فتمت الكفارة وتمّ الفداء.



٧- مَنْ هُوَ أَوَّلُ كَاهِنٍ ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ؟ وَمَاذَا قِيلَ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ؟

إذا كانت جميع الأسئلة السابقة في موضوعنا هذا عن "الذبيحة والكهنوت" متعلقة بالذبيحة، فكان لا بُدَّ أن نتطرق إلى الكهنوت الذي كانت بواسطته تُقدَّم الذبائح.

أول مرة وردت كلمة "كاهن" في الكتاب المقدس كانت في سفر التكوين (تك ١٤: ١٨)، وقد قيلت عن "مَلِكِي صَادِقٍ" ليكون هو أول كاهن يُذكر في الكتاب المقدس. وكلمة "كاهن" كلمة عبرية الأصل تُتطَق "كوهين"، وهي تعني مَنْ يعمل في الأشياء المقدسة ليقوم بعمل الوساطة بين الله والناس. وبالطبع أهم الأشياء المقدسة التي يعمل فيها الكاهن هو تقديم الذبائح.

وإن كانت كلمة "كاهن" قد ذُكرت للمرة الأولى في الكتاب المقدس عن "مَلِكِي صَادِقٍ"، إلا أن هذا لا يعني بالطبع عدم وجود الكهنوت قبل ذلك. فقد كان الكهنوت في البداية مسئولية كبير العائلة أو قائدها، إذ كان هو المسئول عن تقديم الذبائح والوساطة بين الله وبين العائلة أو العشيرة أو الشعب الذي يقوده. فهكذا كان آدم، وهكذا كان نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وكل مَنْ عاشوا في عصر ما قبل الشريعة المكتوبة أيام موسى النبي.

أمَّا عن "مَلِكِي صَادِقٍ"، أول مَنْ أُطْلِقَتْ عليه كلمة "كاهن"، فلا بُدَّ لنا من الحديث عنه لما له من أهمية في مناقشتنا لموضوع "الذبيحة والكهنوت" بصفة خاصة، وموضوع "خدمة الخلاص" بصفة عامة. وعلى الرغم من أنَّ لشخصية مَلِكِي صَادِقٍ من أهمية نبوية، إلا أن الكتاب المقدس لم يُخبرنا عنه إلا القليل. فقد جاء ذِكْرُ مَلِكِي صَادِقٍ في ثلاثة مواضع فقط في الكتاب المقدس:

أ - في سفر التكوين:

"وَمَلِكِي صَادَق، ملك شاليم، أخرج خبزًا وخمرًا. وكان كاهنًا لله العليّ.
وباركه وقال مبارك أبرام من الله العليّ مالك السماوات والأرض،
ومبارك الله العليّ الذي أسلم أعدائك في يدك. فأعطاه عُشرًا من كل
شيء." (تك ١٤ : ١٨ - ٢٠)

تمثل هذه الآيات الثلاثة الحدث التاريخي لمقابلة إبراهيم مع ملكي صادق. فبعد أن انفصل لوط عن إبراهيم وسكن في أرض سدوم، حدثت حرب في سدوم، أخذ فيها لوط أسيرًا. فذهب إبراهيم لمحاربة الملوك الذين قاموا بأسر لوط ابن أخيه، وبعد انتصاره عليهم وإنقاذه للوط، تقابل مع ملكي صادق أثناء عودته. وكان ظهور ملكي صادق مفاجئًا، إذ لم يكن متدخلًا في الأحداث.

وقد ذُكرَ عنه الكتاب المقدس كلمات قليلة أنه "ملك شاليم"، "وكان كاهنًا لله العليّ". كما ذُكرَ الكتاب أن تقدمته كانت خبزًا وخمرًا وليست ذبائح حيوانية كالمعتاد في ذلك الوقت، وأنه بارك إبراهيم، وأن إبراهيم قدّم له عشور كل شيء معه.

ب - في سفر المزامير:

"أقسم الرب ولن يندم أنت كاهنٌ إلى الأبد على رُتبة ملكي صادق."
(مز ١١٠ : ٤)

تمثل هذه الآية النبوة التي قالها داود النبي بالروح القدس عن الرب يسوع المسيح ابن الله، الذي كان يخاطبه الآب بقسم أنه هو الكاهن إلى الأبد على رُتبة ملكي صادق^٤.

^٤ هذا المزمور (مز ١١٠) هو الذي يبدأ بحديث موجّه من الآب للابن: "قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئًا لقدميك".

ج - في رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين:

"لأن ملكي صادق هذا، ملك ساليم، كاهن الله العليّ، الذي استقبل إبراهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركه، الذي قسم له إبراهيم عشراً من كل شيء. المترجم أولاً ملك البر، ثم أيضاً ملك ساليم أي ملك السلام، بلا أب، بلا أم، بلا نسب. لا بداية أيام له ولا نهاية حياة^٥. بل هو مُشَبَّه بابن الله. هذا يبقى كاهناً إلى الأبد. ثم انظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيم رئيس الآباء، عشراً أيضاً من رأس الغنائم! وأما الذين هم من بني لاوي، الذين يأخذون الكهنوت، فلهم وصية أن يُعشِّروا الشعب بمقتضى الناموس، أي إخوتهم، مع أنهم قد خرجوا من صلب إبراهيم. ولكن الذي ليس له نسب منهم قد عَشَّرَ إبراهيم، وبارك الذي له المواعيد! وبدون كل مشاجرة الأصغر يُبارك من الأكبر. وهنا أناسٌ مائتون يأخذون عشراً، وأما هناك فالمشهود له بأنه حي. حتى أقول كلمة إن لاوي أيضاً الآخذ الأعشار قد عَشَّرَ بإبراهيم. لأنه كان بعد في صلب أبيه حين استقبله ملكي صادق." (عب ٧: ١-١٠)

وتمثل هذه الآيات شرح القديس بولس الرسول لما تحمله هذه المقابلة المفاجئة بين إبراهيم وملكٍ صادق، والتي يكتنفها بعض الغموض، من أسرار ومعانٍ رمزية ونبوية. كما يتطرق القديس بولس إلى نبوة داود.

يوضح الرسول أن شخصية ملكي صادق كانت تحمل رمزاً ونبوة عن شخص السيد المسيح وكهنوته الأبدي على رتبة ملكي صادق، كما قيل "بل هو مُشَبَّه بابن الله. هذا يبقى كاهناً إلى الأبد".

^٥ "بلا أب، بلا أم، بلا نسب. لا بداية أيام له ولا نهاية حياة". بحسب تعليم القديس كيرلس الكبير عن هذه الآية أنها لا تعني أن ملكي صادق كان بالفعل بلا أب ولا أم ولا نسب ولا بداية ولا نهاية؛ بل إن نسبه وتاريخه وعمره، من جهة، غير معروفين؛ ومن جهة أخرى، إنه بالطبع غير مسجل في سجلات كهنة اليهود لأنه لم يكن ابناً لإبراهيم، وكان سابقاً لهارون بحوالي ست مئة سنة. وعلى الرغم من أنه لم يكن من كهنة اليهود، إلا أن كهنوته كان أعظم، إذ بارك إبراهيم، أب لاوي وهارون، وأخذ منه العشور.

فقد كانت مقدمة ملكي صادق خبزاً وخمراً، وليست ذبائح حيوانية على خلاف ما كان معروفاً في ذلك الوقت؛ كذلك قدم الرب يسوع لتلاميذه عشية صلبه خبزاً وخمراً هما جسده ودمه الأقدسَيْن، الذبيحة الحقيقية الأبدية من أجل حياة العالم.

ويتوقف القديس بولس الرسول عند موقفين هامّين هما:

أولاً: البركة التي أعطاهها ملكي صادق لإبراهيم "الذي استقبل إبراهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركه"، "وبارك الذي له المواعيد! وبدون كل مشاجرة الأصغر يُبارك من الأكبر".

ثانياً: تقديم إبراهيم العشور لملك صادق "الذي قسم له إبراهيم عُشراً من كل شيء"، "ثم انظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيم رئيس الآباء، عُشراً أيضاً من رأس الغنائم!".

يشرح الرسول أن هذين الموقفين يعكسان تفوق كهنوت ملكي صادق على كهنوت العهد القديم، كهنوت هارون ابن لاوي ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم. وبالتالي تفوق كهنوت المسيح الكاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.

من هنا جاءت أهمية شخصية ملكي صادق، أول من أطلق عليه الكتاب المقدس لقب "كاهن"، الذي كان رمزاً ونبوةً عن شخص السيد المسيح. هذا الذي صار كاهناً إلى الأبد على رتبة ملكي صادق، ليقدم خبزاً وخمراً هما جسده ودمه، وليس مجرد تيوس وعجول مثلما كان يقدم كهنة العهد القديم الذين كانوا يخدمون شبه السماويات وظلّها.



٨- كيف ولماذا اختار الله سبط كامل (سبط لاوي) ليكون لخدمته؟ وماذا كان يحمل ذلك من معانٍ؟

عرَفنا سابقاً أن عمل الكهنوت كان يمارسه آدم بعد السقوط، ومارسه هابيل ونوح، كما مارسه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وَمَنْ جاعوا بعدهم. ولكن مع ازدياد عدد الشعب أصبحت هناك حاجة إلى أن يتخصَّص أو يتكرَّس البعض من الشعب للقيام بخدمة الكهنوت لكل الشعب. ومن هنا كان التدبير الإلهي بأن يكون هناك عدد كبير من الكهنة في وسط شعب بني إسرائيل، على أن يدفع الشعب عشوره لهم لإعالتهم حتى يتمكنوا من التكريس والتخصيص لله.

ونتتبع هذا الأمر في الكتاب المقدس من بدايته في سفر الخروج:

"وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً قُدَّسْ لِي كُل بَكْرٍ، كُل فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. إِنَّهُ لِي." (خر ١٣: ١، ٢)

طَلَبَ الله من موسى أن يقُدَّس، أي يكرَّس ويخصَّص، له كل بَكْرٍ من أبكار بني إسرائيل. هذا الحديث مذكور في (خر ١٣) أي بعد ضربة الأبكار والخروج من مصر مباشرةً (خر ١١، ١٢). فقد افتدى الله كل أبكار بني إسرائيل لكي لا يموتوا مع أبكار المصريين بأن يقدِّموا خروف الفصح. وبالتالي صار هؤلاء الأبكار مُخَصَّصين لله لأنه افتداهم.

وَكَلَّمَ مُوسَى الشَّعْبَ وَشَرَحَ لَهُمْ هَذَا الْأَمْرَ قَائِلاً:

"وَيَكُونُ مَتَى أَدْخَلَكَ الرَّبُّ أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ كَمَا حَلَفَ لَكَ وَلِآبَائِكَ، وَأَعْطَاكَ إِيَّاهَا، أَنْكَ تَقْدِّمُ لِلرَّبِّ كُل فَاتِحِ رَحِمٍ، وَكُل بَكْرٍ مِنْ نَتَاجِ الْبَهَائِمِ الَّتِي تَكُونُ لَكَ. الذُّكُورَ لِلرَّبِّ. وَلَكِنْ كُل بَكْرٍ حِمَارٍ تَفْدِيهِ بِشَاةٍ. وَإِنْ لَمْ تَفْدِهِ فَتَكْسِرُ عُنُقَهُ.

وكل بكر إنسانٍ من أولادك تفديه. ويكون متى سألك ابنك غداً قائلاً
ما هذا؟ تقول له بيدٍ قويةٍ أخرجنا الرب من مصر من بيت العبودية.
وكان لما تقسّى فرعون عن إطلاقنا أن الرب قَتَلَ كل بكرٍ في
أرض مصر، من بكر الناس إلى بكر البهائم. لذلك أنا أذبح للرب
الذكور من كل فاتح رحمٍ، وأفدي كل بكرٍ من أولادي. فيكون علامةً
على يدك، وعصاةً بين عينيكَ. لأنه بيدٍ قويةٍ أخرجنا الرب من مصر."
(خر ١٣: ١١-١٦)

هنا يُوصي موسى شعب بني إسرائيل، بحسب الأمر الإلهي، بأن يقدموا أبكار
الحيوانات ذبائح، أمّا أبكار الناس فتُفدى بذبيحةٍ كما حدث في ضربة الأبكار يوم
الخروج من مصر. ولقد أوصى الرب بهذه الوصية لكي يتذكّر الشعب على الدوام
عمل الله معهم، وإخراجه لهم من أرض العبودية بيدٍ قوية. كما يتذكرون أن أبكارهم
كان يجب أن تموت مع أبكار المصريين، لكن الله افتداهم، لذلك صارت الأبكار خاصّةً
بالله. وأمرَ الرب بني إسرائيل بأن يُعلّم كل واحدٍ من الشعب أولاده هذه الشريعة لكي
يتمسّكوا بها تماماً.

وبعد أن أسّس الله مبدأً تقديس الأبكار وتكريسهم له، نجده يقدم لموسى وصيةً
أخرى عن الكهنوت:

"وَقَرَّبَ إِلَيْكَ هَارُونَ أَخَاكَ وَبَنِيهِ مَعَهُ مِنْ بَيْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَكُنَ لِي.
هَارُونَ نَادَابَ وَأَبِيهَوُ الْعَازَارَ وَإِيثَامَارَ بَنِي هَارُونَ." (خر ٢٨: ١)

أي أن هارون وبنيه سيكونون هم الكهنة الذين سيخدمون الله ويكهنون له عن
الشعب. وكان هارون من سبط لاوي، فالكهنوت لم يكن لكل السبط، بل اختصّه الله في
هارون وبنيه من بعده فقط.

أمّا عن باقي أفراد سبط لاوي فقد كانوا أيضاً مُكرّسين لله، ولكن ليس لخدمة الكهنوت، بل أسند الله لهم دوراً آخر كما جاء في سفر العدد:

"وكلم الرب موسى قائلاً قدّم سبط لاوي وأوقفهم قدام هارون الكاهن وليخدموه. فيحفظون شعائره وشعائر كل الجماعة قدام خيمة الاجتماع، ويخدمون خدمة المسكن، فيحرسون كل أمتعة خيمة الاجتماع، وحراسة بني إسرائيل ويخدمون خدمة المسكن. فتعطي اللاويين لهارون ولبنيه. إنهم موهوبون له هبة من عند بني إسرائيل. وتوكل هارون وبنيه فيحرسون كهنوتهم، والأجنبي الذي يقترب يقتل.

وكلم الرب موسى قائلاً وها إني قد أخذت اللاويين من بين بني إسرائيل، بدل كل بكر فاتح رحم من بني إسرائيل فيكون اللاويون لي. لأن لي كل بكر. يوم ضربت كل بكر في أرض مصر قدّست لي كل بكر في إسرائيل من الناس والبهائم. لي يكونون. أنا الرب." (عد ٣: ٥-١٣)

أي أن الله قد أسند لباقي أفراد سبط لاوي خدمة المسكن وحراسة أمتعة خيمة الاجتماع، ومعاونة الكهنة إخوانهم من نفس السبط، وهم هارون وبنوه. ولقد كرّسهم الرب لهذا العمل بدل أبنائهم جميع بني إسرائيل.

ويروي لنا سفر العدد كيف استبدل الله أبنائهم بني إسرائيل بسبط لاوي:

"جميع المعدودين من اللاويين الذين عدّهم موسى وهارون حسب قول الرب بعشائرتهم، كل ذكر من ابن شهر فصاعداً، اثنان وعشرون ألفاً.

وقال الرب لموسى عدّ كل بكر ذكر من بني إسرائيل من ابن شهر فصاعداً، وخذ عدد أسمائهم. فتأخذ اللاويين لي، أنا الرب، بدل كل بكر في بني إسرائيل. وبهائم اللاويين بدل كل بكر في بهائم بني إسرائيل.

فَعَدَّ موسى كما أَمَرَهُ الرب كل بَكَرٍ في بني إسرائيل. فكان جميع الأَبكار الذكور بعدد الأَسْماء من ابن شهرٍ فصاعدًا، المعدودين منهم اثْنَيْنِ وعشرين ألفًا ومئَتَيْنِ وثلاثةً وسبعين.

وكلَّم الرب موسى قائلاً خُذْ اللاويين بَدَل كل بَكَرٍ في بني إسرائيل، وبهائم اللاويين بَدَل بهائمهم، فيكون لي اللاويون. أنا الرب. وأما فداء المئَتَيْنِ والثلاثة والسبعين الزائدين على اللاويين من أَبكار بني إسرائيل، فتأخذ خمسة شواقل لكل رأسٍ. على شاقِلِ القدس تأخذها. عشرون جيرةً الشاقل. وتُعْطِي الفضة لهارون وبنيه فداءً الزائدين عليهم. فأخذ موسى فضة فدائهم من الزائدين على فداء اللاويين. من أَبكار بني إسرائيل أخذ الفضة ألفًا وثلاث مئة وخمسة وستين على شاقِلِ القدس، وأعطى موسى فضة الفداء لهارون وبنيه حسب قول الرب، كما أمر الرب موسى. (عد ٣: ٣٩-٥١)

أَمَرَ الرب موسى بعدَّ اللاويين "كل ذكرٍ من ابن شهرٍ فصاعدًا"، فكان عددهم "٢٢٠٠٠". وأَمَرَهُ أيضًا بعدَّ كل أَبكار بني إسرائيل "كل بَكَرٍ ذكرٍ من بني إسرائيل من ابن شهرٍ فصاعدًا"، فكان عددهم "٢٢٢٧٣". وأَمَرَ الرب بأن يُؤْخَذَ "اللاويين بَدَل كل بَكَرٍ في بني إسرائيل، وبهائم اللاويين بَدَل بهائمهم"، والزيادة في عدد أَبكار بني إسرائيل عن عدد اللاويين، وهي "٢٧٣"، يتمُّ فداؤهم بخمسة شواقل لكل بَكَرٍ تُعْطَى لهارون وبنيه، أي "٢٧٣ × ٥ = ١٣٦٥ شاقِل".

هكذا صار سبط لاوي سبطًا مقدسًا للرب، يقوم بالخدمة الإلهية في وسط الشعب بديلاً عن أَبكار جميع بني إسرائيل. واختُصَّ جزءٌ منه فقط بالكهنوت، وهم هارون وبنيه.

أمّا من جهة ما يحمله ذلك من معانٍ، نقول إنه وإن كان كل بني إسرائيل هم شعب الله؛ إلاّ أن سبط لاوي كان يمثّل المقدّسين والمكرّسين والمخصّصين لله، الذين لم يُعطهم الله نصيباً من الأرض^٦ لأن الله نفسه كان نصيبهم.

هكذا في العهد الجديد صرنا نحن المؤمنين بالله جميعنا مقدّسين ومكرّسين ومخصّصين له بشكلٍ عامٍ بمسّحتنا في سرّ الميرون المقدس، حتى قيل في سفر الرؤيا: "وجعلنا (يسوع المسيح) ملوكاً وكهنةً لله أبية، له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين" (رؤ ١: ٦). فلم نعد نحيا للخطية أو للعالم أو حتى لأنفسنا، بل للذي مات لأجلنا وقام.

بالطبع هذا لا يلغي وجود الكهنوت الخاص الذي يناله البعض لأجل عمل أسرار الكنيسة، وعمل الرعاية.



^٦ لم يُعطِ الرب لللاويين نصيباً من الأرض مثل باقي الأسباط لأنه قال لهم أنه هو نفسه قسّمهم ونصيبهم في وسط بني إسرائيل (عد ٢٠: ١٨-٢٤). ولكنه أعطاهم مدناً للسكن في وسط أراضي باقي الأسباط (عد ٣٥: ١-٨).

الاستنتاجات

١. تعلّم الإنسان طقس تقديم الذبيحة من الله مباشرة، عندما صنع الله لأدم وحواء أقمصاً من جلد الحيوانات المقدّمة كذبيحة.
٢. تتأقّل الإنسان هذا الطقس قبل الشريعة المكتوبة بالتقليد الشفاهي من جيلٍ إلى جيلٍ، حتى أنه وُجِدَ في العبادات الوثنية.
٣. لم يكن ممكناً أن يتمّ التكفير عن الخطية (أي تغطيتها وسترها) بدون سفك دم (أي بدون موت)، الذي هو ثمن الخطية.
٤. كان الدخول في عهدٍ مع الله لا يتمّ إلاّ من خلال دم ذبيحة. لأن الإنسان أخطأ أمام الله، ولا يمكن أن يدخل في عهد معه؛ إلاّ إذا قدّمت ذبيحة للتكفير عن خطية الإنسان في انتظار ذبيحة المسيح الذبيحة الحقيقية. إذ أنه لا يمكن أن يكون هناك عهد بدون مصالحة.
٥. كانت الذبيحة بحسب التقليد الشفاهي، ثم بحسب الشريعة المكتوبة، ذبيحة حيوانية متكرّرة متعدّدة الأنواع، غير قادرة على رفع الخطايا أو التكفير عنها، في انتظار الذبيحة الحقيقية الوحيدة المقدّمة مرّةً واحدةً فترفع خطايا العالم كله وتُكفّر عنها.
٦. حدّدت الشريعة المكتوبة الذبائح التي يتقدّم بها الإنسان إلى الله في خمسة أنواع:
 - أ — ذبيحة المُحرّقة
 - ب — تقدمة الدقيق (تقدمة القربان)
 - ج — ذبيحة السلامة
 - د — ذبيحة الخطية
 - هـ — ذبيحة الإثموكانت أنواع الذبائح المختلفة تشير إلى الأوجه المختلفة لذبيحة الصليب.

٧. ارتبطت الذبيحة بالكهنوت الذي كان يحمل معنى التكريس الكامل لخدمة الله لأجل الوساطة بين الإنسان الخاطئ والله القدوس.

٨. أول كاهن يُذكر في الكتاب المقدس هو مَلَكِي صَادَق، الذي جاء المسيح على طاقسه كاهناً إلى الأبد يُقدِّم خبزاً وخمراً هما جسده ودمه.

٩. عندما وُجِدَت الشريعة المكتوبة، اقتصر الكهنوت على هارون وبنيه بحسب الأمر الإلهي، واقتصرت خدمة المسكن على اللاويين لمساعدة الكهنة.

١٠. كان كهنوت مَلَكِي صَادَق أعظم من كهنوت هارون.



الموضوع السادس

الناموس والنبوات

قد يبدو لأول وهلة لغير المتعمّق ممّن يقرأ رسائل القديس بولس الرسول أنه ينتقص من قدر ناموس العهد القديم، وأنه يهاجمه أو يرفضه. وفي مناقشتنا لموضوع "الناموس والنبوات" سنرى أن الأمر ليس كذلك على الإطلاق؛ بل على العكس من ذلك قد كان ناموس العهد القديم، وما احتوى عليه من نبواتٍ عن شخص السيد المسيح، هو من الله كأحد التدابير الثلاثة التي نتحدّث عنها للإعداد للفداء، بعد موضوع "اختيار شعب إسرائيل"، وموضوع "الذبيحة والكهنوت".

أمّا من جهة النبوات، فسنكتشف من خلال إجابات أسئلة هذا الموضوع أنها تشكّل أهمية كبيرة في إيماننا المسيحي، من حيث كونها دليلاً وبرهاناً على أن شخص السيد المسيح هو المسيح المنتظر الآتي لأجل إتمام عمل الخلاص الذي تطلّعت إليه البشرية على مدى آلاف السنين؛ وأنه هو الوحيد الذي تنطبق وتتحقّق فيه جميع النبوات بدقةٍ وحبك بما لا يدع مجالاً للشك في هذه الحقيقة.

لذلك أصرت الكنيسة أن يكون كتاب العهد القديم جزءاً لا يتجزأ من الكتاب المقدس، بل وربّطت بينه وبين قراءة العهد الجديد في كل الصلوات الكنسية الليتورجية. كما تصدّت الكنيسة بكل شدّة لكل الهراطقة^١ الذين حاولوا رفض كتاب العهد القديم من أن يكون جزءاً أساسياً من الكتاب المقدس.

^١ من أشهرهم واحدٌ يدعى "ماركيون" من القرن الثاني، وقد ارتبط رفضه لكتاب العهد القديم بإنكاره للاهوت السيد المسيح.

- ١ - هل الناموس هو كلمة الله؟ وإن كان هو كلمة الله، فهل كان قادراً أن يصل بالإنسان إلى الله؟
- ٢ - إن كان الناموس غير قادر أن يصل بالإنسان إلى الله، فلماذا أعطى الله الناموس؟
- ٣ - هل كان القديس بولس الرسول في رسائله يرفض الناموس ويهاجمه؟

جاءت كلمة "ناموس" في الكتاب المقدس تحمل أكثر من معنى. أحد أهم هذه المعاني يشير إلى الشريعة التي أعطاه الله لبني إسرائيل على يد موسى في جبل سيناء لتنظيم عبادتهم وحياتهم اليومية، ليكونوا له شعباً خاصاً. وقد اشتمل هذا الناموس على الوصايا العشر، والأحكام التي تنظم حياتهم الاجتماعية، والفرائض التي تنظم شؤون عبادتهم، ومن أهمها ما يختص بالذبائح والكهنوت.

إذاً الناموس هو كلمة الله، كما تؤكد ذلك إحدى صلوات القديس الغريغوري:

«أنت يا سيدي حولت لي العقوبة خلاصاً. كراع صالح سعت في طلب الضال. كأب حقيقي تعبت معي أنا الذي سقط. ربطتني بكل الأدوية المؤدية إلى الحياة. أنت الذي أرسلت لي الأنبياء من أجلي أنا المريض. أعطيتني الناموس عوناً. أنت الذي خدمت لي الخلاص لماً خالفت ناموسك. كنور حقيقي أشرق للضالين وغير العارفين.»
(القديس الغريغوري)

نلاحظ من هذه الكلمات أن الله في محبته للبشر قد دبر للخلاص بوسائل متعددة "ربطتني بكل الأدوية المؤدية إلى الحياة". فأرسل الأنبياء بالنبوات عن الخلاص "أنت الذي أرسلت لي الأنبياء من أجلي أنا المريض"، كما أعطى الناموس عوناً للبشر

"أعطيتني الناموس عوناً". إذاً الناموس كان من الله، وهو من الوسائط التي أعطاها الله للإنسان كجزء من الإعداد للفداء في انتظار المسيح الفادي والمخلص الذي سيهب البر، ويفتح الطريق إلى السماء.

وفي رسالة رومية يطرح القديس بولس الرسول بعض التساؤلات التي قد يتساءلها أحد حول الناموس:

"فماذا نقول؟ هل الناموس خطية؟ حاشا! بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس. فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته. ولكن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية أنشأت في كل شهوة. لأن بدون الناموس الخطية ميتة. أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلاً. ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية، فمُتُّ أنا، فوُجِدَت الوصية التي للحياة هي نفسها لي للموت. لأن الخطية، وهي متخذة فرصة بالوصية، خدعتني بها وقتلتني. إذاً الناموس مقدس، والوصية مقدسة وعادلة وصالحة." (رو ٧: ٧-١٢)

يبدأ الرسول هذا الجزء بالسؤال: "هل الناموس خطية؟" ثم يجيب بالنفي القاطع "حاشا! بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس". فالناموس ليس خطية، بل هو الذي أظهرها بالنهاي عنها؛ على سبيل المثال، قال الناموس: "لا تشته"، فعرف الإنسان بوضوح أن الشهوة خطية. وإذا كانت الخطية متسلطة على الإنسان، فقد استغلت الخطية وجود هذه الوصية "لا تشته"، لكي تثير كل شهوة في داخل الإنسان بنظام "الممنوع مرغوب". هذا ما قصده الرسول بقوله: "ولكن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية أنشأت في كل شهوة".

ثم يستكمل القديس بولس الرسول مناقشته لموضوع الناموس موضحاً إنه قبل وجود الناموس المكتوب لم يعرف الإنسان أن الخطية مرفوضة من الله بكل وضوح مثلما عرف ذلك بعد وجود الناموس المكتوب "لأن بدون الناموس الخطية ميتة". ثم بعد وجود الناموس المكتوب، اكتشف الإنسان عجزه عن طاعة الناموس وتنفيذ ما به

من وصايا، بل وصار الإنسان محكوماً عليه بحكم الموت الذي أعلن الله عنه كنتيجة لعدم طاعة الوصية "ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية، فمُتُّ أنا".

لقد أعطى الله وصاياه للإنسان حتى يحيا بها، ويقترب بواسطتها من صورة القداسة، التي خُلِقَ عليها الإنسان في الأصل، إذا استطاع أن يطيعها وينفذها. ولم يكن عجز الإنسان عن تنفيذ وصايا الناموس عيباً في الناموس، بل في الإنسان الذي تسلَّطت عليه الخطية، هذا ما قصَّده الرسول بقوله: "فوجدت الوصية التي للحياة هي نفسها لي للموت. لأن الخطية، وهي متخذةً فرصةً بالوصية، خدعتني بها وقتلتني". وعلى هذا يصل بنا الرسول إلى الاستنتاج الأخير: "إذا الناموس مقدس، والوصية مقدسة وعادلة وصالحة".

هكذا نستخلص أن الناموس هو كلمة الله، طالما أنه مقدس، والوصية مقدسة وعادلة وصالحة. وإن كانت هذه هي شهادة القديس بولس الرسول عن الناموس، فلا يمكن أن يقال إنه يرفض الناموس أو يهاجمه.

وفي نص آخر من رسالة غلاطية حول نفس الموضوع يقول القديس بولس الرسول:

"فلماذا الناموس؟ قد زيد بسبب التعدييات، إلى أن يأتي النسل الذي قد وُعد له، مُرتباً بملائكة في يد وسيط. وأمّا الوسيط فلا يكون لواحد. ولكن الله واحد. فهل الناموس ضد مواعيد الله؟ حاشا! لأنه لو أُعطي ناموسٌ قادرٌ أن يحيي، لكان بالحقيقة البر بالناموس. لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية، ليُعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون. ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس، مغلقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن. إذا قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح، لكي نتبرر بالإيمان. ولكن بعد ما جاء الإيمان، لسنا بعد تحت مؤدب". (غل ٣: ١٩-٢٥)

أيضاً يبدأ الرسول هذا الجزء بسؤال مباشر: "فلماذا الناموس؟" ثم يجيب "قد زيد بسبب التعديّات". أي أن ازدياد الخطايا وانتشار الشر بين البشر هو السبب الرئيسي الذي من أجله قد أعطى الله الناموس، بيد الملائكة، لموسى وسيط العهد القديم "مرتباً بملائكة في يد وسيط". وذلك من أجل تحجيم الشر في انتظار المخلص الذي به يتحقق الوعد الذي أُعطي لإبراهيم، وبه تُرفع خطايا العالم كله "إلى أن يأتي النسل الذي قد وُعد له".

ثم يعود ليسأل سؤالاً آخر: "فهل الناموس ضد مواعيد الله؟" ويجيب أيضاً بالنفي القاطع: "حاشا! لأنه لو أُعطي ناموسٌ قادرٌ أن يُحيي، لكان بالحقيقة البر بالناموس". فالناموس لم يكن قادراً على أن يعطي الإنسان الحياة والبر (أي البراءة) أمام الله، بل لقد أظهر الناموس مقدار خطايا البشر واستحقاقهم للموت: "لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية"، "ولكن قبلما جاء الإيمان كنّا محروسين تحت الناموس"، "إذاً قد كان الناموس مؤدّبنا إلى المسيح". وهكذا أظهر الناموس للجميع مدى الاحتياج للخلاص الذي لن يكون إلا بالإيمان برّبنا يسوع المسيح "ليُعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون"، "مُعلّقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن"، "لكي نتبرّر بالإيمان. ولكن بعد ما جاء الإيمان، لسنا بعد تحت مؤدّب".

إذاً فقد كان الناموس بمثابة المؤدّب والمهذّب الذي كان يهدف إلى حفظ البشرية حتى يأتي المخلص الحقيقي ربنا يسوع المسيح، الذي وحده يرفع الخطايا ويهب البر والقداسة.

ثم نعود ثانيةً إلى رسالة رومية حيث يقول القديس بولس الرسول:

"وأما الناموس فدخّل لكي تكثر الخطية. ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً. حتى كما ملكت الخطية في الموت، هكذا تملك النعمة بالبر، للحياة الأبدية، بيسوع المسيح ربنا." (رو ٥: ٢٠، ٢١)

يضيف هنا الرسول أن الناموس وإن كان قد أظهر مقدار خطايا البشر، إلا إنه بذلك أيضاً أظهر مقدار ازدياد نعمة ربنا يسوع المسيح، والتي بها نلنا البر والبراءة أمام الله لكي يكون لنا حياة أبدية؛ بعد أن كان نصيبنا هو الدينونة والموت الأبدي.

ويؤكد ذلك القديس بولس الرسول أيضاً في موضع آخر من نفس الرسالة:
"لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه. لأن بالناموس

معرفة الخطية." (رو ٣: ٢٠)

فبالناموس عُرِفَتْ وأُظْهِرَتْ الخطية، ولم يكن ليتبرأ الإنسان الخاطئ من حكم الناموس عليه بالموت بمجرد محاولته أن يتم أعمال الناموس الحرفية، والتي يصعب على الإنسان أن يتمها جميعاً. وبالتالي صار الرجاء الوحيد للإنسان هو الإيمان العملي الحي المعاش بربنا ومخلصنا يسوع المسيح.

إذاً كإجابة للأسئلة التي بدأنا بها نقول بالتأكيد إن ناموس العهد القديم هو كلمة الله، إلا إنه كان غير قادر أن يصل بالإنسان إلى الله، أو أن يغفر خطاياهم ويرفع عنه حكم الموت الذي استحقه. ولكنه قد أُعْطِيَ من قِبَلِ الله لكي يُحْجَم شرور البشر، إلى أن يتحقق وعد الله بالخلاص في ربنا يسوع المسيح. وهكذا قام الناموس بدور المؤدب والمهذب للبشر إلى أن يأتي المسيح مخلصنا الصالح. وأخيراً نقول إن القديس بولس الرسول، في تأكيده على أن البر والخلاص هما فقط بربنا يسوع المسيح، لم يرفض الناموس أو يهاجمه مؤكداً أنه صالح، وأن الوصية مقدسة وعادلة وصالحة.



٤- لماذا أرسل الله الأنبياء بنبواتٍ عن ابنه الكلمة الأزلي الذي كان سوف يتجسد في ملء الزمان؟

تُعتبرُ إجابة هذا السؤال من الأمور الهامة جدًّا بالنسبة لإيماننا بشخص السيد المسيح، فالسيد المسيح لم يظهر فجأة في التاريخ ليقول إنه إله، وإنه ابن الله المخلص الذي سيخبرنا عن الآب، ولكن جاءت النبوات المكتوبة في أسفار العهد القديم على مدى ألف وخمس مئة سنة قبل ميلاده لتخبرنا عن مجيئه الفائق الذي تحقق في ملء الزمان، وعن أحداث حياته المقدسة وأعماله الخلاصية.

لقد كُتبت أسفار العهد القديم على مدى حوالي ألف وخمس مئة سنة تقريبًا، وعلى مدار كل هذه المدة كانت تأتي باستمرار النبوات من أشخاص مختلفين تمامًا في خلفياتهم وثقافتهم وأماكنهم، ولكنهم جميعًا تنبأوا نبوات شديدة الدقة والانطباق، ولا يمكن فهمها أو تفسيرها، إلا على شخص ربنا يسوع المسيح في تجسده.

إذا فوجود مرجع لنا من النبوات عن كل تفاصيل حياة السيد المسيح بالجسد يُعدُّ سندًا قويًا لإيماننا، ودليلاً أكيدًا على صحته وأصالته. ومن أقوى الردود التي يمكن أن نجاب بها أي شخص يُشكك في حقيقة لاهوت السيد المسيح وتجسده وصلبيه وقيامته، هو أن كل تفاصيل حياة السيد المسيح قد وُجدت بكل وضوح في نبوات العهد القديم، بما لا يدع مجالاً للشك في انطباقها عليه كما سنرى في إجابتنا على السؤال التالي.

ويقول القديس أغسطينوس عن النبوات كبرهان قاطع لصدق إيماننا بالمسيح:

«لكنهم مخدوعون كثيرًا، أولئك الذين يعتقدون بأننا نؤمن بالمسيح بدون أي أدلة بخصوصه. فهل هناك برهان أوضح من هذا: أن الأمور التي قد أنبئ عنها نراها الآن قد تحققت؟» (القديس أغسطينوس)

فكل أحداث حياة السيد المسيح لم تكن أموراً مفاجئة، ثم طالبنا السيد المسيح بعد ذلك أن نؤمن بها؛ بل إنه هو نفسه كان يؤكد باستمرار — حتى بعد القيامة — أن هذه كانت هي المكتوبة عنه في الكتب.

ومن أمثلة كلمات السيد المسيح عن ذلك قوله لليهود:

"لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني، لأنه هو كتب عني. فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك، فكيف تصدقون كلامي؟"
(يو ٥: ٤٦، ٤٧)

أول نبوات مكتوبة عن شخص المخلص وُجدت في أسفار التوراة، أسفار موسى الخمسة. لذلك السيد المسيح يطالب اليهود بأن يقبلوه على أساس قبولهم لموسى الذي تكلم عنه.

وبعد القيامة أكد السيد المسيح قيامته بنفس الطريقة، ففي لقائه مع تلميذي عمّواس يقول الكتاب المقدس:

"ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب." (لو ٢٤: ٢٧)

وفي آخر لقاء للسيد المسيح مع تلاميذه قبل الصعود:

"وقال لهم هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب. وقال لهم هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم، مبتدأً من أورشليم. وأنتم شهود لذلك." (لو ٢٤: ٤٤-٤٨)

إِذَا فالسيد المسيح نفسه يُعلن أن كل تفاصيل حياته وآلامه وموته وقيامته، ثم بعد ذلك الكرازة باسمه لكل المسكونة؛ قد تحدّثت عنها النبوات بوضوح. مع ملاحظة وجود النبوات عن شخص السيد المسيح في كل أسفار العهد القديم، والتي يُشار إليها بتعبير "تاموس موسى والأنبياء والمزامير"، وليس في أسفار الأنبياء فقط.

أيضًا الآباء الرسل قد استخدموا نفس هذا المنهج في كراتهم باسم المسيح. فعلى سبيل المثال، في حديث القديس بطرس الرسول مع اليهود بعد أن أقام المُقعد:

"وَأَمَّا اللَّهُ فَمَا سَبَقَ وَأَنْبَأَ بِهِ بِأَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ، أَنْ يَتَأَلَّمَ الْمَسِيحُ، قَدْ تَمَّمَهُ هكَذَا." (أع ٣: ١٨)

أي أن الله قد تمّم ما قاله بأفواه الأنبياء فيما يختصُّ بشخص السيد المسيح.

ثم يستكمل القديس بطرس الرسول نفس الحديث السابق قائلاً:

"فَإِنْ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ: إِنْ نَبِيًّا مِثْلِي سَيَقِيمُ لَكُمْ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يَكَلِّمُكُمْ بِهِ. وَيَكُونُ أَنْ كُلِّ نَفْسٍ لَا تَسْمَعُ لِذَلِكَ النَّبِيِّ تُبَادُ مِنَ الشَّعْبِ. وَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ أَيْضًا مِنْ صُمُوءِيلَ فَمَا بَعْدَهُ، جَمِيعُ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا، سَبَقُوا وَأَنْبَأُوا بِهَذِهِ الْأَيَّامِ. أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْعَهْدُ الَّذِي عَاهَدَ بِهِ اللَّهُ آبَاءَنَا قَائِلًا لِإِبْرَاهِيمَ وَبَنَسْكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ قِبَائِلِ الْأَرْضِ." (أع ٣: ٢٢-٢٥)

يستشهد هنا القديس بطرس الرسول بما ورد في سفر التثنية (تث ١٨: ١٥)، حيث تنبأ موسى للشعب أن الله سيقوم لهم نبيًا من وسط إخوتهم، وهو ما تحقّق في شخص السيد المسيح. وقد نتساءل كيف يكون السيد المسيح نبيًا؟ وهل هو إله أم نبي؟ والإجابة هي أنه إله بالطبع، ولكنه قد أخذ بالتجسّد وضع النبوة من حيث كونه قد جاء ليخبرنا عن الثالوث القدوس. فالسيد المسيح لم يكن مجرد نبي جاء ليحمل كلام من الله أو عن الله، بل لقد جاء، وهو الإله المتجسّد، ليخبرنا عن الحق؛ إذ هو الطريق والحق والحياة (يو ١٤: ٦). لذلك يقول العلامة ترنتليان: «المسيح لم يستخدم الجملة المعتادة التي

استخدمها الأنبياء "هكذا يقول الرب"، لأنه هو نفسه الله الذي تكلم بسلطانه وبدأ كلامه بقول "الحق الحق أقول لكم". هكذا نرى أن القديس بطرس الرسول، وهو يبشر اليهود بالمسيح، قد استخدم منهج شرح العهد القديم وإيضاح كيفية تحقيق ما فيه من نبوات في شخص السيد المسيح.

ولم يكن القديس بطرس الرسول هو الوحيد من الرسل الذي استخدم هذا المنهج، بل أيضاً القديس بولس الرسول، وهو يكلم اليهود في مجمع أنطاكية بيسيدية، استخدم هذا المنهج قائلاً لهم:

"أيها الرجال الإخوة بني جنس إبراهيم، والذين بينكم يتقون الله، إليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص. لأن الساكنين في أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا. وأقوال الأنبياء التي تقرأ كل سبت تتموها، إذ حكموا عليه. ومع أنهم لم يجدوا علّةً واحدةً للموت طلبوا من بيلاطس أن يقتل. ولما تتموا كل ما كتب عنه، أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر." (أع ١٣: ٢٦-٢٩)

أي أن القديس بولس الرسول يؤكد أن كل أحداث صلب المسيح كانت تتميم وتحقيق لما هو مكتوب في نبوات العهد القديم.

أيضاً في حديث القديس بولس الرسول عن الناموس في رسالة رومية يقول:

"وأما الآن فقد ظهرَ بر الله بدون الناموس، مشهوداً له من الناموس والأنبياء." (رو ٣: ٢١)

فالبر الذي تحقق لنا بالمسيح كان بدون الناموس، لأن المسيح وحده هو الذي يبرر. ولكن في نفس الوقت كان هذا البر — الذي بالمسيح — مشهوداً له من الناموس والأنبياء. أي أن عمل الناموس والأنبياء هو الشهادة للمسيح وإرشاد الجميع إليه.

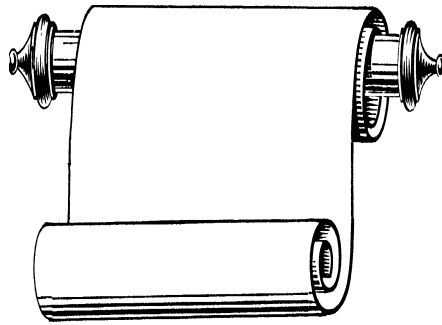
أخيراً نستشهد بما جاء في الرسالة الأولى للقديس بطرس الرسول:

"الخلاص الذي فَتَّشَ وَبَحَثَ عنه أنبياءُ، الذين تنبَّأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يَدُلُّ عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالْآلامِ التي للمسيح، والْأَمْجَادِ التي بعدها. الذين أُعْلِنَ لهم أنهم ليس لأنفسهم، بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أُخْبِرْتُمْ بها أنتم الآن، بواسطة الذين بَشَّرَوكُمْ في الروح القدس المُرْسَل من السماء. التي تشتهي الملائكة أن تَطَّلَعَ عليها.

لذلك مَنْطِقُوا أَحْقَاءَ ذَهْنَكُمْ صَاحِينَ، فَأَلْقُوا رَجَاءَكُمْ بِالنِّعْمَةِ التي يُؤْتَى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح." (١بط ١: ١٠-١٣)

فالخلاص الذي نحياه نحن، قد فَتَّشَ وَبَحَثَ عنه الأنبياء باجتهاد. لذلك أُوحِيَ لهم أن يَتَنَبَّأُوا ويشهدوا لحياة السيد المسيح بالروح القدس الذي كان يتكلم فيهم. وقد كانت نبواتهم من أجلنا نحن، لكي نؤمن بالسيد المسيح عند مجيئه. وقد جاءت نبوات كثيرة غير مفهومة وغير واضحة حتى للأنبياء الذين تنبَّأوا بها هم أنفسهم. وسنرى ذلك بأكثر وضوح عند الحديث عن النبوات في إجابتنا على السؤال التالي.

إذا أرسل الله الأنبياء بنبواتٍ عن ابنه الكلمة الأزلي الذي تجسَّد في ملء الزمان، لكي تكون هذه النبوات مرشداً لنا عن شخص السيد المسيح. كما أن تحقيق النبوات في شخصه يكون دليلاً لحقيقة وصحة وأصالة إيماننا به.



٥- ما هي الجوانب التي أشارت إليها النبوات عن حياة وآلام السيد المسيح في الجسد؟

بعد أن شرحنا السبب الذي من أجله قد أرسل الله الأنبياء بنبواتٍ عن شخص السيد المسيح، كان علينا أن نستعرض بعض النبوات كأمثلة للجوانب المتعددة التي أشارت إليها النبوات من حياة وآلام السيد المسيح في الجسد.

أولاً: نبوات عن حياة السيد المسيح

أ - نسب السيد المسيح بحسب الجسد

١. من نسل المرأة

في حديث الله للحية بعد سقوط آدم وحواء في الخطية يقول:

"وأضعُ عداوةَ بينك وبين المرأة، وبين نسلكِ ونسلها. هو يَسْحَقُ رأسكِ، وأنتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ." (تك ٣: ١٥)

أي أن المخلص سيأتي من نسل المرأة، وسيسحق رأس الحية. وإذا كان الشيطان قد تعقب المسيح الإله المتجسد حتى الصليب، إلا أن السيد المسيح قد سَحَقَ رأسه بقيامته وإخراجه لأرواح الأبرار من الجحيم.

٢. من نسل يهوذا

في بركة يعقوب لبنيه الاثني عشر، قال ليهوذا السبط الذي جاء منه السيد المسيح:

"لا يزول قضيبٌ من يهوذا ومُشترِعٌ من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب." (تك ٤٩: ١٠)

"قَضِيبٌ" أي صولجان المُلْك، "مُشْتَرَعٌ" أي المُشَرِّع أو القاضي أو الشخص الذي يَسُنُّ القوانين وَيَقْضِي بها لأجل إقرار الحق. "شِيلُون" كلمة عبرية أقرب معانيها هو "الذي له القَضِيب" أو "الذي له المُلْك"، وهو المعنى الذي أُخِذَتْ به أيضًا الترجمة السبعينية. هكذا تكون هذه الآية نبوةً عن السيد المسيح، والذي أُشِيرَ إليه بكلمة "شِيلُون"، إذ هو ملك الملوك ورب الأرباب. وبالتالي يمكن أن نقرأ هذه الآية هكذا: "لن يزول المُلْك من سبط يهوذا، ولن يبتعد القضاء عن نسله، إلى أن يأتي المسيح الملك والمُدبِّر والقاضي الحقيقي الأبدي الذي تخضع له كل الشعوب". إذا فهذه الآية نبوةً عن مجيء المسيح من سبط يهوذا.

٣. من بيت يَسَّى

"ويخرج قَضِيبٌ من جذع يَسَّى، وَيَنْبُتُ غَصْنٌ من أصوله، ويحلُّ عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب. وَلِذَلِكَ تكون في مخافة الرب، فلا يَقْضِي بحسب نظر عَيْنَيْهِ، ولا يحكم بحسب سَمْعِ أذُنَيْهِ، بل يَقْضِي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإتصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقَضِيبِ فمه، وَيُمِيتُ المنافق بنفخة شَفْتَيْهِ. ويكون البر منطقة مَتْنَيْهِ، والأمانة مَنَاطِقَهُ حَقْوَيْهِ." (إش ١١ : ١-٥)

فالسيد المسيح المخلص، الذي له كل ما سبق من أوصاف، سيأتي من بيت يَسَّى أبي داود.

٤. من نسل داود

"قَطَعْتُ عهدًا مع مختاري، حلفتُ لداود عبدي: إلى الدهر أُثَبِّتُ نَسْلَكَ، وَأُبْنِي إلى دَوْرٍ فَدَوْرٍ كَرْسِيَّكَ." (مز ٨٩ : ٣، ٤)

"وأجعلُ إلى الأبد نسله (نسل داود)، وكرسيه (كرسي داود) مثل أيام السماوات." (مز ٨٩ : ٢٩)

"مرّةً حلفتُ بقدسي، إني لا أكذبُ لداود: نسله إلى الدهر يكون، وكرسيه كالشمس أمامي. مثل القمر يُثَبَّت إلى الدهر. والشاهد في السماء أمينٌ." (مز ٨٩ : ٣٥-٣٧)

هذه الكلمات عن دوام مُلْك داود "إلى الأبد"، "إلى الدهر"، "إلى دَوْرٍ فدَوْرٍ"؛ وعن ثبات كرسِيّه "مثل أيام السماوات"، "كالشمس أمامي"، "مثل القمر"؛ لا يمكن أن يتحقّق إلّا في شخص السيد المسيح الذي يأتي من نسل داود.

ب — ميلاد السيد المسيح:

١. من عذراء

"ولكن يعطيكم السيد نفسه آيةً: ها العذراء تحبل وتلدُ ابناً وتدعو اسمه عِمَّانُوئِيل." (إش ٧ : ١٤)

فالله ليس فقط سيعطينا آيةً أو يقدّم لنا معجزةً، بل هذه المرّة سيصير هو ذاته الآية أو المعجزة، من خلال ميلاده من عذراء بتول ليُدعى "عِمَّانُوئِيل" الذي تفسيره "الله معنا".

٢. في بيت لحم

"أما أنتِ يا بيت لحم أفراتة، وأنتِ صغيرةٌ أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنكِ يخرج لي الذي يكون مُتسلّطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل." (مي ٥ : ٢)

هذه نبوة عن ميلاد السيد المسيح في المدينة الصغيرة بيت لحم، التي في أرض يهوذا. مع ملاحظة ما قيل عن هذا المولود "يكون مُتسلِّطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل"، أي أن هذا المتسلِّط على كل إسرائيل، والذي يولد في بيت لحم في زمنٍ معيَّن، هو أزلِّيٌّ. ومن هو الأزلِّي الذي يولد في الزمن إلا مخلصنا يسوع المسيح الإله المتجسّد وحده.

ج — الهروب إلى مصر:

"لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غَلامًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي." (هو ١١ : ١)

"وَحَيٌّ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ: هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ، فَتَرْتَجِفُ أَوْتَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ، وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلُهَا." (إش ١٩ : ١)

فالحديث هنا واضحٌ عن ذهاب المسيح الإله المتجسّد إلى مصر.

د — مسح السيد المسيح بالروح القدس:

"رُوحَ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لِأُنَادِيَ لِلْمَسَبِيَّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ. لِأُنَادِيَ بِسَنَةِ مَقْبُولَةٍ لِلرَّبِّ، وَبِیَوْمِ انْتِقَامٍ لِإِلَهِنَا. لِأُعْزِّي كُلَّ النَّائِحِينَ." (إش ٦١ : ١، ٢)

فالنبوة هنا عن مسح السيد المسيح بالروح القدس في المعمودية "روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني...". وإن كان يمكن أن يكون لها معنىً أوسع بأن السيد المسيح بتجسّده قد مُسِحَ أو خُصِّصَ من قِبَلِ اللَّهِ الْآبِ مِنْ أَجْلِ عَمَلِ الْخَلَاصِ، الَّذِي

من خلاله سيعطى الرجاء للمساكين والمُنكسري القلب والمسيبين والمأسورين والنائحين بسبب الخطية والموت وسلطان إبليس.

هـ — دخول السيد المسيح أورشليم:

"ابتهجي جدًّا يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصورٌ وديعٌ، وراكبٌ على حمارٍ وعلى جحش ابن أتان." (زك ٩: ٩)

فالسيد المسيح ملك إسرائيل سيدخل أورشليم متواضعًا راکبًا على حمارٍ وعلى جحش ابن أتان، وليس على فرسٍ مثل ملوك هذا العالم، إذ أن مملكته ليست من هذا العالم.

و — المؤامرة على تسليمه لرؤساء اليهود:

"فقلت لهم إن حسنٌ في أعينكم فأعطوني أجرتي وإلا فامتنعوا. فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة. فقال لي الرب ألقها إلى الفخاري، الثمن الكريم الذي ثمنوني به. فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب." (زك ١١: ١٢، ١٣)

وهي نبوة شديدة الوضوح عن المؤامرة التي قام بها يهوذا من أجل تسليم السيد المسيح لرؤساء اليهود في مقابل ثلاثين من الفضة، ثم بعد ذلك ندمه ومحاولته لردّ هذا الثمن البخس إلى رؤساء اليهود مرّة أخرى. وقد رفض اليهود استعادة المبلغ، فطرحه يهوذا في الهيكل ومضى وخنق نفسه. فاشترى اليهود بهذا المبلغ حقل الفخاري مقبرة للغرباء، وسُمّي ذلك الحقل "حقل الدم" (مت ٢٧: ٣-٨). هكذا نشعر بالدهشة أمام دقة تفاصيل النبوة التي تحققت بتمامها.

ز — آلام السيد المسيح:

"بذلت ظهري للضاربين، وخذيتي للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق." (إش ٥٠: ٦)

"أما أنا فدودة لا إنسان. عارٌ عند البشر ومُحتَقَرُ الشعب. كل الذين يرونني يستهزئون بي. يَفْغَرُونَ الشفاه، وَيُنْغَضُونَ الرَّأْسَ قائلين اتَّكَلَّ على الرب فلينجِّه، لينقِذَهُ لِأَنَّهُ سُرَّ بِهِ." (مز ٢٢: ٦-٨)

"لأنه قد أحاطت بي كلاب. جماعةٌ من الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجليَّ. أَحْصَى كُلُّ عَظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ. يَقْسِمُونَ ثيابي بينهم، وعلى لُبَاسِي يَقْتَرِعُونَ." (مز ٢٢: ١٦-١٨)

"ويجعلون في طعامي عُلْقَمًا، وفي عطشي يَسْقُونَنِي خَلًّا." (مز ٦٩: ٢١)

نلاحظ ما احتوته هذه النبوات من وصفٍ دقيقٍ لتفاصيل آلام السيد المسيح. ونلاحظ أيضًا في الآيات التي اقتبسناها من سفر المزامير لداود النبي أن المتكلم هو داود النبي نفسه، ولكن المقصود بالكلام بكل وضوح ودقة هو شخص السيد المسيح. فعلى سبيل المثال، لم تُثَقَّبْ يَدَا دَاوُدَ أَوْ رِجْلَيْهِ، وَلَمْ تُقَسَمْ ثِيَابُهُ أَوْ اقْتَرَعَ عَلَى لُبَاسِهِ؛ لَكِنْ تَمَّ هَذَا لِلْمَسِيحِ وَقْتَ الصَّلِيبِ وَالْآلَامِ.

وننتقل إلى أقوى نبوات الكتاب المقدس عن آلام السيد المسيح، والتي جاءت على لسان إشعياء النبي الذي وَصَفَ آلامَ الْمَسِيحِ كَمَا لَوْ كَانَ أَحَدَ شُهُودِ عِيَانِ صَلِيبِ الْمَسِيحِ رَغْمَ أَنَّ نُبُوته سَبَقَتْ الْمَسِيحَ بِأَكْثَرِ مِنْ سَبْعِ مِائَةِ سَنَةٍ، حَتَّى أَنَّهُ دُعِيَ "النبي الإنجيلي". وقد جاءت هذه النبوة في الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء:

"مَنْ صَدَّقَ خَبْرَنَا، وَلِمَنْ اسْتَعْلَنْتَ ذِرَاعَ الرَّبِّ؟ نَبَتْ قَدَّامَهُ كَفَرَحٍ وَكَعَرَقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ، لَا صُورَةَ لَهُ وَلَا جَمَالَ فَنَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلَا مَنْظَرَ

فنشتهيه. مُحْتَقَرٌ ومُخَذُولٌ من الناس، رجل أوجاعٍ ومُخْتَبِرِ الحزن،
وكمُسْتَرَّ عنه وجوهنا، مُحْتَقَرٌ فلم نَعْتَدْ به.

لكن أحراننا حَمَلَهَا، وأوجاعنا تَحَمَّلَهَا، ونحن حَسِبْنَاهُ مَصَابًا
مضروبًا من الله ومذلولا. وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل
آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحُبْرِهِ (بجراحاته) شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَمٍ ضَلَلْنَا.
مَلْنَا كل واحدٍ إلى طريقه، والرب وَضَعَ عليه إثم جميعنا. ظَلَمَ أَمَّا هُوَ
فَتَذَلَّ ولم يفتح فاه. كشاةٌ تُسَاقُ إلى الذبح، وكنعجةٌ صامتةٌ أمام جازيها
فلم يفتح فاه. من الضُّغْطَةِ ومن الدينونة أُخِذَ. وفي جيله مَنْ كَانَ يَظُنُّ
أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الْأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ
الْأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيِّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ
فِي فَمِهِ غَشٌّ.

أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَن يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةً إِثْمٍ يَرَى
نَسْلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسْرَةً الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ. مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى
وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يَبْرُرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. لِذَلِكَ
أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الْأَعْزَاءِ وَمَعَ الْعِظْمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ
لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثْمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي
الْمَذْنِبِينَ. (إش ٥٣: ١-١٢)

يَصِفُ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ شَكْلَ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ عَلَى الصَّلِيبِ
"مُحْتَقَرٌ ومُخَذُولٌ من الناس، رجل أوجاعٍ ومُخْتَبِرِ الحزن، وكمُسْتَرَّ عنه وجوهنا،
مُحْتَقَرٌ فلم نَعْتَدْ به"، ثم يوضح أن كل هذا كان من أجلنا نحن الخطاة "وهو مجروحٌ
لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحُبْرِهِ (بجراحاته)
شُفِينَا". كما يشير النبي إلى صلب المسيح بين لصَيْنِ مُسْتَحَقِّينَ لِلْمَوْتِ "وَأُحْصِيَ مَعَ
أَثْمَةٍ"، وموته على الصليب من أجل تبريرنا "مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي
الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يَبْرُرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا"، ودفنه في قبرٍ جديدٍ لرجلٍ غنيٍّ هو

يوسف الرامي "ومع غني عند موته". وهكذا أخبر إشعياء النبي عن آلام المسيح وتفاصيل الصليب كما لو كان يراها عياناً مع تقديمه لشرح عميق لما في صليب من أعماق خلاصية.

ح - القيامة:

"لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقية يرى فساداً."
(مز ١٦: ١٠)

"هلم نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا، ضرب فيجبرنا. يحيينا بعد يومين. في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه." (هو ٦: ١، ٢)
الآيتان هما نبوة عن قيامة رب المجد يسوع، والثانية تضيف أن القيامة في اليوم الثالث.

ط - الصعود:

"صعدت إلى العلاء. سبيت سبياً. قبلت عطايا بين الناس، وأيضاً
المتمردين للسكن أيها الرب الإله." (مز ٦٨: ١٨)

هذه نبوة عن صعود المسيح إلى السماوات بعد أن تم عمل الخلاص، وانتصر على العدو الشيطان وسبى سبياً منه هو أرواح الأبرار الذين كانوا في قبضة الشيطان في الجحيم.

ثانياً: نبوات عن عمل السيد المسيح

أ – عمله كنبي:

"يُقيم لك الرب إلهك نبياً من وَسَطِكَ من إِخْوَتِكَ مثلي. له تسمعون."
(تث ١٨ : ١٥)

فالسيد المسيح جاء من نسل إبراهيم، مثل باقي إخوته بالجسد، ليقوم بعمل النبوة أي ليخبرنا عن الثالوث القدوس كما شرحنا في إجابة السؤال السابق^٢.

ب – عمله ككاهن:

"قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئاً لقدميك.
يرسلُ الرب قضيبَ عزِّكَ من صهيون. تسلطُ في وسط أعدائك. شعبُك
مُنتدبٌ في يوم قوتك، في زينة مقدسة من رَحِمِ الفجر، لك طُلُّ حداثتك.
أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهنٌ إلى الأبد على رتبة ملكي صادق."
(مز ١١٠ : ١-٤)

بموت السيد المسيح على الصليب وقيامته وصعوده إلى السماوات قدّم ذاته ذبيحةً لله الآب، ليصير هو أيضاً الكاهن إلى الأبد الذي قدّم لمقدّبيّه خبزاً وخمراً هما جسده ودمه الأقدسَيْن مثلما قدّم ملكي صادق خبزاً وخمراً.

ثالثاً: نبوات عن ألوهية المسيح

سنسوق هنا نبوتَيْن من نبوات كثيرة شهدت عن أن المسيح، الذي تحدّثت عنه النبوات السابقة من جهة تجسّده وآلامه وصلبه وقيامته، هو هو ذاته الإله الأزلي غير المحدود. النبوة الأولى من سفر إشعياء النبي:

^٢ انظر ص ١١٥.

"لأنه يُولَد لنا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وتكون الرئاسة على كتفه، ويُدْعَى اسمه عجيبًا، مشيرًا، إِلَهًا قديرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رئيس السلام. لنمو رياسته، وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته، لِيُثَبَّتْهَا وَيَعْضُدَهَا بالحق والبر، من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا".
(اش ٩: ٦، ٧)

فالولد والابن الذي يُولَد لنا هو "إِلَهًا قديرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رئيس السلام". ونلاحظ ما قيل عن رياسته "وتكون الرئاسة على كتفه"، فكلُّ ملوك هذا العالم يُتَوَجَّجون بتيجان الملوك على رؤوسهم، أمَّا السيد المسيح فقد كان مُلكه على خشبة الصليب التي حَمَلَهَا على كتفه.

والنبوة الثانية من سفر الأمثال لسليمان الحكيم:

"مَنْ صَعَدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ؟ مَنْ جَمَعَ الرِّيحَ فِي حَفَنَتَيْهِ؟ مَنْ صَرَّ المِيَاهِ فِي ثَوْبٍ؟ مَنْ ثَبَّتَ جَمِيعَ أَطْرَافِ الْأَرْضِ؟ مَا اسْمُهُ؟ وَمَا اسْمُ ابْنِهِ
إِنْ عَرَفْتُمْ؟" (أم ٣٠: ٤)

والكلام هنا واضحٌ وصريحٌ عن الله الذي له السلطان على الريح والمياه والأرض، ثم يأتي السؤال "ما اسمه؟ وما اسم ابنه إِنْ عَرَفْتُمْ؟" والسؤال هنا ليس مجرد سؤال عن اسم الله الآب أو عن اسم ابنه، بل يُقصد به استحالة إدراك الإنسان لطبيعة الله وسموه وعدم محدوديته. وما يعنينا هنا هو الإعلان عن ابن الله الذي لا بُدَّ وأن يكون إِلَهًا من نفس طبيعة الله الآب، وقد كان اليهود يقفون أمام هذا السؤال في حيرة عاجزين عن الإجابة أو الفهم أو الإدراك. ولكننا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور نعرف جيدًا ونذكر بالروح القدس "ما اسمه؟ وما اسم ابنه؟" فهو الله الآب، وابنُه هو ربنا يسوع المسيح الإله المتجسّد الذي جاء من أجل خلاصنا.

من هذا العرض المختصر عن الجوانب المتعددة التي أشارت إليها نبوات العهد القديم من حياة السيد المسيح، نكتشف أهمية النبوات التي تكاد أن تكون قد رَسَمَت صورة كاملة عن شخص الرب يسوع المسيح الذي تجسّد في ملء الزمان قبل مجيئه بمئات السنين، حتى إن اليهود الذين رفضوه هم بلا عذر. لذلك كان كتاب العهد القديم، بما يحتويه من نبوات، جزءاً أساسياً من كتابنا المقدس نرى فيه شخص السيد المسيح بكل وضوح على ضوء العهد الجديد الذي رأينا فيه تحقيقاً دقيقاً لهذه النبوات.



الاستنتاجات

١. أعطى الله الناموس لبني إسرائيل لأجل تحجيم الشر.
٢. كان الناموس يحتوي على وصايا مختلفة تختص بالسلوك، وكان حكمه على مَنْ يكسر أيًّا من هذه الوصايا هو الموت.
٣. الناموس مقدّس لأنه كلام الله وأحكامه. ولكنه لا يبرّر الخطاة بل يحكم عليهم (مع ملاحظة أن الجميع خطاة)، كما إنه لا يغفر الخطايا، ولا يعالج الضعف البشري.
٤. كما احتوت كُتُب العهد القديم على أسفار التوراة التي كانت تُمثّل الجانب التشريعي، كذلك احتوت على النبوات التي كانت تُمثّل إعلانات إلهية تشير بشكلٍ سريٍّ إلى المخلص كي تُعدّ البشرية لاستقباله.
٥. أشارت النبوات تقريبًا إلى كل جوانب حياة رب المجد يسوع المسيح المخلص، لكي لا يكون ظهوره كمخلصٍ ادعاءً؛ بل تحقيقًا للنبوات، التي أشارت إلى: نسبه حسب الجسد، ميلاده من عذراء، الموضع الذي وُلد فيه، هروبه إلى مصر، مسحته من الروح القدس في المعمودية، دخوله أورشليم كملك متواضع، بيعه بثلاثين من الفضة، آلامه الكفّارية وصلبيه، دفنه، قيامته من الأموات في اليوم الثالث، صعوده إلى السماوات، عمله كنبي، عمله ككاهن، وأخيرًا أنه هو الرب والإله.



القسم الثاني
باركتَ طبيعتي فيك



هذا هو القسم الثاني من موضوعنا العام "أنت الذي خدمت لي الخلاص".
وقد أعطيناه عنوان "باركت طبيعتي فيك"، وهو مأخوذ من صلوات القديس
الغريغوري.

إن كان القسم الأول قد اختصَّ بفترة ما قبل مجيء المسيح بدءًا من خلق الإنسان
إلى إعداد الله لفدائه مرورًا بالسقوط والموت، فإن القسم الثاني كله سيتعلّق بحياة السيد
المسيح الإله الكلمة المتجسّد.

سنتناول حياة السيد المسيح من خلال ثلاثة موضوعات:

١. التجسّد

٢. حياة السيد المسيح المقدسة على الأرض

٣. الصليب والقيامة والصعود

الموضوع الأول

التجسّد

تجسّد الرب يسوع المسيح هو بداية التحقيق الفعلي لعمل الخلاص الذي كان في فكر الله منذ الأزل. فبعد فترات الإعداد الطويلة التي هيّا الله خلالها البشرية لمجيئه بالوسائل المختلفة، والتي سبق لنا الحديث عنها، مثل اختيار شعب إسرائيل وإرسال الأنبياء بالنبوات وإعطاء الناموس بما يحتويه من طقوس وذبائح وشرائع؛ جاء الله الكلمة إلينا متجسّداً على الأرض، لتبدأ مرحلة جديدة فيها يتحقّق كل ما سبق من نبوات وتدابير إلهية من أجل خلاصنا.

في إجاباتنا للأسئلة حول موضوع "التجسّد" نتناول مفهوم التجسّد وأسبابه وبركاته، مع التأكيد على أنه لم يكن من سبيل آخر لخلاصنا سوى تجسّد الله الكلمة، وأنه لا تعارض بين التجسّد وبين عدم محدودية الله أو بين عظّمته وكرامته.

١ - ما هو مفهوم التجسد؟

في بداية إجابتنا على هذا السؤال عن مفهوم تجسد السيد المسيح، نلتقط أول إشارة عن هذا الموضوع من حديث الملاك جبرائيل مع العذراء مريم أثناء تبشيرها كما ورد في بشارة القديس لوقا البشير:

"فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم، لأنك قد وجدتِ نعمةً عند الله. وها أنتِ ستحبلين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيمًا، وابن العليّ يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسيّ داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرفُ رجلاً؟ فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحلُّ عليك، وقوة العليّ تظللُك، فذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله." (لوقا : ٣٠-٣٥)

من هذا الحديث نفهم أن العذراء مريم ستحبل بطريقة معجزية بدون زرع بشر، وأنها ستلد إنساناً كاملاً حقيقياً اسمه يسوع؛ ولكنه في الحقيقة، كما أخبرنا الملاك، هو القدوس ابن الله الذي ليس لملكه نهاية. كما نفهم أيضاً من هذا الحديث كيفية حدوث ذلك إذ يقول الملاك: "الروح القدس يحلُّ عليك، وقوة العليّ تظللُك". أي أن هذا الأمر سيتم بقوة الله الأب "العليّ" وبحلول الروح القدس، وبالتالي المولود هو إله كامل وإنسان كامل كما سنرى فيما يلي.

ويقدّم لنا القديس يوحنا الإنجيلي صورة جميلة عن مفهوم التجسد في بداية إنجيله، فبعد حديثه عن الله الكلمة الأزلي الكائن قبل كل الدهور، كما ذكر في أول آية من بشارته "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يو: ١)، نجده يقول:

"والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا، وأرأينا مجده، مجداً كما لوحيده من الأب، مملوءاً نعمةً وحقاً." (يو: ١٤)

فالكلمة الذي كان في البدء ومنذ الأزل عند الله، وهو الإله بالحقيقة؛ قد صار جسداً وحلّ بيننا، ورأته أعيننا. ويجب أن نفهم أن عبارة "والكلمة صار جسداً" لا تعني أن الكلمة قد تحوّل إلى جسدٍ أو أصبح جسداً بمعنى أنه قد تغيّر أو تبدّل، بل هي تعني أنه اتخذ جسداً أو اقتنى جسداً وصار إنساناً مثلنا. ثم بعد ذلك يقول "ورأينا مجده" أي رأينا مجد الابن المتجسّد، كما يقول يوحنا أيضاً: "الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر" (يو ١: ١٨).

ومن الآيات التي تحمل مفهوماً عن التجسّد ما يذكره معلّمنا القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيلبّي:

"فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً: الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب." (في ٢: ٥-٨)

حيث يُطالبنا الرسول هنا بأن نتشبّه بالسيد المسيح، ويكون لنا فكر الاتضاع مثله، إذ قد تجلّت قمة اتضاع المسيح في تجسّده. فالرب يسوع المسيح هو صورة الله الحقيقي المعادل والمساوي للآب، كما يؤكّد القديس بولس الرسول بقوله: "الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله"، أي أن مساواة السيد المسيح للآب ليست اختلافاً منه أو إدعاءً لما ليس له من حق، بل هو بالحقيقة معادلٌ ومساوٍ لله أباه. لكن بينما هو كذلك، إلّا أنه وضع نفسه وتجسّد متخليّاً عن مجده الإلهي "آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس". وقد قام بذلك من أجل طاعته لله أباه الذي كان يشاء خلاصنا. ولم تكن طاعة الرب يسوع فقط في تجسّده، بل بلغت طاعته واتضاعه القمة عند الصليب "وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب".

ويقول أيضًا القديس بولس الرسول في الرسالة إلى العبرانيين عن تجسّد الابن:

"لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحةً وقرباناً لم تُرد، ولكن هيأت لي جسداً. بمُحرقَاتٍ وذبائحٍ للخطية لم تُسرَّ." (عب ١٠: ٥، ٦)

يستشهد القديس بولس الرسول في هذه الآية بما جاء في المزمور (مز ٤٠: ٦)^١، حيث الابن عند تجسّده "عند دخوله إلى العالم"، كما لو كان يخاطب الآب قائلاً "ذبيحةً وقرباناً لم تُرد، ولكن هيأت لي جسداً. بمُحرقَاتٍ وذبائحٍ للخطية لم تُسرَّ"، مُعبِّراً عن عدم نفع الذبائح الدموية والمحرقَات في التكفير عن خطايا الإنسان وفدائه. لذلك فقد هيأ الآب لابنه جسداً حتى يتمّ بواسطته فداء الإنسان. إذاً الابن الكلمة قد اتخذ جسداً لكي يقدّمه ذبيحةً من أجل خلاصنا.

ونجد نفس المعاني السابقة في صلوات القديس:

«أنتَ الكائن في كل زمان. أتيتَ إلينا على الأرض. أتيتَ إلى بطن العذراء. أيها غير المحوى، إذ أنتَ الإله لم تُضمِر اختطافاً أن تكون مساوياً لله، لكن وضعتَ ذاتكَ وأخذتَ شكل العبد.» (القديس الغريغوري)

ثم ننتقل إلى "الثيوطوكيات" التي تُعتَبَر أحد أهم المصادر التي تشرح لنا سرّ التجسّد ومفهومه في الكنيسة. وكما نعلم إن الثيوطوكيات هي تماجيد قيلت لمَدح العذراء مريم "الثيوطوكوس" أي "والدة الإله"، إلّا إنها تحتوي على عبارات ومفاهيم في غاية العمق تخصُّ السيد المسيح وتجسّده وخلاصه. على سبيل المثال في ثيوطوكية الأحد نقول:

«واحدٌ من اثنين: لاهوت قدوس بغير فساد مساوٍ للآب، وناسوت ظاهر بغير مباضعة، مساوٍ لنا كالتدبير. هذا الذي أخذه منك أيتها غير الدنسة، واتَّحدَ به كأقنوم.» (ثيوطوكية الأحد، القطعة الثانية)

^١ اقتباس القديس بولس الرسول لهذه الآية هو بحسب نصّها في الترجمة السبعينية.

هذه الكلمات تشرح لنا أن السيد المسيح هو شخص واحد، له طبيعة واحدة من طبيعتين: طبيعة لاهوتية من نفس جوهر الآب، وطبيعة ناسوتية مماثلة لطبيعتنا نحن كبشر، لكن مع الفارق أن ناسوت المسيح طاهرٌ أي بلا خطية. وقد أخذ الرب يسوع ناسوته من العذراء مريم بغير مباحضة، أي بدون زرع بشر، بعمل إلهي فائق بحسب التدبير الإلهي لخلاصنا. وتقول النيوطوكية إن هذا الاتحاد بين لاهوت السيد المسيح وناسوته هو اتحادٌ أُنومِيٌّ، بمعنى أن التجسّد لم يُدخل على أُنوم الابن شخصاً آخر خارجاً عنه. وبالتالي لم يُدخل عليه تغييراً أو إضافةً، بل ظلَّ أُنوماً واحداً أي شخصاً واحداً له طبيعة واحدة من طبيعتين.

وفي نيوطوكية الأربعاء نقول:

«السلام لمعمل الاتحاد غير المُفترق الذي للطبائع، التي أتت معاً إلى موضع واحدٍ بغير اختلاط.» (نيوطوكية الأربعاء، القطعة الخامسة)

حيث تُشَبَّه العذراء مريم، التي حَبَلَتْ بالرب يسوع المسيح، بالمعمل الذي في داخله قد تمَّ الاتحاد بين الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية دون أن يفترقا عن بعضهما البعض، ودون أن يختلطا ببعضهما البعض في نفس الوقت، كمثل اتحاد الحديد بالنار بحسب التشبيه المشهور للقديس كيرلس الكبير.

كذلك في نيوطوكية الخميس نقول:

«لم يَزَلْ إلهًا، أتى وصار ابن بشر، لكنه هو الإله الحقيقي، أتى وخلصنا.» (نيوطوكية الخميس، القطعة الأولى)

نجد في هذا الجزء تأكيداً على عدم تغْيُر الله الكلمة أو تحوُّله. فبينما هو إلهٌ على الدوام، إلا أنه في زمنٍ معيَّنٍ قد صار ابن بشر بواسطة التجسّد واتحاد لاهوته بناسوته، حتى يتمكن من تحقيق خلاصنا.

وفي ثيوطوكية الخميس أيضاً نجد عبارة جميلة تقول:

«الواحد وحده الكلمة المولود قبل كل الدهور باللاهوت بغير جسد من الآب وحده، هو ذاته أيضاً وُلِدَ جسدياً بغير تغيير ولا تحوّل من أمه وحدها.» (ثيوطوكية الخميس، القطعة الثالثة)

فالابن الوحيد الجنس المولود من الآب قبل كل الدهور ولادة أزلية غير موصوفة، هو هو نفسه قد وُلِدَ بالجسد من السيدة العذراء مريم وحدها دون أن يتغيّر أو يتحوّل من جهة طبيعته اللاهوتية. وهذه العبارة تعكس ما يردّه آباء الكنيسة دائماً من أن للسيد المسيح ميلادين:

الأول: أزلي قبل كل الدهور من الآب.

الثاني: زمني في ملء الزمان من العذراء القديسة مريم.

وآخر ما نستشهد به في إجابتنا على هذا السؤال هو قول للقديس كيرلس الكبير:

«إن ما وُلِدَ من (القديسة العذراء) مريم بحسب الكتب كان جسداً بشرياً بحسب الطبيعة. فقد كان جسد الرب حقيقياً إذ أنه كان مساوياً لأجسادنا تماماً، لأن (القديسة العذراء) مريم كانت أختنا على قدر ما إننا جميعاً من آدم.» (القديس كيرلس الكبير)

هنا القديس كيرلس يؤكد ما سبق شرحه من أن جسد السيد المسيح هو جسد حقيقي^٢ مساوٍ لأجسادنا تماماً، ومن نفس طبيعتنا، وليس من أي طبيعة أخرى. وقد أخذ من العذراء القديسة مريم، والتي يقول عنها القديس كيرلس أنها "أختنا على قدر ما إننا جميعاً من آدم". فالعذراء القديسة مريم هي أختنا من حيث أنها تشترك معنا جميعاً كبشر في بنوتنا وانتسابنا لآدم، وبالتالي عندما أخذ السيد المسيح جسده منها، كان جسداً حقيقياً مساوياً لأجسادنا تماماً، ولكن بلا خطية.

^٢ وليس جسداً خيالياً كما قال بعض الهرطقة مثل أوطاخي.

وإجمالاً نقول إن مفهوم التجسّد هو أن الله الكلمة، المولود من الآب قبل كل الدهور والمساوي له، قد أخلّى ذاته وأخذ جسداً حقيقياً مساوياً لأجسادنا تماماً من القديسة العذراء مريم، ليصير شخصاً واحداً له طبيعة واحدة من طبيعتين: طبيعة لاهوتية وأخرى ناسوتية في اتحادٍ كاملٍ بغير اختلاطٍ ولا امتزاجٍ ولا تغييرٍ.



٢ - لماذا تجسّد المسيح؟

٣ - ما هي بركات التجسّد التي حصل عليها الإنسان؟

كثيراً ما يُوجّه إلينا نحن المسيحيين السؤال عن سبب تجسّد المسيح وهو الإله الخالق. ونستطيع أن نعدّد بعض أسباب التجسّد وبركاته فيما يلي:

أ - إتمام الخلاص

لقد ذكّرت أسفار العهد الجديد بوضوح أن إتمام الخلاص هو أهم أسباب التجسّد وبركاته. وفيما يلي بعض الشواهد التي تؤكد ذلك :

"ولكن فيما هو مُتفكّر في هذه الأمور، إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا." (مت ١ : ٢٠-٢٣)

"فقال لهم الملاك لا تخافوا! فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب: أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب." (لو ٢ : ١٠، ١١)

"صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول: أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا." (١ تي ١ : ١٥)

ونلاحظ أن الاسم الذي دُعي به الله الكلمة المتجسّد هو "يسوع" ومعناه "مخلص".

ب — المحبة للبشر

نصليّ في التسبحة قائلين:

«لأنّه غلبَ من تحنُّنه، وأرسل لنا ذراعه العالية. أشرق
جسديّاً من العذراء بغير زرع بشر حتى خلّصنا.»
(ثيوطوكية الاثنتين، القطعة الخامسة)

أي أن سبب إرسالية الابن إلى العالم بالتجسّد هو محبة الآب وحنُّه على جنس
البشر من أجل خلاصنا. ولا يفوتنا أن نقف عند التعبير الجميل الذي تعبّر به التسبحة
عن محبة الآب للبشرية "لأنّه غلبَ من تحنُّنه، وأرسل لنا ذراعه العالية". و"ذراعه
العالية" هو الابن المرسل إلى العالم متجسّداً.

وفى عدة أقوال للقديس أثناسيوس الرسولي والقديس كيرلس الكبير نجد التأكيد على
محبة الله للبشرية كسبب رئيسيٍّ لتجسّد المسيح من أجل خلاصنا:

«... ولكي لا تظن أن مخلصنا كان محتاجاً بطبيعته أن يلبس جسداً، بل
لكونه بلا جسد بطبيعته، ولكونه هو الكلمة، فإنه بسبب صلاح أبيه
ومحبته للبشر، ظهر لنا في جسدٍ بشريٍّ لأجل خلاصنا.»
(تجسّد الكلمة ف ٣/١)

«عظيم حقاً وفائق للطبيعة هو حب الآب، الذي من أجل حياة العالم
أعطى ابنه الخاص، الذي هو منه حقاً.» (القديس كيرلس الكبير)
«فمن أجل تحنُّنه ومحبته للبشر أخذ شكلنا، وأخضع نفسه للألم
ولإهانات اليهود الواقعة عليه.» (القديس كيرلس الكبير)

ج — إبادة الفساد والموت

لقد أخذ الرب يسوع المسيح جسداً قابلاً للموت مماثلاً لأجسادنا تماماً لكي يموت بهذا الجسد، ثم يقوم من الموت منتصراً عليه، وبذلك يكون قد أباد الموت والشيطان الذي له سلطان الموت.

وقد أوضح القديس بولس الرسول ذلك في الرسالة إلى العبرانيين قائلاً:

"فإذ قد تَشَارَكَ الأولاد في اللحم والدم اشتراك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يُبِيدَ بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس." (عب ٢: ١٤)

هنا يؤكد الرسول على اشتراك السيد المسيح في طبيعتنا البشرية بالتجسّد. ثم بموته بالجسد يبِيد إبليس الذي له سلطان الموت.

ونستشهد أيضاً بعدة أقوال للقديس أثناسيوس الرسولي والقديس كيرلس الكبير، تؤكد جميعها أن التجسّد كان هدفه أن يجتاز المخلّص الموت ويقدم جسده ذبيحةً عنا لكي يبِيد الموت ويبطل الفساد الذي أصاب طبيعتنا:

«إن الكلمة صار جسداً... خصيصاً لكي يتمكن أن يذوق الموت بهذا الجسد.» (القديس أثناسيوس الرسولي)

«ولمّا كان من الواجب وفاء الدّين المستحقّ على الجميع، إذ كان الجميع مستحقّين الموت، فلأجل هذا الغرض جاء المسيح بيننا. وبعدما قدّم براهين كثيرة على ألوهيته بواسطة أعماله في الجسد، فإنه قدّم ذبيحته عن الجميع، فأسلم هيكله للموت عوضاً عن الجميع: أولاً لكي يبرّرهم ويحرّرهم من المعصية الأولى. وثانياً لكي يُثبِت أنه أقوى من الموت، مظهرًا جسده الخاص أنه عديم الفساد، وأنه باكورة لقيامة الجميع.» (تجسّد الكلمة ف ٢/٢٠)

«وهكذا تمّ (في جسد المسيح) إعلان متناقضان في نفس الوقت: الأول هو أن موت الجميع قد تمّ في جسد الرب (على الصليب). والثاني هو أن الموت والفساد قد أُبَيِّدا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به. فقد كان الموت حتمياً، وكان لا بُدَّ أن يتمّ الموت نيابةً عن الجميع لكي يوفي الدَّيْن المستحقّ على الجميع.» (تجسّد الكلمة ف ٥/٢٠)

«إنه لكونه إلهاً بطبعه يُعْتَبَر خارج نطاق الألم، ولكنه سرّاً أن يتألّم ليخلّص الذين تحت الفساد... لذلك اقتنى جسداً قابلاً لأن يذوق الموت.» (القديس كيرلس الكبير)

«فلم تكن هناك وسيلة أخرى لزعزعة سلطان الموت إلا فقط بتجسّد الابن الوحيد.» (القديس كيرلس الكبير)

«لقد كان تجسّد الكلمة وتأنسه أمراً لا بُدَّ منه لخلاص الذين على الأرض. فلو لم يكن قد وُلِدَ مثلنا بحسب الجسد، لما كان قد اشترك في الذي لنا، وبالتالي لما كان قد حرّر طبيعة الإنسان من الوصمة التي أصابتها في آدم، وما كان قد طرد الفساد من أجسادنا، وما كانت قوة اللعنة الآتية إلى المرأة الأولى قد أُبْطِلَتْ.» (القديس كيرلس الكبير)

د — إعادة الحياة والشركة مع الله

إن كان مخلصنا بتجسّده ثم موته بالجسد قد أباد الموت وأبطل الفساد الذي أصاب طبيعتنا البشرية، فإنه أيضاً بتجسّده قد أعاد لنا الحياة، وأعاد لنا الشركة مع الثالوث القدوس.

يقول القديس يوحنا الحبيب في رسالته الأولى:

"الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شأهنا، ولمسّته أيدينا من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة أظهرت، وقد رأينا

ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا.
(أيو ١: ١، ٢)

فالقديس يوحنا يشهد — نيابةً عن باقي الرسل — أن الابن الكلمة، "الذي كان من البدء"، "كلمة الحياة"، قد اتخذ جسدًا حقيقيًا سمّعه ورأوه بعيونهم ولمسته أيديهم. وبتجسده أظهرت الحياة التي حرّم منها الإنسان نتيجة موت الخطية.

ويضع القديس كيرلس الكبير مبدأً لاهوتيًا في غاية الأهمية عن ضرورة تجسّد المسيح بجسد بشري كامل حقيقي من أجل شفاء الإنسان من موت الخطية وإعادة الحياة إليه، فيقول:

«ما لا يؤخذ لا يمكن أن يُشفى، فإن ما صار متحدًا بالله هذا فقط يُخلص.» (القديس كيرلس الكبير)

جاء هذا المبدأ الهام للتأكيد على أن الله الكلمة قد تجسّد بجسد كامل حقيقي مماثل لأجسادنا تمامًا ما خلا الخطية وحدها. وقد كان ذلك ضروريًا لأنه إن لم يكن مخلصنا قد اتحد بجسد مماثل لطبيعتنا البشرية بكل مكوناتها: الجسد والنفس والروح، لمّا نالت طبيعتنا البشرية الشفاء من موت الخطية، ولمّا استعادت الحياة التي حرّمت منها. جاء ذلك ردًا على أبوليناريوس أحد الهرطقة الذين قالوا بأن ناسوت المسيح ليس له روح إنسانية، على أساس أن هذا الناسوت خاص بالابن الكلمة؛ وحيث أن الابن هو إله، والله روح، فقد قال أبوليناريوس إن اللاهوت حلّ محل الروح الإنسانية في ناسوت المسيح، وبالتالي تكون نتيجة هرطقة أبوليناريوس أن ناسوت المسيح مختلف عن طبيعتنا البشرية.

من هنا جاء المبدأ الذي نتحدّث عنه ليؤكد أن ناسوت المسيح كامل حقيقي، له نفس طبيعتنا بكل مكوناتها من جسد وروح إنسانية. وبدون أن يكون ناسوت المسيح من نفس طبيعتنا تمامًا، فلا يمكن أن يُخلصنا. لأن ما لم يأخذه المسيح من طبيعتنا في ناسوته، فهذا لن ينال الشفاء من الموت ولن ينال الخلاص والحياة الأبدية. وبحسب هرطقة أبوليناريوس، إن كان ناسوت المسيح ليس له روح إنسانية، فلا يكون ناسوت

المسيح كاملاً، ولا تكون أرواح البشر قد نالت الخلاص واستعادت الحياة بالاتحاد بالله بعد الانفصال بسبب الموت.

إذاً بالتجسّد اتّحد الله الكلمة، الذي "فيه كانت الحياة" (يو ١: ٤)، بالطبيعة البشرية المائتة، لكي تستعيد الشركة مع الله، وبالتالي تستعيد الشركة في الحياة والخلود. ونجد هذا المعنى بوضوح في ثلاثة أقوال للقديس كيرلس الكبير:

«كيف كان يمكن للإنسان الذي صار تحت سلطان الموت أن يستعيد الخلود؟ كان لا بدّ من أن يدخل جسده الميت في شركة قوة الله المحيية، أمّا قوة الله المحيية فهي اللوغوس وحيد الآب.» (القديس كيرلس الكبير)

«في ملء الزمان صار (الكلمة) إنساناً منظوراً وملموساً، لكي يجمع كل شيء في نفسه، ويحتوي كل شيء، ويبيد الموت، ويظهر الحياة، ويعيد الوحدة بين الله والإنسان.» (القديس كيرلس الكبير)

«كان ينبغي أن (الكلمة) يُقاوم الشيطان الذي كان غالباً لنا في الأول، وأن يتجرّد لمقاتلته عنّا، لأنّه لأجل هذا الفعل قد أهبط نفسه إلى الإخلاء بإرادته، حتى يجعلنا شركاء لامتلأه الخاص.» (القديس كيرلس الكبير)

هـ - التبنّي والرجاء في ملكوت السماوات

أخيراً نقول إنه لولا تجسّد الرب يسوع المسيح، كبداية لتحقيق عمل الخلاص بالصليب والقيامة والصعود، لمّا نلنا التبنّي لله، ولا كان لنا رجاء الحياة الأبدية في ملكوت السماوات.

نجد ذلك صراحةً في رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل غلاطية:

"ولكن لمّا جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبنّي." (غل ٤: ٤، ٥)

ويؤكد القديس كيرلس الكبير على أنه بتجسّد المسيح واتحاده بطبيعتنا البشرية، قد صرنا خاصته وشعبه المدعوين لميراث ملكوت السموات:

«نحن جنسه على الرغم من كونه إلهاً بطبعه، ذلك لأنه قد أخذ منا هذا الجسد عينه.» (القديس كيرلس الكبير)

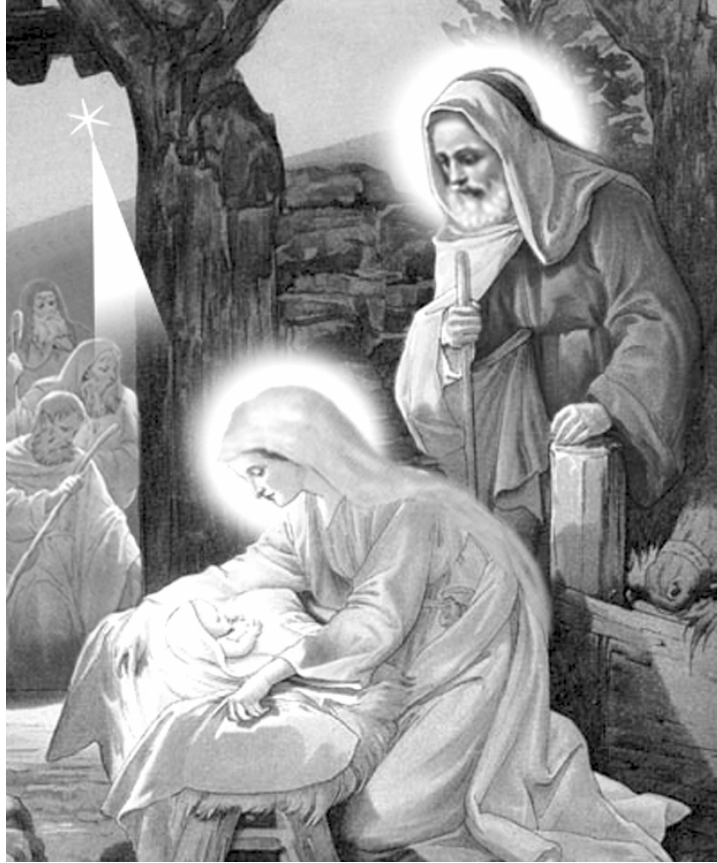
«لَمَّا وُلِدَ جسده من مريم والدة الإله، قيل إنه هو نفسه المولود مع أنه هو الماتح الجميع الميلاد لكي يُوجدوا به! وكان ذلك لكي يحوّل إلى نفسه ميلادنا نحن. فلم نَعُدْ بعد مجرد تراب مزمعين أن نعود إلى التراب، بل قد صرنا متّحدين بالكلمة السماوي الذي سيرفعنا معه حتى إلى السماء!» (القديس كيرلس الكبير)

وفى ثيوطوكية يوم الثلاثاء من التسبحة:

«وهكذا أيضاً تجسّد منك بغير تغيير بجسد ناطق مساو لنا، كامل وله نفس عاقلة. بقى إلهاً على حاله وصار إنساناً كاملاً، لكي يحلّ زلّة آدم ويخلص من هلك. ويصيرُه مدنيّاً (مواطناً) في السموات، ويردّه إلى رئاسته كعظيم رحمته. لأنه بإرادته ومسرة أبيه والروح القدس أتى وخلصنا.» (ثيوطوكية الثلاثاء، القطعة الرابعة)

نجد التعبير الرائع أن المسيح تجسّد "لكي يحلّ زلّة آدم ويخلص من هلك. ويصيرُه مدنيّاً في السموات، ويردّه إلى رئاسته كعظيم رحمته". وكلمة "مدنيّاً في السموات" يُقصد بها "مواطناً في السموات". فإن كان آدم قد قيل له بسبب الخطية أنه "ترابٌ وإلى ترابٍ يعود" (تك ٣: ١٩)، فبتجسّد الرب يسوع المسيح آدم الثاني قد صار الإنسان مواطناً في السموات كقول معلّمنا القديس بولس الرسول: "فإن سيرتنا نحن هي في السموات" (في ٣: ٢٠).

أخيراً نختم إجابتنا بأن التجسّد هو بداية كل أعمال المسيح الخلاصية من حياة مقدسة على الأرض، ومعمودية وصليب وقيامة وصعود. ولولا التجسّد ما كان لكل هذه الأعمال الخلاصية أن تتمّ.



٤- هل كان التجسّد حدثًا مفاجئًا أم بتدبير سابق في فكر الله؟

٥- ماذا يقصد الكتاب المقدس بتعبير "ملء الزمان"؟

لم يكن التجسّد حدثًا مفاجئًا بل بتدبير سابق في فكر الله. يقول القديس بولس الرسول في رسالته الثانية لتلميذه تيموثاوس:

"الذي خلّصنا ودعانا دعوةً مقدسةً، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيَت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلوية، وإنما أُظهِرَت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت وأُناَر الحياة والخلود بواسطة الإنجيل." (٢ تي ١: ٩، ١٠)

فنحن قد خلّصنا ودُعينا ليس بسبب أعمالنا، بل بسبب النعمة. وهذه النعمة التي أُعطيَت لنا كانت في تدبير الله "قبل الأزمنة الأزلوية". وبالتالي تجسّد المسيح الذي من خلاله قد حصلنا على هذه النعمة كان في تدبير الله قبل الأزمنة الأزلوية. ولكن هذه النعمة قد "أُظهِرَت الآن"، وكلمة "الآن" هنا تعني منذ مجيء المسيح في الجسد وحتى مجيئه الثاني. إذاً فنعمة المسيح وإن كانت قد أُظهِرَت في زمنٍ معيّن، إلّا أن الله قد رتّب لها بتدبير إلهي سابق منذ الأزل.

ونفس هذا المعنى نجده في رسالة أفسس:

"إذ عرّفنا بسرّ مشيئته، حسب مسرّته التي قصدّها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السماوات وما على الأرض، في ذاك الذي فيه أيضًا نلّنا نصيبًا، مُعيّنين سابقًا حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته، لنكون لمدح مجده، نحن الذين قد سبق رجّأونا في المسيح." (أف ١: ٩-١٢)

إذاً فالتجسّد كان في تدبير الله السابق، ولكنه عرّفنا به في "ملء الأزمنة". أمّا تعبير "ملء الزمان" أو "ملء الأزمنة" فيعني اكتمال الزمان أو وصول الزمان إلى كماله لكي

يحدث فيه أمرٌ ما. لذلك استخدمه الكتاب المقدس للإشارة إلى أن خطة الخلاص الإلهي قد وصلت إلى مرحلة التنفيذ الفعلي.

ويتحدّث القديس بطرس الرسول عن تدبير الله الأزلي لخلاصنا قائلاً:

"عالمين أنكم افْتُدِّيتُمْ لا بأشياءٍ تَفْنَى، بفضةٍ أو ذهبٍ، من سيرتكم الباطلة التي تقلّدتُموها من الآباء، بل بدمٍ كريمٍ، كما من حملٍ بلا عيبٍ ولا دنسٍ، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظْهِرَ في الأزمنة الأخيرة من أجلكم، أنتم الذين به تؤمنون بالله الذي أقامه من الأموات وأعطاه مجداً، حتى إن إيمانكم ورجاءكم هما في الله."
(١بط ١: ١٨-٢١)

فخلاص المسيح بتجسّده وسفك دمه، لم يكن أمراً فجائياً، بل كان معروفاً منذ الأزل أي قبل تأسيس العالم، ولكنه قد أُظْهِرَ لنا أخيراً عندما جاء الوقت لتحقيقه.

ويقول أيضاً القديس بطرس الرسول في أولى عظاته بعد حلول الروح القدس:

"هذا أخذتموه مُسَلِّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، وبأيدي أئمةٍ صلبتموه وقتلتموه." (أع ٢: ٢٣)

فالقبط على السيد المسيح وصلبه وموته لم تكن أموراً فرضتها الظروف، بل كانت بحسب خطة إلهية في تدبير الله "بمشورة الله المحتومة"، معروفة له منذ الأزل بحسب علمه السابق^٣.

^٣ بالطبع لا يعني هذا أن الله هو الذي دفع اليهود لأن يصلبوه، بل هم الذين أقدموا على هذه الخطية بكامل حريتهم وإرادتهم، ولذلك هم مسئولون عنها مسئولية كاملة. لكن الله بعلمه السابق كان يعلم بخطيتهم هذه، وقد استخدمها في خطته الإلهية وتدبيره لخلاصنا.

لذلك نجد أن السيد المسيح في بداية خدمته كان يقول:

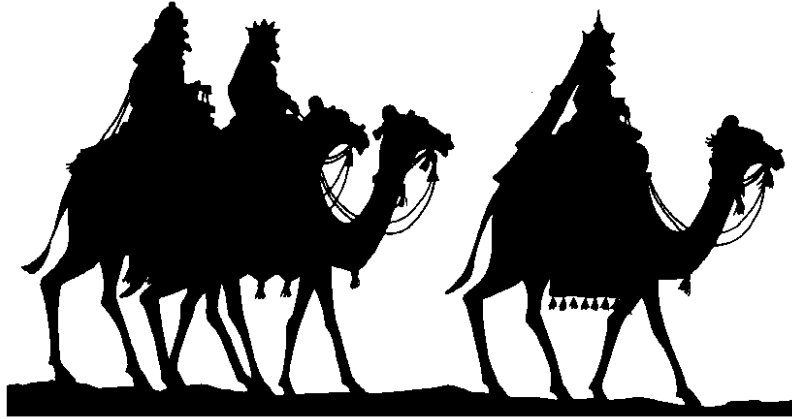
"وبعدما أُسْلِمَ يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله
ويقول قد كَمَلَ الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل."
(مر ١: ١٤، ١٥)

فرب المجد يسوع هنا يقول "قد كَمَلَ الزمان" أي أن الزمان قد اكتمل، ووصل إلى
ملئه، وبدأت خطة الله الخلاصية تصل إلى تمامها.

وأخيراً نختم بما قاله القديس بولس الرسول:

"ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً
تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني." (غل ٤: ٤)

فخلاص الإنسان وفداؤه كانا في فكر الله منذ الأزل، ولكن لما جاء زمن تحقيقهما
"ملء الزمان"، أرسل الله ابنه الوحيد الجنس ليكمل ذلك من أجلنا.



٦- لماذا كان لا بُدَّ أن الذي يتجسّد ويُخلّص العالم هو الله الكلمة؟

٧- هل كان يمكن لكائنٍ آخر غير الله الكلمة أن يتجسّد ليُخلّص

البشرية؟

قيل عن الرب يسوع المسيح في الكتاب المقدس:

"فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس." (يو ١: ٩)

"قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحدٌ يأتي إلى الآب إلاَّ بي." (يو ١٤: ٦)

"مَنْ له الابن فله الحياة، وَمَنْ ليس له ابن الله فليست له الحياة."
(يو ٥: ١٢)

أي أن الرب يسوع المسيح هو الحياة، وبالتالي لا يمكن للإنسان الخاضع تحت سلطان الموت أن ينال الحياة من جديد إلاَّ من خلال الرب يسوع المسيح الذي هو الحياة الحقيقية.

وفي صلوات القديس الغريغوري نصلي قائلين:

"...الذي من أجل الصلاح وحده ممّا لم يكن كوّنَت الإنسان، وجعلته في فردوس النعيم. وعندما سقط بغواية العدو ومخالفة وصيتك المقدسة، وأردت أن تُجَدِّده وترُدَّه إلى رتبته الأولى، لا ملاك، ولا رئيس ملائكة، ولا رئيس آباء، ولا نبيًا اتّمنته على خلاصنا. بل أنت، بغير استحالة، تجسّدت وتأنّست وشابهتنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها، وصرت لنا وسيطاً لدى الآب، والحاجز المتوسط نقضته، والعداوة القديمة هدمتها. وصالحت الأرضيين مع السمايين، وجعلت الاثنين واحداً، وأكملت التدبير بالجسد." (صلاة الصلح في القديس الغريغوري)

فلم يكن يَصْلُحُ أن يرسل الله لنا نبيًّا أو ملاكًا أو حتى رئيس ملائكة لكي يتمَّ خلاصنا، الذي لم يكن ليتِمَّ إلَّا بتجسُّد وتأنُّس الله الكلمة نفسه لكي يشابهنا في كل شيء ويصير وسيطاً بيننا وبين الله، ولكي ينقض الحاجز المتوسط ويهدم العداوة القديمة. أمَّا أيُّ من المخلوقات، وحتى الملائكة، فقد كانت تعجز عن تحقيق ذلك كما يقول القديس بولس الرسول:

«ثم لَمَنْ من الملائكة قال قَطُّ اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطنًا لقدميك؟ أليس جميعهم أرواحًا خادمة مُرسلةً للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص». (عب ١: ١٣، ١٤)

فالملائكة مجرد أرواح خادمة عملها هو خدمة الوارثين للخلاص، وليس على الإطلاق تقديم هذا الخلاص أو منحه للبشرية؛ بل فقط المسيح هو الذي يستطيع ذلك، المسيح الذي سحق الموت واضعًا أعداءه تحت قدميه، وجلس عن يمين الآب إلى أن يأتي في مجده في مجيئه الثاني.

لقد قام القديس أنثاسيوس بشرح هذا الأمر باستفاضة في كتاب تجسُّد الكلمة قائلاً: «والآن إذ نشرح هذا الأمر، فإنه يليق بنا أن نبدأ أولاً بالحديث عن خَلْق الكون كله وعن الله خالقه، وهكذا يستطيع المرء أن يدرك أن تجديد الخليقة تمَّ بواسطة الكلمة الذي هو خالق الخليقة في البدء. وهكذا يتَّضح أنه ليس هناك تناقض في أن يتمَّ الآب خلاص العالم بالكلمة الذي به خُلِقَ العالم.» (تجسُّد الكلمة ف ١/٤)

يوضِّح القديس أنثاسيوس هنا أن الخليقة كلها قد خُلِقَتْ بواسطة الله الكلمة؛ وبالتالي فعندما أراد الله تجديد هذه الخليقة بعد سقوطها، كان يجب أن يتمَّ ذلك بواسطة الله الكلمة الذي خَلَقَ منذ البدء.

ويقول القديس أنثاسيوس أيضًا:

«وبعد ذلك يوضِّح (القديس بولس الرسول) السبب الذي من أجله كان ضروريًّا أن الله الكلمة نفسه، وليس آخر سواه، هو الذي يتجسَّد

فيقول: "لأنه لاقى بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يُكَمَّلَ رئيس خلاصهم بالآلام" (عب ٢: ١٠)، وهو بهذا يقصد أن يوضّح أنه لم يكن أحدٌ آخر يستطيع أن يستردّ البشر، من الفساد الذي حدث (نتيجة السقوط)، غير كلمة الله الذي خلّقهم في البداية.» (تجسّد الكلمة ف ٣/١٠)

أي لم يكن يوجد كائنٌ ما يستطيع أن يستردّ البشر من الفساد الذي لحقَ بهم، وأن يُعيد تجديدهم؛ إلاّ الله الكلمة نفسه، وليس آخر سواه، إذ أنه هو الذي خلّقهم من البداية.

ويستكمل القديس أنثاسيوس حديثه حول هذا الموضوع فيقول:

«أفلا يُشفق الله بالأوّلَى على خليقته كي لا تضلّ عنه، وتعيد الأشياء التي لا وجود لها، وبالأكثر عندما يظهر أن هذه الضلالة هي سبب هلاكهم وخرابهم؟ وليس لائقاً أن يهلك هؤلاء الذين قد كانوا مرّةً شركاء في صورة الله.

إذاً فما هو الذي كان ممكناً أن يفعله الله؟ وماذا كان يمكن أن يتمّ سوى تجديد الخليقة التي وُجدت على صورة الله، مرّةً أخرى؛ ولكي يستطيع البشر أن يعرفوه مرّةً أخرى؟ ولكن كيف كان ممكناً لهذا الأمر أن يحدث إلاّ بحضور نفس صورة الله — مخلصنا يسوع المسيح؟ كان ذلك الأمر مستحيلاً أن يتمّ بواسطة البشر لأنهم هم أيضاً خلُقوا على مثال تلك الصورة (وليس هم الصورة نفسها)، ولا أيضاً بواسطة الملائكة لأنهم ليسوا صُوراً (الله). ولهذا أتى كلمة الله بذاته لكي يستطيع — وهو صورة الآب — أن يُجدّد خلقة الإنسان على مثال الصورة.» (تجسّد الكلمة ف ٦/١٣، ٧)

فالله بدافع محبته للبشر أشفق عليهم وسعى لخلاصهم. وكان الحل — كما أوضح القديس أنثاسيوس — هو أن يأتي الله الكلمة نفسه، صورة الله، لكي يخلصهم ويجدّدهم

ويعرّفهم طُرُق الخلاص، لأنهم جميعًا مخلوقون على مثال تلك الصورة. وهذا الأمر لم يكن يصلح له أيُّ بشرٍ، لأنَّ البشر أيضًا مخلوقون على مثال صورة الله، وليسوا هم صورة الله نفسه. كما لا يصلح له أيُّ من الملائكة لأنهم أيضًا ليسوا صورة الله. لذلك قال القديس أثناسيوس: "أتى كلمة الله بذاته لكي يستطيع — وهو صورة الآب — أن يُجدّد خلقه الإنسان على مثال الصورة".

ونوجز حديثنا حول هذا الموضوع باستشهاد أخير للقديس أثناسيوس:

«لقد تحدّثنا إذاً، وباختصار على قدر المستطاع وبقدر ما أمكننا فهمه، عن سبب ظهوره في الجسد، وأنه لم يكن ممكناً أن يحوّل الفاسد إلى عدم الفساد إلاّ المخلص نفسه، الذي خلّق منذ البدء كل شيء من العدم. ولم يكن ممكناً أن يُعيد خلّق البشر ليكونوا على صورة الله إلاّ الذي هو صورة الآب. ولم يكن ممكناً أن يجعل الإنسان المائت غير مائت إلاّ ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها. ولم يكن ممكناً أن يُعلم البشر عن الآب، ويقضي على عبادة الأوثان، إلاّ الكلمة الذي يضبط كل الأشياء، وهو وحده الابن الوحيد الحقيقي.» (تجسّد الكلمة ف ١/٢٠)

إذاً لم يكن أيُّ مخلوقٍ من المخلوقات يستطيع أن يخلص البشر إلاّ الله الكلمة نفسه، لأنّه هو الوحيد الذي كان يستطيع أن ينزع الفساد من الإنسان إذ هو الذي خلّقه منذ البدء، وهو الوحيد الذي كان يستطيع أن يُعيد إليه صورة الله لأنّه هو صورة الله الواحد معه في الجوهر، وهو الوحيد الذي كان يمكن أن ينزع عنه الموت لأنّه هو الحياة، وأخيراً كان هو الوحيد الذي يستطيع أن يُعرّفه بالله لأنّه هو ابن الله الحقيقي الوحيد الجنس.



٨- هل صار المسيح محدودًا بالجسد؟

٩- كيف تجسّد المسيح وظلّ رغم ذلك غير محدودٍ؟

السيد المسيح بالطبع لم يُحدّ بالجسد، بل حتى في تجسّده ظلّ إلهاً غير محدودٍ كما سنرى.

ففي حديث الرب يسوع مع نيقوديموس قال له:

"وليس أحدٌ صعدَ إلى السماء إلاّ الذي نزلَ من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء." (يو ٣: ١٣)

أي أن الذي نزل من السماء مُتجسّدًا هو ذاته الذي صعدَ إلى السماء بالجسد مرّةً أخرى، وهو الذي على الدوام في السماء من جهة لاهوته.

ويقول القديس أثناسيوس:

"لأنه لم يكن محصورًا في الجسد — كما قد يتوهّم البعض، أو أنه بسبب وجوده في الجسد كان كل مكانٍ آخر خاليًا منه، أو أنه بينما كان يُحرّك الجسد كان العالم محرومًا من أفعال قدراته وعنايته..." (تجسّد الكلمة ف ١/١٧)

فالقديس أثناسيوس يؤكّد أن التجسّد لم يحصر الكلمة ولا حدّه، بل كما يوضّح القديس أثناسيوس بعد ذلك:

"وهكذا حتى مع وجوده في جسدٍ بشريٍّ، مُعطيًا الحياة له، فقد كان من الطبيعي أن يمنح الحياة للكون كله في نفس الوقت..." (تجسّد الكلمة ف ٢/١٧)

فعلى الرغم من اتحاد الكلمة بالجسد، إلّا إنه كان في نفس الوقت يمنح الحياة للكون كله. أي أن تجسّده لم يمنعه من ضبطه وعنايته ورحمته بالخلقة كلها.

ويؤكد القديس أثناسيوس أيضاً نفس هذه الفكرة حيث يقول:

"... لم يكن (الكلمة) مُقَيِّداً بسبب الجسد، بل بالحرّيّ كان يستخدم جسده، ولذلك فهو لم يُوجد في الجسد فقط، بل كان موجوداً بالفعل في كل شيء. وبينما كان خارج الكائنات، فقد كان في أبيه وحده مُستقراً".
(تجسّد الكلمة ف ١٧/٤)

فالله الكلمة كان مُستقراً في أبيه كما يقول الكتاب المقدس: "الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر" (يو ١: ١٨). ولكنه في نفس الوقت، إذ أنه غير محدود، كان متجسّداً بالحقيقة على الأرض، بل وكان مُقدّماً أعمال رحمته لكل الخليقة.

ويُوجد تشبيهان يُقرّبان لنا هذا المعنى:

أ — إذا أخذنا إناءً فارغاً وغمرناه في البحر، فالإناء يمتلئ من الماء، وذلك دون أن ينحصر البحر داخله. هكذا المسيح اتّحد بالناسوت ولكنه لم ينحصر به أو فيه.
ب — إذا غمرت الشمس إحدى الحجرات بنورها وحرارتها، فالحجرة تمتلئ بنور الشمس وحرارتها، ولكنها لا تحصر نور الشمس أو حرارتها داخلها. هكذا المسيح أخذ لنفسه جسداً، ولكنه ظلّ ينير لكل الخليقة ويضبطها.



- ١٠- هل كان يليق بالله أن يتجسّد؟
- ١١- هل يُحسَب تجسّد الله كعيبٍ أو ضعفٍ فيه؟
- ١٢- هل يُقلِّل التجسّد من كرامة وعظمة الله؟

هذه التساؤلات يتساءلها الكثيرون في هذه الأيام، ولكننا نوّكّد أن التجسّد، كفعل محبة من الله للبشر، لا يمكن أن يُحسَب عيباً أو ضعفاً في الله، كما أنه لا يُقلِّل من كرامته وعظمته؛ بل على العكس يُزيد من كرامته وعظمته كصالحٍ ومحبٍّ للبشر.

يقول القديس بولس الرسول:

"لأنه لاقى بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يُكمّل رئيس خلاصهم بالآلام. لأن المقدّس والمقدّسين جميعهم من واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة، قائلاً أخبر باسمك إختي، وفي وسط الكنيسة أَسبِّحْكَ. وأيضاً أنا أكون مُتوكِّلاً عليه. وأيضاً ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله. فإذا قد تَشَارَكَ الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يُبَيّد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويُعتَق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية." (عب ٢: ١٠-١٥)

فالتجسّد إذاً كان أمراً يليق بالله "لأنه لاقى بذاك...". لذلك فمع كونه هو الله، إلاّ إنه قد تَشَارَكَ مع البشر في اللحم والدم "اشترك هو أيضاً كذلك فيهما"، وذلك لكي يُعتَق الإنسان من عبودية الخطية إلى حرية مجد أولاد الله. فالتجسّد إذاً ليس عيباً أو ضعفاً في الله؛ بل، على العكس، لم يكن يليق بالله إلاّ أن يتجسّد من أجل محبته للبشر.

ويتعرّض القديس أثناسيوس إلى هذه النقطة فيقول:

"وإذ رأى الجنس (البشري) العاقل يَهْلِكُ، وأن الموت يَمْلِكُ عليهم بالفناء،
وإذ رأى أيضاً أن عقوبة التعدي (الموت) قد خَلَدَتِ الفناء فينا، وأنه من
غير اللائق أن يبطلَ الناموس قبل أن يَنْفُذَ، وإذ رأى أيضاً عدم اللياقة
فيما هو حادثٌ بالفعل: وهو أن الخليقة التي خلقها هو بنفسه قد صارت
في طريقها إلى الفناء، وإذ رأى في نفس الوقت شر البشر المفرط،
وأنهم يتزايدون فيه شيئاً فشيئاً إلى درجة لا تُطَاقُ وضد أنفسهم، وإذ
رأى أن كل البشر تحت سلطان الموت؛ فإنه رَحِمَ جنسنا، وأشفق على
ضعفنا، وتراءف على فسادنا. وإذ لم يحتمل أن يرى الموت وقد صارت
له السيادة علينا، لئلا تفنى الخليقة ويتلاشى عمل الله؛ فقد أَخَذَ لنفسه
جسداً لا يختلف عن جسدنا." (تجسد الكلمة ف ٨/٢)

فالقديس أثناسيوس يقول إنه لم يكن لائقاً أن يتراجع الله عن العقوبة التي سبق
وأعلم الإنسان بحدوثها إذا تعدّى الوصية، كذلك لم يكن لائقاً أن يترك الله الإنسان
يعاني من الفساد والموت؛ لذلك كان الشيء الوحيد اللائق هو أن يتجسّد المسيح
ليُخَلِّصَنَا، وهكذا فإنه رَحِمَ جنسنا وأشفق على ضعفنا وتراءف على خليقته.

أخيراً نقول إن التجسّد لا يُعْتَبَرُ عيباً أو ضعفاً في الله. لأن الشيء الوحيد الذي لا
يليق بالله هو الخطية، وحاشا أن نقول إن الله يخطئ. أمّا الجسد فهو طاهرٌ لأنه من
خَلْقَةِ الله وعَمَلِهِ، وبالتالي فليس عيباً أو ضعفاً أن يتّخذ الله لنفسه من أجل خلاصنا؛
بل كان ذلك من محبته وصلاحه واتّضاعه. لذلك فعندما تجسّد السيد المسيح شابها
في كل شيء ما خلا الخطية، لأنها هي وحدها التي لا تليق بالله. أمّا من جهة
التجسّد: فلم يكن يليق بالله إلا أن يتجسّد.

الاستنتاجات

١. إذا كان الله، بحسب علمه السابق، يعلم بسقوط الإنسان في الموت والفساد، واحتياجه للخلاص؛ فقد دبّر لخلاصه بتجسّد ابنه الوحيد الجنس في ملء الزمان.
٢. تجسّد ابن الله الكلمة الأزلي، المولود من الآب قبل كل الدهور والمساوي له في الجوهر، بأن أخلّى نفسه آخذاً صورة عبد، إذ اتّحد بجسدٍ حقيقيٍّ مساوٍ لأجسادنا تماماً، أخذه من سيدتنا وملكتنا كلنا العذراء القديسة مريم، فصارت له طبيعة واحدة من طبيعتين: طبيعة لاهوتية، وطبيعة ناسوتية.
٣. كان التجسّد حتمياً من أجل صلاح الله واتّضاعه ومحبته للبشر. ولهذا لم يكن يليق بالله إلا أن يتجسّد.
٤. تجسّد المسيح بجسد قابل للموت لكي يذوق الموت به، ويُقدّمه عنا ذبيحة محبة، فيبيد سلطان الفساد والموت، ويعيد لنا الحياة والشركة مع الله والرجاء في ملكوت السموات كأبناء لله.
٥. كان لا بُدَّ أن الذي يتجسّد هو الله الكلمة ذاته، لأنه هو الحياة والقادر أن يعطي الحياة، وبالتالي لم يكن ممكناً لأيّ كائنٍ آخر من المخلوقات أن يُخلّص ويعيد الحياة للإنسان المحكوم عليه بالموت، إذ أن جميع المخلوقات تستمد حياتها من الله الكلمة.
٦. وإن كان الله قد اتّحد بجسد بشري، إلاّ إنه لم ينحصر فيه، ولا صار محدوداً به، بل ظلّ موجوداً في كل شيءٍ وكل مكانٍ مُعطياً الحياة لجميع الكائنات.



الموضوع الثاني

حياة السيد المسيح المقدسة على الأرض

في ملء الزمان تجسّد الله الكلمة الأزلي، آخذاً شكل العبد، لكي يقدّم جسده ذبيحة على الصليب من أجل فدائنا وخلصنا نحن المستحقين لحكم الموت. لقد كان موت المسيح على الصليب ضرورةً من أجل خلاصنا، كذلك كانت حياته المقدسة على الأرض أيضاً ضرورةً من أجل خلاصنا.

فلو كان موت المسيح فقط هو الضروري لتحقيق الخلاص لكان موته مع أطفال بيت لحم — على سبيل المثال — كافياً لإتمام الخلاص. لأنه، حتى وهو لا يزال رضيعاً دون السنتين من عمره، كان هو الإله المتجسّد غير المحدود الذي موته يكفر عن خطايا جميع البشر من آدم وإلى آخر الدهور.

ولكن كانت هناك ضرورة خلاصية لأن يحيا السيد المسيح حياة مقدسة على الأرض، لمدة ثلاث وثلاثين سنة، ليجتاز بمراحل حياتنا المختلفة، ويجتاز بكل ما يخص الطبيعة البشرية سواء على مستوى الجسد أو النفس أو الروح.

حول هذا الأمر ستدور جميع الأسئلة والإجابات الواردة تحت هذا الموضوع لنتبيّن ضرورة حياة السيد المسيح المقدسة على الأرض من أجل خلاصنا.

١ - ما معنى تعبير الكتاب المقدس عن السيد المسيح أنه "البكر"؟

٢ - كيف يمكن لنا أن نعتبر أن هذا التعبير أساس لفهم قيمة فداء

المسيح بالنسبة لنا؟

تُعتبر إجابتنا على هذين السؤالين هي المفتاح لفهم كل ما سيجيء ذكره بعد ذلك عن حياة السيد المسيح وصلبه وموته وقيامته وأخيراً صعوده. وتُوجد ملاحظة في غاية الأهمية، يجب أن نفهمها قبل أن نخوض في الإجابة، وهي أن هناك كلمات أو تعبيرات مذكورة في الكتاب المقدس تختصُ بالله الكلمة "بحسب الطبيعة"، أي تنطبق عليه من جهة طبيعته الإلهية أو من جهة جوهره الإلهي، مثل أن نقول إن الله غير محدود، أزلي، قدوس... وهكذا. وهناك كلمات أو تعبيرات أخرى تختصُ بالله الكلمة "بحسب التجسد"، أي تنطبق عليه من جهة تجسده في ملء الزمان، مثل أن نقول إن الله وُلِدَ، قام، صُلب... وهكذا.

وتعبر "البكر"، الذي نحن بصدد، كثيراً ما استخدم في الكتاب المقدس عن الرب يسوع المسيح "بحسب التجسد"، ففي رسالة كولوسي قيل:

"وهو (المسيح) رأس الجسد: الكنيسة. الذي هو البداءة، بكر من الأموات، لكي يكون هو مُتقدماً في كل شيء. لأنه فيه سرٌّ أن يحلَّ كل الملء، وأن يُصالح به الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه، بواسطته، سواءً كان ما على الأرض أم ما في السماوات." (كو ١: ١٨-٢٠)

لقد تجسّد المسيح، ومات بالجسد على الصليب. وإذ قام من الأموات، صار "بكر من الأموات" بمعنى أنه أول بشرٍ يقوم من الأموات لكي يقيمنا معه على مثال قيامته. فكلمة "بكر" هنا استخدمت عن السيد المسيح "بحسب تجسده". لأنه، "بحسب الطبيعة" كإله، هو لا يموت وبالتالي لا يحتاج للقيامة؛ ولكنه من أجل خلاصنا تجسّد لكي "بحسب التجسد" يجتاز الموت ويقوم ليصير "بكر من الأموات".

وأيضاً في رسالة رومية:

"لأن الذين سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ ليكونوا مشابهيين صورة ابنه،
ليكون هو بَكراً بين إخوة كثيرين." (رو ٨: ٢٩)

في هذه الآية أيضاً استُخدمت كلمة "بكر" على السيد المسيح "بحسب تجسده". لأنه
"بحسب التجسد" قد صار "بكراً بين إخوة كثيرين"، إذ قد أخذ طبيعتنا البشرية. أما
"بحسب طبيعته" وجوهره الإلهي فهو الابن الوحيد الجنس.

كما وردت أيضاً هذه الكلمة في رسالة العبرانيين:

"وأيضاً متى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ وَلِتَسْجُدَ لَهُ كُلُّ مَلَائِكَةِ اللَّهِ."
(عب ١: ٦)

كذلك في رؤيا يوحنا:

"يوحنا إلى السبع الكنائس التي في آسيا نعمة لكم وسلام من الكائن
والذي كان والذي يأتي، ومن السبعة الأرواح التي أمام عرشه، ومن
يسوع المسيح الشاهد الأمين، البكر من الأموات، ورئيس ملوك الأرض
الذي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَلْنَا مِنْ خَطَايَانَا بَدَمَهُ." (رؤ ١: ٤، ٥)

وكلمة "بكر" كما قلنا تعني "الأول"، وبحسب الأصل اللغوي اليوناني فكلمة "بكر"
هي "Πρωτότοκος" والمقصود منها المُتَفَوِّقُ والأسمى من جهة
الزمان والمكان والأهمية والرتبة. ومن هذه الكلمة جاءت الكلمة الإنجليزية المُستخدمة
في الصناعة "Prototype" أي "النموذج الأول"، حيث يوجد قسم في الكثير من
المصانع يحمل هذا الاسم عمله إجراء الأبحاث والدراسات لكي يقوم بإعداد النموذج
الأول للمنتج "Prototype"، ويكون عمل المصنع بعد ذلك هو إنتاج كميات ضخمة
من الوحدات التي تماثل هذا النموذج الأول.

وإذا أردنا أن نعرف كيف أن السيد المسيح هو بكرٌ لنا، فلننتبّع كيف كان السيد المسيح هو الأول بالنسبة للطبيعة البشرية:

١. من جهة ميلاده من عذراء بدون وراثثة الفساد والخطية: السيد المسيح كان البكر من جهة أنه الأول والوحيد الذي وُلِدَ بدون الفساد. فالسيد المسيح وإن كان قد أخذَ نفس جسدنا ونفس طبيعتنا، إلا أنه لم يرث الفساد أو الخطية لأنه قد وُلِدَ من العذراء مريم بالروح القدس كما قال الملاك للعذراء: "الروح القدس يحلُّ عليك، وقوة العليّ تظللُك" (لوقا: ١: ٣٥). هكذا نحن في المسيح "بكرنا" نعتق من الفساد والخطية التي ورثناها عن أبينا آدم الأول.

٢. من جهة حياته المقدسة بدون فعل الخطية: لقد كان السيد المسيح هو أول مَنْ انتصر على إبليس في التجربة، وقد عاد إبليس خائباً من مواجهته، إذ هو الوحيد الذي لم يفعل خطية. وذلك بخلاف كل البشر الساقطين تحت سلطان الخطية كما قال القديس بولس الرسول بلسان البشر: "الشر الذي لستُ أريده فأياه أفعل" (روما: ٧: ١٩). ولكن في المسيح "بكرنا" ننال إمكانية الغلبة على الشيطان.

٣. من جهة حلول الروح القدس عليه: فالسيد المسيح كان أول مَنْ حلَّ الروح القدس عليه بعد المعمديته من يوحنا المعمدان. وبالطبع حلول الروح القدس يعني المصالحة مع الله، فنحن نعلم أن الروح القدس قد انفصل عن الإنسان بسبب الخطية، كما قيل في الكتاب المقدس: "لا يدين (يحكم) رُوحِي في الإنسان..." (تك: ٦: ٣)، ولكننا رأينا المسيح البكر يحلُّ عليه الروح القدس كباكورة للخليقة الجديدة التي صارت لنا. وقد حدث ذلك "بحسب التجسّد"، لأن المسيح "بحسب طبيعته" هو واحد مع الآب والروح القدس في الجوهر ومساوٍ لهما وغير مُنفصلٍ عنهما.

٤. من جهة انتصاره على الموت وقيامته من بين الأموات: فالسيد المسيح هو الأول والوحيد الذي مات بدون أن يكون للموت سلطان عليه، لذلك فقد قال عن نفسه: "لي سلطان أن أضعّها، ولي سلطان أن آخذها أيضاً" (يو: ١٠: ١٨). ولذلك أيضاً

كان رَدُّ السيد المسيح على بيلاطس حين كان يتفاخر بسلطانه الأرضي: "لم يكن لك عليَّ سلطانٌ البتَّة، لو لم تكن قد أُعْطِيتَ من فوق" (يو ١٩: ١١). فالسيد المسيح قد قدَّم ذاته للموت بإرادته وليس رَغْمًا عنه، كما قام أيضًا بإرادته وسلطانه. هكذا نحن سنقوم من الموت على مثال المسيح "بكرنا"، ولكن بسلطانه هو.

٥. من جهة غلبته على الشيطان: كان الشيطان مُتَسَلِّطًا على الجميع بالموت بسبب الخطية، فكان يَقْبِضُ على نفوس جميع البشر ويدخلها الجحيم، حتى الأبرار منهم كإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وإن كان هؤلاء يموتون على رجاء الخلاص. أمَّا الرب يسوع المسيح فكان أول مَنْ انتصر على الشيطان، ولم يستطع إبليس أن يَقْبِضَ عليه؛ بل إن الرب يسوع هو الذي قَبَضَ على الشيطان وقبَّده.

٦. من جهة تحطيمه لمتاريس الجحيم: فالسيد المسيح لم يكن فقط أول مَنْ لم يستطع الشيطان أن يَقْبِضَ عليه، بل لقد كان الأول والوحيد الذي ذهب إلى الجحيم وحطَّم متاريسه، تمامًا كما يحارب أحدُّ الأسود في عرينه، وحرَّر الأبرار الذين ماتوا على رجاء الخلاص.

٧. من جهة صعوده إلى السماوات وجلوسه عن يمين الآب: فالسيد المسيح كان أول مَنْ صَعَدَ إلى السماوات جسديًا وجَلَسَ عن يمين الآب. وكلمة "يمين الآب" هي تعبير تشبيهي يعني أنه جلس في موضع القوة والعظمة، لأنه لو كان للآب يمين ويسار فهذا يعني أنه محدود ويوجد حوله فراغ من اليمين ومن اليسار. إذاً هو تعبير عن العظمة والمجد اللذين صارا للسيد المسيح، "بحسب تجسُّده"، ككائن عن البشرية وحامل لطبيعتها وليس "بحسب لاهوته". لأنه بحسب لاهوته له المجد غير المحدود على الدوام كما قال السيد المسيح في صلاته الوداعية: "والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم." (يو ١٧: ٥)

٨. من جهة شفاعته الكفَّارية: فالسيد المسيح هو البكر والأول والوحيد الذي قدَّم للآب عنا شفاعَةً كَفَّارِيَةً بدم نفسه. لذلك يقول القديس بولس الرسول في رسالته

الأولي إلى تلميذه تيموثاوس: "لأنه يُوجد إلهٌ واحدٌ ووسيطٌ واحدٌ بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فديةً لأجل الجميع" (١ تي ٢: ٥). وأيضًا يوحنا الرسول في رسالته الأولى: "وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البار. وهو كفارةٌ لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضًا" (١ يوح ٢: ١، ٢). والمقصود هنا هي الشفاعة الكفارية الخاصة بالسيد المسيح الكلمة المتجسد ككاهن ووسيط بين الله والناس يكهن بذبيحة نفسه.

والسيد المسيح البكر الذي قام بكل هذه الأعمال، لم يعملها من أجل نفسه، بل من أجلنا، فهو لم يكن في حاجةٍ لأي شيءٍ من ذلك؛ بل لقد فعله من أجلنا بصفته نائبًا عنا، وهو ما يؤكده القديس بولس الرسول في رسالة العبرانيين:

"حيث دخل يسوع كسابقٍ لأجلنا، صائرًا على رتبة ملكي صادق، رئيس كهنةٍ إلى الأبد" (عب ٦: ٢٠).

فلقد دخل يسوع الأقداس كنائبٍ عنا و"كسابقٍ لأجلنا"، وليس من أجل نفسه.

ولكي نقرب هذا الأمر للأذهان، لنتخيل معًا مدرسًا لأحد الفصول وقد غضب من طلبة الفصل الذي يُدرّس له بسبب سلوكٍ سيءٍ قد صدرَ منهم. فلم تُوجد وسيلةٌ أمام هؤلاء الطلبة، لكي يتصلحوا مع مُدرّسهم، إلا أن يبحثوا فيما بينهم عن أكثر الطلبة قربًا لهذا المُدرّس، وأكثرهم دالةً عنده حتى يدخل إليه ويعتذر له كنائبٍ عن باقي الطلبة. فإذا نجح هذا الطالب في ذلك فإن هذا يعني تصالح جميع الطلبة مع المُدرّس، وإذا رُفضَ فإن هذا يعني أن الجميع رُفضوا، وأن المصالحة لم تتم.

هكذا إذ تجسّد السيد المسيح صار نائبًا عنا وبكرًا لنا، ولذلك عندما اجتاز الموت وقام وصعد إلى السماوات وقدم ذبيحته إلى الله الآب، كان قبول ذبيحته يعني تصالحنا جميعًا مع الله لأنه كان نائبًا عنا.

ومن هنا نأتي إلى سؤال هامّ وهو: كيف ننال نحن كل هذه البركات؟ وإن كان السيد المسيح نائباً عن كل البشرية، فهل نالت كل البشرية هذه البركات؟^١ بالطبع لن تنال كل البشرية هذه البركات، لأن نوالها مشروط بالآتي:

أ – الإيمان باسم الرب يسوع المسيح

يقول القديس يوحنا في إنجيله: "إلى خاصّته جاء، وخاصّته لم تقبله. وأمّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يو: ١١-١٣). فالإيمان بالمسيح لازمٌ لكي ننال بركات الخلاص ونصير أبناء الله وأعضاء جسده من لحمه ومن عظامه.^٢

ب – الاتحاد بالمسيح من خلال المعمودية والميرون

بالمعمودية ندخل في الشركة مع المسيح ونصير أبناءً له، ثم بالميرون ننال الثبات في الله وفي عضوية جسده وننال الروح القدس إذ نصير مسكناً له، وتكرّس كل أعضائنا به وله. وبالطبع المعمودية والميرون مرتبطان أولاً بالإيمان بالسيد المسيح، لذلك فحتى الكنيسة عندما تُعمّد الأطفال الصغار، فهي تشترط وجود إثنين (وصي) يكون مسئولاً عن تسليمهم الإيمان السليم .

ج – الثبات في المسيح من خلال التوبة والاعتراف والافخارستيا

التوبة حياة وليست مجرد امتناع عن الخطية فهي كما قال القمص بيشوي كامل: "التوبة هي الالتصاق بالله". والاعتراف هو فضح الخطية والإقرار بها أمام الله على يد الأب الكاهن لتنظيم التوبة ونوال الحلّ من الخطية استعداداً للتناول. كما أن ممارسة

^١ سنأتي الإجابة التفصيلية على هذا السؤال في القسم الثالث من الكتاب.

^٢ أف: ٥: ٣٠

الافخارستيا تضمن لنا الثبات في الله: "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمهُ في اليوم الأخير، لأن جَسَدِي مَأْكُلٌ حَقٌّ ودمي مشربٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي ويشرب دمي يَثْبُتُ فِيَّ وأنا فيه." (يو ٦: ٥٤-٥٦)

وهكذا نكون قد عرفنا كيف أن السيد المسيح هو البكر بالنسبة لنا والنائب عَنَّا، وقد عرفنا كيف نستفيد من ذلك بأن نؤمن به ونتَّحد به ونثبَّت فيه. وهذا الكلام السابق هو الأساس لفهمنا لِمَا سيأتي بعد ذلك عن حياة السيد المسيح المقدَّسة على الأرض وأهميتها لخلاصنا، لأننا سنجد أن آيات الكتاب المقدس وأقوال الآباء تشرح أن حياة السيد المسيح على الأرض كانت لحساب خلاصنا، وأننا باتحادنا به بالمعمودية والافخارستيا ننال نصيبنا في حياة القداسة التي عاش بها رب المجد أثناء حياته على الأرض.



٣- لماذا أراد السيد المسيح أن يحيا حياة طبيعية في الجسد مثل سائر البشر؟

٤- هل لحياة السيد المسيح على الأرض قيمة في خلاصنا؟

عمل الخلاص الذي تمّمه السيد المسيح من أجلنا لم يقتصر على الصليب والقيامة والصعود فقط؛ بل إن حياة السيد المسيح المقدسة على الأرض، لفترة من الزمن، كانت ضرورة أيضاً من أجل خلاصنا. وذلك للأسباب التالية:

أ - تقديس الطبيعة البشرية لكي تكون مرصية أمام الله الآب

إذ قد حمل السيد المسيح بتجسّده طبيعة بشرية كاملة مشابهة لنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها؛ كان لا بُدَّ له، كنائب عنا وبكر لنا، أن يحيا حياة مقدسة صالحة. وهكذا تكون الطبيعة البشرية قد تقدّست بالمسيح وفي المسيح، لكي تكون مرصية أمام الله الآب.^٣

لذلك قال السيد المسيح ليوحنا المعمدان عندما ذهب ليعتمد منه في نهر الأردن:

"... اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمّل كل برّ. حينئذٍ سمح له."

(مت ٣: ١٥)

رفّض القديس يوحنا المعمدان في البداية أن يُعمّد السيد المسيح لأنه تعرّف عليه وقال عنه: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو ١: ٢٩)، بل لقد قال للسيد المسيح: "أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إليّ" (مت ٣: ١٤). ولكن جاء ردُّ السيد المسيح: "اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمّل كل برّ". فهل السيد المسيح كان ينقصه برٌّ لكي يُكمّله؟ بالطبع لا، فهو الله الظاهر في الجسد، ولكنه قد فعل ذلك لأنه

^٣ هذا بالطبع بحسب تجسّده، لأنه بحسب طبيعته اللاهوتية هو واحد مع الآب في الجوهر ومساوٍ له في كل شيء.

البكر الذي سِيكَمَل هذا البرَّ عَنَّا، لكي يصير هذا البرُّ لحسابنا ومن أجلنا. فالمسيح هنا
إِذَا يَتَكَلَّم بحسب التجسُّد.

ونفس هذا المعنى نجده في كلمات السيد المسيح حين قال:

"قال لهم يسوع طعامي أن أعمل مشيئة الآب الذي أرسلني وأتمم عمله."
(يو ٤ : ٣٤)

فهل للسيد المسيح مشيئة مختلفة عن مشيئة الآب؟ بالطبع لا، فالسيد المسيح هنا
أيضًا يَتَكَلَّم بحسب التجسُّد؛ إذ قد جاء مُتَجَسِّدًا كِبَرًا لنا لكي يُتَمَّ عَنَّا مشيئة الآب.

وفي رسالة العبرانيين قيل:

"ثم قُلْتُ هذا أجيء. في دَرَج الكتاب مكتوبٌ عني، لأفعل مشيئتَكَ يا
الله." (عب ١٠ : ٧)

وهنا يستشهد القديس بولس الرسول بالنبوة الواردة في (مز ٢٠)، والتي فيها
يخاطب أُنُوم الابن أُنُوم الآب قائلاً: إنه سيجيء في التجسُّد كما هو مذكور في
النبوات لكي يُتَمَّ مشيئة الآب المقدسة. فالبشرية، التي كانت مُمسكة تحت سلطان
الموت، ورازحة تحت نير الخطية، كانت عاجزة عن تنميط مشيئة وإرادة الله. لذلك
جاء السيد المسيح مُتَجَسِّدًا لكي ما — بحسب التجسُّد — يُتَمَّ هذه المشيئة عَنَّا نحن
العاجزين.

وهذا ما يُعَبِّر عنه القديس غريغوريوس اللاهوتي، في قُدَّاسه، مُخاطبًا الابن
المتجسِّد:

«باركت طبيعتي فيك، أكملت ناموسك عني، أريتني القيام من سقطتي.»
(القداس الغريغوري)

السيد المسيح بتجسُّده قد بارك طبيعتنا فيه، أي أنه عندما اقتنى طبيعتنا لنفسه، فإن هذه الطبيعة قد تباركت وتقدَّست. ثم بهذه الطبيعة البشرية التي قد أخذها رب المجد، كما يقول القديس غريغوريوس، قد أكملَ الناموس. فالسيد المسيح لم يُكملِ الناموس من أجل نفسه، بل من أجلنا كنائبٍ وكبكرٍ لنا، لذلك قيل: "قد أكملتَ ناموسك عني" أي أنه قد أكملَ الناموس كنائبٍ عنا وحاملٍ لطبيعتنا وبكرٍ لنا.

وإذا انتقلنا إلى تعليقات القديس كيرلس الكبير على هذا الأمر سنجدُه يقول:

«لقد حملَ (اللوغوس) كل الطبيعة البشرية في نفسه، ليحيا بها حياةً مقدسةً وبلا لوم، وذلك بكونه قد صار إنساناً، وظهر في الشكل البشري.» (القديس كيرلس الكبير)

السيد المسيح "قد صار إنساناً، وظهرَ في الشكل البشري"؛ بمعنى أنه "قد حملَ كل الطبيعة البشرية في نفسه"، كما يوضح القديس كيرلس، وذلك لسبب ضروري وأساسي وهو أن "يحيا بها حياةً مقدسةً وبلا لوم". فحياة السيد المسيح المقدسة على الأرض كانت هدفاً للتجسُّد، كما كان موته هدفاً للتجسُّد أيضاً.

ويقول القديس كيرلس الكبير في موضعٍ آخر:

«لم يكن ممكناً أن حدَّة الشهوات الطبيعية تكفُّ عنا، إلَّا بأن يصير جسد مثلتنا جسداً خاصاً للوغوس.» (القديس كيرلس الكبير)

لقد تجسَّد الله الكلمة (اللوغوس) بأن اتَّحد بطبيعتنا البشرية، وهكذا صار "جسد مثلتنا جسداً خاصاً للوغوس"، وبذلك أمكن "أن حدَّة الشهوات الطبيعية تكفُّ عنا".

^٤ تعبير "الجسد الخاص" بالله الكلمة (اللوغوس) تعبير هام استخدمه القديس أنثاسيوس، ومن بعده القديس كيرلس الكبير، للتأكيد على أن الجسد المُحيي الذي أخذه الابن الكلمة من سيدتنا وملكنا كلنا والدة الإله، والذي جعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير؛ هو جسده الخاص. أي أنه لم يكن خارجاً عنه، أو لم يكن موجوداً ثم حلَّ فيه اللاهوت كما ادَّعى نسطور في هرطقته، حيث قال بوجود شخص اسمه "يسوع" حلَّ فيه الله الكلمة بلاهوته. ولذلك أنكر نسطور أن تكون السيدة العذراء هي "والدة الإله" أي "ثيوطوكوس"، معطياً إيَّها لقب "أم يسوع" أو "أم المسيح" أي "خريستوتوكوس".

فلم يكن ممكناً لتلك الشهوات أن تكفَّ عنا، لو لم يكن الله الكلمة قد أخذَ جسداً وعاش حياة مقدسة بلا لومٍ كبيرٍ لنا؛ وبقداسة حياته هو، تقدّست حياتنا نحن البشر، وكفّت عنا الشهوات الطبيعية.

ويقول القديس كيرلس الكبير أيضاً:

«حيث أن الطبيعة البشرية كانت بسبب معصية آدم مُصابة بالفساد، وكانت أفكارنا مُعذّبة بشهوات الجسد وبالحركات (الغرائز) المغروسة فيه، كان يتحتم من أجل خلاصنا نحن الذين على الأرض أن يصير كلمة الله إنساناً، لكي يجعل الجسد البشري، الذي أُخضع للفساد ومَرَضَ بشهوة الملذات، خاصاً له؛ ولكونه هو الحياة والمُحيي يُبطل الفساد الذي فيه (في الجسد) ويزجر الحركات المغروسة فيه، أعني التي لشهوة الملذات، لأنه بهذا قد صارت الخطية في جسدنا مائتة.»

(القديس كيرلس الكبير)

الشهوات والغرائز والخطية التي كانت تُعذّب طبيعتنا بسبب إصابتها بالفساد، لم يكن ممكناً أن تموت وتَبْطُل إلا بأن يصير كلمة الله إنساناً، ليأخذ طبيعتنا هذه فينتهر بسلطانه الشهوات والغرائز ويضبطها ويعيد بثّ الحياة مرّة أخرى في طبيعة الإنسان المائتة. فلم يكن السيد المسيح يكتسب حياته من الجسد، بل بالأحرى كان هو، من خلال تجسّده، يعيد الحياة لهذا الجسد الذي مات بالخطية. وهذا ما يبدو واضحاً من كلمات السيد المسيح في صلاته الوداعية:

"ولأجلهم أقَدِّس أنا ذاتي، ليكونوا هم أيضاً مُقدَّسين في الحق."
(يو ١٧ : ١٩)

وقد علّق القديس كيرلس على هذه الآية قائلاً:

«هو نفسه الذي يُقدِّس كل شيء، يقول للآب: "من أجلهم أقَدِّس أنا ذاتي"، ليس بمعنى أن اللوغوس يمكن أن يزداد في القداسة، بل بمعنى أنه هو نفسه يقدِّسنا نحن جميعاً فيه.» (القديس كيرلس الكبير)

فالسيد المسيح لكونه بكر طبيعتنا قدّس ذاته لأجلنا، لكي ما من خلال ذلك نتقدّس نحن كما قال القديس كيرلس: "هو نفسه يُقدّسنا نحن جميعاً فيه". وكما سبق أن شرحنا إننا جميعاً كنّا مُمثّلين في السيد المسيح، وهو في حال التجسّد، إذ قد صار نائباً عنا. وبالتالي صارت أعماله الخلاصية محسوبة لنا، ونحن ننال مفاعيل هذه الأعمال من خلال اتحادنا به وثباتنا فيه بوسائل النعمة، التي هي أسرار الكنيسة.

ب – تقديم المثل لنا:

أوضحنا أن السبب الأساسي لحياة السيد المسيح هو أن يُكمّل كل برٍّ عنا ولحسابنا ليقدّس طبيعتنا البشرية كما يرضي صلاح الله الأب، إلّا إنه يُوجد سببٌ آخر لتلك الحياة المقدسة يمكننا أن نتعرّف عليه في كلمات السيد المسيح للتلاميذ بعد أن غسّل أرجلهم يوم خميس العهد، حيث قال لهم:

"فلما كان قد غسّل أرجلهم وأخذ ثيابه واتكأ أيضاً، قال لهم أتفهمون ما قد صنعتُ بكم؟ أنتم تدعونني معلّماً وسيّداً، وحسناً تقولون، لأنّي أنا كذلك. فإن كنتُ وأنا السيد والمُعَلِّم قد غسّلتُ أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضهم أرجل بعض، لأنّي أعطيتكم مثلاً، حتى كما صنعتُ أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً. الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبدٌ أعظم من سيده، ولا رسولٌ أعظم من مُرسِله. إن علِمْتُم هذا فطوباكم إن عَمِلْتُمُوهُ." (يو ١٣: ١٢-١٧)

فالسبب إذاً هو تقديم المثل والنموذج الكامل للحياة المقدسة "لأنّي أعطيتكم مثلاً". لقد قدّم لنا السيد المسيح حياته كنموذج ومثال لكي ما نتّبعه، فنحيا نحن كما كان يحيا هو، لذا قال رب المجد: "حتى كما صنعتُ أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً".

وهنا نتوقّف لنلاحظ ملاحظة هامة وهي أن إيماننا المسيحي إيمانٌ يُعاش ويُختبر من خلال سيرنا على طريق ودرب السيد المسيح. ففي الكنيسة عندما يغسل الأسقف أو الكاهن أرجل الشعب يوم قداس خميس العهد، لا يكون هذا من قبيل التذكّار أو

البركة؛ بل لكي تُعلِّمنا الكنيسة أنه كما غسل الكاهن — الذي يُمثِّل السيد المسيح — أرجلنا، يجب علينا نحن أيضاً أن يغسل بعضنا أرجل بعضٍ بالاتضاع والمحبة.

ونفس هذا المعنى أيضاً قاله معلِّمنا القديس بطرس الرسول في رسالته الأولى:

"لأنكم لهذا دُعِيتُمْ. فإن المسيح أيضاً تألَّم لأجلنا، تاركاً لنا مثلاً لكي تتَّبِعُوا خطواته. الذي لم يفعل خطيئةً، ولا وُجِدَ في فمه مكرٌ، الذي إذ شَتِمَ لم يكن يَشْتِمُ عَوْضاً، وإذ تألَّم لم يكن يُهدِّد بل كان يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بَعْدَ". (١بط ٢: ٢١-٢٣)

أي أن حياة السيد المسيح — كما قال القديس بطرس الرسول — كانت مثلاً لنا لكي نتَّبِعَ خطواته. فالسيد المسيح "الذي لم يفعل خطيئةً، ولا وُجِدَ في فمه مكرٌ، الذي إذ شَتِمَ لم يكن يَشْتِمُ عَوْضاً، وإذ تألَّم لم يكن يُهدِّد بل كان يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بَعْدَ"، والذي غَفَرَ لصالبيه على الصليب؛ قد فَعَلَ ذلك لكي نسير نحن على خطواته فلا نخطئ، ولا ننتقم لأنفسنا. بل، مقتفين آثار سيدنا رب المجد يسوع المسيح، نجفر للمسيئين ونحب الأعداء

هكذا علِّمنا السيد المسيح طُرُق الخلاص كما نصلي في القداس الباسيلي:

«تَجَسَّدَ وتَأَنَسَّ وعَلِّمَنَا طُرُقَ الخلاص.» (القداس الباسيلي)

فقد عاش السيد المسيح حياة مقدسة لكي يعلمنا طُرُق الخلاص من أجل نوال ملكوت السموات.

إذا عاش السيد المسيح حياة مقدسة على الأرض لكي يُرضي الآب السماوي مُكَمِّلاً كلِّ بَرٍّ، مُقَدِّساً ذاته لأجلنا، كنائبٍ عَنَّا وبِكرٍ لنا؛ وبالتالي مُقَدِّساً لطبيعتنا نحن البشر. وأيضاً لكي يُقدِّم لنا المثال الذي نحتذي به ونتَّبِعُه.

٥- كيف أبطل السيد المسيح سلطان الخطية كما يقول الكتاب المقدس "دان الخطية في الجسد"؟

بتجسّد الله الكلمة أبطل سلطان الخطية علينا نحن البشر، حتى إن الكتاب المقدس قال عن الله إنه قد "دان الخطية في الجسد". وقد وردَ هذا التعبير على لسان القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية:

"لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه، في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية^٥، ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد، لكي يتمّ حكم الناموس فينا، نحن السالكون ليس حسب الجسد بل حسب الروح." (رو ٨: ٣، ٤)

وأبسط شرح لهذا التعبير هو ما يُقال في القديس الغريغوري:

«أزلت لعنة الناموس. أبطلت الخطية بالجسد. أريتني قوة سلطانك.»

(القديس الغريغوري)

فالسيد المسيح قد أزال لعنة الناموس، إذ قد تمّمه عنا، كما يقول الكتاب المقدس عن وصايا الناموس: "الذي يفعلها سيحيا بها" (رو ١٠: ٥؛ غل ٣: ١٢). ولكن بعد السقوط تحت سلطان الخطية، لم يكن أحدٌ من البشر يستطيع أن يفعلها ويتمّمها بالكامل سوى الله الكلمة المتجسّد الذي تمّمها عنا. وبهذا التتميم الكامل للوصية قد أمكن للسيد المسيح أن يُبطل الخطية بالجسد؛ أي أن حركات الخطية وميولها قد صارت في السيد المسيح، بحسب تجسّده، عاجزةً تماماً ومشلولةً. وبالتالي فلقد أبطل السيد المسيح الخطية ببرّه وقداسته جسده.

^٥ تعبير "في شبه جسد الخطية" يعني أن السيد المسيح قد أخذ جسداً حقيقياً كاملاً، ولكن بلا خطية. فلو قيل "في شبه جسد" لاعتقدنا أن جسد المسيح كان خيالياً. ولو قيل: "في جسد الخطية" لاعتقدنا أن جسد المسيح كان به خطية، وحاشا أن يُقال مثل ذلك. لذلك استخدم الرسول تعبير "في شبه جسد الخطية" أي جسد حقيقي ولكن بلا الخطية.

ويشرح لنا ذلك القديس كيرلس الكبير في قوله:

«لقد دان المسيح الخطية في جسده الخاص، إذ صيّرَها عاجزةً
عن الحركة فيه، وبذلك فقد أعاد تشكيل الجسد البشري بحيث
يتحرك تلقائياً لعمل ما يسرُّ الله بدلاً من تنفيذ مشيئته الذاتية.»
(القديس كيرلس الكبير)

لقد تشكّل الجسد البشري من جديد وتحرّر من سلطان الخطية الطاعي، وأصبح في
متنّاوله أن يتحرّك لعمل ما يسرُّ الله. لقد حدّث ذلك عندما دان السيد المسيح الخطية في
جسده وصيّرَها عاجزة تماماً بلا سلطان.

ويقول القديس كيرلس في موضع آخر متسائلاً:

«كيف دينت الخطية في الجسد؟ لم يكن ممكناً أن تُدان الخطية بواسطة
إنسان له طبيعة رازحة تحت الخطية مثلنا، ولكن الجسد الذي صار
خاصاً بالذي "لم يعرف خطية" (٢كو ٥: ٢١)، هذا استطاع وبحق أن
ينقض سلطان الخطية. إذ أن هذا الجسد قد اغتنى في ذاته باللوغوس
المتّحد به اتحاداً فائقاً لا يُوصَف، وصار بذلك مُقدَّساً مُحِياً ومملوءاً
من قوة إلهية. وهكذا نحن أيضاً في المسيح — الذي صار لنا باكورة —
نتغيّر ونصير أقوى من الفساد ومن الموت.» (القديس كيرلس الكبير)

أي أن إدانة الخطية وإبطال سلطانها لم يكن في مقدور أيّ ذي جسد لأن الجميع
ساقطون تحت سلطانها ومُستعبَدون لها. ولكن فقط جسد الله الكلمة، الذي لم يعرف
خطية، هو الذي يستطيع أن يدينها ويبطل سلطانها ويُحرّر الطبيعة البشرية كلها منها؛
وذلك لأنه في اتحاد فائق الوصف باللاهوت، وهو ما جعله يغتني ويمتلئ بالحياة
والقوة الإلهية.

ويستطرد القديس كيرلس الكبير موضّحاً أن الرب يسوع المسيح لم يَدِن الخطية
في جسده فقط، بل أعطانا نحن أيضاً أن ننتصر عليها ونبطل سلطانها: "وهكذا نحن

أيضاً في المسيح – الذي صار لنا باكورة – نتغيّر ونصير أقوى من الفساد ومن الموت". فبما أن السيد المسيح هو الباكورة والبكر بالنسبة لنا، وبما أنه قد انتصر على الخطية؛ فمعنى ذلك أننا نحن أيضاً نستطيع أن نتصر على الخطية وندينها فينا متى كنّا "في المسيح". وهذا هو رجاؤنا الذي نحيا به، وهو إننا نستطيع أن نتغلب على إبليس وجنوده طالما ثبتنا في المسيح بكرنا.

إذا السيد المسيح بحياته المقدسة في الجسد أكمل الناموس وتمّ الوصايا إلى حد الكمال، وهكذا "دان الخطية في الجسد". وأعطانا نحن أيضاً أن نتصر على الخطية طالما نحن ثابتون فيه.



٦- لماذا اعتمد السيد المسيح في نهر الأردن؟ ولماذا قَبِلَ حلول الروح القدس عليه؟

وردت قصة المعمودية السيد المسيح وحلول الروح القدس عليه في إنجيل متى بشكل أكثر شمولاً منه في الأنجيل الأخرى. وقد جاءت هكذا:

"حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه. ولكن يوحنا منعه قائلاً أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إلي! فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر. حينئذ سمح له. فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه، وصوت من السماوات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت." (مت ٣: ١٣-١٧)

قال السيد المسيح ليوحنا المعمدان: "اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر". ولم يكن السيد المسيح — كما قلنا سابقاً — في احتياج إلى البر إذ هو القدوس البار، ولكنه أراد أن يكمل برنا بجسده الذي أخذه من نفس طبيعتنا، أي أنه قال هذا بحسب تجسده.

وقد علّق القديس كيرلس الكبير على المعمودية السيد المسيح قائلاً:

«ها انظروا معي الآن طبيعة الإنسان في المسيح، كباكورة لنا، وقد مُسحت بنعمة الروح القدس وكللت بأعلى الكرامات. فمنذ القديم قد وعدَ إله الكل قائلاً: "ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل جسد" (يوئيل ٢: ٢٨). وأما الآن فقد تحقق

^٦ "ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل جسد" جاءت هكذا في الترجمة السبعينية، أمّا في الترجمة البيروتية التي بين أيدينا فقد جاءت: "ويكون بعد ذلك أني أسكب من روحي على كل بشر". مع ملاحظة أن كلمة "بشر" كلمة عبرية معناها "جسد"، وتُنطق باللغة العبرية بنفس نطقها في اللغة العربية.

الوعد فيها في المسيح كبده لنا. وبينما قال الله عن القدماء الذين استسلموا بلا ضابط للشهوة الجسدية: "لا يمكث روعي في هؤلاء الناس لأنهم جسد" (تك ٦: ٣)^٧؛ الآن قد صار كل شيء جديدًا في المسيح، وقد اغتنينا بالميلاد الجديد من الماء والروح لأننا لسنا بعد أولادًا للحم والدم، بل بالحري ندعو الله أبانا. لذلك فبكل حق بسبب اقتنائنا لكرامة التبني المجيدة، قد صرنا شركاء الطبيعة الإلهية بواسطة شركة الروح القدس.» (القديس كيرلس الكبير)

إذ انفصل الإنسان عن الله بالخطية، لم يعد روح الله يسكن في الإنسان "لا يمكث روعي في هؤلاء الناس لأنهم جسد" (تك ٦: ٣). ولكن أعطى الله وعدًا على لسان يوثيل النبي قائلاً: "ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روعي على كل جسد". وقد كان أول تحقيق لهذا الوعد عندما اعتمد السيد المسيح وحلَّ عليه الروح القدس على شكل حمامة. فهو بالتأكيد بحسب طبيعته الإلهية لا يحتاج إلى حلول الروح القدس، لأنه هو والآب والروح القدس جوهر واحد لإله واحد؛ أمّا بحسب تجسده فقد مسح بالروح القدس في المعمودية كنائب عنا وبكر لنا وباكورة لخليقتنا الجديدة. أي أن الطبيعة البشرية التي قد فارقها روح الله منذ القدم، تعود الآن في شخص السيد المسيح لتصير مسكنًا للروح، وبالتالي فنحن من خلال السيد المسيح بكرنا قد حصلنا على هذه النعمة والعطية العظيمة.

ويقول القديس كيرلس أيضًا:

«فإن ذاك الذي صار بكرًا لنا بين إخوة كثيرين لما أهبط نفسه إلى الإخلاء، كان أول من قبل الروح — مع كونه هو نفسه مُعطي الروح، ذلك حتى تدركنا نحن أيضًا بواسطته هذه الكرامة، وتصل إلينا نعمة شركة الروح القدس.» (القديس كيرلس الكبير)

^٧ حسب الترجمة السبعينية أيضًا.

هنا القديس كيرلس يُلخّص لنا ما سبق، فالسيد المسيح من خلال تجسّده قد حلّ الروح القدس عليه، وذلك ليس من أجل نفسه أو من أجل احتياجه لذلك؛ بل من أجلنا نحن "حتى تدركنا نحن أيضاً بواسطته هذه الكرامة، وتصل إلينا نعمة شركة الروح القدس".



٧- لماذا مَارَسَ السيد المسيح في حياته على الأرض أعمال الجهاد الروحي مثل الصلاة والصوم؟ وهل كان في احتياج إلى ذلك؟

٨- لِمَنْ قَدَّمَ السيد المسيح أعمال جهاده من صوم وصلاة؟

قبل الخوض في إجابة هَذَيْنِ السُّؤَالَيْنِ نذكر بعض آيات الكتاب المقدس التي تحدّثت عن صلاة السيد المسيح وصومه:

أ - الصلاة

يقول القديس لوقا البشير:

"وانفصل عنهم نحو رمية حجرٍ وجثا على ركبتيه وصَلَّى قائلاً يا أبتاه،
إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل
إرادتك. وظَهَرَ لَهُ ملاكٌ من السماء يقوِّيه. وإذ كان في جهادٍ كان
يُصَلِّي بأشدَّ لُجاجةٍ، وصار عرقه كقطرات دمٍ نازلةً على الأرض."
(لو ٢٢: ٤١-٤٤)

لقد كانت صلاة السيد المسيح في بستان جثسيماني هي أقوى وأعظم صلاة عرِفَتِها البشرية.

وعن صلاة السيد المسيح في جثسيماني يقول القديس بولس الرسول:

"الذي، في أيام جسده، إذ قَدَّمَ بصراخٍ شديدٍ ودموعٍ طلباتٍ وتضرُّعاتٍ
للقادر أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الموت، وَسَمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ." (عب ٥: ٧)

فالسيد المسيح في جهاده الشديد كان يُصلي بصراخٍ شديدٍ ودموعٍ وتضرُّعاتٍ، إذ كان عرقُه كقطرات دمٍ نازلة على الأرض. ويقول الرسول أنه "سَمِعَ له من أجل تقواه". كما قال الرب يسوع نفسه، في صلاته عند قبر لعازر، عن استجابة الآب له:

"وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي." (يو ١١ : ٤٢)

ب – الصوم

أما عن صوم المُخلص فنقرأ في الكتاب المقدس:

"فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً جَاعَ أَخِيرًا." (مت ٤ : ٢)

والآن نتناول شرح الآباء عن سبب ممارسة السيد المسيح لأعمال الجهاد الروحي من صلاةٍ وصومٍ رغم عدم احتياجه لها بحسب طبيعته الإلهية. فيقول القديس أثناسيوس:

«كُلُّ صَلَاةٍ صَلَاهَا الْمُخْلِصُ، إِنَّمَا قَدْ صَلَّاهَا بِالنِّيَابَةِ عَنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ.» (القديس أثناسيوس)

ويقول القديس كيرلس الكبير:

«فَإِنَّا نَحْنُ الَّذِينَ كُنَّا فِيهِ — كَمَا فِي بَدْءِ ثَانٍ لَجَنَسِنَا — نَحْنُ الَّذِينَ كُنَّا فِيهِ نُصَلِّي بِصَرَاحٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ، وَنَطْلُبُ أَنْ يُبْطَلَ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، وَأَنْ تَتَقَوَّى الْحَيَاةُ الْمَوْهُوبَةُ قَدِيمًا لَطَبِيعَتِنَا.» (القديس كيرلس الكبير)

إن كانت الصلاة هي صلة مع الله، وقد تباعدت هذه الصلة بسبب الخطية؛ لم يكن ممكناً أن تستعاد هذه الصلة إلا بواسطة الابن الكلمة المتجسد. لذلك كان الرب يسوع المسيح — بحسب التجسد — يُصلي إلى أبيه الصالح كبكر للبشرية "كما في بدءِ ثَانٍ

لجنسنا". وإذ صرنا لابسين المسيح^٨ ومتّحدين به بالمعمودية، أمكننا القول إننا كنّا فيه حين كان يُصلّي، وأن صلواتنا لن تكون مقبولة أمام الله إلاّ إن كانت في المسيح يسوع وباسمه القدوس.

ويقول أيضاً:

«فإن كان (السيد المسيح) يُصرّح أنه يفتني المجد من قبل كون العالم ثم يطلبه الآن كمن لا يقتنيه، يفعل ذلك من أجلنا، وطلبتنا نحن هي التي صارت فيه، مُستدعيةً المجد على طبيعة الإنسان. فواضحٌ إذاً أنه قد نطقَ بما يناسب الإنسان، ليس لمّا كان الكلمة خارجاً عن الجسد قبل أن يسكن فيه، بل لمّا صار إنساناً داعياً نحونا العطايا التي من عند الآب.» (القديس كيرلس الكبير)

القديس كيرلس يُعلّق هنا على قول السيد المسيح في صلاته الوداعية: "والآن مَجِّدْنِي أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يو ١٧: ٥). فالسيد المسيح عندما قال: "مَجِّدْنِي أَنْتَ أيها الآب"، لم يقصد أنه هو نفسه يحتاج المجد، وذلك لأنه أكمل قائلاً: "بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم". ويستنتج القديس كيرلس من ذلك أن الرب يسوع لم يفعل ذلك من أجل نفسه، بل "فهو إذاً يفعل ذلك من أجلنا". كما يضيف شارحاً أن السيد المسيح كان يصلّي ليس بحسب طبيعته الإلهية الأزلية، بل بحسب تجسّده "فواضحٌ إذاً أنه قد نطقَ بما يناسب الإنسان"، مُوضّحاً أن السيد المسيح كان يصلّي حال كونه في الجسد وليس خارجاً عن الجسد "ليس لمّا كان الكلمة خارجاً عن الجسد قبل أن يسكن فيه بل لمّا صار إنساناً". فالسيد المسيح وإن كان قد صلّى في أيام جسده إلاّ إنه من جهة طبيعته وأصله هو الله القابل للصلاة.

ويُقدّم لنا القديس كيرلس جانباً آخر في صلاة السيد المسيح حيث يقول:

«فلكي يجعل صلواتنا نحن أيضاً مقبولة لدى الآب، لذلك قد وَضَعَ بنفسه بداية جديدة لفعل الصلاة، لكي يستميل بذلك مسامع الآب لصراخ

^٨ غل ٣: ٢٧

الطبيعة البشرية، ويجعلها مُستعدةً إلى أقصى درجة لاستجابة صلوات
الذين يجازفون بأنفسهم من أجله.» (القديس كيرلس الكبير)

فالمسامع الإلهية بعد أن كانت مُغلقة أمام الإنسان بسبب خطيته وفساده، قد عادت
لتنفتح من جديد أمام صلوات البشر بسبب صلاة السيد المسيح بكر هذه البشرية
ونائبها، بل لقد جعل السيد المسيح مسامع الآب بصلاته — كما يقول القديس كيرلس —
"مُستعدةً إلى أقصى درجة" لاستجابة صلوات الذين يجاهدون في الصلاة إلى الآب
باسم ابنه.

ويؤكد القديس كيرلس ما سبق فيما يخص صلاة السيد المسيح قائلاً:

«إنه من جهة يرفع "التضرعات بصراخ شديد" بصفته قد صار مُشابهًا
لنا؛ ومن جهة أخرى قد "سُمع له" بصفته ابن الله الحقيقي بحسب
الطبيعة، الذي لم يرفض له الآب شيئاً قط. فهو القائل للآب: "أنا علّمتُ
أنك في كل حين تسمع لي" (يو ١١ : ٤٢).» (القديس كيرلس الكبير)

السيد المسيح بحسب تجسّده كان يُصلي أي يرفع التضرعات بصراخ شديد كما
ذَكَرَتْ رسالة العبرانيين، ولكنه بحسب طبيعته الإلهية "سُمع له"، إذ هو ابن الله
الحقيقي. فالسيد المسيح وإن كان يُصلي مثلنا، إلّا أنه كان ضامناً استجابة صلاته لأنه
ابن الله الواحد مع الآب في الجوهر "الذي لم يرفض له الآب شيئاً قط"، لذلك قال
لأبيه: "أنا علّمتُ أنك في كل حين تسمع لي" (يو ١١ : ٤٢).

ويلفت القديس كيرلس النظر إلى ميزة هامة في صلاة السيد المسيح:

«فحيث أن الإنسان، بإمكانياته الذاتية، حتى وإن نال شيئاً من
الصالحات من الله فهو يفقده سريعاً. لذلك كان من الضروري أن كلمة
الله غير المتغيّر يطلب من الله، بعد أن صار إنساناً، المواهب الآتية من
عند الآب لكي تحفظ هذه المواهب ثابتةً ومُستقرّةً في طبيعتنا، إذ أنه
هو غير متغيّرٍ وغير مُتقلّبٍ.» (القديس كيرلس الكبير)

الإنسان بطبيعته مُتَغَيِّرٌ وغير ثابت، ويمكن أن يفقد بسهولة النعم التي يحصل عليها من الله، مثل آدم الذي فَقَدَ نعمة الله بالخطية، فَقَدَهَا بالتبعية كل البشر. لكن عندما تجسَّدَ الله الكلمة، فقد صَلَّى وطلب من أبيه المواهب الروحية والسماوية، واستُجِيبَت صلواته. وإذ هو ثابتٌ وغير مُتَغَيِّرٍ، فقد حَفِظَ هذه المواهب ثابتةً ومُسْتَقَرَّةً في الجنس البشري من خلال ثبوتها واستقرارها فيه كنائبٍ عنا وبكرٍ لنا.

أمَّا عن الصوم فيتعرَّضُ له القديس كيرلس في أحد أقواله:

«لقد صام الرب ولم يعطِ جسده شيئاً قط ممَّا يحتاجه من الطعام. ولكن ربَّ مُعْتَرِضٍ يقول: "وأَيُّ ضررٍ كان يلحق بيسوع من السكنى باستمرار في المدن، وماذا كان يستفيد من السكنى في البرية وهو لا يُعْوزُه أيُّ صلاحٍ؟ ولماذا أيضاً صام؟ وما ضرورة النساك له وهو لا يعرف هيجان الشهوات المنحرفة؟... إنه قدوسٌ بطبعه وبلا عيب. إنه كُلِّي الطهارة وبلا لوم وليس به ظل دوران." إن الأمر يختصُّ بنا يا حبيبي. إنه يُقَدِّم أفعاله مثلاً لنا. إنه يضع منهج الحياة الفُضلى والعجيبة المُعاشة بيننا.» (القديس كيرلس الكبير)

إجابة القديس كيرلس على كل هذه الأسئلة التي طرحها، ومن ضمنها السؤال عن سبب صوم، هي أن السيد المسيح لم يَصُمْ من أجل نفسه، بل من أجلنا "إن الأمر يختصُّ بنا يا حبيبي. إنه يُقَدِّم أفعاله مثلاً لنا". إذاً فالسيد المسيح كان يصوم لكي يُقَدِّم صومه للآب عنا بصفته النائب والبكر، ليُقَدِّم لنا المثال والنموذج الكامل لكي نتَّبِعَه.

ونستشهد بقول أخير للقديس كيرلس الكبير عن الصوم:

«تأمَّلْ معي كيف أن طبيعة الإنسان في المسيح تنفُض عنها وصمة الشرِّه التي أصابتها في آدم. فإننا بالأكل انغلبنَا في آدم، وبالصوم قد غلبْنَا في المسيح.» (القديس كيرلس الكبير)

طبيعة الإنسان في آدم البكر الترابي قد سقطت بسبب الشره والأكل من الثمرة المحرمة، ولكنها تعود فتنصر في السيد المسيح آدم الثاني البكر السماوي بسبب الصوم.

وتلخيصاً نقول إن السيد المسيح لم يمارس أعمال الجهاد الروحي من صلاة وصوم عن احتياج إليها، فهو بحسب طبيعته اللاهوتية قابل الصلاة وقابل الصوم، إذ هو واحد مع الآب ومساو له في الجوهر. إنما قدمها لله الآب بحسب تجسده كبكر ونائب وباكورة لطبيعتنا البشرية.



٩- لماذا سَمَحَ السيد المسيح لإبليس أن يُجَرِّبَهُ؟

كانت التجربة بمثابة مواجهة بين السيد المسيح والشيطان الذي جاء إليه مُعْتَقِدًا أنه سينتصر عليه كما انتصر على جميع البشر من قَبْلِهِ. ولكن بالطبع مع السيد المسيح الإله المُتَجَسِّد كانت النتيجة مختلفة، إذ انتصر السيد المسيح عليه، ورجع الشيطان خائبًا كما جاء في الكتاب المقدس:

"فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرَّبُ وَقَالَ لَهُ إِنَّ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَقُلْ أَنْ تُصِيرَ هَذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا. فَأَجَابَ وَقَالَ مَكْتُوبٌ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ. ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلِ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ يَوْصِي مَلَائِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيْدِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لَا تَصْدَمَ بِحَجَرٍ رِجْلُكَ. قَالَ لَهُ يَسُوعُ مَكْتُوبٌ أَيْضًا لَا تُجَرِّبَ الرَّبَّ إِلَهَكَ. ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جَدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا. وَقَالَ لَهُ أَعْطِيكَ هَذِهِ جَمِيعُهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي. حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ. ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ، وَإِذَا مَلَائِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدُمُهُ." (مت ٤: ٣-١١)

ويُعلِّقُ القديس كيرلس على تجربة السيد المسيح:

«لَقَدْ مَلَكَّتِ الْخَطِيئَةُ عَلَيْنَا وَصَارَ إِبْلِيسُ — أَبُو الْخَطَايَا وَمُخْتَرِعُهَا — يَتَعَزَّزُ بِفَخْرِ عَلَى كُلِّ الَّذِينَ تَحْتَ السَّمَاءِ وَيَقُودُهُمْ إِلَى مَخَالَفَةِ الْوَصَايَا الْإِلَهِيَّةِ، وَلَكِنْ فِي الْمَسِيحِ نَرَى طَبِيعَةَ الْإِنْسَانِ، كَمَا فِي بَاكُورَةِ جَدِيدَةٍ لِحَسَنَانَا، تَنَالُ مِنْ جَدِيدِ بَرَاءَةٍ وَدَالَةٍ لَدَى اللَّهِ، فَقَدْ قَالَ (السَّيِّدُ الْمَسِيحُ) صِرَاحَةً: "رَأَيْسَ هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِي شَيْءٍ" (يو ١٤: ٣٠).» (القديس كيرلس الكبير)

لقد كان الشيطان، منذ أن سَقَطَ آدم، "يتعظَّم بفخر" على كل البشر بسبب سقوطهم تحت سلطانه. ولكن الطبيعة البشرية في شخص السيد المسيح قد تغيَّرَ حالها لأن السيد المسيح الباكورة والنائب قد أكسبها براءة ودالة لدى الله، وبالتالي نُصرة أكيدة على الشيطان الذي كان مُستغلاً تغرُّب الإنسان عن الله قبل المسيح. ولكن ها قد جاء السيد المسيح قائلاً: "رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء" (يو ١٤ : ٣٠). وبما أن السيد المسيح قد قال هذه الكلمات بروح النصرة، فنحن أيضاً نستطيع أن نقولها معه. بالطبع ليس من ذواتنا، فنحن بذواتنا في منتهى الضعف، ولكننا بالمسيح نقول: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوِّيني" (في ٤ : ١٣).

ويقول القديس كيرلس أيضاً:

«إِذَا فَقَدْ غَلَبْنَا فِي الْمَسِيحِ. وَالَّذِي تَمَكَّنَ مِنْ آدَمَ فِي الْقَدِيمِ قَدْ ذَهَبَ
الآنَ خَائِبًا لَكِي نَدُوسُهُ نَحْنُ تَحْتَ أَرْجُلِنَا، وَبَيْنَمَا كَانَ الْمَسِيحُ يَغْلِبُ،
كَانَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ يُرْسِي فِينَا نَحْنُ أَيْضًا الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ نَغْلِبَ، لِذَلِكَ
قَالَ: "هَا أَنَا قَدْ أُعْطِيتُكُمْ أَنْ تَدُوسُوا عَلَى الْحَيَاتِ وَالْعَقَارِبِ وَعَلَى كُلِّ
قَوَاتِ الْعَدُوِّ" (لو ١٠ : ١٩).» (القديس كيرلس الكبير)

يؤكد القديس كيرلس أن الشيطان، الذي غَلَبَ آدم قديمًا، قد غُلِبَ اليوم من المسيح. فلقد أثبت السيد المسيح غلبته على الشيطان ثلاث مرات متتالية. وقد جاءت كل ردود السيد المسيح على الشيطان مرتبطة بطاعة الله ومستندة على الأسفار المقدسة^٩. هكذا أعطى رب المجد مثالاً في كيفية غلبة الشيطان بالتمسُّك بطاعة الله وكلمته. هذا ما يؤكد القديس كيرلس بقوله: "وبينما كان المسيح يَغْلِبُ، كان في نفس الوقت يُرْسِي فِينَا نَحْنُ أَيْضًا الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ نَغْلِبَ". فغلبة السيد المسيح إذاً لم تكن من أجل نفسه بل

^٩ وإن جاءت تجربة الشيطان للرب يسوع مستندة أيضاً على الأسفار المقدسة، إلا أن استخدامه لها كان على أساس الخداع كعادته. هذا يُعلِّمنا عدم قبول أيِّ فكرٍ، حتى ولو استند إلى بعض الآيات الكتابية، إلا إذا كان متفقاً بشكل عام مع الفهم الصحيح للكتاب المقدس، الذي استلمته الكنيسة من السيد المسيح من خلال الرسل القديسين مروراً باباء الكنيسة وقديسيها عبر العصور.

من أجلنا. لقد حَقَّقَ السيد المسيح هذه الغلبة بصفته بكرنا والنائب عنا، وبالتالي عندما غَلَبَ إبليس أرسى في نفوسنا القدرة على أن نهزم إبليس نحن أيضاً في تمسُّكنا به وبكلماته الإلهية.

إذاً قد سَمَحَ ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح أن يُجَرَّبَ من إبليس لأنه هو الوحيد القادر أن ينتصر عليه، لكي يهبنا نحن البشر إمكانية هذه النصر والغلبة على الشيطان.



١٠- كيف يمكننا أن نقول عن الله الكلمة إنه جاع وتعب واضطرب؟

١١- هل تقلّ مظاهر الضعف الإنسانية كالجوع والتعب من كرامة السيد المسيح؟

لقد سجّل لنا الكتاب المقدس اجتياز السيد المسيح بكل ما يخص طبيعتنا البشرية مثل:

أ - الجوع

"فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة، جاع أخيراً." (مت ٤ : ٢)

ب - محدودية المعرفة

"وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلا الآب." (مر ١٣ : ٣٢)

ج - الانزعاج والاضطراب

"فلما رآها يسوع تبكي، واليهود الذين جاءوا معها يبكون، انزعج بالروح واضطرب." (يو ١١ : ٣٣)

"الآن نفسي قد اضطربت. وماذا أقول: أيها الآب نجني من هذه الساعة؟ ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة." (يو ١٢ : ٢٧)

د - الحزن والاكتئاب

"ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي، وابتدأ يحزن ويكتئب." (مت ٢٦ : ٣٧)

يلخص القديس بولس الرسول اجتياز المسيح بكل ما يخص الطبيعة البشرية من مظاهر الضعف الطبيعية في آية واحدة قائلاً:

"فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه من أجلكم افتقر وهو غني، لكي تستغنوا أنتم بفقره." (٢كو ٨: ٩)

السيد المسيح قد افتقر بمعنى أنه تجسّد وأخلى ذاته، فأصبح يجوع ويعطش ويضطرب ويقول: "لا أعلم"؛ كل ذلك "لكي تستغنوا أنتم بفقره". ولكي ندرك أهمية اجتياز السيد المسيح بكل ذلك، سنتتبع القليل ممّا قاله الآباء في هذا الشأن.

يقول القديس كيرلس الكبير:

«إذا فقد كان هدف الكلمة المتجسّد — من هذه الضعفات — أن يظهر بوضوح أنه قد ارتدى جسداً بالحقيقة وصار إنساناً، فإنه لم يكن ممكناً أن يخلص الجنس البشري بوسيلة أخرى... وبصفته "غير عارف للخطية" ومنزّه عن كل خطأ قد رفض الخطية بحق، إلا أنه سمح لجسده ولبشريته أن تتألم بكل ما يخص الطبيعة البشرية.»
(القديس كيرلس الكبير)

لقد كان من الضروري أن يجتاز السيد المسيح بكل ما يخص طبيعتنا البشرية كالجوع والعطش والتعب وعدم معرفة بعض الأمور لكي يشابهنا في كل شيء، لأنه لو لم يكن قد مرّ بكل ذلك لكنا ظننا أن جسده ليس حقيقياً بل خيالياً. ولو لم يكن قد مرّ بكل ذلك لما كان يستطيع أن يخلصنا لأنه كان سيصبح غير مُشابه لنا. أما الشيء الوحيد الذي لا يمكن أن يشابهنا فيه السيد المسيح هو الخطية، فيما عدا ذلك فلقد شابهنا السيد المسيح في كل شيء. لقد جاع مثلاً، وتعب مثلاً، وعرقه قد تصبّب مثلاً، كما أنه عندما سُئل عن اليوم الأخير قال لا أعلم. فهو لا يعلم بحسب التجسّد لأنه لا يوجد بين البشر مَنْ يعلم ذلك، أمّا بحسب الطبيعة الإلهية فهو يعلم كل شيء، بل إنه الديّان الذي سيأتي في ذلك اليوم ليدين المسكونة بالعدل.

ويقول القديس كيرلس أيضًا:

«فكما أنه اقتنى لذاته جميع خواص الجسد، هكذا أيضًا بالنسبة لخواص النفس — البشرية — لأنه كان ينبغي هكذا أن يظهر مُشابهًا لنا في كل شيء سواء كان في الجسد أم في النفس لأننا نحن مُكوّنون من جسد ومن نفس. فكما أنه سمح تدبيرياً لجسده أن يتألم بالآلام المناسبة له، هكذا أيضًا سمح أن تتألم نفسه أيضًا بما يناسبها، وفي كلا الأمرين كان يُتمم عمل الإخلاء.» (القديس كيرلس الكبير)

كما أن للإنسان جسداً، كذلك له نفس. لذلك فعندما تجسّد الرب أخذ جسداً ونفساً، ولم يكتفِ السيد المسيح بأن يجتاز بما يخصّ الجسد كالجوع والعطش، بل اجتاز أيضاً بما يخصّ النفس من مشاعر وانفعالات كالاضطراب والحزن والبكاء، إذ قيل عنه أنه انزعج بالروح واضطرب وبكى عند قبر لعازر (يو ١١: ٣٣، ٣٥)، بالرغم من أنه — بحسب طبيعته اللاهوتية — كان يعلم بأنه سيقومه من الموت. كما إنه وهو مُقبلٌ على آلام الصليب قال: "الآن نفسي قد اضطربت"، فصحيحٌ أن الصليب كان سروراً للرب يسوع المسيح^{١٠}، ولكن في نفس الوقت لو كان قد تقدّم إلى الصليب وهو غير مُبالٍ بآلامه لقلنا إنه لا يُشابهنا. هكذا يؤكد القديس كيرلس الكبير أنه إن كان رب المجد قد أخلّى ذاته بالتجسّد وأخذ شكل العبد لكي يتألم بالجسد على الصليب، وقد كان ذلك بحسب التدبير الإلهي لخلصنا؛ فإنه أيضاً بحسب التدبير الإلهي قد اجتاز وتألم بما يخصّ النفس البشرية أيضاً من آلام "فكما أنه سمح تدبيرياً لجسده أن يتألم بالآلام المناسبة له، هكذا أيضًا سمح أن تتألم نفسه أيضًا بما يناسبها، وفي كلا الأمرين كان يُتمم عمل الإخلاء".

كل ذلك لأن السيد المسيح كان يحمل طبيعة بشرية كاملة مثل طبيعتنا تماماً، لذلك قيل عنه: "من ثمَّ كان ينبغي أن يُشبه إخوته في كل شيء، لكي يكون رحيماً، ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب. لأنه في ما هو قد تألم مُجرباً يقدر أن يُعين المُجربين" (عب ٢: ١٧، ١٨).

^{١٠} عب ١٢: ٢

ويقول القديس أنثاسيوس:

«إِذَا فَبِالضَّرُورَةِ حِينَما كانَ – اللُّوْغُوسُ – في الجسدِ المُتَأَلِّمِ والبَاقِي
والمُتَعَبِ، فَهذه الأُمُورُ الخاصَّةُ بالجسدِ – أي الأَلَمُ والبَكاؤُ والتَّعبُ –
قد نُسِبَتِ لَهُ كما نُسِبَ لَهُ الجسدُ أَيْضاً.» (القديس أنثاسيوس)

هنا يقول القديس أنثاسيوس إنه لا عيبٌ في أن ننسبَ للسيد المسيح الإله الكلمة
الجوع والعطش والتعب، ما دُمنا ننسبُ له التجسُّدُ. لأنَّه إن كُنَّا قد اعترفنا بأنَّه قد لبَسَ
جسداً لأجل خلاصنا ونسبنا له هذا الجسد، فلا يوجد عيبٌ في أن ننسبَ له الأُمُورَ
الخاصَّةَ بهذا الجسد، بل ولا بُدَّ أن ننسبها له بصفته الإله المتجسِّد الذي شابها في كل
شيءٍ ما خلا الخطيئة وحدها.

وأخيراً نختم كلامنا في هذه النقطة بتعليق للقديس كيرلس الكبير يوضح فيه قيمة
وأهمية اجتياز السيد المسيح مظاهر الضعف هذه لأجل خلاصنا فيقول:

«فكما أن الموت لم يكن ممكناً أن يبطُلَ إلَّا بموته، هكذا أيضاً بالنسبة
لكل واحدةٍ من انفعالات (أو آلام) الجسد. لأنَّه لو لم يكن قد خاف
"وتغلب على الخوف"^{١١} لَمَّا كانت طبيعتنا قد اعتقت من الخوف
(عب ٢: ١٥)، ولو لم يكن قد حَزَنَ – "نفسي حزينة جداً حتى الموت"
(مت ٢٦: ٣٨) – لَمَّا كانت قد تخلَّصت من الحُزن، ولو لم يكن قد
انزعج واضطرب – "الآن نفسي قد اضطربت" (يو ١٢: ٢٧) – لَمَّا

^{١١} في الأغلب يشير هنا القديس كيرلس إلى ما قيل عن السيد المسيح قبل الصليب: "وانفصل عنهم نحو رمية حجرٍ وجثا على ركبتيه وصلَّى قائلاً يا أبته، إن شئتَ أن تُجيزَ عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك" (لو ٢٢: ٤١، ٤٢). الخوف هنا لا يقصد به الخوف الذي يُحسب خطيئةً ويدفع إلى الهروب من الألم، بل يقصد به الدخول في مجال الصليب وما أحاط به من آلام ومخاوف. وهو أيضاً الإحساس البشري الطبيعي الذي يشعر به كل إنسان في مواجهة أي خطرٍ أو ألمٍ. وقد عبَّرَ السيد المسيح عن ذلك بقوله: "إن شئتَ أن تُجيزَ عني هذه الكأس"، ولكن لم يمنعه هذا الإحساس البشري الطبيعي من أن يستكمل حديثه: "ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك". بل وبالفعل سلَّم رب المجد نفسه لصالحية بكل شجاعة، وتقدَّم إلى الصليب – مع كل ما أحاط به من آلام ومخاوفٍ وحَمَلٍ لخطايا البشرية كلها – بلا أي تردُّدٍ أو تراجعٍ.

خَرَجَتْ أَبَدًا مِنْ دَائِرَةِ هَذِهِ الانْفِعَالَاتِ (أَوْ الْآلَامِ). وَهَكَذَا بِالنِّسْبَةِ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي حَدَثَتْ لَهُ بَشَرِيًّا يُمْكِنُكَ أَنْ تُطَبِّقَ نَفْسَ الْمَبْدَأِ، فَتَجِدَ أَنَّ الانْفِعَالَاتِ (الْآلَامِ) الْجَسَدِيَّةَ كَانَتْ تَتَحَرَّكُ فِي الْمَسِيحِ وَلَكِنْ لَيْسَ لَكِي تَكُونُ سَائِدَةً كَمَا يَحْدُثُ فِينَا، بَلْ لَكِي إِذَا مَا تَحَرَّكَتْ فِيهِ تَبْطُلُ بِوَاسِطَةِ قُدْرَةِ اللُّوْغُوسِ الْحَالِ فِي الْجَسَدِ، فَتَتَغَيَّرُ بِذَلِكَ الطَّبِيعَةُ (البَشَرِيَّةُ) إِلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ.» (الْقَدِيسُ كِيرْلِسُ الْكَبِيرُ)

يُقَدِّمُ لَنَا الْقَدِيسُ كِيرْلِسُ هُنَا الْمَعْنَى الْخَلَاصِي لِهَذِهِ الانْفِعَالَاتِ، فَالسَّيِّدُ الْمَسِيحُ بِاجْتِيَازِهِ لِكُلِّ هَذِهِ الانْفِعَالَاتِ قَدْ حَرَّرَنَا مِنْهَا: فَبِاجْتِيَازِهِ لِلْحُزَنِ قَدْ حَرَّرَنَا مِنَ الْحُزَنِ، وَبِاجْتِيَازِهِ لِلْاضْطِرَابِ قَدْ حَرَّرَنَا مِنَ الْاضْطِرَابِ، وَهَكَذَا... أَيُّ أَنَّ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ كَبِيرٌ وَبَاكُورٌ وَكُنَائِبٌ قَدْ عَالَجَ طَبِيعَتَنَا مِنْ هَذِهِ الضَّعْفَاتِ وَأَعْطَانَا الشِّفَاءَ مِنْهَا "فَتَجِدُ أَنَّ الانْفِعَالَاتِ (الْآلَامِ) الْجَسَدِيَّةَ كَانَتْ تَتَحَرَّكُ فِي الْمَسِيحِ وَلَكِنْ لَيْسَ لَكِي تَكُونُ سَائِدَةً كَمَا يَحْدُثُ فِينَا، بَلْ لَكِي إِذَا مَا تَحَرَّكَتْ فِيهِ تَبْطُلُ بِوَاسِطَةِ قُدْرَةِ اللُّوْغُوسِ الْحَالِ فِي الْجَسَدِ". وَأَصْبَحْنَا بِاتِّحَادِنَا بِالْمَسِيحِ نَتَخَطَّى هَذِهِ الانْفِعَالَاتِ لِأَنَّهُ "إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ" (٢كو ٥: ١٧).

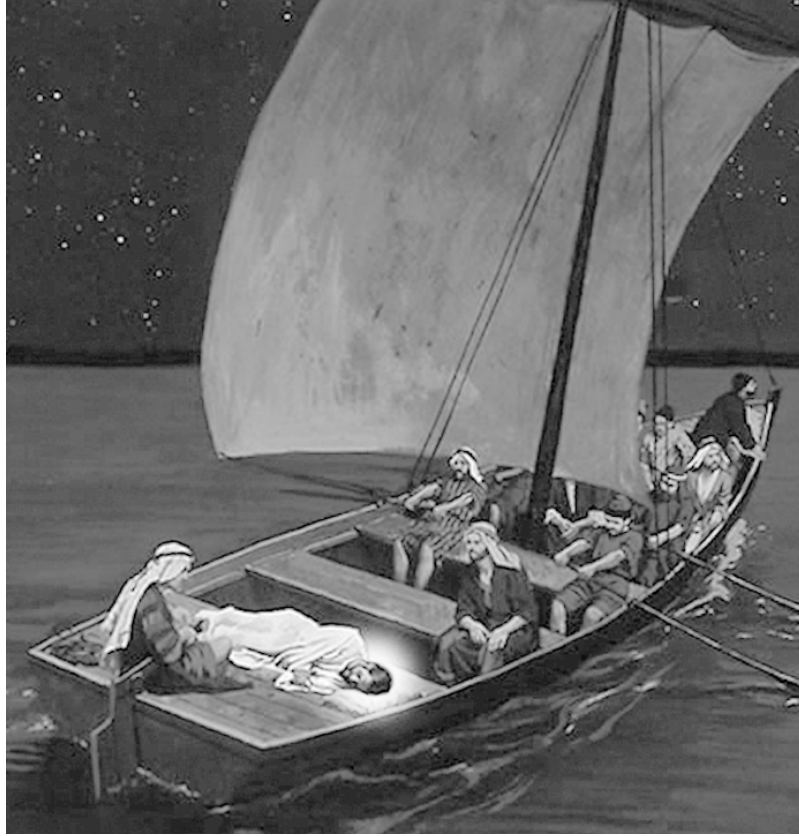
وَهَذَا مَا يُفَسِّرُ لَنَا كَيْفَ كَانَ يَصُومُ الْآبَاءُ الْقَدِيسُونَ لِفَتَرَاتٍ طَوِيلَةٍ، وَكَيْفَ كَانَ الشَّهَدَاءُ لَا يَخْشَوْنَ الْأَبَاطِرَةَ وَالْوَلَاةَ، فَتِلْكَ هِيَ الطَّبِيعَةُ الْجَدِيدَةُ الَّتِي قَدَّمَهَا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ بِكَرْنَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِهِ.

وَأَخِيرًا نَقُولُ إِنَّ مَظَاهِرَ الضَّعْفِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْخَاصَّةَ بِالطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ: سِوَاءَ عَلَى مَسْتَوَى الْجَسَدِ مِنْ جُوعٍ وَتَعَبٍ وَغَيْرِهَا، أَوْ عَلَى مَسْتَوَى النَّفْسِ مِنْ مَشَاعِرٍ وَانْفِعَالَاتٍ مِثْلَ الْاضْطِرَابِ وَالْحُزَنِ وَالْبُكَاءِ وَغَيْرِهَا؛ هَذِهِ كُلُّهَا مِنَ السَّمَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ لِبَشَرِيَّتِنَا، وَهِيَ لَيْسَتْ خَطِيئَةً. وَلَكِنِهَا تَصِيرُ خَطِيئَةً إِذَا انْحَرَفَ بِهَا الْإِنْسَانُ.

هَكَذَا اجْتَازَهَا جَمِيعًا الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ — بِحَسَبِ تَجَسُّدِهِ — دُونَ أَنْ تَكُونَ خَطِيئَةً: فَقَدْ جَاعَ بَعْدَ صَوْمٍ طَوِيلٍ دُونَ أَنْ يَشْتَهِيَ الْأَكْلَ، تَعَبَ فِي خِدْمَتِهِ (مِثْلَ تَعَبِهِ مِنَ السَّفَرِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَلْتَقِيَ بِالسَّامَرِيَّةِ) وَنَامَ أَيْضًا دُونَ أَنْ يَصَابَ بِالْكَسَلِ الَّذِي يَمْنَعُهُ مِنَ

خدمته، انزعج واضطرب واكتأب وبكى دون أن يهرب أو يبتلعه الحزن. هكذا إذ أخذ الرب يسوع طبيعة بشرية كاملة حقيقية، اجتاز بكل ما يخصها، ولكن دون أن يخطئ في شيء. وليس ذلك فقط بل إنه قدّس الطبيعة البشرية بكل ما يخصها وشفأها من أي خطية لكي نصير نحن فيه خليفة جديدة.

إذاً حاشا أن يُقلل اجتياز السيد المسيح بمظاهر الضعف الإنسانية من كرامته الإلهية!



١٢ - هل يمكننا أن ننسب الآلام للاهوت؟ ١٣ - كيف يتألم السيد المسيح وهو بطبعه غير متألم؟

جاء ذكر آلام السيد المسيح في الكثير من آيات الكتاب المقدس، منها على سبيل المثال:

"لأنكم لهذا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لِأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مَثَلًا لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِهِ. الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيئَةً، وَلَا وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ، الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُن يَشْتِمُ عَوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُن يُهْدِدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بَعْدَ. الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبَرِّ. الَّذِي بَجَلَدَتِهِ شُفِيتُمْ. لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَخَرَاةٍ ضَالَّةٍ، لَكِنْكُمْ رَجَعْتُمْ الْآنَ إِلَى رَاعِي نَفُوسِكُمْ وَأَسْقَفَهَا." (١بط ٢: ٢١-٢٥)

"فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحَ لِأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ، تَسَلَّحُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهَذِهِ النِّيَّةِ. فَإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ، كُفَّ عَنِ الْخَطِيئَةِ." (١بط ٤: ١)

"فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيِ إِبْلِيسَ، وَيُعْتَقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلِّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعِبُودِيَّةِ." (عب ٢: ١٤، ١٥)

"مَنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشَبِّهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَحِيمًا، وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِينًا فِي مَا لِلَّهِ حَتَّى يُكَفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ. لِأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجْرَبًا يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجْرَبِينَ." (عب ٢: ١٧، ١٨)

"فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السماوات، يسوع ابن الله، فلنتمسك بالإقرار. لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفائنا، بل مُجرباً في كل شيء مثلاً، بلا خطية. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه." (عب ٤: ١٤-١٦)

كل الاستشهادات السابقة التي أوردناها تتحدث بشكل أو بآخر عن آلام السيد المسيح الإله المتجسد، ومن هنا يأتي السؤال: "هل تنسب هذه الآلام لللاهوت؟" يجيبنا على ذلك القديس كيرلس الكبير في كتاباته فيقول:

«أما بخصوص اللوغوس فمن الباطل أن يُقال إنه كان شريكاً في تقبل الإساءات، لأن اللاهوت فوق الألم وليس مثلاً. ولكن من حيث أنه اتحد بجسد ذي نفس عاقلة، فلما كان هذا الجسد يتألم كان هو — اللوغوس — في غير ألم مُدركاً لما يقع على جسده من آلام. وكأله كان يُبطل ضعفات الجسد، وذلك بأن يقتنيها لنفسه خاصة، بصفتها قد وقعت على جسده الخاص، وهكذا يُقال عنه إنه جاع وضعف وتألم من أجلنا.»
(القديس كيرلس الكبير)

فالقديس كيرلس يوضح أن اللاهوت لم يقع عليه أي ألم من أي نوع، لأنه مُنزّه عن كل ألم أو ضعف. ولكن لكون اللاهوت قد اتحد بالناسوت، فلذلك كان اللوغوس "مُدركاً لما يقع على جسده من آلام". فاللاهوت إذا لم تقع عليه أي آلام. ولكن بسبب اتحاد اللاهوت (اللوغوس) بالناسوت، فمن ناحية كان اللاهوت مُدركاً لتلك الآلام الواقعة على الناسوت؛ ومن ناحية أخرى، فقد أبطل هو هذه الآلام عندما اقتناها في جسده. فاللوغوس لم يتألم، ولكن الجسد الخاص باللوغوس والمُتحد به هو الذي تألم.

وذلك يُشبه مثل الحديد والنار الذي قدّمه لنا القديس كيرلس الكبير: فإذا افترضنا وجود قطعة من الحديد المُحمى بالنار، فإذا أردنا أن نُشكّل الحديد فسنطرق عليه وهو

مُحمَّى بالنار لكي يسهل تشكيله، ولكن الطَّرْقُ لن يقع على النار، ولن تتأثر به النار، بل سيقع الطَّرْقُ على الحديد، وسيتأثر به الحديد المُحمَّى بالنار.

ويقول القديس كيرلس أيضاً:

«ينبغي إذاً أن نعتقد، بتقوى، أن اللوغوس قد اقتنى لنفسه تماماً وبكل تأكيد الآلام الواقعة على جسده الخاص، ومع ذلك أنه بقي "غير مُتألم" كإله مع أنه لم يكن غريباً عن آلام جسده.» (القديس كيرلس الكبير)

كان السيد المسيح مُتألماً في جسده الخاص الذي اتَّخذه، ولكنه لم يكن مُتألماً من جهة لاهوته. ولكن بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت اتحاداً حقيقياً، فيمكننا أن نقول أن اللوغوس "لم يكن غريباً عن آلام جسده"، أي لم يكن مُنفصلاً عن الجسد وقت هذه الآلام، ولم تقع هذه الآلام بمعزلٍ عن اللاهوت.

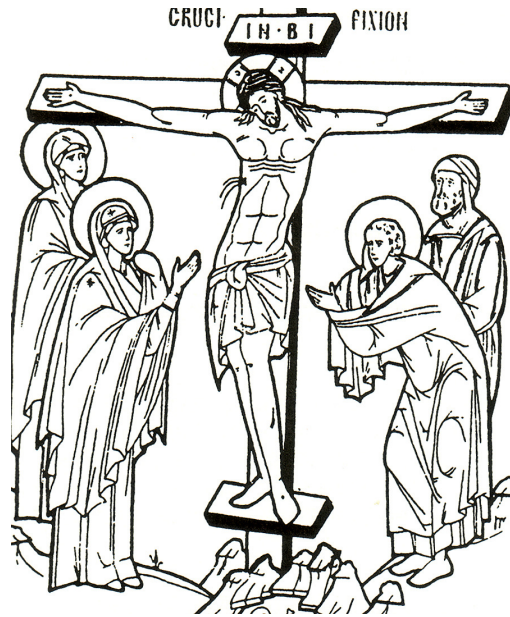
وأخيراً يقول القديس كيرلس:

«إن المسيح جاع وتعب من السفر ونام في السفينة ولطم من الخدام وجلد من بيلاطس وتفل عليه من العسكر وطعن بالحربة في جنبه وقبل في فمه خلاً ممزوجاً بمُرٍّ، بل وذاق الموت مُحتملاً الصليب وإهانات أخرى من اليهود. ونحن نرفض أن نقسم عمّانويل إلى إنسان من جهة، وإلى اللوغوس من جهة أخرى. ولكننا إذ علمنا أن اللوغوس قد صار إنساناً بالحقيقة مثلنا، فنحن نُقرُّ أنه هو هو بعينه إله من إله، وبحسب بشريته إنسانٌ مثلنا مولودٌ من امرأة. فنحن نعترف إذاً أنه من حيث أن الجسد كان له خاصة، فقد تألم هو - اللوغوس المتجسد - بجميع هذه الآلام، ومع ذلك فقد حفظ طبيعته الخاصة - أي لاهوته - في غير ألمٍ لأنه لم يكن إنساناً مُجرّداً، بل كان هو نفسه بعينه إلهاً بطبعه. وكما أن الجسد كان له خاصة، هكذا أيضاً آلام الجسد الطبيعية التي لا لوم فيها صارت له خاصة.» (القديس كيرلس الكبير)

هنا يقرّر القديس كيرلس أنه على الرغم من اعترافنا وتأكيدنا أن كل هذه الآلام قد حدثت للسيد المسيح، وأننا نرفض تمامًا أن نُقسّم السيد المسيح إلى اثنين: اللاهوت من ناحية، والانسوت من ناحية أخرى؛ إلا أننا نقول أن هذه الآلام قد اقتناها السيد المسيح في جسده الخاص، ومع ذلك ظلّ هو بحسب لاهوته غير متألّم. وكما اقتنى السيد المسيح الجسد، هكذا أيضًا قد اقتنى ضعفات الجسد لكي يشابهنا في كل شيء.

بالطبع القديس كيرلس هنا كان يتحدّث في مواجهة هرطقة نسطور، الذي فصل في تعليمه الخاطئ بين اللاهوت والانسوت، وقال بأن اللاهوت لم يكن مُتحدًا بالانسوت أثناء الألم. وهذا بالطبع ما رفضته الكنيسة ودافعَ ضده القديس كيرلس الكبير.

هكذا كان السيد المسيح إلهًا متجسدًا، وقد تألّم بحسب تجسّده بأن وقعت الآلام على جسده الخاص المتحد به اللاهوت، أمّا بحسب لاهوته فقد كان غير متألّم حتى إنه يمكننا القول بأن غير المتألّم تألّم. وبالرغم من أن اللاهوت لم يتألّم إلاّ إنه لم يكن غريبًا عن آلام جسده، مدركًا لما يقع عليه من آلام لأن اللاهوت لم يفارق الناسوت لحظة واحدة ولا طرفة عين.



الاستنتاجات

١. بحسب الجوهر الإلهي والطبيعة اللاهوتية، فإن أقنوم الكلمة هو مساوٍ لله الآب ومن نفس جوهره، وهو الابن الوحيد الجنس المولود من الآب قبل كل الدهور. وبحسب التجسّد، صار الابن الكلمة المتجسّد هو البكر بالنسبة للطبيعة البشرية كلها.

٢. بحسب التجسّد صار المسيح بكرًا من جهة:

أ — ميلاده من عذراء بدون وراثة الفساد والخطية.

ب — حياته المقدسة بدون فعل الخطية.

ج — حلول الروح القدس عليه.

د — انتصاره على الموت وقيامته من بين الأموات.

هـ — غلبته على الشيطان.

و — تحطيمه لمتاريس الجحيم.

ز — صعوده إلى السماوات وجلوسه عن يمين الآب.

ح — شفاعته الكفارية.

وإذ صار السيد المسيح بكرًا لنا ونائبًا عنا، تمكّن من خلال ذلك أن يُتمّم فداءنا على الصليب.

٣. وإن كان الله الكلمة تجسّد لأجل إتمام الفداء على الصليب، إلّا إن حياته على الأرض كانت حياة مقدسة مرضيّة أمام الآب بلا خطية. وبهذا دان الخطية في الجسد.

٤. وحيث أن الكلمة بتجسده اتحد بطبيعتنا، فإن حياته المقدسة على الأرض، كبكر لنا في الحياة الجديدة، صارت مثلاً وتقديساً لنا. وبالتالي فقد اجتاز المسيح بكل ما يخص طبيعتنا البشرية (طعام، شراب، اضطراب، ألم).

٥. ومن هذا المنطلق اجتاز السيد المسيح باحتياجاتنا الجسدية (كالطعام، الشراب،...) لكي يقدسها، واجتاز بانفعالنا البشرية (الحزن، الاضطراب، الألم،...) لكي يتغلب عليها لحسابنا، واجتاز باحتياجاتنا الروحية (المعمودية، الصلاة، الصوم،...) لكي يتممها بطبيعتنا ولحسابنا. وبذلك يكون قد أكمل السيد المسيح كل البر.

٦. بالحقبة اجتاز الكلمة المتجسد بالألم، ولكن الألم لم يقع على اللاهوت بل على الجسد الخاص بالكلمة، مع أن اللاهوت لم يكن غريباً عن آلام جسده.



الموضوع الثالث

الصليب والقيامة والصعود

لقد أعلن السيد المسيح قبل ساعة الصليب مباشرةً أنه جاء إلى العالم من أجل هذه الساعة. لأنه إن كان المسيح قد ظهر في الجسد لأجل خلاصنا، فكان لا بُدَّ له أن يموت عنا على الصليب لكي يقدِّم ذاته ذبيحةً عنا ويحمل عقاب خطايا العالم كله.

لقد بدا السيد المسيح ضعيفاً مهاناً مردولاً على الصليب، لكنه أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة الأرضية أو البشرية، إذ أظهر قوة الحب الذي يجعل إلهاً يضع نفسه لأجل أحبائه من خليقته وصنعة يديهِ.

الرب يسوع المسيح هو الحياة، لذلك لم يكن ممكناً أن يُمسك من الموت. هكذا، وإن كان قد مات بالحقيقة على الصليب بالجسد، إلاَّ إنه قام من الأموات في اليوم الثالث، بسلطان لاهوته، ناقضاً أوجاع الموت.

ظلَّ الرب يسوع المسيح، المصلوب والقائم من بين الأموات، يظهر لتلاميذه بعد قيامته أربعين يوماً مؤكِّداً لهم حقيقة قيامته، ومعلنًا لهم عن الأمور المختصَّة بملكوت الله. ثم صعدَ إلى السماوات جسدياً وجلس عن يمين الآب، حاملاً طبيعتنا البشرية التي كانت قبلاً في عداوة مع الله، لنتراءى من جديد أمام الآب السماوي بعد المصالحة التي تمَّت بالصليب. بهذا انفتح أمامنا من جديد الطريق الصاعد إلى السماوات بالشفاعة الكفَّارية للرب يسوع المسيح، الكاهن والذبيحة، الذي يكهن في الأقداس السماوية أمام الآب بدم نفسه.

هكذا بالصليب والقيامة والصعود تمَّ رب المجد يسوع عمله من أجل خلاصنا، لننعم نحن ببركات هذا الخلاص الثمين.

١ - لماذا كان لا بُدَّ للمسيح أن يجتاز موت الصليب؟

إن مشهَد السيد المسيح الله الكلمة المتجسّد وهو مُعلّق على الصليب، كان من أعجب المشاهد التي رأتها البشرية؛ إذ أنه، وهو الحياة ومُعطي الحياة لكل الخليقة، نراه مُعلّقًا على الصليب لكي يجتاز الموت. ولكن باستعراضنا لِمَا قدّمه لنا الإعلان الإلهي وكتابات الآباء من أسباب لذلك، يمكننا أن نتفهّم أنه كان لا بُدَّ لربنا يسوع المسيح من أن يجتاز موت الصليب بملء الإرادة الصالحة للثالوث القدوس. وفيما يلي هذه الأسباب:

أ - من أجل محبته للبشرية خليقته

يقول القديس يوحنا البشير:

"لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَنْ
يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية." (يو ٣: ١٦)

هذه الآية يعتبرها البعض الآية المحورية في الكتاب المقدس. لأنه بحسب تعريفنا للكتاب المقدس بأنه الإعلان الإلهي الذي سجّل لنا قصة محبة الله للإنسان وتعاملاته معه المملوءة حُبًّا، فإننا نجد أن هذه الآية تُعلِن بكل وضوح عن قدر هذه المحبة التي لا تُغلب حتى بعد سقوط الإنسان في الخطية والعصيان. فالآب أحبَّ العالم إلى الحد أنه قد بذل ابنه الوحيد الجنس إلى الموت لكي ينال العالم الحياة الأبدية.

ونفس هذه الفكرة يؤكّدها لنا القديس بولس الرسول:

"لأن المسيح، إذ كنّا بعد ضعفاء، مات في الوقت المُعيّن لأجل الفُجَّار.
فإنه بالجهد يموت أحدٌ لأجل بارٍّ. ربما لأجل الصالح يجسر أحدٌ أيضًا
أن يموت. ولكن الله بيّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح
لأجلنا." (رو ٥: ٦-٨)

إذ كان موت السيد المسيح على الصليب عنا هو الوسيلة الوحيدة لخلاصنا، لذلك "الله بَيَّنَّ محبته لنا" بأن صُلب ومات عنا. والعجيب في هذه المحبة أنها كانت "ونحن بعد خطاة"، فالمسيح لم يَمُتْ عنا ونحن أبرارٌ أو صالحون، بل ونحن بعد خطاة. أي أن محبة الله لم تكن من أجل صلاح فينا، بل من أجل صلاحه هو ومحبته غير المحدودة من نحن. وهكذا كان الصليب من أجل المحبة.

ب – من أجل المصالحة بين الإنسان والله

لم يكن ممكناً أن يتمَّ الخلاص إلا بإتمام المصالحة بين الإنسان الخاطئ والله القدوس. ولم يكن ممكناً أن تتمَّ هذه المصالحة إلا بموت ربنا يسوع المسيح – وليس آخر سواه – على الصليب. لذلك يقول القديس بولس الرسول:

"ولكن الآن في المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين، صرتم قرييين بدم المسيح. لأنه هو سلامنا، الذي جعل الاثنين واحداً، ونَقَضَ حائط السياج المتوسط أي العداوة. مُبْطِلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً، صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب، قاتلاً العداوة به. فجاء وبَشَّرَكُم بِسَلامٍ، أنتم البعيدين والقريبين. لأن به لنا كَلَيْتاً قَدُومًا في روح واحدٍ إلى الآب." (أف ٢: ١٣-١٨)

أي أنه بالصليب قُتِلَت العداوة بين الله والبشرية كلها: اليهود والأمم، وقد صار سلامٌ وصارت مصالحةً "ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب، قاتلاً العداوة به"، لتصير البشرية كلها جسداً واحداً هو جسد المسيح. وبالدم المسفوك على الصليب صار لنا أن نتقدَّم إلى الله الآب بالروح القدس.

ويقول القديس بولس الرسول أيضاً:

"وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغُلِفَ جسدكم، أحياكم معه، مُسامِحاً لكم بجميع الخطايا، إذ محَا الصِّك الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضدّاً

لنا، وقد رَفَعَهُ من الوسط مُسَمَّرًا إِيَّاه بالصليب، إذ جرَّد الرياسات
والسلاطين أَشْهَرَهُم جِهَارًا، ظافِرًا بهم فيه." (كو ٢: ١٣-١٥)

بالصليب محا السيد المسيح الصك الذي كان علينا، أي حكم الموت الذي كان
محكومًا به علينا، إذ أخذ هذا الحكم على نفسه ومات على الصليب، لكنه قام قاهرًا قوة
الشیطان وسلطانته، لذلك قيل: "إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أَشْهَرَهُم جِهَارًا، ظافِرًا
بهم فيه". أي أنه بالصليب قد رَفَعَ حكم الموت عن الإنسان وتمَّت المصالحة بينه وبين
الله؛ وفي نفس الوقت جُرِّدَت الشياطين "الرياسات والسلاطين" من سلطانهم ومن
رتبتهم، فصار لهم الهوان والعار. ويمكن أن نشبّه هذا الأمر بضَبَّاط خانوا وطنهم
فحُكِمَ عليهم بالإعدام بعد تجريدهم بنزع رُتَبِهِم من على أكتافهم علانيةً.

أيضًا يقول القديس بطرس الرسول في رسالته الأولى:

"فإن المسيح أيضًا تألَّم مرَّةً واحدةً من أجل الخطايا، البار من أجل
الأئمة، لكي يُقَرَّبَنَا إلى الله..." (١بط ٣: ١٨)

فالسيد المسيح بالصليب قد قَرَّبَنَا إلى الله، نحن الذين كُنَّا بسبب الخطية بعيدين
عنه، وبموته على الصليب من أجلنا "البار من أجل الأئمة" قد صولِحنا مع الله.

ج — من أجل إطاعة الآب

يقول القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيلبي:

"الذي إذ كان في صورة الله، لم يَحْسِبْ خُلْسَةً أن يكون معادلًا لله
لكنه أخلَى نفسه، آخذًا صورة عبد، صائرًا في شبه الناس. وإذ وُجِدَ
في الهيئة كإنسان، وَضَعَ نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب."
(في ٢: ٦-٨)

لقد قَدَّمَ السيد المسيح على الصليب طاعته الكاملة لله أبيه. فالآب أحبُّ العالم وبذل
ابنه الوحيد، والابن — بحسب التجسُّد — قد أطاع حتى الموت موت الصليب. ولكن لا
يعني هذا أن الابن لم يكن راضيًا عن ذلك، وقد كان الأمر مجرد طاعةٍ للآب؛ بل،

على العكس، كان خلاص البشرية هو مسرّة الابن أيضاً وكذلك الروح القدس لأن الإنسان هو موضوع محبة الثالوث القدوس. ويؤكد ذلك القديس بولس الرسول قائلاً:

"ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكَمِّله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مُستهيناً بالخزي، فجلس في يمين عرش الله." (عب ١٢ : ٢)

فالإلى جانب قبول الابن للصليب من أجل الطاعة للآب، كان هناك "السرور الموضوع أمامه"، أي أن الابن كان أيضاً يشتهي خلاص البشرية مثل الآب تماماً، لأن الابن له نفس مشيئة الآب.

د — من أجل تقديم ذاته ذبيحةً لاستيفاء الدين ورفع اللعنة

لقد جاء مخلصنا يسوع المسيح إلى العالم متجسداً من أجل أن يقدم ذاته ذبيحةً عنا لكي يفدينا ويوفي الدين عنا، ويقول القديس بولس الرسول:

"لأنه لا يمكن أن دم ثيرانٍ وتيوسٍ يرفع خطايا. لذلك يقول ذبيحةً وقرباناً لم تُرد، ولكن هيأت لي جسداً" (عب ١٠ : ٤ ، ٥)

يؤكد الرسول أن ذبائح العهد القديم على اختلاف أنواعها لا تستطيع أن ترفع الخطايا أو أن تكفر عنها. ثم يستشهد الرسول بنبوة من المزامير^١ تصوّر الابن الكلمة "عند دخوله إلى العالم" بالتجسد، كما لو كان يخاطب الآب قائلاً: "ذبيحةً وقرباناً لم تُرد، ولكن هيأت لي جسداً". فلقد هيأ الآب جسداً للابن لكي يتجسد به، ثم يقدمه ذبيحة حقيقية قادرة على التكفير عن خطايا البشرية، وليست مثل الذبائح الحيوانية.

وهذا الأمر نجده واضحاً في قول القديس بولس الرسول:

"... ولكنه الآن قد أظهر مرةً عند انقضاء الدهور ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه." (عب ٩ : ٢٦)

^١ انظر ص ١٣٦.

إذا السيد المسيح قد أبطل الخطية، ليس بذبائح حيوانية كذلك الموجودة في العهد القديم، بل بذبيحة نفسه على الصليب.

ويقول القديس أنثاسيوس الرسولي:

«ولما كان من الواجب وفاء الدِّين المُستَحَقَّ على الجميع، إذ كان الجميع مستحقِّين الموت، فلأجل هذا الغرض جاء المسيح بيننا. وعندما قدَّم براهيناً كثيرةً على ألوهيته بواسطة أعماله في الجسد، فإنه قدَّم ذبيحته عن الجميع، فأسلم هيكله للموت عوضاً عن الجميع، أولاً: لكي يُبرِّرهم ويحرِّرهم من المعصية الأولى، وثانياً: لكي يثبت أنه أقوى من الموت، مُظهرًا جسده الخاص أنه عديم الفساد، وأنه باكورة لقيامة الجميع.» (تجسُّد الكلمة ف ٢/٢٠)

إذاً، بحسب قول القديس أنثاسيوس، كان صليب السيد المسيح استيفاءً للدِّين الذي كان مُستحقاً علينا جميعاً، أي حكم الموت. لذلك فعندما مات السيد المسيح بالصليب فقد استوفى بذبيحته الدِّين عنا، وبذلك تحرَّرنا جميعاً من حكم الموت.

ويقول القديس كيرلس الكبير:

«إن الكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا ليس لأيِّ هدفٍ آخر إلا لكي يتمكن أن يحتمل الموت بهذا الجسد، فيغلب بذلك الرؤساء والسلاطين، ويبيد ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويبطل الفساد، ويطرده معه الخطية المُتسلِّطة علينا، وينقُض اللعنة القديمة التي أصابت طبيعة الإنسان في آدم بصفته باكورة جنسنا وأصله الأول.» (القديس كيرلس الكبير)

بحسب قول القديس كيرلس، كان قبول الموت بالجسد على الصليب هو السبب الأساسي الذي من أجله قد تجسَّد السيد المسيح. بذلك قد أمكن للسيد المسيح — كِبَرٍ لنا — أن يرفع عنا اللعنة التي أصابتنا بسبب خطية بكرنا القديم آدم الأول.

٢ - هل كانت ذبيحة المسيح على الصليب قادرة على التكفير عن خطايا العالم كله؟ وكيف؟

عندما ذهب السيد المسيح ليعتمد على يد القديس يوحنا المعمدان قيل:

"وفي الغد نظر يوحنا يسوع مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم." (يو ١ : ٢٩)

أي أن شهادة المعمدان عن السيد المسيح كانت إعلاناً عنه كحمل الله الذي يرفع خطية العالم كله.

ويقول القديس بولس في رسالة العبرانيين:

"هكذا المسيح أيضاً، بعدما قُدِّمَ مرَّةً لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه." (عب ٩ : ٢٨)

قد قُدِّمَ السيد المسيح مرَّةً واحدةً، ولكن هذه المرَّة الواحدة كانت لكي يحمل خطايا كثيرين، وهؤلاء الكثيرون هم البشر جميعاً من آدم وإلى آخر الدهور. أي أن ذبيحة السيد المسيح قادرة على التكفير عن خطايا العالم كله.

وسفر إشعياء يقول:

"أما الرب فسرَّ بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلًا تطول أيامه، ومسرة الرب بيده تنجح." (إش ٥٣ : ١٠)

كانت ذبيحة السيد المسيح عن العالم كله لكي يجعل جميع مَنْ يؤمنون به في أيِّ زمانٍ ومكانٍ أبناءً له "نسلًا تطول أيامه". وهذا النسل الروحي للسيد المسيح لم ولن ينقطع، لأن ذبيحة السيد المسيح كانت كافية للتكفير عن الجميع.

أمّا عن كيفية أن تكون ذبيحة المسيح قادرة على التكفير عن خطايا العالم كله، فيقول معلّمنا القديس بولس الرسول:

"لأن محبة المسيح تحصرنا. إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذا ماتوا. وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام."
(٢كو ٥: ١٤، ١٥)

"إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذا ماتوا" فكيف يمكن لموت واحد فقط أن يُحسب موتاً للجميع؟! والإجابة هي أننا جميعاً نشترك في موت السيد المسيح، بل وفي قيامته، بالمعمودية. فبالمعمودية يدخل كل واحد منّا في شركة موت المسيح وقيامته. ولكن كيف أمكن لموت المسيح أن يحوي الجميع في ذاته؟! هنا نكتشف سرّ ذبيحة السيد المسيح، وهي أنها ذبيحة غير محدودة. والسيد المسيح لأنه إله غير محدود، فلذلك عندما أخلّى ذاته وتجسّد وصُلب، صارت ذبيحته غير محدودة، وبالتالي صار دم ذبيحته قادراً على التكفير عن خطايا كل البشر من آدم وإلى آخر الدهور.

يقول القديس كيرلس الكبير في تعليقه على هذه الآية:

«إن الحمل الواحد قد مات من أجل الجميع لكي يخلص كل القطيع الأرضي لله الآب. الواحد من أجل الجميع لكي يخضع الجميع لله. الواحد من أجل الجميع لكي يربح الجميع، حتى فيما بعد لا يعيش الجميع من أجل نفوسهم، بل من أجل الذي مات من أجلهم وقام. لأننا إذ كنّا بعد خطاة، وبالتالي مُباعين للموت والفساد، قد بذل الآب ابنه فديةً من أجلنا. الواحد من أجل الجميع لأن الجميع فيه وهو أكرم من الجميع. الواحد مات من أجل الجميع ليعيش الجميع فيه. لأن الموت لمّا ابتلع الحمل المبذول من أجل الجميع، قد تقيأ الجميع معه وفيه. فإننا جميعاً كنّا في المسيح، الذي من أجلنا وبسببنا مات وقام أيضاً.»
(القديس كيرلس الكبير)

"الواحد مات من أجل الجميع لأن الجميع فيه وهو أكرم من الجميع" أي أن ذبيحة السيد المسيح قد كفّرت عنا جميعاً: من جهة، لأننا كُنّا جميعاً في المسيح من حيث أنه هو النائب عنا والبكر لنا؛ ومن جهةٍ أخرى، لأنه هو أكرم من الجميع أي أعلى من الجميع وأسمى من الجميع لأنه غير محدود بحسب لاهوته.

ويستكمل القديس كيرلس قوله بتشبيه جميل إذ يُشبّه الموت بالوحش الذي كان يبتلعنا جميعاً داخله، ولكنه لمّا حاول أن يبتلع المسيح لم يستطع لأنه قام من الأموات إذ هو الحياة ذاتها. وليس ذلك فقط، بل وتقياً الموت كل الذين آمنوا بمخلصنا الصالح ربنا يسوع المسيح. إذاً قد غلبَ الموت من الحياة، والحياة قد انتصرت على الموت.

كما يقول القديس كيرلس أيضاً:

«وبينما أنت ترى في الذي سُمِّرَ على الخشبة مجرد شخص منظور...
نحن نرى فيه اللوغوس الذي من الله الآب وقد صار مُتَجَسِّداً.»
(القديس كيرلس الكبير)

إذاً ذبيحة المسيح قادرة على التكفير عن خطايا العالم كله، لأنها ذبيحة غير محدودة تخصُّ شخص الله الكلمة المتجسّد غير المحدود.



٣ - إذا كان إيماننا بالمسيح أنه إله، فكيف نقبل موته على الصليب؟

السيد المسيح، بحسب لاهوته، هو حيٌّ في كل حين ولا يمكن أن يموت، بل إنه هو مُعطي الحياة للجميع. أما الحديث عن موت السيد المسيح فيُقصد به بالطبع الموت بالجسد أي بحسب التجسّد.

ومن أجمل العبارات التي تشرح لنا هذا الأمر هي تلك الواردة في القسمة السريانية، والتي تقول:

«هكذا بالحقيقة تألم كلمة الله بالجسد، وذُبِحَ وانحنى بالصليب،
وانفصلت نفسه من جسده، إذ لاهوته لم ينفصل قطُّ لا من نفسه، ولا
من جسده.» (القسمة السريانية)

إذ قد أخلّى الله الكلمة ذاته بالتجسّد وشابهنا في كل شيء، فعند تقديم جسده كذبيحةٍ عنا انفصلت نفسه الإنسانية عن جسده الإنساني بالموت، تمامًا كما يحدث عند موت كل إنسان بشري. ولكن بسبب اتحاد ناسوته باللاهوت، فلم ينفصل اللاهوت لا عن نفسه ولا عن جسده. أي أن جسده وهو في القبر كان متّحدًا باللاهوت، ولذلك لم يَرِ جسده فسادًا؛ ونفسه التي ذهبت للجحيم كانت متّحدة باللاهوت، ولذلك حرّرت المسيبين في الجحيم. ولأن لاهوته كان متّحدًا بالنفس والجسد على السواء، فلقد قام السيد المسيح بعد ذلك بأن عادت نفسه الإنسانية إلى جسده الإنساني، وأيضًا ظل اللاهوت متّحدًا بالنفس والجسد. هكذا نقضَ الرب يسوع أوجاع الموت.

لذلك جاء في الأصحاح الأول من سفر الرؤيا عندما رأى القديس يوحنا الحبيب الرب يسوع المسيح:

"فلما رأيته سقطتُ عند رجليه كميّ، فوضعَ يده اليمنى عليّ قائلاً لي
لا تخف، أنا هو الأول والآخِر، والحيُّ. وكنت ميتًا، وها أنا حيٌّ إلى أبد
الآبدين! آمين. ولي مفاتيح الهاوية والموت." (رؤ ١: ١٧، ١٨)

حيث يُعلن السيد المسيح أنه هو الإله الحيُّ على الدوام، حتى وهو في القبر ميتًا بالجسد، كان أيضًا حيًّا بحسب لاهوته. إذًا يمكننا القول بأن السيد المسيح الإله قد مات لأنه قَبْلَ الموت في جسده على الصليب، وفي نفس الوقت هو القدوس الحيُّ الذي لا يموت.

ويؤكد ذلك القديس كيرلس الكبير في قولين له:

«كيف يُقال إذا إن ذاك الذي هو الحياة قد مات؟ لقد كان ذلك بأن احتمل الموت في جسده الخاص لكي يُحييه من جديد مُظهرًا هكذا بحق أنه هو الحياة.» (القديس كيرلس الكبير)

«إن اللوغوس كان حيًّا حتى حينما كان جسده المقدس يذوق الموت، وقد صار ذلك حتى يغلِب الموت ويُداس الفساد وتمتد قوة القيامة إلى سائر الجنس البشري. فبالحقيقة "كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيَا الجميع" (١كو ١٥: ٢٢).» (القديس كيرلس الكبير)

إذاً فحقيقة موت السيد المسيح لا تتعارض مع حقيقة ألوهيته كقول القديس كيرلس الذي استشهدنا به في السؤال السابق:

«بينما أنت ترى في الذي سُمِّر على الخشبة مجرد شخص منظور... نحن نرى فيه اللوغوس الذي من الله الآب وقد صار مُتجسِّدًا.» (القديس كيرلس الكبير)



٤- لماذا كان موت السيد المسيح بالصليب بالذات، وليس بأية وسيلة أخرى؟

لكي نجيب على هذا السؤال سنستعرض معاً فكر القديس أثناسيوس الذي قدّم إجابة وافية على هذا السؤال في كتاب "تجسّد الكلمة". لقد قدّم القديس أثناسيوس حوالي عشرة شروط تحقّقت في موت الرب يسوع المسيح بالصليب وليس بأية وسيلة أخرى. وفيما يلي هذه الشروط:

أ - بدون مرض

«وربما تساءل أحدٌ إن كان لا بُدَّ أن يُسلّم (الرب يسوع) جسده للموت نيابةً عن الجميع، فلماذا لم يضع هذا الجسد (على فراش الموت وفي موضع خاص) كأَيِّ إنسانٍ عاديٍّ بدلاً من أن يأتي به إلى موت الصليب علناً؟ فقد كان أكثر لياقةً له أن يُسلّم جسده بكرامةٍ بدلاً من أن يحتمل موتاً مشيناً كهذا!

ولكن لا بُدَّ أن ننتبه أن هذه الاعتراضات هي اعتراضات بشرية، أمّا ما فعله المخلّص فهو حقاً عمل إلهي ولائق بلاهوته لأسباب كثيرة. أولاً: إن الموت الذي يصيب البشر عادةً يأتيهم بسبب ضعف طبيعتهم. وإذا هم لا يستطيعون البقاء لزمانٍ طويلٍ، فإنهم ينحلّون في الزمن (المحدّد). وبسبب هذا أيضاً تنتابهم الأسقام فيمرضون ويموتون. أمّا الرب فإنه ليس ضعيفاً بل هو قوة الله، وكلمة الله، وهو الحياة عينها...

ولماذا إذاً لم يمنع حدوث الموت كما منع المرض من أن يسيطر (على الجسد)؟ ذلك لأنه لأجل هذا (الموت) اتخذ الجسد، ولم يكن لائقاً أن يمنع الموت لئلا تتعطل القيامة أيضاً. ولم يكن لائقاً أيضاً أن يسبق

المرض موته لئلا يُظَنّ أن ذاك الذي كان في الجسد كان ضعيفاً. ألم يعانِ الجوع إذًا؟ نعم إنه جاع بسبب أن (الجوع) هو من خواص جسده، على أن (هذا الجسد) لم يهلك من الجوع لأن الرب لبس هذا الجسد. لهذا فإنه وإن كان قد مات لأجل فداء الجميع، لكنه لم يرَ فسادًا. فقد قام جسده سليماً تماماً إذ لم يكن سوى جسد ذاك الذي هو الحياة عينها.» (تجسّد الكلمة ف ٣/٢١، ٤، ٧)

لقد تجسّد الابن الكلمة خصيصاً لكي يموت ويقدّم ذاته ذبيحةً من أجل خلاصنا. وقد تمّ هذا الموت بالصليب وليس بالمرض، لكي لا يكون موت الرب يسوع المسيح بسبب ضعف فيه نتيجة المرض. ويفترض القديس أناسيوس سؤالاً قد يسأله سائل: إن لم يكن في المسيح ضعفٌ، فكيف جاع؟ ويردُّ بأن الجوع من الخواص الطبيعية للجسد، مع ملاحظة أن السيد المسيح لم يهلك أيضاً بسبب الجوع.

ب — بأيدي البشر

«وقد يقول أحدٌ: كان من الأفضل أن يختفي من مؤامرات اليهود لكي يحفظ جسده كليةً من الموت. فليسمع مثل هذا أن ذلك الأمر أيضاً لم يكن لائقاً بالرب. لأنه كما لم يكن لائقاً بكلمة الله وهو الحياة أن يُوقِع الموت على جسده بنفسه، كذلك لم يكن لائقاً أن يهرب من الموت الذي يُوقِعه الآخرون عليه، بل بالحريّ أن يتعقّبه حتى يقضي عليه. ولهذا السبب فإنه بطبيعة الحال لم يُسلّم جسده من تلقاء نفسه، كما أنه لم يتهرّب من مؤامرات اليهود ضده.

وهذا لم يُظهر أن الكلمة ضعيفٌ، بل بالحريّ بيّن أنه هو المخلص وهو الحياة، إذ أنه أولاً: انتظر إلى أن يأتيه الموت ليبيده، وثانياً: عندما قدّم إليه الموت فإنه عَجَلَ بإتمامه لأجل خلاص الجميع.

وفضلاً عن ذلك فإن المخلص لم يأت لكي يتمم موته هو، بل موت البشر، لذلك لم يضع جسده ليموت بموت خاص به (إذ أنه هو الحياة وليس فيه موت)، بل قبل في الجسد ذلك الموت الذي أتاه من البشر لكي يبب ذلك الموت تماماً عندما يلتقي به في جسده.

وهناك اعتبارات أخرى تجعل المرء يدرك لماذا كان يليق بجسد الرب أن يتمم هذه الغاية. لأن الرب كان مهتماً بصفة خاصة بقيامة الجسد التي كان مزماً أن يتممها، إذ أنها دليل أمام الجميع على انتصاره على الموت، ولكي يؤكد لكل أنه أزال الفساد، وأنه منح أجسادهم عدم الفساد من ذلك الحين فصاعداً. وكضمان وبرهان على القيامة المُعدّة للجميع فقد حفظ جسده بغير فساد.» (تجسد الكلمة ف ٢٢/١-٤)

أي أنه لم يكن لائقاً بالسيد المسيح أن يُوقع الموت على جسده بنفسه، كما أنه لم يكن لائقاً أن يهرب من الموت. ولم يكن قبوله للموت ضعفاً منه، بل قوة إذ انتظر الموت الذي يأتيه بأيدي البشر، وقال ليهودا الإسخريوطي مسلّمه: "ما أنت تعمل فاعمله بأكثر سرعة" (يو ١٣: ٢٧). ثم بعد قبوله للموت الذي أتاه بأيدي البشر، قام منتصراً على الموت.

ج - علنياً وليس سرّاً

«وحتى ولو لم يكن به أي مرض أو وجع، وافترضنا أنه هو نفسه قام بإخفاء جسده "في زاوية"^٢ أو في صحراء أو منزل، أو أي مكان آخر، ثم بعد ذلك ظهر فجأة قائلاً إنه قام من بين الأموات، لتراءى للجميع أنه يتكلم بكلام هذيان، ولما صدّقوا ما قاله عن القيامة، لأنه لم يكن هناك أي شاهد على موته. فالموت لا بدّ أن يسبق القيامة، لأنه لا

^٢ أي في الخفاء أو في مخبأ، وقد وردت في (أع ٢٦: ٢٦).

يمكن أن تكون هناك قيامة ما لم يسبقها موتٌ. فلو أن موت جسده كان قد حدث سرًّا في أي مكان ولم يكن الموت ظاهرًا، ولم يحدث أمام شهود، لكانت قيامته أيضًا مخفيةً ولا يوجد دليلٌ عليها.

ولماذا يجعل موته سرًّا إن كان، بعدما قام، أعلن قيامته جهارًا؟ أو إن كان قد طرد الشياطين أمام الجميع، وجعل الأعمى منذ ولادته يستعيد بصره، وحول الماء إلى خمر، حتى بواسطة هذه الآيات يؤمن الجميع أنه كلمة الله، فلماذا لا يُظهر أمام الجميع عدم فساد جسده الذي كان قابلاً للموت، لكي يؤمن الجميع أنه هو "الحياة"؟

وكيف يكون لتلاميذه الجسارة على أن يتكلموا عن القيامة إن كانوا لا يستطيعون أن يقولوا إنه مات أولاً؟ أو كيف يمكن أن يُصدق أحدٌ قولهم: إن الموت حدث أولاً ثم بعد ذلك القيامة لو لم يكن هناك شهود على موته من بين الذين يكلمونهم؟

لأنه رغم أن موته وقيامته قد حدثا أمام الجميع فإن الفريسيين حينئذ لم يؤمنوا، بل أجبروا حتى أولئك الذين رأوا القيامة أن ينكروها. فلو أن هذه الأمور حدثت سرًّا فما أكثر الحُجج التي كانوا سيخترعونها ليبرروا بها عدم إيمانهم!

وكيف كان يمكن تقديم البرهان على إبطال الموت والانتصار عليه لو لم يكن قد واجه الموت أمام أعين الجميع وأظهر أنه ميت، وأنه (أي الموت) سيتلاشى كليةً في المستقبل، وذلك بواسطة عدم فساد جسده؟» (تجسّد الكلمة ف ٢٣/١-٥)

فالموت كان علنيًا وأمام أعين الجميع، لكي يؤمن الجميع بحقيقة القيامة التي أُعلنت جهارًا. ولو لم يكن الموت علنيًا، لما ظهرت قوة القيامة التي كَرَزَ بها الرُّسل، والتي أبطلت الموت. وعلى الرغم من أن الموت كان علنيًا، إلا أن الفريسيين قد أنكروا

القيامة وذلّلوا الشعب، فلو أن الموت كان سرّاً لكانت لهم فرصة أكبر بكثير لتأكيد ضلالهم.

د – بدون اختيار من السيد المسيح رغم ما في موت الصليب من عار

«ومن الضروري أن نردّ مقدّمًا على ما يمكن أن يعترض به الآخرون. فقد يقول قائلٌ ما يلي: لو كان لا بدّ أن يحدث موته أمام أعين الجميع وبشهادة شهود، لكي يُصدّق خبر قيامته، لكان من الأفضل على أي حال أن يُخطّط لنفسه موتًا مجيدًا، لكي يهرب على الأقل من عار الصليب.

ولكن حتى لو فعل هذا لأعطى فرصة للتشكك في شخصه، وكأنه لا يقوى على كل أشكال الموت بل فقط على الموت الذي اختاره بنفسه، وكان هذا حُجّة لعدم الإيمان بالقيامة أيضًا. وهكذا أتى الموت إلى جسده، ليس بتدبيره هو بل بمشورة أعدائه، حتى أن أي شكل من أشكال الموت يأتون به إلى المخلص يستطيع هو أن يبيده كليةً.

وكما أن المصارع النبيل، العظيم في المهارة والشجاعة، لا يختار خصومه بنفسه، لئلا يُشكّ أنه يخشى مواجهة بعض منهم، بل يترك الأمر لاختيار المشرفين على المباراة لاسيما لو كانوا أعداءً له، حتى إن أيّ مصارع يضعونه هم أمامه ينتصر هو عليه، وبهذا يؤمنون بأنه فاق الجميع. هكذا الحال أيضًا مع ربنا ومخلصنا المسيح، حياة الكل، فإنه لم يختَر لجسده موتًا معيّنًا، لكي لا يبدو وكأنه يخشى شكلاً آخر للموت، فالموت الذي قبله واحتمله على الصليب قد أوقعه عليه الآخرون – الذين هم أعداؤه ظانّين أن هذا الموت مُرعبٌ ومُهينٌ ولا يمكن احتماله – لكن المسيح أباد هذا الموت،

فآمن الجميع أنه هو الحياة، الذي به تتم إبادة سلطان الموت كليةً.»
(تجسّد الكلمة ف ٢٤/١-٣)

قديمًا كان الصلب أحد أكثر وسائل الإعدام قسوةً ومهانةً، ولذلك كانت تستخدم لإعدام الأذنياء. أمّا الذين يتمتعون بالجنسية الرومانية فكان من يستحق منهم حكم الإعدام، يتمّ إعدامه بقطع الرأس بالسيف تمييزًا لهم عن الأذنياء^٣. ولقد قبلَ مخلصنا موت الصليب مع ما فيه من قسوةٍ وعارٍ لأنه لم يكن يليق به أن يختار لنفسه طريقةً للموت تكون سهلةً أو بسيطةً، بل ليبرهن للجميع أنه أقوى من الموت، فقد ترك لأعدائه تحديد طريقة الموت التي يريدونها له حتى إذا ما قام يظهر أنه قد تغلب عليها. فكلما كانت طريقة الموت بشعةً ومهينةً، كلما كانت القيامة مجيدةً وعظيمةً.

وقد أعطى القديس أنثاسيوس تشبيهًا لذلك بالمصارع النبيل القوي الذي لا يختار خصومه، بل يترك هذا الأمر للمشرفين على المباراة ولاسيما إذا كانوا أعداءً له، حتى إذا ما انتصر عليهم يظهر أنه أقوى من الجميع ولا يخشى أيَّ واحدٍ منهم.

هـ - يترك علامة

«وهكذا حدث أمرٌ عجيبٌ ومُذهِلٌ: لأن الموت الذي أوقعوه عليه ظانين أنه موتٌ مُهينٌ حوَّله هو إلى علامة للنصرة على الموت ذاته...»
(تجسّد الكلمة ف ٢٤/٤)

فالموت بالصليب قدّم لنا علامة غلبتنا وهي "علامة الصليب"؛ إذ قد حوّل المخلص، بقيامته، الصليب من علامة للموت إلى علامة للنصرة على الموت وعلى الشياطين. ولذلك صار الصليب هو علامة الفخر للمسيحيين، والتي ترتعب منها الشياطين.

^٣ وهذا ما حدث مع القديسين بطرس وبولس الرسولين. فالاثنتين استشهدا على اسم الرب يسوع المسيح: الأول، إذ هو مواطن يهودي بسيط فكان استشهاده بالصلب، وإن كان قد طلب هو أن يكون منكس الرأس اتضاعًا منه لأنه استكثر أن يتشبه بالسيد المسيح؛ أما القديس بولس، فإذا هو مواطن روماني، فقد استشهد بقطع رأسه بالسيف بحسب القانون الروماني.

و — بدون فصل أو تقسيم للجسد

«... ولهذا فإنه لم يمت موت يوحنا بقطع الرأس، ولا مات موت إشعياء بنشر الجسد؛ وذلك لكي يحفظ جسده غير منقسم وصحيحاً تماماً حتى في موته، وحتى لا تكون هناك حجة لأولئك الذين يريدون أن يُقسّموا الكنيسة.» (تجسد الكلمة ف ٢٤/٤)

الصليب، كوسيلة للموت، ترك آثاراً على جسد الرب — جراحات المسامير وطعنة الحربة وإكليل الشوك — أكد بها بعد القيامة أنه هو الذي مات؛ إلا إن الصليب لم يفصل أو يقسم جسد المسيح. وذلك على عكس ما حدث مع القديس يوحنا المعمدان الذي قتله هيرودس بقطع رأسه، أو مع إشعياء النبي الذي قتله منسى الملك الشرير بالنشر بمنشار خشبي^٥. وقد كان عدم فصل أو تقسيم جسد المسيح تحقيقاً لإحدى نبوات العهد القديم: "لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه" (يو ١٩: ٣٦).

ويرى القديس أثناسيوس في عدم تقسيم جسد المسيح إشارة إلى الكنيسة، التي هي أيضاً جسد المسيح، في وحدتها وعدم تقسيمها. ويبدو هنا تأثير القديس أثناسيوس بمواجهته لأريوس الذي أنكر لاهوت المسيح، وأراد أن يُقسم الكنيسة مثل كل الهراطقة.

ويتوقف هنا القديس أثناسيوس ليوضح أن كل ما سبق شرحه من شروط تحققت في موت الصليب فقط، إنما هو موجّه إلى الذين هم من خارج أي غير المؤمنين:

«وهذا يكفي للرد على الذين هم من خارج الذين يحشدون المجادلات ضدنا. ولكن لو أراد أحد من شعبنا أن يسأل — لا حباً في الجدل بل حباً في التعلم: لماذا لم يمت (الرب يسوع المسيح) بأي شكل آخر غير الصليب؟ فهذا أيضاً نخبره بأنه لم تكن هناك طريقة أخرى نافعة

^٤ مت ١٤: ١٠؛ مر ٦: ٢٨؛ لو ٩: ٩

^٥ عب ١١: ٣٧

لنا سوى هذه، وأنه كان أمرًا حسنًا أن يحتمل الرب هذا الموت من أجلنا.» (تجسّد الكلمة ف ١/٢٥)

ثم يستكمل حديثه عن أسباب موت المسيح بالصليب بالذات، وليس بأية وسيلة أخرى، مقدّمًا تأملات جميلة في بركات الصليب، ولكن هذه موجّهة للمؤمنين:

ز - حَمَلُ اللّٰعْنَةِ

«لأنه إن كان قد جاء ليحمل اللعنة الموضوعة علينا، فكيف كان ممكنًا أن (يصير لعنةً) بأية طريقة أخرى ما لم يكن قد قَبِلَ موت اللعنة الذي هو (موت) الصليب؟ لأن هذا هو المكتوب: "ملعون كل مَنْ عُلِقَ على خشبة."» (تجسّد الكلمة ف ٢/٢٥)

الخطية تجلب اللعنة والموت، والرب يسوع إذ جاء ليفدينا من الموت ويرفع اللعنة عنا، كان يجب عليه أن يحملها هو. ولم تكن هناك طريقة ليحمل السيد المسيح اللعنة عنا، إلّا بأن يُعَلَّقَ على الصليب كقول القديس بولس الرسول: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنةً لأجلنا لأنه مكتوب: ملعون كل مَنْ عُلِقَ على خشبة" (غل ٣: ١٣).^٦ فبالصليب حَمَلَ السيد المسيح اللعنة، ومات موت اللعنة، لكي يعطينا بَرَّهُ كقول القديس بولس الرسول: "لأنه جعل الذي لم يعرف خطيةً، خطيةً لأجلنا، لنصير نحن بَرًّا لله فيه" (٢كو ٥: ٢١).

ح - بَسْطُ الذَّرَاعَيْنِ لَتَحْقِيقِ الْمَصَالِحَةِ

«وإضافةً إلى ذلك، إن كان موت الرب هو فدية عن الجميع، وبواسطة موته هذا نَقَضَ "حائط السياج المتوسط"، وصارت الدعوة

^٦ وردت أصلاً هذه الآية في سفر التثنية: "وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت، فُقُتِلَ وعلّقته على خشبة، فلا تَبِتْ جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المُلْعَقَ ملعونٌ من الله. فلا تُتَجَسَّسَ أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا." (تث ٢١: ٢٢، ٢٣)

لجميع الأمم، فكيف كان ممكناً أن يدعونا إليه لو لم يكن قد صُلب؟ لأنه على الصليب وحده يمكن أن يموت إنسانٌ باسِطاً ذراعَيْه. لهذا كان لائقاً بالرب أن يحتمل هذا الموت ويبسط ذراعَيْه، لكي بأحدهما يجتذب الشعب القديم (اليهود)، وبالأخرى يجتذب الذين هم من الأمم، ويوحد الاثنين في شخصه.

لأن هذا ما قاله هو نفسه عندما كان يشير إلى الميتة التي كان مُزمِعاً أن يفدي بها الجميع إذ قال: "وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أُجذبُ إليَّ الجميع" (يو ١٢ : ٣٢). «(تجسّد الكلمة ف ٣/٢٥ ، ٤)

أي بالصليب فتح الرب ذراعَيْه ليوحد اليهود والأمم في شخصه، ويتمّ المصالحة بين الجميع والله، وبهذا يتحقّق ما قاله: "وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أُجذبُ إليَّ الجميع" (يو ١٢ : ٣٢)، مع ملاحظة أن ارتفاع السيد المسيح عن الأرض يُقصد به ارتفاعه على الصليب لأجل خلاصنا.

ط – يتمّ في الهواء لغلبة الشيطان رئيس سلطان الهواء

«وأيضاً، إن كان الشيطان – عدو جنسنا – إذ قد سقط من السماء، يجول في أجوائنا السفلية ويتسلّط فيها على الأرواح الأخرى المماثلة له في المعصية، ويحاول أن يخدع الذين تغويهم هذه الأرواح، كما أنه يعوق الذين يرتفعون إلى فوق، وعن هذا يقول الرسول "حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية" (أف ٢ : ٢)؛ فإن الرب قد جاء ليطرح الشيطان إلى أسفل، ويطهر الهواء ويُعدّ لنا الطريق الصاعد إلى السماء كما يقول الرسول "بالحجاب أي جسده" (عب ١٠ : ٢٠)، وهذا يلزم أن يتمّ بالموت. فبأي نوع آخر من الموت كان ممكناً أن يتمّ هذا، إلاّ بالموت الذي تمّ في الهواء، أي (موت) الصليب؟ فإن الذي يموت بالصليب هو وحده الذي يموت (مُعلّقاً) في

الهواء. ولذلك كان لائقًا جدًا بالرب أن يموت بهذه الطريقة.»
(تجسّد الكلمة ف ٥/٢٥)

الشيطان إذ هو كروب سقط من رتبته، والملائكة أرواح؛ لذلك أطلق عليه القديس بولس الرسول في رسالة أفسس تعبير "رئيس سلطان الهواء"^٧. ولذلك مات السيد المسيح معلقًا في الهواء على الصليب لكي يُطهّر الهواء، ويهزم الشيطان في موضع رئاسته.

ي — بالصليب مات السيد المسيح ما بين السماء والأرض، ففتح الطريق بينهما

«لأنه إذ رُفِعَ هكذا فقد طهّر الهواء من كل خبث الشيطان وكل الأرواح النجسة كما يقول: "رأيتُ الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء" (لو ١٠: ١٨)، وافتتح طريقًا جديدًا للصعود إلى السماء كما هو مكتوب: "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية" (مز ٢٤: ٧)^٨. فلم يكن الكلمة نفسه هو المحتاج لانفتاح الأبواب، إذ هو رب الكل — فلم تكن مخلوقاته مُغلقةً في وجهه هو الذي خلقها — بل نحن الذين كنّا في احتياجٍ إلى ذلك (أي إلى انفتاح الأبواب)، نحن الذين حملنا في جسده الخاص. لأنه كما قدّم جسده للموت عن الجميع، هكذا، بنفس هذا الجسد أيضًا، أعدّ الطريق للصعود إلى السماوات.»
(تجسّد الكلمة ف ٦/٢٥)

فموت السيد المسيح، وهو مُعلّقٌ على الصليب في الهواء، كان لكي يرفع أنظارنا معه إلى السماء حيث المجد، كما أنه بذلك قد فتح الطريق بين السماء والأرض،

^٧ في اللغة اليونانية كلمة "روح Πνεύμα" هي نفسها كلمة "رياح" أي "هواء"، وذلك لأن الروح، مثل الرياح أو الهواء، غير منظورة وغير حسّية.

^٨ بحسب الترجمة السبعينية.

الطريق الذي كان مُغلَقًا في وجه الإنسان بسبب الخطية، كما يقول القديس بولس الرسول: "فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقًا كرَّسه لنا حديثًا حيًّا، بالحجاب، أي جسده" (عب ١٠: ١٩، ٢٠). أي أن جسد السيد المسيح المُعلَّق على الصليب قد فتح لنا الطريق نحو السماوات وأمجادها.

كل هذه الشروط تحققت في موت المسيح بالصليب، ولم تكن لتتحقق جميعها في أية وسيلة أخرى.



٥- لماذا كان لا بُدَّ للمسيح أن يقوم من بين الأموات؟ ألم يكن موت المسيح على الصليب كافياً لخلاصنا؟

وإن كان السيد المسيح قد قدّم بموته على الصليب الذبيحة التي وفّت الدّين عنا وحرّرتنا من حكم الموت الذي حُكِمَ به علينا نتيجة الخطية، إلّا أنه كان لا بُدَّ من القيامة لإتمام الخلاص للأسباب الآتية:

أ - غلبة الموت

يتحدّث القديس بطرس الرسول في أول عظاته في سفر الأعمال بعد حلول الروح القدس قائلاً عن السيد المسيح:

"الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت، إذ لم يكن ممكناً أن يُمسَك منه. لأن داود يقول فيه: كنت أرى الرب أمامي في كل حين، أنه عن يميني، لكي لا أتزعزع. لذلك سرّ قلبي وتهلّل لساني. حتى جسدي أيضاً سيسكن على رجاء. لأنك لن تترك نفسي في الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً. عرّفتني سبل الحياة وستملأني سروراً مع وجهك".
(أع ٢: ٢٤-٢٨)

لقد قام السيد المسيح لأنه لم يكن ممكناً أن يبقى في الموت أو أن يُقيّد الموت في القبر. حقيقة أن الموت وتقديم الذبيحة قد تمّا بالصليب، ولكن غلبة الموت لم تكن لتتم إلّا بالقيامة. فلو بقي السيد المسيح في الموت لكان قد وقع بالتالي تحت سلطان الموت وسلطان الفساد، وحاشا له أن يحدث ذلك. لهذا استشهد القديس بطرس بالمزمور: "لأنك لن تترك نفسي في الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً". من هنا كان لا بُدَّ أن يقوم المخلص وينتصر على الموت "ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسَك منه". مع ملاحظة أنه قد قيل عن السيد المسيح هنا: "الذي أقامه الله"، فبحسب التجسّد قد أقامه الله؛ أمّا بحسب لاهوته فقد قام بسلطانه المطلق.

ب — الإعلان عن لاهوت المسيح

ويُقدّم لنا القديس بولس الرسول في رسالة رومية سبباً ثانياً لضرورة القيامة فيقول:

"بولس، عبدٌ ليسوع المسيح، المدعو رسولاً، المُفَرَز لِإِجْلَالِ اللَّهِ، الذي سبق فَوَعَدَ به بأنبيائه في الكتب المقدسة، عن ابنه. الذي صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة، بالقيامة من الأموات. يسوع المسيح ربنا." (رو ١ : ٤-١)

وهنا نتوقّف عند قول الرسول: "وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات". للأسف البعض — كشهود يهوه — يفسّرون هذه الآية وكأنّ الآب قد عيّن السيد المسيح ابناً له بعد القيامة، بينما قبل ذلك لم يكن ابناً. ولكن لكي نفهم المعنى الصحيح لهذه الآية نقول إنّ السيد المسيح هو ابن الله الحي الأزلي الذي له المجد الدائم مع الآب والروح القدس. ولكنه بالتجسّد أخلّى ذاته، وحجّب لاهوته عن البشرية، إلى أن وصل إلى موت الصليب كأقصى أنواع الإخلاء؛ وعندما قام من الموت أظهر لنا بوضوح وأعلن لنا بشكل كامل أنه هو الابن الأزلي المساوي للآب في الجوهر.

إذا كانت القيامة إعلاناً قوياً عن ألوهية السيد المسيح وبنوته الأزلية للآب، والتي من خلالها ظهر لنا أنه هو الحياة الذي ابتلع الموت.

ج — رجائنا في القيامة

ويحدّثنا القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية عن سببٍ ثالثٍ لضرورة القيامة فيقول:

"لأنه إنّ كُنَّا قد صرنا متّحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته. عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليُبْطَلَ جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية." (رو ٦ : ٥، ٦)

فنحن بالمعمودية نصير متّحدين مع المسيح بشبه موته، ويصير لنا رجاء في القيامة كما قام هو أيضاً. ولو لم يكن المسيح قد قام، لَمَا كان لنا رجاء في القيامة.

ونجد نفس هذا المعنى في رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، فيما يُعتَبَر من أهم الفصول التي تتحدّث عن القيامة في الكتاب المقدس:

"ولكن إن كان المسيح يُكرَّر به أنه قام من الأموات، فكيف يقول قومٌ بينكم: إن ليس قيامة أموات؟ فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام! وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم، ونوجد نحن أيضاً شهود زورٍ لله، لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يُقَمَّ، إن كان الموتى لا يقومون. لأنه إن كان الموتى لا يقومون، فلا يكون المسيح قد قام. وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل إيمانكم. أنتم بعدُ في خطاياكم! إذا الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا! إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح، فإننا أشقى جميع الناس. ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين. فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضاً قيامة الأموات. لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع. ولكن كل واحد في رتبته: المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح في مجيئه." (١كو ١٥: ١٢-٢٣)

يؤكد القديس بولس في هذا الجزء على العلاقة الوثيقة بين قيامة المسيح وبين رجائنا في القيامة "لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام". ويضيف الرسول أنه إن لم يكن المسيح قد قام، وإن لم يكن لنا رجاء في القيامة، يصير الإيمان باطلاً والكراسة باطلة. وفي نهاية هذا الجزء يوضّح الرسول أن قيامة المسيح أعطتنا الرجاء في القيامة لأنه هو البكر كما سبق أن شرحنا مراراً، وإذ قام من الأموات "صار باكورة الراقدين"، أي أول مَنْ يقوم لنقوم نحن المؤمنون به وبقيامته المقدسة

على مثال قيامته. فكما أن آدم قد مات، وبموته قد دخل الموت إلى الجميع؛ كذلك أيضًا المسيح عندما قام، قد أقامنا معه وأحيانا جميعًا فيه.

رأينا من خلال آيات الكتاب المقدس ثلاثة أسباب لضرورة القيامة، والآن نستعرض بعض أقوال الآباء التي تؤكد نفس هذه الأسباب.

يقول القديس أثناسيوس:

«... لأن الرب كان مهتمًا، بصفة خاصة، بقيامة الجسد التي كان مزعمًا أن يتممها، إذ أنها دليل أمام الجميع على انتصاره على الموت، ولكي يؤكد لكل أنه أزال الفساد، وأنه منَح أجسادهم عدم الفساد من ذلك الحين فصاعدًا. وكضمان وبرهان على القيامة المُعدّة للجميع، فقد حفظ جسده بغير فساد.» (تجسّد الكلمة ف ٢٢/٤)

هنا يقدّم القديس أثناسيوس القيامة كغلبة للموت "إذ أنها دليل أمام الجميع على انتصاره على الموت". كما يقدّمها كرجاءٍ أكيدٍ لنا في قيامتنا على مثاله "وكضمان وبرهان على القيامة المُعدّة للجميع".

ويقول القديس كيرلس الكبير:

«إن الجسد المائت — أي القابل للموت — المأخوذ من المائتين المُستعبدِين للموت، قد صار هو نفسه جسدًا للحياة — أي للوغوس — لكي بهذا الجسد الذي كان خاضعًا للموت بحسب طبيعته الجسدية يتمكن — اللوغوس — أن يحارب الموت، وذلك بأن يقيمه من الأموات ويشكّله من جديد في عدم فساد وفي نصرته على الموت. لأن الموت لما أصاب جسد الحياة، انعدمت قوته.» (القديس كيرلس الكبير)

فالسيد المسيح الكلمة المتجسّد الذي يُحيي الجميع، قد اتَّخذ جسدًا لكي يموت به، ثم يتمكن بعد الموت من أن يُحييه مرّةً أخرى لأنه هو الحياة. وبذلك يكون قد غلب

الموت وأعاد عدم الفساد للطبيعة البشرية، وذلك "لأن الموت لما أصاب جسد الحياة، انعدمت قوته". وهو ما يُشبه تبديد النور للظلمة، فإذا وُجدَ مصدر للضوء، ولو كان صغيراً، فإنه ينتشر على مساحات كبيرة لأن النور دائماً هو الذي يُبَدِّد الظلمة. فالظلمة ليست كيئناً حقيقياً، بل ما هي إلا غياب النور. كذلك الموت ليس هو كيئناً حقيقياً، بل ما هو إلا الانفصال عن الحياة. فعندما تقابل المسيح — الذي هو الحياة — مع الموت، تبَدَّد الموت وانعدمت قوته.

ويقول القديس كيرلس أيضاً:

«فيه (أي في المسيح) قد عادت طبيعة الإنسان إلى حياة جديدة في التقديس وعدم الفساد بالقيامة من الأموات. وهكذا قد أُبِيدَ الموت إذ لم يحتمل الحياة بطبعه — أي اللوغوس — أن يُخضع جسده للفساد لأن المسيح لم يكن ممكناً أن يُمسك من الموت بحسب كلمات القديس بطرس الإلهية. وهكذا انتقلت منه إلينا بركات هذا النصر.»
(القديس كيرلس الكبير)

أي أن ربنا يسوع قام لأن، من ناحية، لم يكن ممكناً للموت أن يُمسكه. ومن ناحية أخرى، لم يكن ليُقبل الرب أن يُخضع جسده للفساد. وليس هذا فقط بل عندما قام السيد المسيح انتقلت منه إلينا بركات هذا النصر، أي كما يقول الكتاب المقدس: "أقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات" (أف ٢: ٦).

وأيضاً:

«إننا نعتقد أن السرَّ الحاصل بقيامة المسيح يمتد ويدرك جميع طبيعة الإنسان. فنحن نؤمن أن طبيعتنا كلها — فيه هو أولاً — قد انعدمت من الفساد، لأن الجميع سيقومون على مثال ذلك الذي أُقيمَ لأجلنا، وهو حامل الجميع في نفسه من حيث أنه إنسانٌ. وكما أننا سقطنا جميعاً في الموت في الإنسان الأول (آدم)، هكذا أيضاً سيقوم الجميع في الذي

صار بكرًا لنا، ولكن الذين صنعوا الخير إلى قيامة الحياة كما هو مكتوب، والذين صنعوا الشر إلى قيامة الدينونة. وأنا أؤكد أن القيامة للعذاب هي أصعب وأقسى من الموت نفسه.» (القديس كيرلس الكبير)

السيد المسيح بقيامته قد حرّر طبيعتنا جميعًا من الفساد، لأننا جميعًا سنقوم على مثال قيامته. فكما مات الجميع في آدم، هكذا سيحيا الجميع في المسيح. ولكن الأبرار إلى قيامة الحياة والأشرار إلى قيامة الدينونة.

وآخر قول نستشهد به للقديس كيرلس الكبير:

«لأنه كما أن النبات لا يمكن أن ينبت من الأرض قبل أن يتكوّن أصله (جذره) أولاً، هكذا نحن أيضًا إذ صار الرب يسوع المسيح أصلًا لنا لعدم الفساد، لم يكن ممكنًا أن ننبت قبل أصلنا.» (القديس كيرلس الكبير)

أي أنه كان من الضروري أن يقوم السيد المسيح أولاً، لأنه هو بكرنا وأصلنا، وذلك لكي ما نقوم نحن أيضًا ونرث عدم الفساد ونرث الطبيعة الجديدة، كما يقول القديس بولس الرسول: "إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة" (٢كو ٥: ١٧).

إذا كان لا بدّ من قيامة الرب يسوع المسيح من بين الأموات من أجل خلاصنا للأسباب الثلاثة الآتية:

١. بالقيامة غلب الموت الذي ابتلع من الحياة.
٢. بالقيامة استعلن لنا لاهوت الابن الأزلي الذي أخلّى ذاته بالتجسّد.
٣. بقيامة المسيح، كبر لنا وباكورة للراقدين، صار لنا الرجاء في القيامة على مثاله.



٦- لماذا قام السيد المسيح بعد ثلاثة أيام وليس أقل أو أكثر من ذلك؟

يُجيبنا على هذا السؤال القديس أثناسيوس قائلًا:

«ولقد كان يستطيع أن يقيم جسده بعد الموت مباشرة، ويظهره حيًا، ولكن المخلص بحكمة وبُعد نظر لم يفعل هذا. لأنه لو كان قد أظهر القيامة في الحال لكان من المُحتمل أن يقول أحدهم إنه لم يمت بالمرة، أو أن الموت لم يلمسه بشكل كامل.

وربما لو كانت القيامة قد حدثت في اليوم التالي للموت مباشرة لَمَا ظهر مجد عدم فساد جسده. ولذلك فلكي يتأكد موت الجسد فإن الكلمة أبقاه يومًا آخر، وفي اليوم الثالث أظهره عديم الفساد أمام الجميع. إذاً فلكي يتأكد موت الجسد لذلك أقامه في اليوم الثالث.

ولكن لو أنه أقام الجسد بعد أن بقي فترة طويلة، وبعد أن يكون قد فسد تمامًا، فقد يُشكَّ فيه كأنه قد استبدل جسده بجسد آخر. لأن الإنسان بمرور الزمن قد يشكُّ فيما سبق أن رآه، وينسى ما قد حدث فعلاً. لهذا السبب فإن الرب لم ينتظر أكثر من ثلاثة أيام، كما أنه لم يترك الذين سبق فأخبرهم عن القيامة مُعلّقين لفترة طويلة.

ولكن بينما كانت أقواله لا تزال تترنُّ في آذانهم، وكانت عيونهم لا تزال في حالة توقُّع وعقولهم مُعلّقة حائرة، وإذ كان الذين قتلوه لا يزالون أحياء على الأرض وفي نفس المكان، ويمكن أن يشهدوا بموت جسد الرب؛ فإن ابن الله نفسه — بعد فترة ثلاثة أيام — أظهر جسده، الذي كان قد مات، غير مائتٍ وعديم الفساد. وقد اتّضح للجميع أن الجسد قد مات ليس بسبب أي ضعف في طبيعة الكلمة الذي

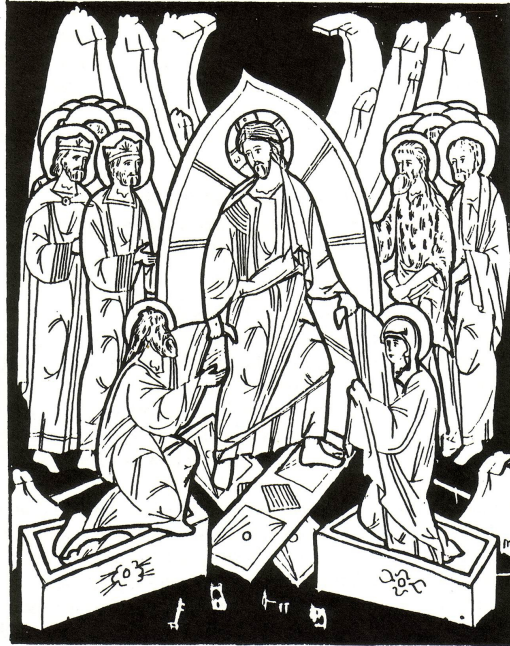
اتَّحد بالجسد، بل لكي يُباد الموت فيه (في الجسد) بقوة المخلص.»
(تجسُّد الكلمة ف ٢٦/٢-٦)

هكذا يمكننا القول بأن رب المجد قام بعد ثلاثة أيام وليس أقل من ذلك لسببين:

١. لكي يتأكَّد موته، ولا يدَّعي أحدُّ أنه لم يَمُتْ.
٢. لكي تكون هناك فرصة من الزمن حتى يفسد الجسد المائت، فبعد القيامة يظهر مجد عدم فساد جسد الرب الذي لا يمكن أن يرى فسادًا.

كما لم يَقم الرب بعد أكثر من ثلاثة أيام للأسباب الآتية:

١. لنلا يشكَّ أحدُّ أن الذي قام ليس هو هو الذي مات أمامهم.
٢. لكي لا يترك تلاميذه ورُسُلَه، الذين سبق فأخبرهم عن القيامة، مُعلِّقين لفترة طويلة.
٣. لكي تكون الشهادة على القيامة قوية من الذين رأوا السيد المسيح وسمعوه، بينما مشهد موته مازال عالقًا بالأذهان، والذين قتلوه ما زالوا أحياءً وأيديهم مملوءة من دمه الطاهر.



٧- كيف كان الصعود جزءاً من عملية الفداء والخلاص؟

فيما سبق أوضحنا ضرورة الصليب من أجل خلاصنا حيث قدّم مخلصنا الصالح ذاته ذبيحةً بالصليب. كما كانت القيامة ضرورية أيضاً لخلاصنا من حيث كونها غلبةً للموت. وفي إجابتنا على هذا السؤال نشرح ضرورة الصعود من أجل خلاصنا أيضاً، وأنه لم يكن مجرد عودة للسيد المسيح إلى السماء التي جاء إلينا منها متجسداً.

وفي البداية نستعرض تسجيل الكتاب المقدس لهذا الحدث المقدس، فيقول معلمنا لوقا البشير:

"وفيما هو يباركهم، انفرد عنهم وأُصْعِدَ إلى السماء." (لو ٢٤ : ٥١)

ويقول معلمنا مرقس البشير:

"ثم إن الرب بعدما كلّمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله."
(مر ١٦ : ١٩)

ويتحدّث القديس لوقا عن حدث الصعود في سفر أعمال الرسل:

"ولمّا قال هذا ارتفع وهم ينظرون. وأخذته سحابةٌ عن أعينهم."
(أع ١ : ٩)

ونلاحظ أن القديس لوقا في تسجيله لهذا الحدث في إنجيله يذكره بصيغة المبني للمجهول "وأُصْعِدَ إلى السماء"؛ بينما القديس مرقس والقديس لوقا نفسه في سفر الأعمال يسجلانه بصيغة المبني للمعلوم حيث شخص الرب يسوع هو الفاعل "ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله"، "ارتفع وهم ينظرون". فبحسب التجسّد يكون السيد المسيح قد "أُصْعِدَ" إلى السماء من قِبَلِ الله، أمّا بحسب طبيعته الإلهية فهو الذي "ارتفع" إلى السماء، و"جلس" عن يمين الله.

ومن اللافت للنظر أن القديس لوقا البشير بعد حديثه عن الصعود مباشرة يقول عن التلاميذ: "فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم" (لو ٢٤: ٥٢)؛ فعلى الرغم من أن صعود السيد المسيح كان موقف فراق ووداع بالنسبة للتلاميذ، إلا أنهم رجعوا فرحين من أجل إيمانهم بما في صعود المسيح من رجاء عظيم لهم كما سنرى فيما يأتي من شرح.

وننتقل إلى المعاني التي يمكن أن نكتشفها في صعود رب المجد يسوع، فنجد أن المزمور يقول:

"ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن، وارفعن أيتها الأبواب الدهريات، فيدخل ملك المجد. مَنْ هو هذا ملك المجد؟ الرب القدير الجبار، الرب الجبار في القتال. ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن، وارفعنها أيتها الأبواب الدهريات، فيدخل ملك المجد. مَنْ هو هذا ملك المجد؟ رب الجنود هو ملك المجد." (مز ٢٤: ٧-١٠)

"الأرتاج" أي الأبواب أو البوابات (gates). تمثل هذه الآيات مشهداً تصويرياً: كما لو أن الملائكة أمروا بأن يفتحوا أبواب أورشليم السمائية أمام "ملك المجد"، إذ هم المسؤولون عنها (رو ٢١: ١٢)، فتسأل الملائكة فيما بينهم مرتين: "مَنْ هو هذا ملك المجد؟" وجاءت الإجابة بأن رب المجد يسوع المسيح الصاعد إلى السماوات هو بعينه "الرب القدير الجبار، الرب الجبار في القتال"، "رب الجنود".

هذا المشهد هو نبوة عن صعود رب المجد يسوع بجسده إلى السماء، وهو يُعبّر عن فتح أبواب السماء مرة أخرى أمام الطبيعة البشرية في شخص السيد المسيح، بعد أن كانت مغلقة بسبب الخطية والعداوة مع الله. فالسماوات قد انفتحت مرة أخرى أمام السيد المسيح الله الكلمة المتجسد، الذي صعد بجسد بشریتنا ليعيد إدخالنا إلى السماء مرة أخرى.

و يقول إشعياء النبي:

"مَنْ ذَا الْآتِي مِنْ أَدُومَ، بِثِيَابِ حُمْرٍ مِنْ بُصْرَةَ؟ هَذَا الْبَهِيُّ بِمَلَابِسِهِ،
الْمُتَعَزِّمُ بِكَثْرَةِ قُوَّتِهِ. أَنَا الْمُتَكَلِّمُ بِالْبَرِّ، الْعَظِيمُ لِلْخَلَاصِ. مَا بَالُ لِبَاسِكَ
مُحْمَرٌّ، وَثِيَابِكَ كَدَائِسِ الْمَعْصِرَةِ؟ قَدْ دُسْتُ الْمَعْصِرَةَ وَحْدِي، وَمِنْ
الشُّعُوبِ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ أَحَدٌ. فَدُسَّتُهُمْ بِغَضَبِي، وَوَطَّنَتُهُمْ بِغِيظِي فَرَشَّ
عَصِيرَهُمْ عَلَى ثِيَابِي، فَلَطَخْتُ كُلَّ مَلَابِسِي." (إش ٦٣: ١-٣)

ويُقدِّم لنا هنا إشعياء بروح النبوة أيضاً كما لو أن حواراً قد دار بين رب المجد
يسوع، وهو صاعدٌ من الأرض "من أَدُومَ"^٩ وداخلٌ إلى السماوات، وبين الملائكة التي
تسأله دون أن تعرف مَنْ هو: "مَنْ ذَا الْآتِي مِنْ أَدُومَ، بِثِيَابِ حُمْرٍ مِنْ بُصْرَةَ؟" فيجيبهم
الرب بأنه هو الله المخلص الذي سَفَكَ دمه من أجل خلاص البشر: "أَنَا الْمُتَكَلِّمُ بِالْبَرِّ،
الْعَظِيمُ لِلْخَلَاصِ". ثم يعودون يسألونه: "مَا بَالُ لِبَاسِكَ مُحْمَرٌّ وَثِيَابِكَ كَدَائِسِ الْمَعْصِرَةِ؟"
فيجيبهم قائلاً: "قَدْ دُسْتُ الْمَعْصِرَةَ وَحْدِي، وَمِنْ الشُّعُوبِ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ أَحَدٌ. فَدُسَّتُهُمْ
بِغَضَبِي، وَوَطَّنَتُهُمْ بِغِيظِي فَرَشَّ عَصِيرَهُمْ عَلَى ثِيَابِي، فَلَطَخْتُ كُلَّ مَلَابِسِي". بمعنى
أنه هو الذي حمل خطايا البشر وحده، ومات على الصليب من أجل خلاص البشرية.
وها هو صاعدٌ إلى السماوات حاملاً في جسده القائم من الموت آثار جراحات الصليب
كدليل على غلبته للموت.

صورة رائعة يقدِّمها لنا إشعياء النبي للدخول الانتصاري للرب يسوع المسيح
بجسد بشريتنا الأقداس السماوية.

ويقول القديس بولس الرسول عند دخول المسيح إلى الأقداس السماوية:

"لأن المسيح لم يدخل إلى أقداسٍ مصنوعةٍ بيدٍ أشباه الحقيقية، بل إلى
السمااء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا." (عب ٩: ٢٤)

^٩ "أدوم" هو الاسم الآخر لعيسو أخي يعقوب، ومعناه "دم". وهنا ترمز كلمة "أدوم" للأرض وللعالَم الذي رئيسه
هو الشيطان الذي كان قتالاً للناس منذ البدء وسفكاً للدماء. لذلك استُخدمت هنا للتعبير عن آلام المسيح
وصليبه وموته ودمه الذي سَفَكَ بعمل الشيطان الذي كان يُحرِّك اليهود الذين صلبوا المسيح، ولكن المسيح قد
حوَّل الموت إلى قيامة، والهزيمة إلى غلبة.

فقديمًا كان رئيس الكهنة يدخل مرةً واحدةً إلى قدس الأقداس الموجود في خيمة الاجتماع أو الهيكل في موقفٍ شديد الرهبة. وكانت تلك الأقداس تشير وترمز إلى السماء، أمّا السيد المسيح، ففي صعوده، لم يدخل إلى تلك الأقداس التي تشبه الحقيقية "أشباه الحقيقية"، بل دخل إلى الأقداس الحقيقية أي إلى السماء عينها. فالأقداس التي كانت في الهيكل كانت مصنوعة بأيدي البشر كما أمر الرب موسى على الجبل، أمّا الأقداس السماوية فليست كذلك. وقد كشف لنا القديس بولس الرسول أن دخول رب المجد يسوع إلى تلك الأقداس كان "ليُظْهَر أمام وجه الله لأجلنا". فالإنسان بسبب خطيته كان محرومًا من أن يظهر أمام وجه الله، أو أن يتراءى أمامه، وذلك بسبب العداوة التي قد نتجت عن الخطية. ولكن ربنا يسوع المسيح بكرنا الذي فدانا بدمه كان، بحسب تجسّده، أول مَنْ يحمل الطبيعة البشرية ويدخل إلى الأقداس السماوية ويتراءى أمام الآب. وذلك ليس من أجل نفسه — إذ هو الإله الذي لا تَسْعُهُ السماوات ولا سماء السماوات — بل من أجلنا.

ويقول القديس بولس الرسول أيضًا:

"الذي، وهو بهاء مجده، ورسم جوهره، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي." (عب ١: ٣)

وأيضًا:

"وأما هذا (المسيح) فبعدما قدّم عن الخطايا ذبيحةً واحدةً، جلس إلى الأبد عن يمين الله." (عب ١٠: ١٢)

أي أن السيد المسيح الإله الكلمة المتجسّد بعد أن صعدَ إلى السماوات جلس عن يمين الله. وتعبير "يمين الله" لا يُقصد به اليمين أو اليسار بحسب المفهوم البشري؛ وإلاّ كان معنى هذا أن الآب محدودٌ بمكانٍ عن يمينه وآخر عن يساره، بل وأن الابن أيضًا محدودٌ بهذا المكان الذي عن يمين أبيه. وحاشا أن يكون الأمر كذلك! ولكن يُقصد بهذا التعبير المجد والكرامة والقوة. وقد كان ذلك تحقيقًا لطلبة السيد المسيح في صلاته في

جنسيماني: "والآن مجدّني أنتَ أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم." (يو ١٧ : ٥)

فالسيد المسيح بجلوسه عن يمين الآب قد تمجّد، وذلك بالطبع بحسب التجسّد، وليس بحسب طبيعته الإلهية إذ هو الإله الكلّي المجد منذ الأزل وإلى الأبد. فهذا المجد هو الذي كانت تحتاجه البشرية بعد أن أخطأت وصارت منفصلة عن الله ومعزولة عنه. لذلك نقول إن صعود السيد المسيح إلى السماوات جسدياً وجلوسه عن يمين الآب كان جزءاً أساسياً من عمل الخلاص. لأن السيد المسيح — كما قلنا سابقاً — هو البكر بالنسبة للجنس البشري والنائب عنه وهو باكورة الخليقة الجديدة، ولذلك فقد كان لازماً لخلاصنا أن يصعد السيد المسيح للسماوات جسدياً، وأن يظهر أمام الآب، وأن يجلس عن يمين الآب في موضع المجد والكرامة والقوة.

ويضيف القديس بولس الرسول:

"فإذ لنا أيها الإخوة ثقةٌ بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرّسه لنا حديثاً حيّاً، بالحجاب، أي جسده." (عب ١٠ : ١٩ ، ٢٠)

أي أن صعود السيد المسيح بجسده إلى السماوات قد فتح لنا طريقاً جديداً لم يكن مفتوحاً من قبل، حتى نتكّن نحن من خلال هذا الطريق أن ندخل منه إلى الأقداس ونتراءى من جديد أمام الآب. فدخول السيد المسيح للسماء قد قدّم لنا الثقة والرجاء في دخولنا نحن أيضاً إلى السماء، كما قال السيد المسيح: "أنا هو الباب" (يو ١٠ : ٩)، "ليس أحدٌ يأتي إلى الآب إلاّ بي" (يو ١٤ : ٦).

وعن الرجاء الذي صار لنا في ملكوت السماوات بخلاص المسيح، يقول القديس بولس الرسول:

"الذي هو لنا كمرساةٍ للنفس مؤتمنة وثابتة، تدخل إلى ما داخل الحجاب، حيث دخل يسوع كسابقٍ لأجلنا، صائراً على رتبة ملكي صادق، رئيس كهنةٍ إلى الأبد." (عب ٦ : ١٩ ، ٢٠)

أي أن رجاءنا الذي نحيا به يشبه المرساة التي تربط السفينة. ولكن المرساة تربط السفينة بالميناء، أمّا الرجاء فيربطنا بما وراء الحجاب أي بالأقداس السماوية. ومصدر هذا الرجاء — كما يقول القديس بولس الرسول — هو يسوع الذي دخل إلى هذه الأقداس كسابق لأجلنا لكي يُعدّ لنا مكاناً هناك.

ونجد هذه المعاني بكل تركيز في كلمات قليلة من صلوات القديس الإلهي:

«أصعدت باكورتى إلى السماء.» (القديس الغريغوري)

وعن صعود رب المجد يسوع إلى السماء يقول القديس كيرلس الكبير:

«لم يكن إنساناً ما يستطيع أن يدخل إلى حضرة الآب ما لم يكن هو نفسه الكلمة الحقيقي ابن الآب الطبيعي وقد لبس جسداً.» (القديس كيرلس الكبير)

فلم يكن يوجد أي إنسان يستطيع أن يفتح الطريق إلى السماء ويظهر مرة أخرى أمام الآب، إلا إذا كان هو الله الكلمة وقد تجسّد وصار إنساناً. ونلاحظ أن الله الكلمة هو "ابن الله الطبيعي"، فهو ليس فقط يظهر أمام الآب، بل هو في حضن الآب كل حين. وبحسب تجسّده قد صار بكرًا لنا، فمات عنا وقام منتصرًا على الموت، وبصعوده إلى السماوات جسديًا ظهر أمام الآب معطيًا إيّانا نحن أيضًا هذه الإمكانية.

ويقول القديس أنثاسيوس:

«افتتح (الرب) لنا من جديد الطريق الصاعد إلى السماوات كما قال: "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية" (مز ٢٤: ٧ حسب الترجمة السبعينية). فلم يكن اللوغوس نفسه هو المحتاج لأن تُفتح له الأبواب إذ كان هو رب الكل، ولم يكن شيء من المصنوعات مغلقًا أمام خالقه، ولكننا نحن الذين كُنّا نحتاج إلى ذلك،

فكما أنه قدّم جسده للموت نيابةً عن الجميع، هكذا أيضاً بواسطته قد أُعدَّ من جديد الطريق الصاعد إلى السماوات.» (تجسّد الكلمة ف ٢٥/٦)

والقديس أثاناسيوس هنا يؤكّد ما سبق قوله من أن السيد المسيح بحسب طبيعته اللاهوتية لم يكن محتاجاً لأن تُفتح أمامه الأبواب لأنه هو رب الكل؛ ولكن من حيث تجسّده وصيرورته بكرّاً لنا ونائباً عنا، فقد افتتح لنا الطريق الصاعد إلى السماوات، إذ كنّا نحن الذين في احتياجٍ إلى ذلك.

ويقول القديس كيرلس أيضاً:

«والقديس بولس المُلهم يوافق على هذه النظرة إذ يقول: "لأن المسيح لم يدخل إلى أقداسٍ مصنوعة بيدٍ أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا" (عب ٩: ٢٤). فهو يقول صراحةً إن الابن الكائن دائماً في حضرة أبيه، والذي من طبيعته بسبب مساواة الجوهر، إنما يظهر الآن أمام وجه الآب ليس من أجل نفسه بل "من أجلنا". فإني أكرّر ما سبقت أن قلته: إنه بانطلاقه إلى السماء كباكورة البشرية يُدخلنا إلى حضرة الآب، فكما يُقال عنه أنه مع كونه الحياة بطبعه قد مات وقام أيضاً من أجلنا، هكذا أيضاً يُقال أنه مع كونه يعاين الآب ويرى منه بالمثل في كل حين، إلّا أنه قد ظهر الآن أمامه كإنسانٍ — أي كمنٍ يحمل على عاتقه الطبيعة البشرية — ليس من أجل نفسه بل من أجلنا نحن. فحيث أن صعودنا إلى السماء كان هو الشيء الوحيد الأخير الذي كان لا يزال ناقصاً في تدبيره من أجلنا، لذلك فقد صعد المسيح كباكورة وكبدءٍ للذين يصعدون، لأنه قد صعد إلى هناك "كسابقٍ لأجلنا" (عب ٦: ٢٠) كما أُوحِيَ أيضاً إلى بولس نفسه.»

(القديس كيرلس الكبير)

فالقديس كيرلس يستشهد بقول القديس بولس الرسول الذي سبق أن أوردناه (عب ٩: ٢٤)، ليثبت أن السيد المسيح لم يكن يحتاج إلى ظهوره أمام الآب لأنه "يعاين

الآب ويُرى منه في كل حين"، ولكنه قد فعل ذلك بحسب تجسُّده من أجلنا "إلا أنه قد ظهر الآن أمامه كإنسان"، وذلك لأنه باكورة بشریتنا. "وبانطلاقه إلى السماء كباكورة البشرية يُدخلنا إلى حضرة الآب"، فبعد موت المسيح وقيامته عنا كان كل ما ينقص هو صعوده كباكورة لنا إلى السماء "فحيث أن صعودنا إلى السماء كان هو الشيء الوحيد الأخير الذي كان لا يزال ناقصاً في تدبيره من أجلنا، لذلك فقد صعد المسيح كباكورة وكبدء للذين يصعدون".

لذلك يقول القديس كيرلس أيضاً:

«إننا فيه ندخل السماء وفيه نظهر أمام الآب، هكذا فيه أيضاً نتمجد ونُدعى أبناء الله.» (القديس كيرلس الكبير)

إذا قد مات المسيح عنا، وقام من الأموات من أجل خلاصنا. ومن أجل خلاصنا أيضاً صعد إلى السماوات جسدياً، وجلس عن يمين الآب كبرٍ وكنائبٍ عن البشرية. هكذا افتتح الطريق الصاعد إلى السماوات، وعادت البشرية — في المسيح يسوع — لتتراءى أمام الآب السماوي من جديد بعد العداوة القديمة.



٨ - ما معنى قول الكتاب المقدس "خيرٌ لكم أن أنطلق"؟

من ضمن ما قاله السيد المسيح لتلاميذه في الحديث الوداعي قبل الصليب:

"لكني أقول لكم الحق: إنه خيرٌ لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعزِّي، ولكن إن ذهبْتُ أُرسلُهُ إليكم." (يو ١٦ : ٧)

ولا بُدَّ أن هذا القول قد أثار دهشة التلاميذ واستغرابهم، وبالأخص أنه قيل لهم قبل الصليب والقيامة والصعود، إذ كيف يكون الخير أن ينطلق السيد والمعلم تاركًا تلاميذه؟ ونتصور أن ما دار بأذهانهم عند سماعهم هذه الكلمة هو: لا يا رب، بل لا يوجد لنا خيرٌ أكثر من أن تبقى أنت معنا.

ولكن بالطبع كان انطلاق السيد المسيح بالصليب والقيامة والصعود، ثم إرسال الروح القدس من أجل خلاصنا هو أعظم خيرٍ صار لكل البشرية.

في ذلك يقول القديس كيرلس الكبير:

«فلما كانت رسالة الرب على الأرض قد تكملت، كان من الواجب أن يُكمل أيضًا هذا الشيء الأخير وهو الصعود إلى الآب ولذلك قال: "إنه خيرٌ لكم أن أنطلق."» (القديس كيرلس الكبير)

أوضحنا في السؤال السابق البركات التي نلناها بصعود رب المجد، وكيف كان الصعود ضروريًا لإتمام الخلاص. فكل هذه البركات ما كان يمكن أن ننالها لو لم يكن السيد المسيح قد صعدَ إلى السماء، لذلك قال: "خيرٌ لكم أن أنطلق".

ويقول القديس كيرلس أيضًا:

«إن كل أعمال الرب على الأرض كانت قد تكملت كما قلنا، غير أنه كان يلزم أن نصير شركاء لطبيعة اللوغوس الإلهية أو بالحري أن نطرح عنا حياتنا الخاصة السابقة ونتحول إلى حياة أخرى بأن تتغير أعماق

كياننا إلى حياة جديدة تَسْرُّ الله. ولكن كان من المستحيل أن نصل إلى هذه الغاية بوسيلة أخرى غير المشاركة في الروح القدس. ولذلك فأكثر وقت مناسب لإرسال الروح القدس وحلوله علينا كان هو الوقت الذي حدث فيه، أعني وقت انطلاق مُخْلِصنا المسيح (أي صعوده).»
(القديس كيرلس الكبير)

فبعد أن أكمل السيد المسيح خلاصنا، كان يلزمنا أن يأتي الروح القدس ويسكن فينا، لكي "تتغير أعماق كياننا إلى حياة جديدة تَسْرُّ الله". ولم يكن يمكن أن يحلَّ الروح القدس فينا، لو لم يكن السيد المسيح قد صعدَ إلى السماوات، وهو ما قاله السيد المسيح نفسه: "لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعْزِّي". فعندما صعدَ رب المجد يسوع بجسده القائم من الموت، ظهر أمام الآب مُقَدِّمًا ذبيحته التي بذلها عن حياة العالم مُحَقِّقًا المصالحة بين السماء والأرض. وعندما حدث ذلك أفاض الآب علينا بنعمة الروح القدس الذي حلَّ علينا وجعلنا مسكنًا له.

إذاً فبصعود السيد المسيح جسدياً أمكن له أن يرسل لنا الروح القدس من الآب لكي يحلَّ فينا ويوحِّدنا فيه (يو ١٥ : ٢٦)^{١٠}، لذلك قال: "خيرٌ لكم أن أنطلق".



^{١٠} سيأتي شرح هذه النقطة بالتفصيل في القسم الثالث "صيرنا أطيهاراً بروحك القدس".

٩- كيف يصعد المسيح إلى السماء وهو مالى السماء والأرض؟

يتساءل الكثيرون هذا السؤال، ونجيب نحن بنفس المنهج الذي استخدمناه في الإجابة على الكثير من الأسئلة السابقة وهو أن السيد المسيح، بحسب طبيعته اللاهوتية، هو موجودٌ في كل مكانٍ ولا يخلو منه مكانٌ سواء في السماء أو على الأرض، كما إنه لا يحدُّه مكانٌ؛ ولكنه، بحسب تجسُّده، قد صعدَ إلى السماء بجسده، كما إنه قد مات وقام بجسده أيضًا.

ويقول السيد المسيح عن ذلك:

"وليس أحدٌ صعدَ إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء." (يو ٣: ١٣)

فالذي صعدَ إلى السماء بالجسد هو مخلصنا يسوع المسيح، والذي نزل من السماء متجسِّدًا هو أيضًا مخلصنا يسوع المسيح. في حين أنه، من جهة لاهوته، فهو الله "الذي هو في السماء" على الدوام.



١٠ - لماذا لم يصعد السيد المسيح إلى السماوات مباشرةً بعد القيامة بل صعد بعد أربعين يوماً منها؟

لم يصعد السيد المسيح مباشرةً بعد القيامة، بل اختار أن يبقى أربعين يوماً قبل أن يصعد إلى السماء لسببين رئيسيين:

أ - تأكيد القيامة

وهو ما سجله لنا معلمنا القديس بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس:

"فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً: أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وأنه ظهر لصفاً ثم للاثني عشر. وبعد ذلك ظهر دفعةً واحدةً لأكثر من خمس مئة أخ، أكثرهم باقٍ إلى الآن. ولكن بعضهم قد رقدوا. وبعد ذلك ظهر ليعقوب، ثم للرسول أجمعين. وآخر الكل - كأنه للسقط ظهر - لي أنا." (١كو ١٥: ٣-٨)

فالقديس بولس هنا يثبت القيامة ويؤكد لها من خلال سرده لظهورات ربنا يسوع المسيح بعد قيامته: أولاً لبطرس، ثم للاثني عشر تلميذاً، ثم لأكثر من خمس مئة أخ أكثرهم كانوا أحياء حتى وقت كتابة القديس بولس للرسالة، ثم ليعقوب، ثم للرسول أجمعين، وأخيراً له هو شخصياً. أي أن السبب الأول لصعود السيد المسيح بعد أربعين يوماً من القيامة هو إثبات القيامة وتأكيدا بظهورات الرب يسوع بعد القيامة.

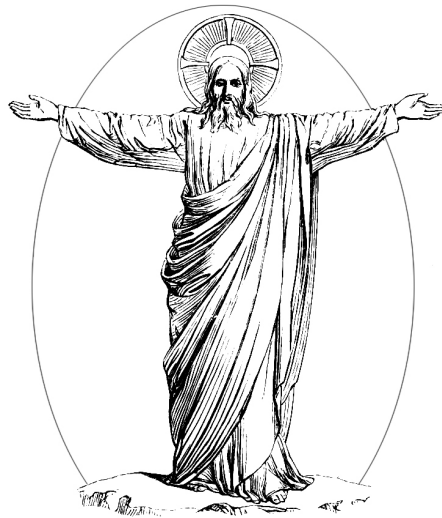
ب - الإعلان عن الأمور المختصة بالكنيسة (ملكوت الله على الأرض)

وهو ما ذكره معلمنا القديس لوقا البشير في بداية سفر أعمال الرسل:

"الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلُس، عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويُعلِّم به، إلى اليوم الذي ارتفع فيه، بعد ما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم. الذين أراهم أيضًا نفسه حيًّا ببراھين كثيرة، بعد ما تألم، وهو يظهر لهم أربعين يومًا، ويتكلَّم عن الأمور المختصَّة بملكوت الله." (أع ١: ٣-١)

فالسيد المسيح قبل أن يصعد إلى السماء "أراهم نفسه حيًّا ببراھين كثيرة"، أي أنه أثبت للجميع قيامته كما ذكرنا في السبب الأول. ولكن معلَّمنا القديس لوقا يُضيف قائلاً: "وهو يظهر لهم أربعين يومًا، ويتكلَّم عن الأمور المختصَّة بملكوت الله". فالسبب الثاني لانتظار السيد المسيح أربعين يومًا قبل صعوده إلى السماوات هو أن يشرح لتلاميذه ويُعلِّمهم عن الأمور المختصَّة بملكوت الله، والتي ما كان يمكن أن يكلمهم عنها قبل صليبه وقيامته. وحيث أن الكنيسة هي ملكوت الله على الأرض، فقد كان السيد المسيح يسلم تلاميذه ورسله كل ما يخصُّ تدبير الكنيسة بصفتهم أنهم سيكونون هم قادتها بعد حلول الروح القدس.

ونحن لا نعلم بالتحديد ما كان يقوله السيد المسيح لتلاميذه في هذه الأحاديث، ولكن عزاءنا أن التلاميذ قد نقلوا لنا ما قاله لهم السيد المسيح ليس فقط كرسائل مكتوبة، بل كحياة معاشة قد استودعوها للكنيسة من خلال التقليد المُقدَّس.



١١- ما معنى كهنوت السيد المسيح؟

١٢- متى صار السيد المسيح رئيس كهنة أعظم؟

يقول القديس بولس الرسول في الرسالة إلى العبرانيين:

"وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا، قد جلس في يمين
عرش العظمة في السماوات، خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي
نصبه الرب لا إنسان." (عب ٨: ١، ٢)

يؤكد القديس بولس الرسول للعبرانيين أن أول وأهم ما يجب أن يقبلوه ويؤمنوا به
هو أن السيد المسيح قد صار لنا رئيس كهنة يمارس عمله الكهنوتي ليس في شبه
السماويات وظلّها مثل رئيس الكهنة في العهد القديم، بل في الأقداس السماوية الحقيقية
التي لم تصنعها أيدي بشر.

ولكي نفهم معنى كهنوت السيد المسيح، وكيف نقول عنه إنه رئيس كهنة، لا بدّ أن
نعرف أن الكاهن هو وسيط بين الله القدوس والإنسان الخاطئ الذي صار في عداوة
مع الله بسبب الخطية. ووساطة الكاهن ليست هي مجرد الوقوف أمام الله لطلب
المغفرة من أجل الإنسان الخاطئ، بل أن يُقدّم الكاهن ذبيحةً لله ليُكفّر بها عن خطية
الإنسان، ويطلب بحقّ دمها أن يغفر الله لهذا الإنسان. وهذا هو مفهوم الكهنوت، وعمل
الكاهن كوسيط بين الله والبشر. وعلى هذا يكون معنى كهنوت السيد المسيح أنه، وهو
الإله القدوس، قد صار وسيطاً بين الله والإنسان، وذلك بتجسّده وتقديمه لجسده كذبيحة
عناً على الصليب، ثم صعوده إلى السماوات ليتراءى أمام الآب بهذه الذبيحة لكي
يصير لنا القبول أمام الآب السماوي. ولم يكن أحدٌ يستطيع أن يمارس هذا العمل
الكهنوتي الفائق إلاّ الرب يسوع المسيح وحده كقول القديس بولس الرسول:

"لأن هذا حسنٌ ومقبولٌ لدى مخلصنا الله، الذي يريد أن جميع الناس
يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقبلون. لأنه يوجد إلهٌ واحدٌ ووسيطٌ واحدٌ

بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فديةً لأجل الجميع... " (١ تي ٢: ٣-٦)

إذاً فلا يوجد سوى وسيطٍ واحدٍ بين الله والناس هو "الإنسان يسوع المسيح"، وقد استخدم القديس بولس تعبير "الإنسان" لكي يوضح أن السيد المسيح، وهو الإله الحقيقي، لم يصِر وسيطاً بين الله والناس إلا عندما تجسّد وصار إنساناً.

وهذا الوسيط الإلهي، ربنا يسوع المسيح، قد صار وسيطاً ورئيس كهنة عندما بذل نفسه فديةً لأجل الجميع، وصارت ذبيحة جسده هي التي يكهن بها أمام الآب. لذلك يقول القديس بولس في الرسالة إلى العبرانيين أيضاً:

"وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد، له كهنوت لا يزول. فمن ثمَّ يُقدَّر أن يُخلَّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدّمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كل حينٍ ليشفع فيهم. لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا، قدوسٌ بلا شرٍّ ولا دنسٍ، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السماوات، الذي ليس له اضطرارٌ كل يومٍ مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرةً واحدةً، إذ قدّم نفسه." (عب ٧: ٢٤-٢٧)

حيث أن مخلصنا هو الله الحيُّ في كل حين الذي لا يموت، فله كهنوتٌ لا يزول، وبالتالي يستطيع أن "يُخلَّص أيضاً إلى التمام"، أي أن يُخلَّص جميع البشر من آدم وإلى آخر الدهور من جميع الخطايا. ولكن بالطبع ليس جميع البشر بشكلٍ مُطلقٍ، بل "الذين يتقدّمون به إلى الله". فكل من يتقدّم إلى الآب باسم المسيح، وفي المسيح، وخاضعاً لوصايا المسيح، فهذا فقط ينال الخلاص. وهذا ما تعلّمه لنا كنيستنا أن جميع صلواتنا وطلباتنا تكون باسم يسوع المسيح ربنا، كما قال الرب يسوع نفسه: "كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم" (يو ١٦: ٢٣).

وخلص المسيح هذا الذي سيناله جميع المؤمنين في كل زمان، سيكون بسبب أنه "حيّ في كل حينٍ ليشفع فيهم". أي أن السيد المسيح يشفع فينا بشفاعته الكفّارية المرتبطة بدمه الطاهر الذي سفكه عنا، وبهذه الشفاعة — أي الوساطة — يمارس كهنوته السماوي. فأَيُّ كاهنٍ يشفع في شعبه أمام الله اعتمادًا على الذبيحة التي يُقدّمها، هكذا يفعل السيد المسيح إذ قد صار رئيس كهنةٍ يشفع فينا أمام الآب بذبيحة نفسه.

وتختلف الشفاعة الكفّارية الخاصة بالسيد المسيح وحده عن الشفاعة التوسّلية الخاصة بالقدّيسين. فالشفاعة التوسّلية هي أن نطلب من القدّيسين ونتوسّل إليهم لكي يصلوا عنا حتى يغفر الله لنا خطايانا، كما نطلب من أيّ من القدّيسين: "اطلُبْ من الرب عنا يا أبانا... لكي يغفر لنا الرب خطايانا". وهي ليست مثل شفاعة المسيح الكفّارية التي بها ننال الغفران باستحقاقات دم المسيح، بل إن شفاعة القدّيسين التوسّلية تعتمد على شفاعة السيد المسيح الكفّارية، لأنهم يطلبون عنا لمغفرة خطايانا باستحقاقات دم المسيح المسفوك من أجل خلاصنا.

ويقول القدّيس كيرلس الكبير:

«إنه هو المُصالح والوسيط بين الله والناس. فلكونه حقًا رئيس كهنتنا الأعظم والأقدس فهو يستميل بتشفّعاته مشاعر أبيه من نحونا، لأنّه يقدّم نفسه ذبيحةً من أجلنا، فهو الذبيحة وهو نفسه الكاهن. هو الوسيط وهو نفسه الضحية الفائقة التي بلا عيب، لأنّه هو الحمل الذي يرفع خطية العالم.» (القدّيس كيرلس الكبير)

والقدّيس كيرلس هنا يشرح لنا كيف أن السيد المسيح بكهنوته يحصل على استجابة الآب لطلباتنا في مغفرة خطايانا. ثم يتعجّب من هذا الكهنوت الفائق للمسيح الذي به صار لأجلنا الكاهن والذبيحة في نفس الوقت، فالسيد المسيح هو الكاهن الوحيد الذي يَكهن بذبيحة نفسه، وليس بذبيحةٍ أخرى خارجة عنه.

وإذ قد تعرّفنا على معنى كهنوت السيد المسيح كوسيطٍ بيننا وبين الله، بقي لنا أن نعرف أن السيد المسيح قد صار رئيس كهنة عندما صعدَ إلى السماوات، وقَدَّم للآب ذبيحة نفسه، كقول القديس بولس الرسول بكل تحديد:

"الذي هو لنا كمِرِسةٍ للنفسِ مُؤتمنةٍ وثابتةٍ، تدخل إلى ما داخل الحجاب، حيث دخل يسوع كسابقٍ لأجلنا، صائراً على رتبة ملكي صادق، رئيس كهنةٍ إلى الأبد." (عب ٦: ١٩، ٢٠)

فبدخول السيد المسيح إلى الأقداس السماوية، وبظهوره أمام الآب، قد صار بذلك على رتبة ملكي صادق رئيس كهنةٍ إلى الأبد "صائراً على رتبة ملكي صادق، رئيس كهنةٍ إلى الأبد".

ويقول القديس كيرلس الكبير نفس المعنى:

«متى إذا صار (ربنا يسوع المسيح) رئيس كهنةٍ لاعترافنا (عب ٣: ٢)، إلّا بعدما قدّم نفسه من أجلنا، وأقام جسده من بين الأموات. فصار هو نفسه الآن يُقدّم ويُقرَّب إلى الآب الذين يلتحقون به بالإيمان، فيقدي الجميع ويشفع في الجميع لدى الله.» (القديس كيرلس الكبير)

إذا بصعود الرب يسوع المسيح جسدياً إلى السماوات، وظهوره أمام الآب، وجلسه عن يمينه؛ قد صار الوسيط الوحيد بيننا وبين الله الآب، ورئيس الكهنة الأعظم الذي يشفع فينا بذبيحة نفسه ليكفر عن خطايا كل الذين يتقدمون به إلى الآب.



١٣ - ما الذي يُميّز كهنوت المسيح عن أيّ كهنوتٍ آخر؟

عَدَّ القديس بولس الرسول في الرسالة إلى العبرانيين العديد من المقارنات بين السيد المسيح ابن الله الكلمة، وبين كل ما يفتخر به اليهود في العهد القديم، لكي يُثبت تفوق السيد المسيح، الذي هو هدف كل ما في العهد القديم. ومن ضمن هذه المقارنات: المقارنة بين كهنوت السيد المسيح، وكهنوت العهد القديم الذي كان في سبط لاوي وبالتحديد في هارون وبنيه. ويُمكننا أن نُلخّص امتيازات كهنوت المسيح في ثمانٍ نقاطٍ أساسيةٍ استنادًا إلى رسالة العبرانيين:

أ - كهنوت المسيح على رتبة ملكي صادق

"فلو كان بالكهنوت اللاوي كمالٌ - إذ الشعب أخذ الناموس عليه - ماذا كانت الحاجة بعدُ إلى أن يقوم كاهنٌ آخر على رتبة ملكي صادق؟ ولا يُقال على رتبة هارون." (عب ٧: ١١)

على الرغم من أن كهنوت العهد القديم كان محصورًا في هارون وبنيه من سبط لاوي، إلّا إنّنا نجد الكتاب المقدس قد أشار إلى عظمة وسمو كهنوت ملكي صادق الذي كانت ذبيحته خبزًا وخمرًا. فقد بارك ملكي صادق إبراهيم أبا الآباء الذي جاء من نسله سبط لاوي سبط الكهنوت في العهد القديم.

أمّا السيد المسيح، فقد جاء من سبط يهوذا رئيس كهنةٍ على رتبة ملكي صادق، مُقدّمًا خبزًا وخمرًا هما جسده ودمه المذلولان من أجل خلاص العالم.

ب - كهنوت المسيح كان بقسم

"لأن أولئك بدون قسمٍ قد صاروا كهنةً، وأمّا هذا فبقسمٍ من القائل له: أَقْسَمَ الرب ولن يندم أنت كاهنٌ إلى الأبد على رتبة ملكي صادق." (عب ٧: ٢١)

دُعِيَ هَارُونُ مِنَ اللَّهِ لِيَمَارِسَ عَمَلَ الْكَهَنُوتِ، وَلَكِنْ دُونَ قَسَمٍ مِنَ اللَّهِ. كَذَلِكَ مَارَسَ
بَنُو هَارُونِ الْكَهَنُوتِ بِحَسَبِ نَسَبِهِمْ إِلَى هَارُونٍ أَيْضًا بِدُونِ قَسَمٍ مِنَ اللَّهِ.

أَمَّا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ، فَقَدْ صَارَ كَاهِنًا بِقَسَمٍ مِنَ اللَّهِ الْآبِ الْقَائِلِ لَهُ بِحَسَبِ النُّبُوءَةِ: "أَقْسِمُ
الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدِمَ أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الْأَبَدِ عَلَى رَتْبَةِ مَلَكِي صَادِقٍ." (مز ١١٠: ٤)

ج — الْمَسِيحُ كَاهِنٌ وَاحِدٌ وَحِيدٌ وَكَهَنُوتُهُ أَبَدِيٌّ

"وَأَوَّلُكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ مِنْ أَجْلِ مَنْعِهِم بِالْمَوْتِ عَنِ
الْبَقَاءِ، وَأَمَّا هَذَا فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لَا يَزُولُ."
(عب ٧: ٢٣، ٢٤)

إِذَا كَانَ كَهَنَةُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ بَشَرًا مَائَتِينَ، لَمْ يَكُنِ الْكَهَنُوتُ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ، بَلْ
عَشِيرَةٍ بِأَكْمَلِهَا — هَارُونُ وَبَنِيهِ — عَلَى مَدَى قُرُونٍ مِنَ الزَّمَانِ لِأَجْلِ اسْتِمْرَارِ عَمَلِ
الْكَهَنُوتِ. لِذَلِكَ كَانَ الْكَهَنَةُ كَثِيرِينَ فِي عَدَدِهِمْ، وَلَكِنْهُمْ مَائَتُونَ بِالطَّبَعِ.

أَمَّا رَبُّ الْمَجْدِ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، إِذَا هُوَ حَيٌّ إِلَى الْأَبَدِ لَا يَمُوتُ، فَهُوَ وَاحِدٌ وَحِيدٌ
وَكَهَنُوتُهُ أَبَدِيٌّ.

د — الْمَسِيحُ بِلاَ خَطِيئَةٍ وَقَدَّمَ ذَبِيحَتَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً

"الَّذِي لَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌّ كُلِّ يَوْمٍ مِثْلَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يَقْدَّمَ ذَبَائِحَ أَوَّلًا
عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ، لِأَنَّهُ فَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذَا قَدَّمَ
نَفْسَهُ." (عب ٧: ٢٧)

كَانَتْ ذَبَائِحُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ تُقَدَّمُ يَوْمِيًّا بِشَكْلِ مُتَكَرِّرٍ بِوِاسْطَةِ الْكَهَنَةِ، الَّذِينَ كَانُوا
يَقْدُمُونَهَا عَنْ خَطَايَاهُمْ، إِذَا هُمْ خَطَاةٌ مِثْلَ سَائِرِ الْبَشَرِ، كَمَا عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ.

أَمَّا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ، فَقَدَّمَ ذَاتَهُ ذَبِيحَةً، مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ، لِأَنَّهُ ذَبِيحَتُهُ غَيْرُ
مَحْدُودَةٍ، وَبِالتَّالِيِ قَادِرَةٌ أَنْ تَكْفُرَ عَنْ خَطَايَا جَمِيعِ الْبَشَرِ مِنْ آدَمَ وَإِلَى آخِرِ الدَّهُورِ.

ولم يقدم المخلص ذبيحته عن اضطرارٍ أو احتياجٍ، إذ هو بلا خطية، ولكن من أجلنا نحن الخطاة.

هـ — المسيح وسيطٌ لعهدٍ أعظم وعلى رجاء مواعيد أفضل

"ولكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيطٌ أيضاً لعهدٍ أعظم، قد تثبتت على مواعيد أفضل." (عب ٨: ٦)

كان هارون وبنوه كهنةً ووسطاءً في العهد القديم، الذي كان تمهيداً وإعداداً لرجاء عهدٍ جديدٍ.

أمّا السيد المسيح، ككاهنٍ ورئيسِ كهنةٍ، فقد صار وسيطاً لعهدٍ جديدٍ أعظم من العهد القديم. وكان كهنوت المسيح ووساطته لرجاء مواعيد أفضل: هي ملكوت السماوات والحياة الأبدية.

و — المسيح هو الكاهن بذبيحة نفسه

"وليس بدم تيوسٍ وعجولٍ، بل بدم نفسه، دخل مرةً واحدةً إلى الأقداس، فوجدَ فداءً أبدياً." (عب ٩: ١٢)

كان كهنة العهد القديم يُقدّمون ذبائح حيوانية لا يمكن لها أن ترفع الخطايا أو أن تكفر عنها.

أمّا الرب يسوع المسيح، فقد قدّم ذاته ذبيحة غير محدودة، لأجل الفداء الأبدي لكل من يؤمن به.

ز — كهنوت السيد المسيح سماويٌّ

"لأن المسيح لم يدخل إلى أقداسٍ مصنوعة بيدٍ أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا." (عب ٩: ٢٤)

فكهنة العهد القديم كانوا يمارسون الكهنوت في الهيكل الأرضي المصنوع بأيدي البشر.

أمّا السيد المسيح، فمارس كهنوته في الأقداس السماوية، حين صعدَ إلى السماوات، ليظهر أمام وجه الله الآب لأجلنا.

ح – المسيح هو رئيس الكهنة الجالس عن يمين الآب

"وأما هذا فبعدما قدّم عن الخطايا ذبيحةً واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله". (عب ١٠ : ١٢)

كهنة العهد القديم كانوا يمارسون الكهنوت وهم وقوفٌ أمام الله المخوف في رهبةٍ ورعدةٍ شديديتين.

أمّا السيد المسيح، فقد كان هو الكاهن الإلهي الذي يكهنُ أمام الله الآب وهو جالسٌ عن يمينه، إذ هو واحدٌ معه ومساوٍ له في الجوهر.

ويعلقُ القديس كيرلس الكبير على سمو كهنوت المسيح قائلاً:

«إنه يكهنُ فوق الناموس، لأنه هو نفسه الذبيحة والحمل الحقيقي، وهو بعينه أيضاً رئيس الكهنة الذي بلا شرٍ ولا لومٍ الذي لا يكهنُ عن خطايا نفسه، لأنه كإلهٍ فوق الخطية، بل يكهنُ لكي يبطل خطايا العالم. فقد صار هو نفسه إذاً الكاهن الذي يكهنُ بذبيحة نفسه.»
(القديس كيرلس الكبير)

فكهنوت السيد المسيح إذاً كان أعظم، بما لا يُقاس، من الكهنوت الذي كان على أساس ناموس العهد القديم.

ويقول أيضاً القديس كيرلس:

«فإن كان حقاً أن كل كاهن يقف دائماً أثناء تقديمه الخدمة (الليتورجية)، ولا يُحسب قطُّ جليساً ولا مساوياً في الكرامة لله، بل فقط مُتعبداً له،

فكيف لا يكون المسيح كاهناً فائقاً فريداً من نوعه لأنه في حين تقديمه
الخدمة الليتورجية – بحسب بشريته؛ فهو أيضاً – بحسب لاهوته –
يجلس على العرش الإلهي.» (القديس كيرلس الكبير)

يشرح هنا القديس كيرلس امتياز كهنوت المسيح. فالسيد المسيح، بحسب تجسّده،
كان يمارس عمل الكهنوت؛ أمّا بحسب طبيعته الإلهية هو الإله الجالس عن يمين أبيه
والمساوي له في الجوهر. فهو إذاً الكاهن الجليس الذي يقدم الذبيحة بحسب تجسّده،
وهو الإله الذي يقبل الذبيحة بحسب لاهوته.



١٤- ما هي بركات الخلاص التي تحققت لنا بصليب رب المجد يسوع وقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماوات؟

إن بركات الخلاص التي نلناها بصليب وقيامة وصعود ربنا يسوع المسيح أعظم من أن توصف بكلمات بشرية، ولكننا نورد ما ذكره الكتاب المقدس عنها في نقاطٍ محدّدة:

أ - الفداء والكفارة

"مُتَبَرِّرينَ مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بَدَمِهِ، لِإِظْهَارِ بَرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ." (رو ٣: ٢٤، ٢٥)

فبخلاص الرب يسوع المسيح قد تبرّرنا "بالفداء"، ونلنا "كفارة" لخطايانا.

ب - غفران الخطايا

كما رأينا في الآية السابقة، فقد قُدِّمَ السيد المسيح كَفَّارَةً عَنَّا لِكَيْ تُغْفَرَ لَنَا خَطَايَانَا "مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا".

ج - إزالة اللعنة

"المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنةً لأجلنا، لأنه مكتوبٌ ملعونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ." (غل ٣: ١٣)

الرب يسوع المسيح بخلاصه "افتدانا من لعنة الناموس"، إذ قد حَمَلَ عَنَّا اللعنة وأزالها.

د — إبطال الفساد

"أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداصة الحق." (أف ٤: ٢٢-٢٤)

إن كانت الخطية قد أفسدت طبيعتنا "الإنسان العتيق الفاسد"، فبخلاص المسيح قد أٌبطل الفساد، وصرنا خليفة جديدة "الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداصة الحق".

هـ — إبطال الموت وإعادة الحياة

"الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح، الذي أٌبطل الموت وأُتار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل." (٢ تي ١: ٩، ١٠)

فالسيد المسيح عندما خلّصنا قد أٌبطل الموت بموته "الذي أٌبطل الموت"، وأعاد لنا الحياة بقيامته "وأُتار الحياة والخلود".

و — الحرية من الخطية

"عالمين هذا: أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية." (رو ٦: ٦)

إذاً فنحن لم نصرّ أحراراً إلاً بخلاص ربنا يسوع المسيح، عندما حَمَلَ عَنَّا خطايانا وحرّرنا من عبوديتها "ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية".

ز - المصالحة

"ولكن الكل من الله، الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح، وأعطانا خدمة المصالحة، أي إن الله كان في المسيح مُصَالِحًا للعالم لنفسه، غير حاسبٍ لهم خطاياهم، وواضعًا فينا كلمة المصالحة." (٢كو ٥: ١٨، ١٩)

فالعداوة التي كانت بين الإنسان والله، قد رُفِعَت الآن بخلاص المسيح الذي صالحنا مع الله الآب، وأعطانا خدمة المصالحة.

ح - التبني

"ولكن لَمَّا جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني." (غل ٤: ٤، ٥)

ربنا يسوع المسيح هو ابن الله الآب بالطبيعة. وعندما أتمَّ خلاصنا، أعطانا أن نكون أبناء الله بالتبني.

ونجد إجمالاً لكل هذه النعم والبركات في قول القديس بولس الرسول في رسالة رومية:

"فماذا نقول لهذا؟ إن كان الله معنا، فَمَنْ علينا؟ الذي لم يشفق على ابنه، بل بذَّله لأجلنا أجمعين، كيف لا يَهَبُّنا أيضًا معه كل شيء؟" (رو ٨: ٣١، ٣٢)

إذ لم يشفق الآب السماوي على ابنه الوحيد الجنس، بل بذَّله لأجلنا أجمعين، يتساءل القديس بولس الرسول متعجبًا: "كيف لا يَهَبُّنا أيضًا معه كل شيء؟" أي أنه إن كان الآب قد بذَّل ابنه لأجلنا، فلا بُدَّ أنه يَهَبُّنا "كل شيء". وكلمة "كل شيء" تشمل كل البركات السماوية التي حصلنا عليها كنتيجة لخلاص المسيح. وفي قولين للقديس كيرلس الكبير يُعَدَّد فيهما بركات الخلاص التي سبق أن ذكرناها:

«إن الكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا ليس لأيِّ هدفٍ آخر إلا لكي يتمكن أن يحتمل الموت بهذا الجسد، فيغلب بذلك الرؤساء والسلاطين، ويبيد ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويُبطل الفساد، ويطرد معه الخطية المُتسلِّطة علينا، وينقض اللعنة القديمة التي أصابت طبيعة الإنسان في آدم بصفته باكورة جنسنا وأصله الأول.»
(القديس كيرلس الكبير)

«فمنذ أن جعل هو نفسه مثلاً، صرنا نحن ذوي جسدٍ واحدٍ معه، وصار هو يحملنا كلنا في نفسه. فلما رَجَعَ الرب إلى الحياة، وقَدَّمَ نفسه لله كباكورة للبشرية، حينئذٍ بكل تأكيدٍ تحوَّلنا نحن أيضاً إلى حياةٍ جديدة.» (القديس كيرلس الكبير)

ويضيف القديس كيرلس:

«فقد سلَّم روحه لله أبيه، أي نفسه البشرية المُتَّحدة به، لكي بهذا الفعل أيضاً يُحسِّن إلينا. لأن نفوس الناس في القديم حين كانت تنحلُّ من أجسادها، كانت تُرسل إلى المواضع السفلية المظلمة لكي تملأ سراديب الموت. ولكن منذ أن سلَّم المسيح روحه لأبيه فقد افتتح لنا هذا الطريق الجديد، فإننا لن نمضي إلى الجحيم بل بالحري سننتبعه في هذا أيضاً. وبعد أن نكون قد استودعنا نفوسنا للخالق الأمين (١بط ٤: ١٩) في رجاء الخيرات العتيدة، سيقمنا جميعاً المسيح.»
(القديس كيرلس الكبير)

أي أنه بخلاص المسيح لم تعد نفوس الأبرار تدخل إلى الجحيم مرةً أخرى، بل تذهب إلى الفردوس، لأن الرب بخلاصه قد فَتَحَ طريقاً جديداً إلى السماء. ثم عند القيامة العامة سيقوم الأبرار ليتنعموا في الملكوت الأبدي.
وأخيراً يقول القديس كيرلس أيضاً:

«كما أننا في المسيح – الذي هو باكورة جنسنا – سنصير، بل قد صرنا بالفعل، منذ الآن مشابهين لصورة قيامته ومجده؛ هكذا قد صرنا مثله أيضاً محبوبين من الآب... فإننا نصير محبوبين من الآب كأبناء له على قدر ما نُشابه ذلك الذي هو في الواقع ابنه الوحيد بحسب الطبيعة.» (القديس كيرلس الكبير)

ومن أهم بركات الخلاص التي قدّمها لنا المخلص هي أنه أعطانا إمكانية مشابهة صورته هو، وبالتالي أعطانا إمكانية أن نصير محبوبين مثله من الآب كأبناء له، إذ لسنا بعد عبيداً بل أحبّاء.



الاستنتاجات

١. كما اجتاز الكلمة المُتجسّد كل ما يخصُّ طبيعتنا البشرية — كما تحدّثنا سابقاً — كان لا بُدَّ له أن يجتاز أيضاً الموت، إذ أن جسده كان مثلنا قابلاً للموت.
٢. موت المسيح بالجسد كان هو الهدف الرئيسي للتجسّد من أجل إعلان محبة الله للبشرية. لذلك قدّم المسيح بإرادته هذا الجسد — الذي من نفس طبيعتنا — ذبيحةً كفّاريةً عن جميع البشر من آدم وإلى آخر الدهور. إذ هو ذبيحة غير محدودة، لأنه خاص بالله الكلمة غير المحدود.
٣. كان موت السيد المسيح بالصليب بالذات، وليس بأيّة وسيلةٍ أخرى، لأسبابٍ عديدةٍ أهمها أنه مكتوبٌ "ملعونٌ كل مَنْ عُلّقَ على خشبةٍ"، وبذلك يكون المسيح قد حَمَلَ عَنَّا اللعنة.
٤. موت السيد المسيح كان بانفصال نفسه الإنسانية عن الجسد الخاص به، لكن لاهوته لم ينفصل قطُّ لا من نفسه، ولا من جسده. ولكن لأنه الله الكلمة، الذي فيه كانت الحياة، فقد ابتُلِعَ الموت من الحياة بغلبة القيامة.
٥. بغلبة قيامة السيد المسيح من بين الأموات، صار المسيح آدم الثاني، البكر من الأموات، الذي فيه يقوم الجميع؛ في مقابل آدم الأول، الذي فيه مات الجميع.
٦. وبصعود المسيح جسدياً — كحاملٍ لطبيعتنا — انفتح أمامنا الطريق الصاعد إلى السماء، وانفتحت الأبواب الدهرية، حيث دخل يسوع كسابقٍ لأجلنا، وظهر أمام الآب جسدياً جالساً عن يمينه لحسابنا، وصار على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد. (مع ملاحظة أنه هو نفسه، من جهة طبيعته اللاهوتية، لم يكن محتاجاً أن تُفْتَحَ له الأبواب أو أن يظهر أمام الآب، إذ هو رب الكل).

٧. دخل السيد المسيح إلى الأقداس السماوية كرئيس كهنة، مُقدِّمًا ذبيحة نفسه أمام الآب مرَّةً واحدةً، ليشفع فينا إلى الأبد كوسيط عهد جديد يختلف عن أيِّ وسيطٍ آخر، إذ هو مساوٍ للآب في الجوهر.

٨. بركات الخلاص:

- الفداء والكفارة
- غفران الخطايا
- إزالة اللعنة
- إبطال الفساد
- إبطال الموت وإعادة الحياة
- الحرية من عبودية الشيطان
- المصالحة
- التبني



القسم الثالث

صيرنا أطيهاراً بروحك القدوس



هذا هو القسم الثالث من موضوعنا العام "أنت الذي خدمت لي الخلاص". وقد أعطيناه عنوان "صيرنا أظهاراً بروحك القدوس"، وهو مأخوذ من صلوات القداس الباسيلي.

يأتي هذا القسم بعد القسم الثاني الذي تناولنا فيه شخص السيد المسيح الإله المتجسد، وأعماله الخلاصية التي بها صار لنا أن يعود الروح القدس ليحلّ على الكنيسة في يوم الخمسين.

لهذا نستطيع أن نعتبر أن هذا القسم يتناول "عمل الروح القدس في الكنيسة". ويمكننا القول بأن الروح القدس يعمل في الكنيسة: من خلال المؤمنين، من خلال الأسرار، من خلال الكتاب المقدس.

لذلك فالموضوعات الثلاثة التي يتناولها هذا القسم هي:

١. الروح القدس والمؤمنون
٢. الروح القدس وأسرار الكنيسة
٣. الروح القدس والكتاب المقدس

الموضوع الأول

الروح القدس والمؤمنون

تحتفل كنيسة القبطية الأرثوذكسية بسبعة أعياد سيديّة صغرى، وسبعة أعياد سيديّة كبرى. وسُمّيت هذه الأعياد بهذه التسمية لأنها جميعاً تختصُّ بالسيد المسيح. أمّا تصنيفها إلى أعياد كبرى وأعياد صغرى فهو على أساس ارتباطها بالخلاص.

ففي الأعياد السيديّة الصغرى تحتفل الكنيسة بأحداث هامة في حياة السيد المسيح، لكنها لا ترتبط ارتباطاً مباشراً بعمل الخلاص. والأعياد السيديّة الصغرى هي: الختان، دخول المسيح الهيكل، دخول المسيح أرض مصر، عرس قانا الجليل، التجليّ، خميس العهد^١، أحد توما.

أمّا في الأعياد السيديّة الكبرى فتحتفل الكنيسة بأحداث هامة في حياة السيد المسيح ترتبط ارتباطاً مباشراً ووثيقاً بخلاصنا، بمعنى أنه لو لم تكن هذه الأحداث، لمّا تمّ خلاصنا. وهذه الأعياد هي: البشارة، الميلاد، المعمودية (الظهور الإلهي)، الشعانين، القيامة، الصعود، حلول الروح القدس (العنصرة).

هكذا نرى أن عيد حلول الروح القدس هو آخر عيد في دورة الأعياد السيديّة الكبرى على مدار السنة، ليس لأنه هو آخرها بحسب ترتيب الأحداث، ولكن لأن حلول روح الله على البشر من جديد وسكناه فيهم — بعد انفصال الإنسان عن الله بالخطية وفقدانه للشركة مع إلهه — كان هو هدف كل ما سبق من أعمال خلاصية تمّمها السيد المسيح قبل ذلك.

^١ على قدر أهمية خميس العهد أو الخميس الكبير، حيث أسّس فيه الرب يسوع سر التناول، وأعطى تلاميذه جسده ودمه، إلّا أن الكنيسة تعتبره عيد سيدي صغير لأنه يقع في وسط أسبوع الآلام، وفي اليوم التالي له قدّم الرب يسوع ذاته بالفعل ذبيحةً على الصليب، ثم في اليوم الثالث قام.

لذلك ونحن نتكلّم عن "الروح القدس والمؤمنون" سنتعرّض إلى ضرورة حلول الروح القدس على البشر، هذا الحلّ الذي بواسطته تأسّست الكنيسة الواحدة جماعة المؤمنين، واستودعت كل أعمال وعطايا ومواهب الروح ليتسلّح ويتقوّى بها المؤمنون في جهادهم على الأرض إلى أن ينالوا كمال مجد ميراثهم في ملكوت السموات.

١ - لماذا كان لا بُدَّ من حلول الروح القدس؟

لقد تجسّد السيد المسيح وصُلِبَ وقام من الأموات وصعدَ إلى السماوات، كل ذلك بغرض أن يحلَّ الروح القدس على البشرية التي انفصلت عن الله نتيجة الخطية. ولإيضاح هذا الأمر يجب أن نرجع إلى الوراء، إلى الخلق، فيقول الكتاب المقدس:

"وَجَبَلَ الرب الإله آدم ترابًا من الأرض، ونَفَخَ في أنفه نسمة حياة.
فصار آدم نفسًا حيَّةً." (تك ٢: ٧)

لقد تميّز الإنسان عن كل الخليقة بأنه قد أخذ نفخةً مُحييَّةً من الله، فصار الإنسان حيًّا بالله، وكان شرط أن يظلَّ الإنسان حيًّا هو أن يظلَّ مرتبطًا بالله مصدر حياته. ولكن للأسف فلقد أخطأ الإنسان، وعندما أخطأ انفصل عن الله، وفارقه الحياة. وظلَّ الإنسان يتمادى في الشر، وعلى قدر تمادي الإنسان في الشر، على قدر ما كانت الهوة بينه وبين الله تزداد اتساعًا. ووصلت هذه الهوة إلى أصعب مراحلها عندما قرّر الله أن يمحو الإنسان عن وجه الأرض بالطوفان باستثناء نوح، إذ لم يوجد غيره بارًّا على الأرض:

"فقال الرب لا يدين رُوحِي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه هو بشرٌ.
وتكون أيامه مئةً وعشرين سنةً." (تك ٦: ٣)

ومعنى عبارة "لا يدين رُوحِي في الإنسان"، هو إنه لا يعود روح الله يحكم الإنسان ويقوده، وذلك لأنه قد أصبح "بشر"، وكلمة "بشر" هي كلمة عبرية الأصل — وتُنطق بنفس نُطقها في اللغة العربية — معناها "جسد"، أي أنه عندما فارق روح الله الإنسان، صار الإنسان مجرد جسد مأخوذ من تراب الأرض.

ولكن الله لم يترك الإنسان، بل وَعَدَه بالفداء والخلص وبعودة سُكني الروح القدس داخله مرّة أخرى بحسب نبوة سفر يوشع:

"وتعلمون أنّي أنا في وسط إسرائيل، وأنّي أنا الرب إلهكم وليس غيري. ولا يخزى شعبي إلى الأبد. ويكون بعد ذلك أنّي أسكب روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويحلم شيوخكم أحلاماً، ويرى شبابكم رؤى." (يوئيل ٢: ٢٧، ٢٨)

فالنبوة هنا تعلن عن العهد الجديد، عهد المصالحة والخلاص، حيث يعود الروح القدس روح الله ليحلّ من جديد في الإنسان الذي كان قد فارقه "ويكون بعد ذلك أنّي أسكب روحي على كل بشر".

وفي العهد الجديد نجد السيد المسيح نفسه في حديثه مع تلاميذه يقول:

"وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم مُعزّيّاً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنّه لا يراه ولا يعرفه، وأمّا أنتم فتعرفونه لأنّه مآكث معكم ويكون فيكم." (يو ١٤: ١٦، ١٧)

فالسيد المسيح هنا يقدّم وعداً إلى تلاميذه بأنه سيرسل لهم الروح القدس مرّة أخرى، الروح القدس "المعزّي الآخر" الذي سيسكن في المؤمنين بعد صعوده.

لذلك أثناء ظهورات الرب لتلاميذه بعد القيامة نجده يقول لهم:

"وفيما هو مجتمعٌ معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم، بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه منّي." (أع ١: ٤)

فالسيد المسيح هنا يُذكرهم بالوعد الذي سبق أن أعلمهم به عن حلول الروح القدس "المعزّي الآخر".

ثم نجد تحقيق هذا الوعد في اليوم الخمسين، إذ قيل:

"ولمّا حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفسٍ واحدة، وصار بغتةً من السماء صوتٌ كما من هبوب ريحٍ عاصفةٍ وملاً كل البيت حيث

كانوا جالسين، وظَهَرَتْ لَهُمُ أَلْسِنَةٌ مَنْقُشَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ
عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ
بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا. (أع ١: ٢-٤)

وبذلك يكون الوعد قد تحقَّق بأن يعود الروح القدس روح الله ليسكن في الإنسان
مرَّةً أُخْرَى.

وبعد حلول الروح القدس مباشرةً نجد القديس بطرس الرسول أثناء حديثه مع
اليهود يقول:

"وَإِذْ ارْتَفَعَ (الرَّبُّ يَسُوعَ) بِيَمِينِ اللَّهِ، وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنْ
الْآبِ، سَكَبَ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ الْآنَ تَبْصُرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ. (أع ٢: ٣٣)

أي أن ما يرونه من تكلمٍ بألسنةٍ أُخْرَى هو موهبة من الروح القدس الذي حلَّ
عليهم كما وعدهم السيد المسيح.

ويقول القديس بولس الرسول عن قيمة حلول الروح القدس على المؤمنين بالمسيح:

"وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللَّهِ سَاكِنًا فِيكُمْ.
وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ. (رو ٨: ٩)

فحلول الروح القدس على الإنسان يجعله ليس "في الجسد" بل "في الروح"، لأن
الإنسان الذي أخطأ قد فارق روح الله وصار "في الجسد"، ولكنه الآن بخلاص المسيح
قد تبرَّر فصار "في الروح". وليس ذلك فقط بل "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ"،
أي إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ فِيهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ؛ "فَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ"، أي فذلك الإنسان ليس للمسيح.
هكذا نرى ضرورة حلول الروح القدس من جديد في المؤمنين ليصيروا في الروح
وليس مجرد في الجسد، كما يصيرون للمسيح خاصَّةً.

إذا كان لا بُدَّ أن يحلَّ الروح القدس على الإنسان لكي يعيد الحياة للإنسان، ويعيد الصلة والشركة اللَّتَيْنِ فُقدتا بين الإنسان والله بسبب الخطية. هذا ما يؤكِّده القديس أنثاسيوس الرسولي والقديس كيرلس الكبير في قولين لهما:

«خارج الروح نحن مُتَغَرِّبون عن الله وبعيدون عنه، وبشركة الروح نتَّحد مع الله. وعلى ذلك فوجودنا في الآب ليس من ذواتنا فحسب، إنما بالروح القدس الذي يسكن فينا ويثبت فينا.»
(القديس أنثاسيوس)

«لا تتحقَّق عودتنا إلى الله، وهي التي تتمُّ عن طريق المسيح مخلصنا، إلاَّ بشركة الروح القدس وتقديسه.» (القديس كيرلس الكبير)

وعن نفس هذا الأمر يقول القديس إيرينيئوس:

«إن الرب افتدانا بدمه الخاص، وبذلَّ نفسه عن نفوسنا، وجسده عن أجسادنا، وسكب علينا روح الآب، لكي يحقِّق الشركة والاتحاد بين الله والبشر بأن يجعل الله يحلُّ في الناس بروحه وبتجسُّده، ويجعل الإنسان يصعد إلى الله. فإنه بالحق وبكل تأكيد عند مجيئه إلينا، قد أنعم علينا بعدم الفساد بحقَّ الشركة التي بيننا وبينه.» (القديس إيرينيئوس)

فحلول الروح القدس على الإنسان، بعد أن تَمَّ السيد المسيح خلاصه من أجلنا، قد أعاد الشركة والاتحاد بين الإنسان والله مرَّةً أخرى، وبذلك يكون حلول الروح القدس قد جعل الإنسان يصعد إلى الله مرَّةً أخرى.

وأيضاً يقول القديس ديديموس الضرير عن ضرورة حلول الروح القدس ينبوع النعمة:

«يستحيل أن يقتني أحد نعمة الله، ما لم يقتنِ الروح القدس الذي فيه كل عطايا الله.» (القديس ديديموس الضرير)

فنعمة الله وعطاياه تظلُّ بعيدةً كل البعد عن الإنسان ما لم يسكن روح الله فيه أولاً.
أي إننا لا ننال بركات الخلاص الذي أكمله السيد المسيح إلا بالروح القدس "الذي فيه
كل عطايا الله".



٢- لماذا لم يكن ممكناً حلول الروح القدس إلّا بعد الصليب والقيامة والصعود؟

لقد أجاب الكتاب المقدس على هذا السؤال بشكل مباشر في إنجيل يوحنا:

"وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب. من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد." (يو ٧: ٣٧-٣٩)

فالسيد المسيح هنا يدعو الجميع إلى الالتجاء إليه والارتواء منه، وليس ذلك فقط بل يقول إن من يؤمن به سيصير هو نفسه مصدرًا لارتواء الآخرين أيضًا. وقد أوضح لنا القديس يوحنا الإنجيلي معنى هذا الكلام بقوله: "قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه". أي أن حديث السيد المسيح عن ارتواء الجميع بواسطته كان سيتم بحلول الروح القدس من جديد على المؤمنين به، ويستكمل القديس يوحنا حديثه: "لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد"، فالروح القدس لم يكن قد أُعطي إلى ذلك الحين لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد، أي لم يكن قد صُلب وقام وصعد إلى السماوات بعد.

وقد شرحنا في القسم السابق كيف كان الصليب، وكانت القيامة من الموت ثم الصعود مجداً للرب يسوع، ليس من جهة لاهوته، إذ هو كليّ المجد والعظمة؛ بل من جهة تجسده، حيث أخذ طبيعتنا البشرية ليتألم بها ويجتاز الموت، ثم يغلب الموت بالقيامة ويفتح طريق السماء، ليس لأجل نفسه بل لحسابنا نحن الذين أخطأنا. وبالتالي لم يكن ممكناً أن يحلّ الروح القدس علينا إلّا بعد أن "يتمجّد" المسيح، أي بعد أن يُصَلَّب ويقوم ويصعد إلى السماوات. وهذا ما صُلّي لأجله السيد المسيح في صلاته

الوداعية في بستان جثسيماني قبل صلبه مباشرة: "والآن مجّدي أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم." (يو ١٧: ٥)

وهذا هو نفس المعنى الذي نجده في قول السيد المسيح:

"لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي، ولكن إن ذهبتُ أرسلهُ إليكم." (يو ١٦: ٧)

فالسيد المسيح إن لم ينطلق إلى السماء بالصعود، مقدّمًا ذبيحته في الأقداس السماوية ومنتّمًا خلاصه عنا، فلن يأتينا الروح القدس المعزّي الذي سينقل لنا بركات هذا الخلاص الثمين.

ويقول القديس كيرلس الكبير :

«لقد وهبَ لنا روح التجديد، أي الروح القدس ينبوع الحياة الأبدية، بعد أن تمجّد المسيح، أي بعد قيامته؛ إذ نقضَ أوجاع الموت، وأظهر نفسه فائقًا لكل فساد، وعاش حياة جديدة حاملاً في نفسه كل طبيعتنا... فلماذا لم ينسكب الروح قبل القيامة بل بعدها؟ لأن المسيح قد صار باكورة الطبيعة الجديدة لمّا عاش من جديد ناقضاً أوجاع الموت... فكيف كان يمكن قبل ظهور الباكورة أن تتجدّد حياة الذين يتبعونه؟!»
(القديس كيرلس الكبير)

يوضّح هنا القديس كيرلس أن السيد المسيح هو الباكورة بالنسبة لنا في التجديد وفي المجد. لذلك لم يكن ممكناً أن ينسكب علينا الروح القدس، مقدّمًا لنا التجديد والمجد، ما لم يَنَلْ هذا المجد أولاً باكورتنا الرب يسوع المسيح. وهكذا عندما تمجّد السيد المسيح بصليبه وقيامته وصعوده، حلَّ علينا الروح القدس مقدّمًا لنا نحن المؤمنين هذا المجد.

٣- كيف تأسست الكنيسة بحلول الروح القدس يوم الخمسين؟ وما هو مفهوم الكنيسة؟

رأينا أن الروح القدس حلَّ على التلاميذ لكي تعود الشركة بين الإنسان والله مرةً أخرى بعد العداوة التي أوجدتها الخطية. ونحن نعلم أن هذا قد تمَّ في اليوم الخمسين، والذي يُعتَبَر يوم تأسيس الكنيسة. لذلك سنحاول أن نتعرَّف على مفهوم الكنيسة، وكيفية تأسيسها بحلول الروح القدس يوم الخمسين.

يقول معلِّمنا القديس بولس الرسول:

«لأننا جميعنا بروح واحدٍ أيضاً اعتمدنا إلى جسدٍ واحدٍ، يهوداً كُنَّا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقِينَا روحاً واحداً.» (١كو ١٢: ١٣)

أي أننا جميعنا نحن المؤمنون بالرب يسوع المسيح على اختلاف أجناسنا "يهوداً أم يونانيين"، أو مراكزنا "عبيداً أم أحراراً" قد اعتمدنا بروحٍ واحدٍ، روح الله القدوس الأَقْنوم الإلهي غير المحدود. ونتيجة لذلك لم نَعُدْ بعد مجرد أفرادٍ متفرِّقين ومنفصلين عن بعضنا البعض، بل صرنا جميعاً جسداً واحداً.

وهذا المفهوم أيضاً يوضِّحه لنا القديس كيرلس الكبير قائلاً:

«ونحن إذ نقبل جميعاً في ذواتنا الروح الواحد بعينه أي الروح القدس، نصير بذلك مُمتزجين^٢ جميعاً بعضنا البعض ومع الله. ورغم أننا مُتمايزون بعضاً عن بعضٍ، وروح الآب والابن يسكن في كلِّ منَّا، فإن هذا الروح هو واحدٌ وغير قابلٍ للانقسام، فهو يجمع إذاً بذاته في الوحدة الأرواح المتعددة والمُتمايزة، ويجعلها بطريقةٍ ما روحاً واحداً في ذاته.» (القديس كيرلس الكبير)

^٢ قَصَدَ القديس كيرلس بالامتزاج اتحاد المؤمنين بالله، وبيعضهم البعض.

فنحن الأفراد المتميزين عن بعضنا البعض، عندما يحلُّ علينا الروح القدس الواحد غير المنقسم، يجعلنا جسداً واحداً أي يُصيرنا "مُتَرجِين جميعاً بعضنا البعض ومع الله".

وهذا الجسد الواحد الذي نتَّحد فيه ببعضنا البعض بسبب حلول الروح القدس الواحد فينا هو "الكنيسة". وكلمة "كنيسة" في اللغة اليونانية هي "ἐκκλησία"، وتعني في أحد معانيها اجتماع ديني، وكانت تُطلق على اجتماعات اليهود في مجامعهم.

إذاً الكنيسة هي "جماعة المؤمنين" المجتمعين معاً، ليس في مجرد مكانٍ محدود، بل بالروح القدس الحالُّ في كل واحدٍ منهم ليصيروا جسداً واحداً كما قيل: "لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد".

وهذا الجسد هو "جسد المسيح" كقول معلمنا القديس بولس الرسول:

"وأما أنتم فجسد المسيح، وأعضاؤه أفراداً" (١كو ١٢: ٢٧)

أي أن الروح القدس الذي حلَّ على المؤمنين، قد جعلهم أعضاءً متَّحدةً في جسدٍ واحدٍ رأسه المسيح شخصياً.

ويؤكد القديس بولس الرسول أن المسيح هو رأس الكنيسة، التي هي جسده، في أكثر من موضعٍ آخر:

"وهو رأس الجسد: الكنيسة. الذي هو البداة، بكرٌ من الأموات، لكي

يكون هو مُتقدِّماً في كل شيء". (كو ١: ١٨)

"وأخضع كل شيءٍ تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل

شيءٍ للكنيسة، التي هي جسده، ملء الذي يملأ الكل في الكل".

(أف ١: ٢٢، ٢٣)

وليس ذلك فقط، بل وإنه عندما تعرّض للحديث عن الزواج المسيحي، رأى فيه مثالاً لاتحاد الرب يسوع بالكنيسة:

"أيها النساء، اخضعن لرجالكنّ كما للرب، لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة، وهو مُخلص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح، كذلك النساء لرجالهنّ في كل شيء. أيها الرجال، أحبوا نساءكم كما أحبّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يُقدّسها، مُطهراً إيّاها بغسل الماء بالكلمة، لكي يحضرها لنفسه كنيسةً مجيدة، لا دنس فيها ولا غُصْنٌ أو شيءٌ من مثل ذلك، بل تكون مُقدّسةً وبلا عيب. كذلك يجب على الرجال أن يُحبّوا نساءهم كأجسادهم. مَنْ يحبُّ امرأته يحبُّ نفسه. فإنه لم يبغيض أحدٌ جسده قطُّ، بل يقوّته ويربّيه، كما الرب أيضاً للكنيسة. لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه." (أف ٥: ٢٢-٣٠)

وكتطبيق روحي على هذه الكلمات، فإن كُنّا نحن المؤمنين أعضاء في جسد المسيح، وهو رأس هذا الجسد، فإن رَفَضنا للخطية لم يعد نابغاً فقط من مجرد الرغبة في إرضاء الله، بل لأن أعضاءنا الجسدية قد صارت أعضاء للرب يسوع المسيح نفسه. فاللسان صار لسان المسيح، ولا ينبغي أن يتفوّه بما لا يليق. واليد هي يد المسيح، ولا ينبغي أن تعمل ما لا يليق. وهكذا كل عضو في أجسادنا صار مقدّساً لله أي مخصّصاً له، كما قال القديس بولس الرسول: "ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح؟ أفأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟ حاشا!" (١كو ٦: ١٥)

لقد كانت الكنيسة، كجماعة للمؤمنين المتحدّين بالروح القدس، هي محور صلاة السيد المسيح الوداعية في جثسيماني، إذ كانت هذه الوحدة هي منتهى ما يطلبه الله من نحو البشرية. فأعظم شيء سألّه السيد المسيح من الله الأب من نحو المؤمنين باسمه وبخلاصه، هو أن يصيروا واحداً بالروح القدس، لذلك صلّى قائلاً:

"ولست أنا بعد في العالم، وأما هؤلاء فهم في العالم، وأنا آتي إليك.
أيها الآب القدوس، احفظهم في اسمك الذين أعطيتني، ليكونوا واحداً
كما نحن." (يو ١٧ : ١١)

وأيضاً:

"ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك، ليكونوا هم
أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني." (يو ١٧ : ٢١)

فالسيد المسيح في صلاته يطلب من أبيه أن يجعل "الجميع واحداً"، أي أن يصير
كل من يؤمن به في وحدة. ولكن السيد المسيح لم يطلب وحدة طبيعية بشرية، بل
"ليكونوا واحداً كما نحن"، أي وحدة على مثال الوحدة بين الآب والابن. وذلك يعني ألا
تكون وحدتهم مجرد علاقات خارجية بين هؤلاء المؤمنين، بل "ليكونوا هم أيضاً
واحداً فينا"، أي أن نتحد نحن مع بعضنا البعض ومع الثالوث القدوس، وهو ما حدث
بالفعل عندما حل الروح القدس على الكنيسة، إذ صار للمؤمنين شركة مع الثالوث
القدوس.

ويعلق على ذلك القديس كيرلس الكبير في قولين:

«الكنيسة تدعى جسد المسيح، ونحن ندعى أعضاء هذا الجسد.»
(القديس كيرلس الكبير)

«وأما المسيح فقد وحد الكنيسة بنفسه بواسطة الروح، وبذلك حررها
وخلصها ورفعها فوق مكيدة الشيطان.» (القديس كيرلس الكبير)

وتصلي الكنيسة كل يوم في ذكولوجية باكر:

«ما هو الحسن، وما هو الحلو، إلا اتفاق إخوة ساكنين معاً. متفقين
بمحبة حقيقية إنجيلية كمثّل الرسل... هؤلاء الذين آلفهم الروح القدس

معاً مثل قيثارة، مُسَبِّحِينَ الله كل حين. بمزامير وتسابيح وترانيم
روحية النهار والليل بقلب لا يفتر.» (ذكصولوجية باكر)

هذا هو شكل الكنيسة التي جَمَعَ أعضاؤها الروح القدس الرب المُحْيِي، وآفهم معاً
كمثُل تَأَلَّف أوتار القيثارة. ونرى أن عمل الكنيسة الأساسي والدائم هو التسبيح لله
مخلّصهم "بقلب لا يفتر".

هكذا نستخلص أن الكنيسة قد تأسَّست بحلول الروح القدس لتصير جسد المسيح،
حيث جماعة المؤمنين هم الأعضاء المتحدون في هذا الجسد، الذي رأسه هو الرب
يسوع المسيح شخصياً.



٤ - هل عضويتنا في جسد المسيح - أي الكنيسة - ضرورة؟

للرد على هذا السؤال نستشهد أولاً ببعض آيات من رسائل القديس بولس الرسول:

"لأجل ذلك أنا أصبر على كل شيء لأجل المختارين، لكي يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذي في المسيح يسوع، مع مجد أبدي".
(٢ تي ٢: ١٠)

"لأن الله لم يجعلنا للغضب، بل لاقتناء الخلاص ببرنا يسوع المسيح".
(١ تس ٥: ٩)

"إذا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع،
السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح". (رو ٨: ١)

في هذه الآيات الثلاثة يؤكد القديس بولس الرسول أن الخلاص "في المسيح يسوع" أو "بربنا يسوع المسيح". أي أنه لا خلاص بدون المسيح أو خارجاً عنه، لأنه هو الذي تمّ خلاصنا بصليبه وقيامته وصعوده.

ويقول القديس إيرينيؤس عن مفهوم الخلاص:

«إن الخلاص هو أساساً جَمْع كل شيء في المسيح، أي أن الله يجمع لنفسه الخليقة كلها التي انفصلت عنه (أف ١: ١٠)، ويُوَحِّد تحت رأس واحد كل شيء في المسيح. أي أن الحياة المسيحية هي عودة إلى الآب بواسطة الابن والروح.» (القديس إيرينيؤس)

فالخلاص يتحقق بجمع وتوحيد الخليقة كلها مرة أخرى في جسد واحد هو الكنيسة، له رأس واحد هو الرب يسوع المسيح نفسه.

وبمراجعة ما وصلنا إليه من حقائق: أنه لا خلاص إلا في المسيح المخلص، وأن تحقيق خلاصنا لا يكون إلا باتحادنا بجسد المسيح، وأن الكنيسة هي جسد المسيح؛ هكذا نستطيع أن نصل إلى النتيجة الهامة التي تجيب على سؤالنا عن ضرورة عضويتنا في الكنيسة جسد المسيح، والتي وصل إليها القديس كبريانوس من قبل في قول مُختصر ومشهور:

«لا خلاص خارج الكنيسة.» (القديس كبريانوس)

إذاً عضويتنا في جسد المسيح – أي الكنيسة – ضرورة لنوال الخلاص، لأنه "لا خلاص خارج الكنيسة".

ولذلك صارت الكنيسة هي جماعة المُخلصين، أي المدعوين للخلاص، كما يقول القديس كليمنضس الإسكندري:

«الكنيسة هي جماعة المُخلصين وتعبير عن إرادة الله الخلاصية، ولقد أسَّسها الكلمة الإلهي مائناً الكل ببذور الخلاص. هي كنيسة واحدة جامعة لأنها صورة للكنيسة السماوية، وتُحقّق المشيئة الإلهية كما تتحقّق في السماء. إنها عروس المسيح وصنيعته بآنٍ واحد.»
(القديس كليمنضس الإسكندري)

فإن كانت الكنيسة هي جماعة المُخلصين، فكيف يكون هناك مُخلصين خارجاً عنها؟! بل إن الكنيسة هي التي تُحقّق المشيئة الإلهية من نحو البشرية، وهي خلاص الجميع، فكيف إذاً يمكن أن يخلص أحدٌ بدون العضوية الحيّة في الكنيسة جسد المسيح؟!

ونختتم حديثنا بقول للقديس أغسطينوس:

«إننا يمكن أن نحصل على كل شيء خارج الكنيسة ما عدا الخلاص! فلا أحدٌ يستطيع أن يخلص إلا في الكنيسة الجامعة.»
(القديس أغسطينوس)

٥ - لماذا نؤمن بـ "كنيسة واحدة" لها "إيمان واحد"؟

الكنيسة — كما سبق أن قلنا — هي جسد المسيح. فبما أن المسيح واحد، فبالضرورة تكون الكنيسة واحدة. وهذا ما قصده السيد المسيح حين قال:

"ولي خرافٌ آخرُ ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً
فتسمع صوتي، وتكون رعيَّةً واحدةً وراعٍ واحدٌ." (يو ١٠: ١٦)

فالراعي واحدٌ وهو المسيح، لذلك فرعيته لا بُدَّ أن تكون واحدة، وهي الكنيسة.

يقول القديس أغناطيوس الأنطاكي:

«أينما يكون المسيح، تكون الكنيسة الجامعة.» (القديس أغناطيوس
الأنطاكي)

فحيثما وُجِدَ المسيح، توجد الكنيسة الجامعة التي تجمع كل المؤمنين في المسيح
بالروح القدس.

وإن كان المسيح واحداً والكنيسة واحدة، فلا بُدَّ أن يكون الإيمان أيضاً واحداً. لذلك
يقول القديس بولس الرسول:

"فأطلب إليكم، أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحقُّ للدعوة التي
دُعيتُم بها. بكل تواضعٍ ووداعةٍ وبطول أناةٍ، مُحتملين بعضكم بعضاً في
المحبة. مُجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسداً واحداً،
وروحاً واحداً، كما دُعيتُم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد. ربُّ واحد،
إيمانٌ واحد، معموديةٌ واحدة، إلهٌ وآبٌ واحدٌ للكل، الذي على الكل
وبالكل وفي كلكم." (أف ٤: ١-٦)

يقول القديس بولس الرسول إننا، كمسيحيين، جسداً واحداً؛ أي كنيسةً واحدة. ولنا
روحٌ واحدٌ هو الروح القدس المعزِّي، بل ونشترك في رجاءٍ واحدٍ لدعوتنا وهو رجاء
ملكوت السماوات. ولنا ربُّ واحد هو المسيح، وإيمانٌ واحدٌ هو الإيمان الحق بالمسيح،

ومعموديةً واحدةً بها صرنا أعضاءً في جسد المسيح الذي هو الكنيسة الواحدة الجامعة. ولكننا لا نستطيع أن نعتمد بتلك المعمودية الواحدة إن لم يكن لنا الإيمان الواحد، الإيمان الحق.

ويقول القديس بولس الرسول عن هذا الإيمان الواحد:

"فلستُم إذاً بعد غرباء ونزلاً، بل رعيةً مع القديسين وأهل بيت الله،
مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر
الزاوية." (أف ٢: ١٩، ٢٠)

إذا كنّا قد صرنا رعيةً واحدةً لراعٍ واحدٍ، وصرنا رعيةً مع القديسين وأهل بيت الله؛ فذلك لأن لنا إيماناً واحداً بالرب يسوع المسيح "حجر الزاوية"، وقد تسلّمنا هذا الإيمان من آبائنا الرسل الذين تسلّموه من الرب يسوع شخصياً. فإيماننا إذاً هو إيمان حق وإيمان مستقيم، إذا كان يعتمد على الرب يسوع المسيح "حجر الزاوية"، الذي قال عن نفسه في حديثه مع تلميذه توما:

"قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحدٌ يأتي إلى الآب إلاّ بي." (يو ١٤: ٦)

وقال أيضاً:

"فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به إنكم إن ثبتُّم في كلامي فبالحقيقة
تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق، والحق يُحرِّركم." (يو ٨: ٣١، ٣٢)

فالحق واحدٌ هو المسيح، وبالتالي الإيمان الحق بالمسيح هو واحدٌ. فلا معرفة للحق أو تلمذة للمسيح إلاّ بالثبات في كلامه والإيمان به.

لذلك يقول القديس بولس الرسول لأهل غلاطية لائماً:

"إني أتعجّب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح
إلى إنجيلٍ آخر! ليس هو آخر، غير أنه يوجد قومٌ يزعمونكم ويريدون

أن يحوّلوا إنجيل المسيح. ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء
بغير ما بشرناكم، فليكن أناثيما! كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضاً إن كان
أحد يبشركم بغير ما قبلتم، فليكن أناثيما!" (غل ١ : ٦-٩)

يحذر الرسول أهل غلاطية من أن يعيدوا عن البشارة التي قد سلّمهم إيّاها، فلا
يوجد إنجيل أو بشارة غير تلك التي سلّمهم إيّاها، حتى لو جاءت منه هو شخصياً أو
حتى من ملاك من السماء.

إذاً الكنيسة واحدة وإيمانها واحد، وهذا الإيمان هو ما سلّمه الرسل للكنيسة نقلاً عن
السيد المسيح نفسه. لذلك لا يليق أن يكون لكل فرد أو كل جماعة فكر خاص بها
يخالف الإيمان الواحد للكنيسة الواحدة الجامعة. وقد قال في ذلك القديس إيرينيئوس:

«لأن في الكنيسة قد تجمّع كل الحق عبر الرسل.» (القديس إيرينيئوس)

وأيضاً قال:

«الكنيسة ولو أنها توزّعت على كل العالم وحتى أقاصي الأرض، إلاّ
إنها تسلمت من الرسل ومن تلاميذهم الإيمان... والكنيسة التي تسلمت
هذا التعليم وهذا الإيمان ولو أنها موزّعة على كل العالم، إلاّ إنها كائنة
كأنها في بيت واحد تحفظ هذا الإيمان بعناية، وتعتقد بكل التعليم وكأن
لها نفساً واحدة وقلباً واحداً تُذيعه وتكرز به وتُسلمه بانسجام كامل،
وكان لها فماً واحداً.» (القديس إيرينيئوس)

فالكنيسة مهما اتسعت في العالم كله، وصار لها من لغات وثقافات وأماكن مختلفة،
إلاّ إنها واحدة رسولية لها نفس الإيمان الواحد الذي تسلمته من التلاميذ والرسل.

إذاً حيث أن المسيح واحد، والكنيسة هي جسده، فلا بد أن تكون الكنيسة واحدة،
لها إيمان واحد بالمسيح الواحد، الذي هو الحق الواحد والوحيد.

٦- ما هو عمل الروح القدس في الكنيسة أي جماعة المؤمنين أعضاء جسد المسيح؟

حلَّ الروح القدس على الكنيسة في يوم الخمسين ليهبها مواهب فائقة أعظم من أن تصفها كلمات بشرية، لكن لكي نحاول الإجابة على هذا السؤال سنتتبع كلمات الكتاب المقدس لنجمل هذا العمل الإلهي الفائق في تسع نقاطٍ أساسية:

أ - يقود إلى معرفة الله

الروح القدس بحلوله فينا يقود نفوسنا إلى معرفة الله، لذلك قال السيد المسيح:

"وَأَمَّا الْمُعْزِّي، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يُعَلِّمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قُلْتُهُ لَكُمْ." (يو ١٤ : ٢٦)

"ومتى جاء المُعْزِّي الذي سَأرسلُهُ أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق^٣، فهو يشهد لي." (يو ١٥ : ٢٦)

"وَأَمَّا متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمرٍ آتية. ذاك يُمَجِّدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للآب هو لي. لهذا قلتُ إنه يأخذ مما لي ويخبركم." (يو ١٦ : ١٣-١٥)

الروح القدس إذاً هو الذي يشهد للمسيح، وهو الذي يُعلِّمنا كل شيء، يذكّرنا بكل ما قاله ربنا يسوع، يرشدنا إلى جميع الحق، يخبرنا بأمرٍ آتية، ويأخذ مما للمسيح ويخبرنا. بالتالي يمكننا القول بأنه لا يمكن لأحد أن يعرف الله بدون الروح القدس.

^٣ نلاحظ أن السيد المسيح يؤكّد في هذه الآية أن الروح القدس ينبثق من الآب فقط، وإن كان الابن مشترك مع الآب في إرسالته ليحلّ على الكنيسة "الذي سَأرسلُهُ أنا إليكم من الآب".

ب — يعلن عن الأشياء الموهوبة من الله

"بل كما هو مكتوب ما لم ترَ عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على بال إنسانٍ ما أعدّه الله للذين يحبونه. فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله. لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه؟ هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحدٌ إلا روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله." (١كو ٢: ٩-١٢)

فالأمر التي قد أعدّها لنا الله "ما لم ترَ عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على بال إنسانٍ"، لم يكن من الممكن أن نتعرّف عليها إلا من خلال روح الله القدوس "أعلنه الله لنا نحن بروحه"، لأن الروح القدس هو "الروح الذي من الله"، والذي قد أُعطيَ لنا "لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله".

ج — يرفع إلى مستوى البنوة للآب

لقد بدّل الآب ابنه الوحيد الجنس، لكي يخلصنا من خطايانا ويشترينا من العالم بالدم المسفوك على الصليب، لنصير أبناء للآب السماوي. لكننا لا نحصل فعلياً على هذه الرتبة السامية إلا بالروح القدس، كقول معلمنا القديس بولس الرسول:

"لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله. إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب. الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح. إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه." (رو ٨: ١٤-١٧)

"ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني. ثم بما أنكم

أبناءً، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب. إذا لستَ بعدُ عبداً بل ابناً، وإن كنتَ ابناً فوارثٌ لله بالمسيح. " (غل ٤ : ٤-٧)

أي أننا بالروح القدس فقط نستطيع أن نمارس بنوتنا لله الآب، ونناديه بدالة البنين "يا أبا الآب" أي يا أبانا الآب. لأن كلمة "أبا" هي كلمة أرامية لمناداة الأب، كما ينادي الطفل أباه بلفظة "بابا". فالروح القدس إذاً هو الذي يرفعنا إلى مستوى تلك البنوة الفائقة.

د - يرفع الصلوات

"وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا، لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي. ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأناتٍ لا يُنطق بها. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين." (رو ٨ : ٢٦ ، ٢٧)

فنحن عندما نقف أمام الله للصلاة، لا نعرف — كبشرٍ محدودين — كيف يمكننا أن نتكلم مع الله غير المحدود. لذلك فالروح القدس الحالُّ فينا هو الذي يشفع فينا أي يعلمنا كيف نصلي، وهو الذي يرفع صلواتنا لله الآب.

هـ - يُبَكِّت

"ومتى جاء ذاك يُبَكِّت العالم على خطيةٍ وعلى برٍّ وعلى دينونةٍ." (يو ١٦ : ٨)

الروح القدس هو الذي يعمل في نفوسنا مُبَكِّتاً ودافعاً إيانا إلى التوبة. وقد رأينا مثلاً لذلك في الجمهور الذي كان يسمع عظة القديس بطرس الرسول في يوم الخمسين حيث قيل:

"فلما سمِعُوا نُخِسُوا في قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟" (أع ٢ : ٣٧)

فالروح القدس هو الذي بكتَّهم "تُخسُّوا في قلوبهم". وهو أيضًا الذي دفعهم إلى التوبة ليسألوا الرسل: "ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟" وقد جاءت إجابة القديس بطرس بأن يتوبوا ويعتمدوا على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فيقبلوا عطية الروح القدس (أع ٢: ٣٨).

و – يُقَدِّس

"وأما نحن فينبغي لنا أن نشكر الله كل حين لأجلكم أيها الإخوة المحبوبون من الرب، أن الله اختاركم من البدء للخلاص، بتقديس الروح وتصديق الحق." (٢ تس ٢: ١٣)

"بطرس، رسول يسوع المسيح، إلى المُتَغَرِّبِينَ من شتات بُنْتُس وغلطية وكبدوكية وأسيا وبيثينية، المختارين بمقتضى علم الله الآب السابق، في تقديس الروح للطاعة، ورش دم يسوع المسيح: لتكثر لكم النعمة والسلام." (١ بط ١: ١، ٢)

الروح القدس هو الذي يُقَدِّس أرواحنا ونفوسنا "تقديس الروح للطاعة"، بل ويُقَدِّس حياتنا كلها لله. والتقديس هنا بمعنى التخصيص أو التكريس لكي نصير هياكل مقدسة للروح القدس.

ز – يُثْمِرُ ثَمَرَ الروح

"وأما ثمر الروح فهو: محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف. ضد أمثال هذه ليس ناموس." (غل ٥: ٢٢، ٢٣)

"لأن ثمر الروح هو في كل صلاح وبرٍ وحق." (أف ٥: ٩)

حلول الروح القدس فينا هو الذي يجعلنا نثمر ثمر الروح ونقتني هذه الفضائل المقدسة.

ح - يَهَبُ مواهب الروح

"فأنواع مواهب موجودة، ولكن الروح واحد. وأنواع خِدَمٍ موجودة، ولكن الرب واحد. وأنواع أعمالٍ موجودة، ولكن الله واحد، الذي يعمل الكل في الكل. ولكنه لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة. فإنه لوَاحِدٌ يُعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد. ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع السنة، ولآخر ترجمة السنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده، كما يشاء. لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة، وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد كذلك المسيح أيضاً. لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد، يهوداً كُنَّا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سقينا روحاً واحداً." (١كو ١٢: ٤-١٣)

فالروح القدس وإن كان قد وحدنا جميعاً في جسد واحد أي الكنيسة، إلا أنه قد قَسَمَ لكل عضوٍ في هذا الجسد موهبةً خاصةً به تختلف عن الآخرين لكي يستطيع أن يخدم بها الجسد كله. مثل الجسد البشري الذي فيه أعضاء كثيرة كل عضوٍ فيها يقوم بعملٍ مختلفٍ، ولكن في النهاية الجسد هو واحد، وكل عضوٍ يعمل لحساب الجسد كله.

ط - يقود الكرازة

١. منذ أن حلَّ الروح القدس على الكنيسة يوم الخمسين، صار هو الذي يقود الكنيسة ويقود الكرازة بالإيمان بالمسيح، فقليل عن التلاميذ بعد حلول الروح القدس:

"وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بالسنةِ أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا." (أع ٢: ٤)

بعد حلول الروح القدس بدأ التلاميذ يكرزون ويبشرون ببشارة الخلاص بحسب ما أعطاهم الروح القدس من كلامٍ وتعليمٍ.

٢. وليس ذلك فقط بل كان الروح القدس هو الذي يختار ويُفَرِّز ويُخصِّص الخدام لعمل الكرازة:

"وبينما هم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس أفرزوا لي
برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه." (أع ١٣: ٢)

٣. أيضاً كان الروح القدس يرشد الرسل إلى الأشخاص المطلوب تبشيرهم، وإلى أماكن الكرازة:

- فقد قاد الروح فيلبس المُبَشِّر، أحد الشمامسة السبعة، لكي يذهب إلى الخَصِيِّ الحبشي لكي يعمِّده.

"فقال الروح لفيلبس تقدّم ورافق هذه المركبة." (أع ٨: ٢٩)

- وأرسل القديس بطرس الرسول إلى بيت كرنيليوس الأممي كعلامةٍ على قبول الأمم في الإيمان بالرب يسوع المسيح.

"فقال لي الروح أن أذهب معهم غير مرتابٍ في شيءٍ. وذهب معي
أيضاً هؤلاء الإخوة الستة. فدخلنا بيت الرجل..." (أع ١١: ١٢)

- ووجّه بولس وبرنابا إلى أماكن كرازتهم.

"فهذان إذ أرسلّا من الروح القدس انحذرا إلى سلوكية، ومن هناك
سافرا في البحر إلى قبرس." (أع ١٣: ٤)

- وَمَنْعَ بولس وبرنابا وتيموثاوس من أن يتكلّموا بالكلمة في آسيا، كما مَنْعَهُم من الذهاب إلى بيثينية، لكي يذهبوا إلى أماكن أخرى.

"وبعد ما اجتازوا في فريجية وكورة غلاطية، مَنْعَهُم الروح القدس أن يتكلّموا بالكلمة في آسيا. فلمّا أتوا إلى ميسيا حاولوا أن يذهبوا إلى بيثينية، فلم يدعهم الروح." (أع ١٦: ٦، ٧)

٤. وعندما ظهرت بدعة التهود، التي نادى بأن كل أممي يريد أن يصير مسيحياً لا بدّ أن يتهود أولاً ويختتن ويخضع لكل أحكام ناموس العهد القديم، اجتمع الآباء الرسل في مجمع أورشليم حوالي سنة ٥٠ م، وقرروا عدم وجوب ذلك. وفي قرارهم هذا كان يقودهم الروح القدس.

"لأنه قد رأى الروح القدس ونحن، أن لا نضع عليكم ثِقْلاً أكثر، غير هذه الأشياء الواجبة..." (أع ١٥: ٢٨)

أخيراً نختم الإجابة على هذا السؤال حول عمل الروح القدس في الكنيسة جماعة المؤمنين بقوليين من أقوال آباء الكنيسة، لنرى عِظَم قدر عطية الروح القدس، وما صار لنا بواسطته من مواهب:

«الله اليوم يمنحنا حلول الروح القدس، وخلالها يقسم علينا آلاف المواهب السماوية الأخرى، لأنه آية موهبة من بين المواهب التي نتمتع بها في خلاص نفوسنا لم نلها خلال خدمة الروح.»
(القديس يوحنا الذهبي الفم)

«الروح القدس المنبثق من الآب هو مصدر القداسة، القوة الواهبة للحياة، النعمة التي تُعطي كمالاً، خلاله ينعم الإنسان بالتبني، يصير الفاسد في عدم فساد.» (القديس باسيليوس الكبير)

٧- إن كان الروح القدس عاملاً في حياة المؤمنين ويسكن فيهم، فلماذا الحروب الروحية؟ ولماذا الخطية؟ ولماذا الاحتياج إلى الجهاد الروحي؟

نبدأ إجابة هذه الأسئلة بشرح تعبير "عُرْبُون الروح" الذي استخدمه القديس بولس الرسول مرتين في الرسالة الثانية لأهل كورنثوس:

"ولكن الذي يُثَبِّتُنَا معكم في المسيح، وقد مَسَحَنَا، هو الله الذي خَتَمَنَا
أيضاً، وأعطى عُرْبُون الروح في قلوبنا." (٢كو ١: ٢١، ٢٢)

لقد مَسَحَنَا الله وخَتَمَنَا بالروح القدس لتكون خاصته وأبناءه. وفي الآية السابقة عندما تحدّث الرسول عن المسحة وعن الختم استخدم تعبير "عُرْبُون الروح". والعُرْبُون هو الجزء الصغير من ثمن شراء أيّ مشترياتٍ غالية القيمة، والذي يتم دفعه مبدئياً كمقدمة لباقي الثمن. وقد استخدم الرسول هذا التعبير عند الحديث عن مسحة وختم الروح القدس لأنه وإن كان الروح القدس قد حلّ على الكنيسة جماعة المؤمنين كنتيجة لما أتمّه مخلصنا الصالح من فداء وخلص بالصليب والقيامة والصعود، إلا أن ما نلناه ما هو إلا "عُرْبُون الروح" أي عُرْبُون الفداء والخلص والميراث السماوي الكامل الذي ننتظره ونترجاه مع المسيح في مجيئه الثاني^٤. ولقد حصلنا على العُرْبُون فقط، لأنه هو ما نحتاجه هنا على الأرض حتى نعبّر برية هذا العالم متجهين نحو الأمجاد السماوية. كما أننا لا نزال على الأرض نلبس الجسد الأرضي الذي سيموت ويرى فساداً، ولكن على رجاء القيامة في المجيء الثاني.

على هذا الأساس نفهم أننا قد نلنا الخلاص وبركاته كإمكانية، ولنا الحرية الكاملة: إمّا أن نستفيد منها ونثبت فيها باختيارنا ولا نعمل إرادتنا بل إرادة الله؛ أو أن نخسرها ونسقط منها بإهمالنا وباستخدامنا لحريتنا ضد مشيئة الله من حولنا. ويمكننا أن نشبّه

^٤ سيأتي شرح هذه النقطة باستفاضة في القسم الخامس من هذا الكتاب.

هذا الأمر بشخصٍ حَصَلَ على تأشيرة السفر لإحدى البلاد، بل وتمَّ حجز تذكرة طيران له إلى هذا البلد؛ فهو بهذا صارت له إمكانية السفر، ولكن بقي عليه أن يجمع — بكامل إرادته — ما له ويترك مكانه ليتَّجه إلى البلد الذي سيذهب إليه. أي أن وجود التأشيرة والتذكرة معه لا يعني تأكيد السفر، بل هي فقط إمكانية قد أُتيحت له.

إذاً حيث إننا ما زلنا في الجسد على الأرض ولم نأخذ سوى عُرْبُون الروح؛ فلا بُدَّ من وجود الحروب الروحية من رئيس هذا العالم، وقد نسقط في الخطية لضعف طبيعتنا الجسدية، ولكن بالجهد الروحي القانوني أي المسنود بعمل نعمة الروح القدس "عُرْبُون الروح" نقوم من سقطاتنا ونثبَّت في حياة التوبة بأمانة كل أيام حياتنا على الأرض إلى أن نُكَلَّل في ملكوت السماوات، ونسمع الصوت الممتلئ فرحاً القائل: "تعمَّ أيها العبد الصالح والأمين! كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير. ادْخُلْ إلى فرح سيدك" (مت ٢٥: ٢١). أي أن الإنسان الذي كان أميناً في القليل الذي على الأرض "العُرْبُون"، يُقام على الكثير "الميراث الكامل الأبدي الذي في السماوات".

وجاء تعبير "عُرْبُون الروح" للمرَّة الثانية في نفس الرسالة:

"فإننا نحن الذين في الخيمة ننُّ مُنْقَلِينَ، إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها، لكي يُبتَلَعَ المائت من الحياة. ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله، الذي أعطانا أيضاً عُرْبُون الروح." (٢كو ٥: ٤، ٥)

من المعروف لنا أن الخيمة هي مسكن مؤقت للإنسان يستخدمه أثناء الارتحال من مكان إلى آخر بهدف الوصول إلى مكان للاستقرار، حيث يطلب الإنسان بناء ثابت ومستقر للسكنى. كذلك حياتنا في الجسد كمثُل مَنْ يسكن في خيمة، نحيا فيها فترة من الزمن إلى أن تتحلَّ هذه الخيمة، فنذهب إلى مسكننا الذي في السماء. لذلك يقول الرسول إننا على الأرض ننتقل بالأتعاب، لأننا ما زلنا في الخيمة "الجسد" ننُّ من الخطية، ننُّ من الحروب الروحية، ومن أتعاب هذا العالم. ولكنه يقول إنه على الرغم من هذا الأنين، إلّا إننا لا نهْدِف إلى الهروب من الحروب الروحية أو من الجهاد

الروحي "إذ لسنا نريد أن نخلعها"، بل هدفنا هو الوصول إلى ملكوت السماوات بأمجاده وأفراحه لابسين حُلَّة العرس السماوي "بل أن نلبس فوقها، لكي يُبتَلَع المائت من الحياة". ويستكمل الرسول حديثه بأن الله الذي خلقنا لننال هذا المجد وهذا الميراث هو الذي أعطانا عُرْبُون السماويات "عُرْبُون الروح" الذي به نحيا في جهادٍ روحيٍّ ساعين نحو ميراثنا السماوي المحفوظ لنا في السماوات "ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله، الذي أعطانا أيضًا عُرْبُون الروح".

ويستخدم القديس بولس الرسول كلمة "عُرْبُون" أيضًا في رسالة أفسس قائلاً:
"الذي فيه أيضًا أنتم، إذ سمعتم كلمة الحق، إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضًا إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس، الذي هو عُرْبُون ميراثنا، لفداء المُقْتَنَى، لمدح مجده." (أف ١: ١٣، ١٤)

يعلن القديس بولس هنا أن كل فيض الروح الذي نعيش فيه الآن ما هو إلا عُرْبُون قد أخذناه عندما استجبنا لكلمة الإنجيل وقبلنا الإيمان بربنا ومخلصنا يسوع المسيح. وهذا العُرْبُون هو عُرْبُون لميراثنا السماوي، به نتأهل للفداء الكامل في ملكوت السماوات^٥ حيث لا حروب روحية، ولا سقوط في الخطية، ولا احتياج للجهاد الروحي بالتالي. بذلك نُقْتَنَى لله، ونصبح من ضمن الجمع الكثير الذي لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة الواقفين أمام الله، الذين يخدمونه نهارًا وليلاً، الذين اشتروا من العالم، وقد غسلوا ثيابهم وبيضوها في دم الخروف (رؤ ٧). وهكذا يتجلَّى مجد الله الذي يقيم المسكين من التراب، ويرفع البائس من المزبلة حتى إن البشر الضعفاء ينالون هذا المجد السماوي.

وحول نفس الفكرة يقول القديس بولس الرسول:

"وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضًا نننُّ في أنفسنا، متوقعين التبنِّي فداءً أجسادنا." (رو ٨: ٢٣)

^٥ لمزيد من الإيضاح يمكن الرجوع إلى السؤال الأول من القسم الخامس ص ٣٩٧.

كما استخدم القديس بولس الرسول تعبير "عُرْبُون الروح" للإشارة إلى ما نلناه من حلول الروح القدس على المؤمنين، كذلك استخدم تعبير "باكورة الروح" للإشارة إلى نفس الحقيقة. أي أننا نحن الذين صارت لنا باكورة الروح ما زلنا ننشأ في جهادنا ضد حروب عدو الخير. وإن كُنَّا قد دُعينا أولادًا لله، إلّا إننا قد نلنا هذه العطية على مستوى العُرْبُون على رجاء كمال مجد البنوة لله في ملكوت السماوات، هذا ما قصده الرسول بقوله "متوقعين التبني فداء أجسادنا".

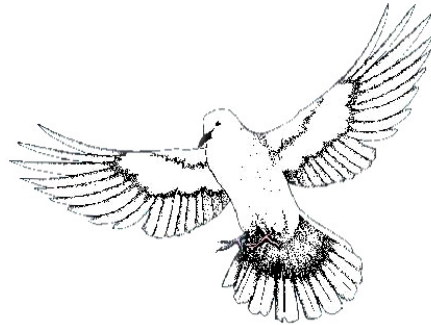
أخيرًا نستعرض ما قاله القديس بولس الرسول في رسالة أفسس عن الحروب الروحية، وكيفية مواجهتها بسلاح الله الكامل:

"أخيرًا يا إخوتي، تقوّوا في الرب وفي شدة قوته. البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكاييد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير، وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا. فاثبتوا مُنطّقين أحقاءكم بالحق، ولايسين درع البر، وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام. حاملين فوق الكل ترس الإيمان، الذي به تقدرون أن تطفنوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا خوذة الخلاص، وسيف الروح الذي هو كلمة الله. مُصلّين بكل صلاة وطلبية كل وقت في الروح، وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبية، لأجل جميع القديسين، ولأجلي، لكي يُعطى لي كلامٌ عند افتتاح فمي، لأُعْلِمَ جِهَارًا بسرّ الإنجيل..." (أف ٦: ١٠-١٩)

هنا يدعونا الرسول نحن المؤمنين إلى التسلّح بسلاح الله الكامل، لأننا طالما نحن في هذا العالم فلا بُدَّ أن نحارب الحروب الروحية ضد إبليس وجنوده، حتى إذا تمّمنا جهادنا في هذه الحروب معتمدين على سلاح الله الكامل، فإننا نثبت في رجاء الملكوت والميراث السماوي "وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا".

ثم يقوم الرسول بشرح تفاصيل هذا السلاح الإلهي: مُنْطَقِينَ أَحْقَاءَنَا بِالْحَقِّ، أي أن نسلك في الحق على الدوام؛ لابسين درع البر، أي أن نصير متسربلين ببر المسيح وقداسته؛ حاذين أرجلنا باستعداد إنجيل السلام، أي أن نكون مستعدين للسلوك بوصية الإنجيل التي تقود خطواتنا؛ حاملين ترس الإيمان، أي أن نضع كل ثقتنا ورجائنا في الله الذي به نحتمي وننال النصر على العدو الشيطان؛ آخذين خوذة الخلاص، أي أن نتمسك ببرجاء الخلاص الذي قدّمه لنا مخلصنا الصالح؛ ممسكين بسيف الروح الذي هو كلمة الله، أي أن نستخدم كلمة الله في مواجهتنا ضد مشورات الشيطان كما فعل ربنا يسوع المسيح في التجربة على الجبل؛ مُصَلِّين بكل صلاة وطلبية كل وقت في الروحية، أي أن نصلّي بلا انقطاع صلاةً روحيةً، وليس مجرد التردد الباطل للكلام؛ وأخيرًا، ساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبية، أي أن نستمر في الجهاد الروحي المسنود بنعمة الله وعمل الروح القدس إلى النهاية، وهذا هو الشرط الأساسي للنصرة.

إذا وإن كان الروح القدس ساكنًا فينا — نحن المؤمنون — وعاملًا في حياتنا، إلا أننا لم نأخذ سوى عُرْبُون الروح، إذ لم نخلع الجسد بعد، ولا وصلنا إلى ملكوت السماوات. لذلك نواجه الحروب الروحية؛ ونتمسك بالجهاد الروحي، لابسين سلاح الله الكامل، مسنودين بعمل الروح القدس فينا (عُرْبُون الروح)؛ وقد نسقط في الخطية نتيجة ضعف طبيعتنا أو إهمالنا للجهاد والإمكانات المعطاة لنا، لكننا نقوم من سقطاتنا برجائنا في محبة الله لنا وثقتنا الأكيدة في قبوله لتوبتنا.



الاستنتاجات

١. جَبَلَ اللهُ الإنسانَ ترابًا من الأرض وَنَفَخَ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسًا حيَّةً بالله. ولكن فَقَدَ الإنسانُ الحياةَ والشركةَ مع الله، بحُكْمِ الموت الذي جَلَبَتْهُ الخطيئة. فكان لا بُدَّ أن يحلَّ الروح القدس من جديد في الإنسان ويسكن فيه، لكي يُعيد إليه الحياةَ والشركةَ المفقودة مع الله.

٢. لم يكن ممكنًا للروح القدس أن يعود ويحلَّ في الإنسان، إلَّا بعد إتمام المسيح لعمله الخلاصي بالصليب والقيامة والصعود.

٣. بحلول الروح القدس يوم الخمسين تأسَّست الكنيسة، التي هي جماعة المؤمنين الذين صيِّرَهم الروح القدس واحدًا بعضويتهم في جسد المسيح. وبذلك صارت الكنيسة هي جسد المسيح الذي فيه المسيح هو الرأس والمؤمنون هم الأعضاء.

٤. إن كان لا يوجد خلاص خارج المسيح، فلا توجد وسيلة لنوال الخلاص إلَّا بالاتحاد بالمسيح، بالعضوية في جسده الذي هو الكنيسة. وبالتالي فلا خلاص خارج الكنيسة.

٥. المسيح واحدٌ، والكنيسة واحدةٌ لأنها جسده. لذلك فالإيمان بالمسيح وبكنيسته هو واحدٌ، والروح القدس الواحد هو الذي يقود إليه.

٦. الروح القدس في قيادته للمؤمنين:

أ — يقود إلى معرفة الله

ب — يعلن عن الأشياء الموهوبة من الله

ج — يرفع إلى مستوى البنوة للآب

د — يرفع الصلوات

هـ - يَبْكُتْ

و - يُقَدِّسْ

ز - يُثْمِرُ ثَمَرَ الروح

ح - يَهْبُ مواهب الروح

ط - يقود الكرازة

٧. على الرغم من فيض عمل الروح القدس في حياة المؤمنين في الحياة الحاضرة،
إلاَّ إنه يظلُّ مجرد عُرْبُون، في انتظار كمال مجد الميراث السماوي في الدهر
الآتي.

٨. إذ لا زال المؤمنون في الجسد، فَهُمْ يُحَارِبُونَ بالحروب الروحية، ويسقطون بسبب
الضعف البشري. ولذلك فَهُمْ يحتاجون إلى الجهاد الروحي المؤيَّد بنعمة الروح
القدس (عُرْبُون الروح القدس) التي تعطيهم إمكانية غلبة الخطية.



الموضوع الثاني

الروح القدس والأسرار

إن كان حلول الروح القدس وسكناه في المؤمنين هو هدف عمل الخلاص، وهو أعظم نعمة أُعطيَت للبشر؛ فإن أسرار الكنيسة هي وسائط هذه النعمة التي بها نتمتع بالخلاص ونحياه.

تتمُّ ممارسة أسرار الكنيسة بواسطة أشياء مادية منظورة، ولكنها تحمل نعمة روحية غير منظورة بسبب حلول الروح القدس الذي يقدّس مادة كل سرّ.

تضرب ممارسة أسرار الكنيسة جذورها إلى الكنيسة الأولى منذ عصر الرسل. لذلك حافظت الكنيسة على ممارسة الأسرار إلى الآن، نظراً لأصالة هذه الممارسة.

وتستند أسرار الكنيسة على الكتاب المقدس سواء من جهة تأسيسها، أو من جهة تسجيل الكتاب المقدس لممارستها في الكنيسة الأولى في سفر أعمال الرسل، السفر التاريخي الوحيد في العهد الجديد.

١ - ما هو مفهوم السرّ الكنسي؟

استخدم القديس بولس الرسول تعبير "سرائر الله" بقصد الإشارة إلى أسرار الله التي وكلّ الله عليها الكنيسة مُمَثِّلَةً في "خُدَّام المسيح"، أي الآباء الرسل الأظهار الذين خَلَفَهُم الآباء الأساقفة والكهنة على مرّ الأجيال. وقد جاء هذا التعبير في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس:

"هكذا فليَحْسِبنا الإنسان كخُدَّام المسيح، ووكلاء سرائر الله..." (١كو ٤: ١)

وتُعَلِّمنا الكنيسة أن السرّ الكنسي هو نعمة وعطية إلهية غير منظورة يحصل عليها المؤمنون بواسطة عمل منظور يتم من خلال الكنيسة مُمَثِّلَةً في الأساقفة والكهنة ووكلاء سرائر الله المؤتمنين على تقديمها للمؤمنين.

ونجد هذا المعنى واضحاً عند آباء الكنيسة الأولين، فعلى سبيل المثال يقول العلامة ترنتليان:

«مِمَّا لا شك فيه أن الله قد جعل كل العناصر المادية تطيعه، هكذا أيضاً في أسرارهِ... فإن المادة التي تحكم الحياة الأرضية تعمل أيضاً كوسيط للحياة السماوية.» (العلامة ترنتليان)

فكما أن العناصر المادية — مثل الماء، والزيت، ... وغيرها — خاضعة لله، وهي تُؤثِّر في الحياة الأرضية سواء للبشر أو للكائنات الأخرى؛ كذلك فإن الله يستخدم هذه العناصر كمادة منظورة في الأسرار، ولكن لكي يكون لها فاعلية غير منظورة فتَهْبُ حياةً سماويةً لكل مَنْ ينال هذه الأسرار.

كما نجد هذا المعنى بوضوح عند القديس يوحنا الذهبي الفم إذ يقول:

«وسائط القوة والنعمة الإلهية نُسَمِّيها "أسرار"، لأننا نؤمن لا بما نرى؛ إذ أننا نرى شيئاً، بينما نؤمن بآخر.» (القديس يوحنا الذهبي الفم)

جاءت تسمية الأسرار بهذا الاسم بسبب إيماننا بما لا نراه من فاعلية غير منظورة ننالها من وراء ما نراه من مادة منظورة. فنحن نرى في المعمودية مجرد مياه، لكننا نؤمن بأنها وسيلة الحصول على الولادة الجديدة والبنوة لله. كما نرى في تناول مجرد خبز وخمر، لكننا نؤمن بأنهما جسد الرب ودمه.

ويقول أيضاً القديس يوحنا الذهبي الفم:

«إن لم يكن لديك جسداً مادياً، لكات المواهب غير الجسدية – أي
النعمة الإلهية والخلاص – قد أُعْطِيتْ لَكَ بالحقيقة. لكن لأن النفس
متحدة بالجسد، فإن الحياة الإلهية تنتقل إليك في صورة منظورة مثل
الماء والزيت.» (القديس يوحنا الذهبي الفم)

أي أن نوالنا للنعم الإلهية الفائقة غير المنظورة، مثل الولادة الجديدة من فوق والخلاص وغفران الخطايا وغيرها، لا يتم إلا من خلال الأسرار التي تحتوي على مواد مادية منظورة بسبب أننا ما زلنا في الجسد المادي المنظور، وبالتالي نحتاج إلى هذه الطريقة التي تناسب طبيعتنا. لأنه لو كنا بلا أجساد مادية، لكان من المناسب أن تنتقل إلينا هذه النعم الإلهية مباشرةً بدون المادة المنظورة.



٢ - ما هو السند الكتابي على تأسيس أسرار الكنيسة؟

نود من خلال إجابتنا على هذا السؤال أن نؤكد أن كل أسرار الكنيسة لها سند واضح في الكتاب المقدس كما يلي:

أ - المعمودية

في حديث السيد المسيح مع نيقوديموس عن الولادة الجديدة قال:

«أجاب يسوع الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله.» (يو ٣: ٥)

بالطبع المقصود هنا بالولادة من الماء والروح هو سرُّ المعمودية. وإن كانت الولادة الجديدة من فوق هي نعمة وعطية روحية، إلا أن السيد المسيح نفسه أكد أننا لا ننالها إلا بواسطة الماء — المادي المنظور — وفاعلية الروح القدس الذي يحلُّ في هذا الماء.

كما نجد حديث السيد المسيح عن المعمودية في إنجيل مرقس قُبيل الصعود:

"مَنْ آمَنَ واعتمد خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدْنِ." (مر ١٦: ١٦)

إذا بحسب قول السيد المسيح الواضح والصريح، لا يوجد خلاص بدون المعمودية التي يتأهل لها الإنسان بالإيمان.

كذلك في إنجيل متى:

"فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس." (مت ٢٨: ١٩)

ب – الميرون

في حديث السيد المسيح مع تلاميذه قبل الصليب يقول:

"وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكثٌ معكم ويكون فيكم." (يو ١٤ : ١٦ ، ١٧)

فالسيد المسيح هنا يعطي الوعد بحلول الروح القدس على الرسل وعلى المؤمنين، وبأنه سيمكث معهم ويكون فيهم.

وقد يُقال إنه لا يوجد حديث هنا عن سرّ الميرون، لكننا سنرى في إجابة السؤال التالي كيف أن في سفر أعمال الرسل كان الروح القدس يحلُّ على المؤمنين بعد المعمديتهم بوضع أيدي الرسل عليهم. ثم بعد ذلك مع ازدياد أعداد المؤمنين صار حلول الروح القدس عن طريق المسح بزيت الميرون. ولكن ما أردنا التأكيد عليه فقط في إجابتنا هنا هو وعد السيد المسيح بحلول الروح القدس، وبالطبع حلول الروح القدس لن يتمَّ إلاَّ بعد الإيمان ثم المعمودية.

ج – الاعتراف

جاء في الكتاب المقدس عن الاعتراف:

"اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات، وصلُّوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفَّوا. طلبة البار تقدر كثيراً في فعلها." (يع ٥ : ١٦)
"إن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ، حتى يغفر لنا خطايانا ويظهرنا من كل إثم." (١ يو ١ : ٩)

وقد يُقال إن الحديث هنا في هذه الآيات عن الاعتراف لم يُشرَّ إلى دور الكنيسة في هذا السر، وضرورة الاعتراف للكاهن. للرد على ذلك لا بُدَّ من الإشارة إلى

نقطتَيْن رئيسيَّتَيْن: أولهما ارتباط سرِّ الاعتراف بسرِّ الكهنوت، حيث أعطى الرب يسوع المسيح لرسالته — ومنْ يخلفهم في عمل الكهنوت — سلطان الحل والربط كما سيأتي الحديث بأكثر تفصيل بعد قليل. أمَّا النقطة الثانية فهي أن مَنْ أخطأ فقد أخطأ في حق الله، كما أخطأ في حق الكنيسة كلها بكونها جسد المسيح الواحد الذي يتَّحد فيه الجميع كأعضاء. لذلك فلا بُدَّ للإنسان من أن يُقدِّم توبةً واعترافاً أمام الله، كما يُقدِّم توبةً واعترافاً أمام الكنيسة، وهذا هو سرُّ الاعتراف. لذلك كان سرُّ الاعتراف يُمارَس قديماً بشكل علنيٍّ أمام كل الشعب ثم يُعطى الحل بواسطة الأسقف أو الكاهن، ولكن مع ازدياد أعداد المؤمنين، وصعوبة الاعتراف العلني، تطوَّر الأمر ليكون الاعتراف للأسقف أو للكاهن فقط.

د — التناول (الافخارستيا أي الشكر)

أهم النصوص الكتابية عن سرِّ الافخارستيا هي ما نسمّيه بالتأسيس أي تأسيس الرب يسوع المسيح نفسه لهذا السرِّ المقدس، والذي تعتبره الكنيسة سرّاً الأسرار أو تاج الأسرار. وقد جاءت نصوص التأسيس في الأناجيل الثلاثة المتشابهة متى ومرقس ولوقا، ولكننا نكتفي هنا بأن نورد ما جاء في إنجيل متى:

"وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كُلُّوا. هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا." (مت ٢٦: ٢٦-٢٨)

ثم يذكر القديس بولس الرسول هذا الحدث في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، على الرغم من أنه لم يكن حاضراً مع التلاميذ في يوم العشاء الأخير، بل إنه قد قبل الإيمان بالمسيح بعد ذلك ببضع سنوات، ولكنه يذكر أنه قد تسلّم ذلك من الرب نفسه:

"لأنني تسلّمتُ من الرب ما سلّمْتُكم أيضاً: إن الرب يسوع في الليلة التي أُسْلِمَ فيها أخذ خبزاً وشكراً فكَسَرَ وقال خذوا كُلّوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعدما تَعَشَوْا، قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلّما شربتم لذكري. فإنكم كلّما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تُخبرون بموت الرب إلى أن يجيء. إذا أيُّ مَنْ أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرمًا في جسد الرب ودمه. ولكن لِيَمْتَحِنَ الإنسان نفسه، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس. لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونةً لنفسه، غير مُمَيِّزٍ جسد الرب. من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى، وكثيرون يرقدون." (١كو ١١: ٢٣-٣٠)

ونلاحظ في هذا النص ما يلي:

- تسلّم القديس بولس الرسول التعليم عن سرّ الافخارستيا من الرب يسوع مباشرة، وهو بدوره سلّمه لأهل كورنثوس ليمارسوا هذا السرّ بكل اهتمام.
- ذَكَرَ الرسول أن الرب يسوع قال عن سرّ التناول من جسده ودمه: "اصنعوا هذا لذكري"، أي أن الأمر ليس مجرد ذكرى مجازية أو عقلية، بل فعل وممارسة حقيقية لهذا السر.
- تحدّث الرسول إلى أهل كورنثوس، بكل وضوح بما لا يحتمل الشك أو اللبس، أنهم كلّما أكلوا من الخبز، وشربوا من الكأس؛ فهم يأكلون جسد الرب، ويشربون دمه. وبالتالي يُخبرون ويؤكدون على إيمانهم بموت الرب لأجل خلاصهم، وأنهم ينتظرون مجيئه الثاني. إذاً، فالجسد هو جسد حقيقي، والدم هو دم حقيقي للرب يسوع المسيح.

- وليس ذلك فقط، بل يؤكّد القديس بولس أن مَنْ يأكل من جسد الرب ويشرب دمه بدون استحقاق، يكون مجرمًا في جسد الرب، ويأخذ بذلك دينونةً لنفسه لأنه لم يُميّز

جسد الرب ودمه. والاستحقاق هنا لا يُقصد به وصول الإنسان من ذاته إلى درجة القداسة التي تؤهله للتناول من الجسد والدم، لأنه مهما بلغ الإنسان من قداسة، فسيظل غير مستحق لجسد الرب ودمه. ولكن المقصود بالاستحقاق هو استعداد الإنسان لنوال هذا السرِّ بإحساس الانسحاق والتوبة والاعتراف بالخطية والشعور بمهابة هذا السر.

- يوصي الرسول بأن يمتحن كل إنسان نفسه قبل أن يتقدّم للتناول من جسد الرب ودمه، ويحذّر الرسول من التهاون في هذا الأمر، إلى الحد الذي قال فيه أن مَنْ تهاونوا في حق جسد الرب بعضهم ضَعُفُوا ومَرَضُوا، وبعضهم رَقِدُوا "من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى، وكثيرون يرقدون". وهي أمور قد تكون قد حدثت بشكل قوي في بداية الكنيسة لكي يعلن الله من البداية حقيقة عظمة هذا السر، وخطورة التهاون في التقدّم إليه.

هـ - الكهنوت

في إحدى ظهورات القيامة المُسجَّلة في إنجيل يوحنا قال الرب يسوع لتلاميذه: "فقال لهم يسوع أيضًا سلامٌ لكم. كما أرسلني الآب أرسلُكم أنا. ولَمَّا قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس. مَنْ غفرتُم خطاياهم تُغفرَ له، وَمَنْ أَمْسَكْتُم خطاياهم أُمسكتُم". (يو ٢٠: ٢١-٢٣)

فالرب يسوع هنا يقدّم للتلاميذ عطية الروح القدس المتعلقة بسرّ الكهنوت، وهي تختلف عن حلول الروح القدس الذي حدّث في يوم الخمسين والذي كان للكنيسة كلها. والدليل على ذلك هو الربط بين نفخة الروح القدس هنا وبين سلطان الحلّ والربط الذي أعطاه الرب لتلاميذه ورسله الأطهار ثم قاموا هم بدورهم في إعطائه لخلفائهم من أساقفة وكهنة. وبالطبع نعلم أن سلطان مغفرة الخطايا هو من اختصاص الله وحده، فهو في سلطان المسيح ومبني على استحقاقات دم المسيح، ولكننا نجد هنا أن الله يَأْتَمَن الكنيسة، مُمَثِّلَةً في الرسل وخلفائهم، على هذا السلطان كوكلاء لأسرار الله، ولكن

بالتأكيد هذا السلطان محدود ومحدّد بوصايا الرب يسوع المسيح وتعاليم الكتاب المقدس، وليس بأهواء شخصية.

و - الزيجة

سرّ الزيجة في منظور الرب يسوع المسيح نفسه نجده في إنجيل متى، حيث يقول الرب:

"فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذي خَلَقَ من البدء خلقهما ذكراً وأنثى؟ وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذا ليسا بعد اثنَيْنِ بل جسداً واحداً. فالذي جمعه الله لا يُفَرِّقه إنساناً." (مت ١٩ : ٤-٦)

أي أن سرّ الزيجة في المسيحية هو اتحاد اثنَيْنِ من المؤمنين، رجل وامرأة عضوين في جسد المسيح، اتحاداً خاصاً في المسيح بعمل الروح القدس ليصيرا جسداً واحداً، وليس بعد اثنَيْنِ. وإذا كان هذا الرباط الذي وحدّهما ليصيرا جسداً واحداً من الله، فهذا الرباط لا ينحلّ. لذلك لا طلاق في المسيحية، بحسب تعاليم الرب يسوع المسيح والكتاب المقدس، إلا لعلّة الزنى الذي يكسر هذا الرباط المقدس.

كما يتحدّث معلّمنا القديس بولس الرسول عن سرّ الزيجة قائلاً:

"من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا السرّ عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة. وأما أنتم الأفراد فليُحِبَّ كل واحد امرأته هكذا كنفسه، وأما المرأة فلتَهَبْ رَجُلَهَا." (أف ٥ : ٣١-٣٣)

يصف القديس بولس الرسول سرّ الزيجة بأنه سرّ عظيم، إذ يرى في اتحاد الرجل بامرأته مثلاً ونموذجاً لاتحاد المسيح بالكنيسة؛ فتخضع المرأة للرجل وتهابه كما تخضع الكنيسة للمسيح، ويحب الرجل امرأته كنفسه كما أحبّ المسيح الكنيسة وأسلم

نفسه للموت من أجلها "لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضًا رأس الكنيسة، وهو مخلص الجسد" (أف ٥: ٢٣).

ز — مسحة المرضى

يقول القديس يعقوب الرسول في رسالته:

"أمرض أحد بينكم؟ فليدعُ شيوخ (قسوس)^١ الكنيسة فيُصلُّوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تَشْفِي المريض، والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطية تُغْفَر له." (يع ٥: ١٤، ١٥)

يقدم لنا هنا القديس يعقوب الرسول الأساس الكتابي لسر مسحة المرضى موصيًا المؤمنين بدعوة قسوس الكنيسة للصلاة على المريض ليدهنوه بزيت لكي ينال الشفاء بحسب مشيئة الله.

سر مسحة المرضى هو قوة الشفاء التي استودعها الله للكنيسة، وتتممها الكنيسة لنقتها في مراحم الله وفي قدرته على الشفاء، ولكن في نفس الوقت مع التسليم الكامل لمشيئته الصالحة والثقة في أن كل أعمال الله هي لخير الإنسان سواء تمَّ الشفاء أم لم يتم.

إذاً كل الأسرار التي تُمارس في الكنيسة تستند إلى الكتاب المقدس وتقوم عليه.



^١ الترجمة الصحيحة للكلمة اليونانية "πρεσβυτέρους" الواردة في هذه الآية هي "قسوس"، وليست "شيوخ".

٣ - هل كانت الأسرار تُمارَس في الكنيسة الأولى؟

من خلال إجابتنا على السؤال السابق تعرّفنا على الأساس والسند الكتابي لأسرار الكنيسة. أمّا الإجابة عن السؤال الحالي فهدفها أن نتأكّد من أن ممارسة الأسرار هي ممارسة أصيلة في الكنيسة منذ عصر الرسل ثم في العصور التي تلتها. لذلك سيكون استنادنا بالأكثر على سفر أعمال الرسل السفر التاريخي الوحيد في العهد الجديد، والذي يؤرّخ لحياة الكنيسة الأولى. كذلك سنستند إلى شهادات آباء الكنيسة الأولين عن ممارسة الأسرار في الكنيسة في القرون الأولى للمسيحية.

أ - المعمودية

أول شاهد في سفر الأعمال عن ممارسة المعمودية في الكنيسة الأولى هو ما ذُكر في الأصحاح الثاني بعد العظة الأولى للقديس بطرس الرسول التي ألقاها في اليوم الخمسين:

"فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحدٍ منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس... فقبلوا كلامه بفرح، واعتمدوا، وانضمّ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس." (أع ٢: ٣٨، ٤١)

فالذين آمنوا بالرب يسوع المسيح من خلال ما نطقه الروح القدس على فم القديس بطرس، سألوا عمّا يجب أن يفعلوه بعد أن قبلوا الإيمان. وجاءت إجابة القديس بطرس الرسول بأن يتوبوا ويعتمدوا على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فيقبلوا عطية الروح القدس. وبالفعل اعتمد في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس، وانضموا إلى الكنيسة.

وفي قصة لقاء فيلبس الشماس مع الخَصِيّ الحبشي في الأصحاح الثامن من سفر الأعمال قيل:

"وفيما هما سائران في الطريق أقبلّا على ماء، فقال الخَصِيّ هوذا ماء. ماذا يمنع أن أعتمد؟ فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز. فأجاب وقال أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله. فأمر أن تقف المركبة، فنزلا كلاهما إلى الماء، فيلبس والخَصِيّ، فعمّده. " (أع ٨: ٣٦-٣٨)

عمّد فيلبس الشماس الخَصِيّ الحبشي بعد أن تحقّق من إيمانه بالرب يسوع كشرط أساسي للمعمودية، لأنه بالطبع لا يمكن أن تتم المعمودية بدون الإيمان بالثالوث القدوس وبعمل الخلاص. ولا يفوتنا أن نلفت النظر إلى أن المعمودية تمت بنزول الخَصِيّ مع فيلبس إلى الماء، أي لم يكتف فيلبس بمجرد رشّه بماء. لذلك تؤمن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بأن المعمودية يجب أن تكون بالتغطيس.

وفي قصة إيمان كرنيليوس قائد المئة الوثني على يد القديس بطرس الرسول قيل:

"... حينئذ أجاب بطرس أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضًا؟ وأمر أن يعتمدوا باسم الرب، حينئذ سألوهم أن يمكث أيامًا. " (أع ١٠: ٤٦-٤٨)

ويخبرنا سفر الأعمال أيضًا عن سجّان فيلبي الذي آمن واعتمد على يد القديس بولس الرسول الذي كان في السجن مع سيلا:

"ثم أخرجهما وقال يا سيديّ، ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟ فقالا آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك. وكلماه وجميع من في بيته بكلمة الرب. فأخذهما في تلك الساعة من الليل، وغسلهما من الجراحات، واعتمد في الحال هو والذين له أجمعون. " (أع ١٦: ٣٠-٣٣)

لقد سأل السجّان القديسين بولس وسيلا عمّا ينبغي أن يفعله لكي يخلّص، ونلاحظ أنه وإن كانت الإجابة أن يؤمن بالرب يسوع المسيح فيخلّص هو أهل بيته، إلّا أنه قد اعتمد في الحال هو وأهل بيته؛ أي أنه ليس خلاصٌ بدون المعمودية، وليست المعمودية بدون الإيمان بالرب يسوع المسيح.

أخيرًا، ننتقل إلى أحد أقوال القديس يوحنا الذهبي الفم عن ممارسة المعمودية في الكنيسة الأولى:

«الذي يعتمد بالمسيح لا يُولَد من الله فقط، بل يلبس المسيح أيضًا. لا نأخذ هذا بالمعنى الأدبي كأنه عمل من أعمال المحبة، بل هو الحقيقة.»
(القديس يوحنا الذهبي الفم)

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أننا بالمعمودية لا نُولَد فقط من الله، بل أيضًا نلبس المسيح استنادًا إلى القديس بولس الرسول في (غل: ٣: ٢٧). ويؤكد الذهبي الفم أن هذا الأمر ليس مبالغة أو تصويرًا مجازيًا للتعبير عن محبة الله، بل هو الحقيقة الكاملة.

ب – الميرون

سرُّ الميرون هو سرُّ حلول الروح القدس على المؤمنين. وكما ذكرنا في إجابة السؤال السابق، أن هذا السرّ كان يُعطى بوضع أيدي الرسل ثم الأساقفة الذين خلفوهم، ومع تزايد أعداد المؤمنين قامت الكنيسة باستخدام زيت الميرون الذي يقوم بتقديسه الأسقف (أو الأب البطريك) كبديل عن وضع الأيدي. لذلك فإن جميع الشواهد في سفر الأعمال التي تحدّثت عن حلول الروح القدس تذكر أنه يتمُّ بوضع أيدي الرسل. وسنستشهد ببعض من هذه الشواهد للتأكيد على أن سرّ حلول الروح القدس بوضع الأيدي، كان يُمارَس بالضرورة في الكنيسة الأولى بعد المعمودية. ثم نورد أحد الأقوال التي جاءت في القوانين الرسولية عن ممارسة سرّ حلول الروح القدس بالمسح أو الرشم بزيت الميرون.

ففي نفس الآية التي استشهدنا بها عند الحديث عن سرّ المعمودية من الأصحاح الثاني من سفر الأعمال:

"فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس." (أع ٢: ٣٨)

ويلاحظ الترتيب في ضرورة حلول الروح القدس بعد المعمودية.

كما نجد أيضاً في سفر الأعمال كيف أن القديس بولس الرسول عندما جاء إلى أفسس، ووَجَدَ مؤمنين اعتمدوا بمعمودية يوحنا المعمدان بواسطة أبلُس، علّمهم عن المعمودية باسم الرب يسوع، فاعتمدوا ثم وَضَعَ عليهم يَدَيْهِ ليحلَّ عليهم الروح القدس:

"فَلَمَّا سَمِعُوا اعتمدوا باسم الرب يسوع. وَلَمَّا وَضَعَ بولس يديه عليهم حلَّ الروح القدس عليهم، فطفقوا يتكلمون بلغاتٍ ويتنبأون." (أع ١٩: ٥، ٦)

وقد بدأ بعد ذلك — كما قلنا — حلول الروح القدس بواسطة زيت الميرون بدلاً من وضع الأيدي، وقد جاء في القوانين الرسولية التي تمّ تجميعها في القرن الرابع:

«وفي النهاية (بعد أن يعتمد الشخص) يجب أن تختموه بالمسحة، وبذلك يمكن أن يكون الرشم بالزيت هو علامة شركة الروح القدس. والماء هو رمز الموت، والمسحة هي ختم العهد.» (القوانين الرسولية)

أي أنه بعد المعمودية التي فيها يموت المؤمن مع المسيح ويُدفن معه ثم يقوم؛ فإنه يجب أن يُختم بمسحة زيت الميرون كعلامة شركة الروح القدس للدخول في عهد مع الله. ونلاحظ تعبير "الختم"، الذي يحمل معنى التخصيص والملكية لله. فكما أن كل ما هو مختوم بختم المَلِكِ هو خاص بالمَلِكِ، كذلك كل مَنْ هو مختوم بختم الروح القدس هو مقدّس لله. لذلك في طقس سرّ الميرون يُرشم الطفل المُعمَّد بستةٍ وثلاثين رَشْماً

على كل أعضاء الجسد كتأكيد لتقديسها وتكريسها لله. وليس ذلك فقط بل إن المبنى الكنسي، وكل أواني الخدمة صارت تُدشَّن بالميرون قبل استخدامها لتتكرَّس لله.

ج - الاعتراف

أمَّا عن الاعتراف فيُحدِّثنا سفر الأعمال:

"وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مُقَرِّين ومُخبرين بأفعالهم."
(أع ١٩: ١٨)

كان هذا في مدينة أفسس، حيث آمن كثيرون بالرب يسوع تاركين أعمال السحر التي كانوا يمارسونها. وقد ارتبط إيمانهم باعترافهم بخطاياهم.

وعن ممارسة سرِّ الاعتراف في الكنيسة الأولى يقول القديس كبريانوس:

«أتوسَّل إليكم يا إخوتي الأحباء أن يعترف كُلُّ منكم بخطاياهم وهو لا يزال في هذا العالم، حيث يظلُّ من الممكن قبول اعترافه، ويكون الغفران والحلُّ الذي يعطيه الكهنة لا يزال سبب مسرة لله.»
(القديس كبريانوس)

يحثُّ القديس كبريانوس المؤمنين على ضرورة ممارسة سرِّ الاعتراف أمام الكهنة، طالما هم أحياء على الأرض، حيث الفرصة متاحة للتوبة والاعتراف والغفران بأخذ الحلِّ من الكنيسة بواسطة الكهنة. وهذه هي مسرة الله الذي لا يشاء موت الخاطئ مثل أن يرجع ويحيا.

د - التناول (الافخارستيا)

يُحدِّثنا سفر الأعمال في أكثر من موضعٍ عن ممارسة سرِّ التناول في الكنيسة الأولى، وقد كان يُطلق عليه "كسر الخبز":

"وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات."
(أع ٢: ٤٢)

"وفي أول الأسبوع إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزاً، خاطبهم بولس وهو مزمع أن يمضي في الغد، وأطال الكلام إلى نصف الليل."
(أع ٢٠: ٧)

ويقدّم لنا القديس باسيليوس الكبير شهادة هامة عن سرّ تناول، وعن ممارسته هو شخصياً لهذا السرّ فيقول:

«الشركة اليومية في جسد المسيح ودمه الأقدس هي ممارسة حسنة ونافعة. فالمسيح يقول صراحةً: "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي، وَيَشْرَبْ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ". لذلك مَنْ يَشْكُ في أَنْ الذي يشترك في الحياة (التناول) باستمرار سيُمنَح بالحقيقة الحياة بقيضٍ؟ وأنا عن نفسي أتناول أربع مرات أسبوعياً: في يوم الرب (الأحد)، وأيام الأربعاء والجمعة والسبت، وفي الأيام الأخرى إذا كان هناك تذكّار أحد الشهداء.»
(القديس باسيليوس الكبير)

يؤكد القديس باسيليوس على أهمية وفائدة الشركة في سرّ تناول بشكل يومي على أساس كلمات الرب يسوع الذي قال أَنْ مَنْ يَأْكُلْ جَسَدَهُ، وَيَشْرَبْ دَمَهُ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ (يو ٦: ٥٤). ويعبّر عن اندهاشه من أيّ شخص يسمع هذه الكلمات ثم يشكّ في أنه بالتناول باستمرار ينال الإنسان فيض الحياة الأبدية. كما يقدّم لنا أيضاً خبرته الشخصية في ممارسة هذا السرّ، إذ هو يتناول أربع مرات أسبوعياً: يوم الأحد "يوم الرب"، وأيام الأربعاء والجمعة يوميّ الصوم الأسبوعي، وأيضاً يوم السبت تذكّار اكتمال الخليفة وراحة الله. وذلك بالإضافة إلى تذكّارات القديسين.

هـ - الزيجة

يتحدّث القديس أغناطيوس الأنطاكي عن ممارسة سرّ الزيجة في الكنيسة الأولى قائلاً:

«ويصبح الرجال والنساء الذين يتزوَّجون مُتَّحدين بمباركة الأسقف،
ويكون زواجهم حسب مشيئة الله، وليس بحسب شهواتهم الخاصة.»
(القديس أغناطيوس الأنطاكي)

نلاحظ أن القديس أغناطيوس يتكلّم عن ممارسة سرّ الزيجة بواسطة الأسقف، أي كسرٍ كنسيٍّ يتمّ فيه اتحاد كل زوجين ببعضهما البعض بعمل الروح القدس، وبالتالي بحسب مشيئة الله، وليس مجرد ارتباط بشري جسدي.

و - الكهنوت

وُجِدَ سرّ الكهنوت والعمل الكهنوتي في الكنيسة الأولى مُمَثَّلاً في الآباء الرسل، حتى إنه كان لا بدّ أن يُختار آخر بديلاً عن يهوذا الإسخريوطي، الذي مضى وشنق نفسه، ليأخذ وظيفته أي عمله الرسولي. وبالفعل وقع الاختيار الإلهي على القديس متياس الرسول كما جاء في الأصحاح الأول من سفر أعمال الرسل:

"لأنه مكتوبٌ في سفر المزامير لتَصِرْ داره خراباً، ولا يكن فيها ساكنٌ،
وليأخذ وظيفته آخر... ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس
فحُسِبَ مع الأحد عشر رسولاً." (أع ١: ٢٠، ٢٦)

كما وُجِدَ الكهنوت كسرٍ كنسيٍّ عند إقامة الشماسة السبعة بوضع أيدي الرسل عليهم من أجل خدمة الموائد. مع ملاحظة أن رُتَبَ الكهنوت الثلاثة هي: الأسقفية، والقسيسية، والشماسية. وقد جاءت قصة إقامة الشماسة السبعة في سفر الأعمال الأصحاح السادس:

"الذين أقاموهم أمام الرسل فصلّوا، ووضعوا عليهم الأيدي." (أع ٦: ٦)

كذلك يُحدّثنا السفر عن اختيار بولس وبرنابا لقسوسٍ في كل كنيسةٍ قاما بتبشيرها:
"وانتخبنا لهم قسوساً في كل كنيسة، ثم صلّياً بأصوامٍ واستودعاهم للرب
الذي كانوا قد آمنوا به." (أع ١٤: ٢٣)

وفي رسالة رومية يتحدّث القديس بولس الرسول عن نفسه وعن خدمته ككاهنٍ فيقول:
"حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم، مُبَشِّرًا لِإِنْجِيلِ
الله ككاهنٍ، ليكون قربان الأمم مقبولا مُقَدَّسًا بالروح القدس."
(رو ١٥: ١٦)

كلمة "كاهن" *ἱεραργουῦντα* هنا بحسب أصلها اليوناني لا تحمل معنى الكهنوت
بالمفهوم العام المُعطى لكل المؤمنين بالمسيح الذي جعلنا جميعاً ملوكاً وكهنةً لله أبية،
بل تحمل معنى الكهنوت الخاص الذي يخدم الله ويقود ويرعى الكنيسة والمؤمنين.

ويقول القديس إيرينيئوس المُلقَّب بأبي التقليد الكنسي:

«هكذا أصبح من المُحتَمَّ أن نخضع للقسوس في الكنيسة الذين هم
خلفاء الرسل. إذ هم مع الأساقفة قد صارت لهم موهبة خاصة حسب
مشيئة الآب الصالحة.» (القديس إيرينيئوس)

فخضوعنا للكهنة والأساقفة يأتي لسببٍ هامٍ وهو أنهم خلفاء للرسل، من خلال
الموهبة الخاصة التي قد أُعطيت لهم في سرِّ الكهنوت بحسب مشيئة الآب الصالحة.

ز – مسحة المرضى

قيل عن تلاميذ السيد المسيح في إنجيل معلمنا مرقس التبشير بعد إرساليتهم الأولى
أثناء وجود الرب يسوع في الجسد:

"وأخرجوا شياطين كثيرة، ودهنوا بزيتٍ مرضى كثيرين فشفوهم."
(مر ٦: ١٣)

لا يُشترَط أن يكون هذا الحديث عن شكل ممارسة سرّ مسحة المرضى كما نعرفه نحن الآن، ولكنه يؤكّد استخدام التلاميذ والرسل للزيت في مسح المرضى حتى في أثناء حياة السيد المسيح على الأرض في وسطهم. وبالتالي يكون سرّ مسحة المرضى بالزيت كسرّ كنسيّ هو أمر ليس بغريبٍ.

وهكذا أخيرًا يمكننا أن نرى بوضوح مقدار أصالة أسرار الكنيسة، ومقدار محافظة الكنيسة عليها، إذ هي وسائط النعمة التي من خلالها ننال كل بركات الخلاص، وهو ما ينقلنا للسؤال التالي.



٤- إن لم يكن لنا خلاصٌ خارج الكنيسة جسد المسيح. فكيف تتحقق عضويتنا في هذا الجسد؟ وكيف نمارس هذه العضوية؟

هذا السؤال هو أهم الأسئلة في موضوعنا "الروح القدس والأسرار" من جهة ارتباطه بالموضوع العام "خدمة الخلاص".

من أهم النتائج التي وصلنا إليها في نهاية الموضوع السابق "الروح القدس والمؤمنون": أن الكنيسة هي جسد المسيح حيث المؤمنون هم أعضاء هذا الجسد والمسيح هو الرأس. وبما أنه لا خلاص بدون المسيح، فبالنّالي لا خلاص خارج الكنيسة. من هنا جاءت أهمية السؤال الحالي، والذي من خلال الإجابة عليه يمكننا أن نتعرّف على كيفية عضويتنا في جسد المسيح، الذي هو الكنيسة، لكي ننال خلاصنا. ونتعرّف على كيفية ممارسة هذه العضوية كعضوية حيّة نتمتع بها على مستوى الحياة اليومية، ليصير خلاصنا حياةً نحيّاها من خلال الكنيسة وأسرارها.

بصفة عامة نقول إن عضويتنا في جسد المسيح تتحقّق من خلال أسرار الكنيسة، وهو ما سنتناوله الآن في إجابتنا. ونود أن نلفت النظر أن الإجابة سنتناول الأسرار الأربعة اللازمة للخلاص بشكل مباشرٍ وهي: المعمودية، الميرون، الاعتراف، والتناول؛ والتي لا بدّ أن يمارسها كل مؤمنٍ بالإيمان المسيحي كضرورة لنوال الخلاص. أمّا الأسرار الثلاثة الأخرى: الزيجة، الكهنوت، ومسحة المرضى؛ فهي لازمة أيضًا للخلاص، ولكن بشكل غير مباشرٍ، إذ لا يُشترط أن يمارسها كل مؤمنٍ.

أ - المعمودية

يقول القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطية عن المعمودية:

"لأنّ كلّم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح." (غل ٣: ٢٧)

عندما اعتمدنا بالمسيح وعلى اسمه، قد صار المسيح لنا لباساً نستتر في داخله. أي أننا بالمعمودية نصير في المسيح. وبالتالي يمكننا القول بأن عضويتنا في جسد المسيح، بعد أن آمنّا به، تتحقق من خلال سرّ المعمودية التي بها نصير أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه.

ويقول أيضاً القديس بولس الرسول في رسالته إلى تيطس:

"... لا بأعمالٍ في برٍّ عَمَلْنَاهَا نحن، بل بمقتضى رحمته خَلَّصَنَا بِغُسْلِ
الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سَكَبَهُ بَغْنَى عَلَيْنَا بيسوع
المسيح مَخْلَصَنَا." (تي ٣: ٥، ٦)

يشرح لنا الرسول هنا بكل وضوح الارتباط الوثيق بين الخلاص الذي نلناه بمقتضى رحمة الله، وبين "غُسْلِ الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس" أي المعمودية. فمن خلال المعمودية نتحد بجسد ربنا يسوع المسيح مَخْلَصَنَا وبذلك فقط ننال الخلاص.

ويقدم القديس بولس الرسول في رسالة رومية شرحاً رائعاً لفاعلية المعمودية فينا:

"أم تجهلون أننا كل مَنْ اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفِنَّا معه
بالمعمودية للموت، حتى كما أُقِيمَ المسيح من الأموات، بمجد الآب،
هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة؟ لأنه إن كُنَّا قد صرنا متّحدين
معه بِشَبِّهِ موته، نصير أيضاً بقيامته. عالمين هذا: أن إنساننا العتيق
قد صُلِبَ معه لِيُبْطَلَ جسد الخطية، كي لا نعود نُسْتَعْبَدُ أيضاً للخطية."
(رو ٦: ٣-٦)

أي أن المعمودية هي الوسيلة التي من خلالها نتحد بالمسيح، فنشترك معه في موته ليموت إنساننا العتيق أي الطبيعة الفاسدة التي ورثناها عن آدم بحسب الميلاد الجسدي، ونقوم معه لكي نحيا لله كأعضاء مقدّسة في جسد المسيح، أي بالطبيعة الجديدة التي أخذناها بالميلاد الثاني بالمعمودية.

ويقول القديس ديديموس الضريير تعليقاً على الآية الأولى التي ذكرناها من رسالة غلاطية مؤكداً على اتحادنا ودخولنا في جسد المسيح بالمعمودية:

«عندما نخرج من المعمودية نلبس المسيح مخلصنا كثوب لا يفسد، ونتأهل لكرامة الروح القدس الذي يُجددنا، إذ يقول الكتاب: لأن كلُّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح.» (القديس ديديموس الضريير)

وأيضاً القديس إيرينيؤس يقول عن المعمودية:

«لقد أعطانا الله موعداً: أن يُرسل لنا المعزّي الذي سيربطنا بالله. فإنه كما أنه من المستحيل أن تتكوّن كتلة من العجين من مجرد دقيق جاف دون مزجه بماء... هكذا أيضاً لا يمكن لنا، ونحن كثيرون، أن نصبح واحداً في المسيح يسوع بدون الماء الذي من السماء... وقد نالت أجسادنا الوجدانية عن طريق هذا الماء (أي ماء المعمودية) الذي يقودنا إلى عدم الفساد؛ لكن أرواحنا قد نالت هذا بواسطة الروح القدس.» (القديس إيرينيؤس)

يقدم هنا القديس إيرينيؤس تشبيهاً جميلاً عن عمل المعمودية في اتحاد المؤمنين مع بعضهم البعض في جسد المسيح. فكما أن الدقيق يظل حبيبات صغيرة منفصلة ومتفرقة عن بعضها البعض، إلى أن يختلط بالماء فيصير كتلة واحدة من العجين؛ كذلك نحن الأفراد الكثيرون، من خلال فاعلية المعمودية، نصير متحدّين مع بعضنا البعض كأعضاء في جسد المسيح الواحد.

إذاً، بالمعمودية تتحقّق عضويتنا في جسد المسيح الذي هو الكنيسة.

ب – الميرون

إن كُنَّا ندخل إلى عضوية جسد المسيح بواسطة سرِّ المعمودية، فإننا ننتبِّت في هذا الجسد بواسطة حلول الروح القدس فينا من خلال سرِّ الميرون الذي يُسمَّى أيضًا سرُّ التثبيت. وليس ذلك فقط بل نتمتَّع بامتيازات هذا السرِّ وهي أن نكون مختومين بختم الروح القدس، ولنا مَسْحَةٌ من القدوس، كما جاء في رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس، ورسالة القديس يوحنا الرسول الأولى:

"الذي فيه أيضًا أنتم، إذ سمعتم كلمة الحق، إنجيل خلاصكم، الذي فيه

أيضًا إذ آمنتم خُتِمْتُمْ بروح الموعد القدوس." (أف ١: ١٣)

"ولا تحزنوا روح الله القدوس، الذي به خُتِمْتُمْ ليوم الفداء."

(أف ٤: ٣٠)

"وأما أنتم فلَكُمْ مَسْحَةٌ من القدوس، وتعلَّمون كل شيء." (١يو ٢: ٢٠)

بالختم والمسحة نصير مقدَّسين ومكرَّسين أي مخصَّصين لله، نحيا متشبَّهين بالرب يسوع المسيح الذي صرنا أعضاء في جسده، متمتَّعين بعربون بركات الخلاص في حياتنا على الأرض، منتظرين وطالبيين وعد الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحلُّ، المحفوظ لنا في السماوات.

وعن ختم الروح القدس يقول القديس ديديموس الضريير:

«لقد خَتَمَنَا الروح القدس بختمه الخلاصي، لنعود إلى شَبَهِنَا الأول. لأن

القطيع الذي لا يُمَيِّزُ بعلامة، يكون فريسةً سهلةً للذئاب، فلا يكون له

عون الختم، ولا يكون معروفًا للراعي الصالح مثل القطيع الآخر.»

(القديس ديديموس الضريير)

بحسب كلمات القديس ديديموس فإن ختم الروح القدس هو ختم خلاصي به نستعيد الصورة الأولى التي خُلِقْنَا عليها، وتصير هذه الصورة علامة تُمَيِّزُنَا كأولاد لله،

وكخرافٍ في قطيع الراعي الصالح. وهكذا لا يجروُ الشيطان أن يؤذينا، إذ أننا نحمل علامة ابن الله.

ج – الاعتراف

وعندما ننتقل إلى الحديث عن دور وأهمية سرِّ الاعتراف كسرِّ أساسيٍّ في ممارسة عضويتنا في الكنيسة جسد المسيح، نستشهد بسفر الأمثال:

"مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لَا يَنْجَحْ، وَمَنْ يَقْرُ بِهَا وَيَتْرَكُهَا يُرَحَّمْ." (أم ٢٨ : ١٣)

بواسطة سرِّ الاعتراف يتمتع المؤمنون، كأعضاء جسد المسيح، بامتياز نوال الحلِّ من الخطية من الله على فم الكنيسة بحسب السلطان المُعطى لها من السيد المسيح شخصياً. وبذلك يتأهل المؤمنون لنوال أعظم عطايا الله للبشرية وهي تناول من جسده ودمه للخلاص وغفران الخطايا والحياة الأبدية لكل مَنْ يتناول منه كما سيأتي الحديث بعد قليل عن سرِّ تناول.

ثم نستمع إلى نفس الفكر في خبرة القديس الأنبا موسى الأسود صاحب السيرة العطرة في التوبة:

"مَنْ يَتَذَكَّرُ خَطَايَاهُ، وَيُقْرُ بِهَا لَا يَخْطِئُ كَثِيرًا. أَمَّا الَّذِي لَا يَتَذَكَّرُ خَطَايَاهُ، وَلَا يَقْرُ بِهَا فَإِنَّهُ يَهْلِكُ بِهَا." (الأنبا موسى الأسود)

يؤكد الأنبا موسى الأسود المبدأ المعروف بأن عدم محاسبة النفس ونسيان الخطية وكتمانها – عن قصد أو عن عدم يقظة روحية – يؤدي إلى المزيد من السقوط والانحدار فيها. وعلى العكس، فمحاسبة النفس الأمانة وتذكر الخطية والاعتراف بها يؤدي إلى انحسار الخطية وازمحلها. مع ملاحظة أن تذكر الخطية "خطيتي أمامي في كل حين" لا يعني أبداً أن الخطية لم تُغفر بالتوبة والاعتراف، بل يعني عدم نسيان الإنسان لضعفه الذي أسقطه في الخطية، وعدم نسيان مراحم الله التي شملته لمغفرة خطايا.

وكما أن الكثير من الحشرات الضارة تعيش في الظلام وتهرب من النور؛ هكذا أيضاً الخطية طالما أخفاها الإنسان تزداد وتتسلط، أما إذا كَشَفَهَا وَفَضَحَهَا فهي تهرب وتضمحل ليشرق نور المسيح في داخل الإنسان.

وفي ذلك يقول القديس أنثاسيوس:

«كما يستنير الإنسان بالروح القدس بعد نواله سرِّ المعمودية بواسطة الكاهن، كذلك أيضاً مَنْ يعترف بخطاياهِ بقلبٍ تائبٍ ينال الغفران بواسطة الكاهن.» (القديس أنثاسيوس)

وهنا يتحدَّث القديس أنثاسيوس عن نوال الحلِّ والمغفرة من خلال سرِّ الاعتراف على يد الأب الكاهن، ولكنه بالطبع يؤكد على شرط أن يكون لهذا الإنسان قلبٌ تائبٌ. فالاعتراف ليس هو مجرد سرد وتعدد للخطايا التي ارتكبتها الإنسان بل المثل أمام الله بإحساس الكراهية للخطية من عمق القلب مع الندم عليها والعزم الصادق على عدم الرجوع إليها، ثم أخيراً كَشَفَ الخطية وَفَضَحَهَا بالاعتراف أمام الكاهن.

وفي رد لأحد المطارنة الروس على سؤال عن سرِّ الاعتراف قال إنه إذا كانت هناك آنية مُنسخة نود أن نضع فيها طيباً غالي الثمن، فلا بُدَّ من تنظيفها أولاً قبل وضع الطيب؛ هكذا أيضاً النفس البشرية لكي تقتني الروح القدس وثماره، لا بُدَّ من تنقيتها بالتوبة والاعتراف أولاً.

د – تناول

في أهم أحاديث السيد المسيح عن تناول من جسده ودمه المذكور في إنجيل يوحنا قال:

"أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم. فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكل. فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا

جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم. مَنْ يَأْكُلْ جَسْدي
ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمُه في اليوم الأخير. لأن جَسْدي
مَأْكُلٌ حَقٌّ ودمي مشربٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلْ جَسْدي ويشرب دمي يَثْبُتَ فيَّ
وأنا فيه." (يو ٦: ٥١-٥٦)

أعلن السيد المسيح هنا بكل وضوح ضرورة تناول من جسده ودمه الأقدسَيْن
حين قال: "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا
إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جَسْدي الذي أبْذله من أجل حياة العالم"، ممَّا
دفع اليهود إلى التخاصم فيما بينهم عن معنى هذا الكلام. وهنا بدأ السيد المسيح يشرح
لهم معنى ومفهوم هذا الكلام، فلقد أعلن لهم السيد المسيح ضرورة تناول من جسده
ودمه: "فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا
دمه، فليس لكم حياة فيكم"، ثم أوضح لهم أن تناول من جسده هو الوسيلة للحصول
على الحياة الأبدية: "مَنْ يَأْكُلْ جَسْدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمُه في
اليوم الأخير"، وأخيراً أكَّد لهم بما لا يحتمل اللبس أو الشك أن تناول من الجسد والدم
ليس مجازاً أو تشبيهاً أو مجرد إحياء لذكرى ميتة، بل هو تناول حقيقي من جسده
ودمه: "لأن جَسْدي مَأْكُلٌ حَقٌّ ودمي مشربٌ حَقٌّ".

هكذا إن كانت عضويتنا في جسد المسيح، الذي هو الكنيسة، قد تحقَّقت
بالمعمودية والمسحة بالميرون — كما سبق أن شرحنا، فإن ممارستنا لهذه العضوية
يتحقَّق من خلال التوبة والاعتراف والتناول من جسد الرب ودمه، وبهذا يَثْبُتَ
المسيح فينا، نَثْبُت نحن فيه كما يَثْبُت الغصن في الكرمة "مَنْ يَأْكُلْ جَسْدي ويشرب
دمي يَثْبُت فيَّ وأنا فيه".

وقد يتساءل أحد: كيف نأكل جسد المسيح ونشرب دمه، إذ أنه في الكلام العاميِّ
يُستَخدم تعبير "شُرب الدم" للتعبير عن الكراهية والرغبة في الانتقام؟ ونردُّ على ذلك
بأنه عند حديثنا في القسم الأول عن مفهوم الذبيحة واحتياجنا لها أوضحنا أنه كان

لا بُدَّ من تقديم ذبيحة لله من أجل مغفرة الخطايا لأن أجره الخطية موت، وبموت الذبيحة يُفدَى الإنسان الخاطيء. كما كان تقديم الذبيحة والاشتراك في الأكل منها أيضًا من قبيل تقديم العبادة لله حتى إنه في العبادات الوثنية كانوا يأكلون ممَّا ذُبِحَ للأوثان كدليل العبادة لها^٢. هكذا نحن نأكل من جسد ونشرب دم الذبيحة الحقيقية ربنا يسوع المسيح، الذي صُلِبَ وقام وصعد للسموات، لنشارك في ذبيحته فننال الخلاص وغفران الخطايا ونثبت فيه ونمارس عضويتنا في جسده، وهكذا نُقدِّم عبادتنا للثالوث القدوس بكل الحب.

وننتقل إلى أحد أقوال القديس يوحنا الذهبي الفم عن تناول:

«ماذا يحدث للمتناولين؟ إنهم يصيرون جسد المسيح، جسدًا واحدًا، وليس أجسادًا كثيرة. مثلما أن الخبز الواحد يُصنع من حبوب كثيرة ومُتفرِّقة، إلَّا أنها لا تظهر بعد كحبوب، وتختفي الفروق الظاهرية فيما بينها؛ هكذا يكون أعضاء جسد المسيح الواحد.» (القديس يوحنا الذهبي الفم)

فكما أن الخبز الواحد الذي يُقدَّم في القداس مصنوعٌ من حبوب كثيرة، هكذا أيضًا نحن الكثيرين من خلال تناولنا من جسد المسيح نصير واحدًا فيه.

ويقول القديس كيرلس الأورشليمي عن فاعلية سرِّ تناول:

«إن جسد المسيح يُعطى لنا تحت أعراض الخبز، ودمه تحت أعراض الخمر، حتى إذا ما تناولناه نصبح جسدًا واحدًا ودمًا واحدًا. وبما إننا نحمل جسد المسيح ودمه في أعضائنا، نكون حاملين للمسيح وشركاء الطبيعة الإلهية كما يقول القديس بطرس الرسول^٣.»

(القديس كيرلس الأورشليمي)

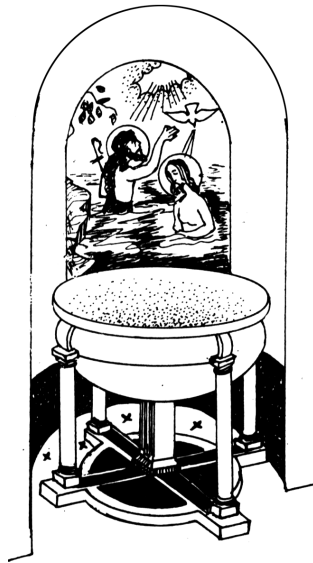
^٢ ١كو ١٠: ١٣-١٠؛ ١٥-٣٣

^٣ ٢بط ١: ٤

وإن كان يبدو من الظاهر أن ما نتناوله هو مجرد خبز وخمر، إلاّ إنهما في الحقيقة جسد المسيح ودمه. ولذلك فنحن نقنتي المسيح داخلنا صائرين شركاء الطبيعة الإلهية.

إذاً نتحقّق عضويتنا في جسد المسيح أي الكنيسة بواسطة الأسرار، وبواسطة الأسرار أيضاً نمارس هذه العضوية يومياً بشكل فعّال، وبذلك ننال خلاصنا الثمين. فهل يمكن بعد ذلك أن ينكر أحدٌ احتياجنا للأسرار كضرورة للخلاص؟!!

مع ملاحظة أن هذه الأسرار الأربعة هي الأسرار التي لا بُدَّ أن يمارسها كل مؤمنٍ بالإيمان المسيحي، إذ قد رأينا فاعلية كل سرٍّ منها في حياتنا كمسيحيين. أمّا باقي الأسرار فلا يُشترط أن يمارسها كل مسيحي، فلا يُشترط أن كل مسيحي يتزوَّج، أو أن يصير كاهناً، أو أن يُصلّي له سرُّ مسحة المرضى. ولا يقلل هذا من أهمية هذه الأسرار في الكنيسة ولا من دورها في حياتنا: فالكهنوت هو السرُّ الذي بواسطته تتم باقي الأسرار، كما أنه هو سرُّ الأبوة في الكنيسة، والكاهن الأمين تربطه بشعبه علاقة محبة وقيادة للنفوس لكي تنال خلاصها؛ وفي سرِّ الزيجة يتحد اثنان من أعضاء جسد المسيح في وحدةٍ خاصة ليكوّنا كنيسة صغيرة في بيتهما؛ أمّا سرُّ مسحة المرضى فهو يمثّل موهبة الشفاء التي قد استودعت في الكنيسة لكي تعطيه للمؤمنين بحسب مشيئة الله.



الاستنتاجات

١. إذ لا يزال البشر في الجسد المادي المنظور، فإن الله يُقدِّم نعمته غير المنظورة لهم من خلال عناصر وأعمال مادية منظورة. وبهذا يكون مفهوم السرِّ الكنسي أنه نعمة غير منظورة من خلال عمل منظور.
٢. جميع الأسرار الكنسية لها سند كتابي، وسند تاريخي إذ كانت تُمارَس في الكنيسة منذ نشأتها بشهادة الرسل وآباء الكنيسة.
٣. بالأسرار تتحقَّق العضوية في جسد المسيح الذي هو الكنيسة، ومن خلال هذه الأسرار تصير العضوية في جسد المسيح ممارسة مستمرة. فبسرِّ المعمودية ينال المؤمنون الميلاد الثاني كأعضاء في جسد المسيح، وبسرِّ الميرون سُكنى الروح القدس، وبسرِّ الاعتراف والتناول غفران الخطايا والثبات في جسد المسيح. هذه الأسرار الأربعة هي اللازمة لخلاص كل مؤمن.
٤. الثلاثة أسرار الباقية: الكهنوت، الزيجة، مسحة المرضى؛ هي أسرار ليس من الضروري ممارستها على مستوى كل عضو في الكنيسة، إلَّا إنه من الضروري وجودها على مستوى كل الكنيسة كجماعة للمؤمنين. فبالكهنوت تُمارَس جميع الأسرار، وبالزيجة يصير اثنان من المؤمنين جسداً واحداً في رباط مقدس لا ينحلُّ، وبمسحة المرضى موهبة الشفاء المُعطاة للكنيسة بحسب مشيئة الله.



الموضوع الثالث

الروح القدس والكتاب المقدس

الروح القدس، الذي حلَّ يوم الخمسين ليؤسِّس الكنيسة، والذي يعمل في الأسرار، هو الذي أوحى إلى الأنبياء والرسل، الذين كتبوا أسفار الكتاب المقدس بعهدَيْه، وعَصَمَهُم من الخطأ. لذلك جاء الكتاب المقدس ككتاب إلهي، لا يحمل كلمة بشرية، بل كلمة الله الحيَّة والفعَّالة والقادرة أن تدخل إلى أعماق النفس لتُشَبِّعها وتنقِّيها.

إن رسالة الكتاب المقدس هي الإعلان عن محبة الله للبشرية، التي ظهرت بخُلُقَة الله للإنسان على صورته ومثاله، ثم تجلَّتْ قمة هذه المحبة بقصة خلاص الإنسان بعد سقوطه.

ولم يكتفِ الكتاب المقدس بأن يعلن لنا عن خطة الخلاص الإلهي التي اكتملت بتجسُّد الله الكلمة، بل كشف لنا عن كيفية السلوك في طريق الخلاص لأجل نوال ميراث ملكوت السماوات. لذلك لم يكن الكتاب المقدس كتابًا مكتوبًا بحبرٍ وورقٍ بل مكتوبًا في حياة الكنيسة بمؤمنيها وقديسيها، الذين لم يكتفوا بمعرفة ودراسة وحفظ آيات الكتاب المقدس بل صاروا هم تطبيقًا حيًّا وعمليًّا لهذه الآيات.

١ - هل الكتاب المقدس موحى به من الله؟

الكتاب المقدس هو الكتاب الذي قدّمه الله للبشرية من خلال وحي الروح القدس للأنبياء والتلاميذ والرسل. ونجد من خلال كلماته المقدسة ما يدلّ على ذلك، فالقديس بطرس الرسول في حديثه بخصوص اختيار تلميذ آخر بدلاً من يهوذا الإسخريوطي يقول:

"أيها الرجال الإخوة، كان ينبغي أن يتمّ هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقّاله بفم داود، عن يهوذا الذي صار دليلاً للذين قَبَضُوا على يسوع." (أع ١: ١٦)

أي أن القديس بطرس يشهد بأن ما سبق أن جاء في المزمور بفم داود النبي ما هو إلاّ نطق الروح القدس الذي هو الأقنوم الثالث في الثالوث القدوس. وبالتالي تكون هذه الكلمات موحى بها من الله ذاته على فم نبيّه داود.

نجد أيضاً القديس بولس الرسول يتحدّث عن وحي الروح القدس لإشعيا النبي: "فانصرفوا وهم غير متفّقين بعضهم مع بعض، لمّا قال بولس كلمة واحدة: إنه حسناً كلّ الروح القدس آباءنا بإشعيا النبي..." (أع ٢٨: ٢٥)

فالمُتكلّم هو الروح القدس ولكن بواسطة إشعيا النبي. هكذا تكون كلمات إشعيا النبي موحى بها من الله.

ومن أقوى وأوضح الآيات عن وحي الروح القدس بالكلمات الإلهية في الكتاب المقدس، ما قاله القديس بولس الرسول في رسالته الثانية لتلميذه تيموثاوس:

"كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافعٌ للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرّ، لكي يكون إنسان الله كاملاً، متأهباً لكل عمل صالح." (٢ تي ٣: ١٦، ١٧)

ونجد في هذا القول ردّاً مباشراً على سؤالنا عن الوحي الإلهي للكتاب المقدس.

وإذا انتقلنا إلى الرسالة الثانية للقديس بطرس الرسول نجده يُحدّثنا بدوره عن هذا الموضوع بكل وضوح قائلاً:

"وعندنا الكلمة النبوية، وهي أثبتت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها، كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار، ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم، عالمين هذا أولاً: أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص. لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس." (٢بط ١: ١٩-٢١)

القديس بطرس هنا يؤكد لنا هذا المبدأ الهام وهو أنه "لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان"، فكل كلمة وكل حرف في الكتاب المقدس، هو من وحي الروح القدس. ولكن هذا الكلام لا يعني أن شخصية وخلفية كل كاتب من الأنبياء والتلاميذ والرسل الذين كتبوا الكتاب المقدس قد استبعدت، وإلا صار وحي الكتاب المقدس "تنزيلاً" أو "إملاءً"؛ ولكن الروح القدس قد أوحى إليهم مستخدماً شخصية وخلفية وأسلوب كل كاتب فيهم، عاصماً إيّاهم من الخطأ. والدليل على ذلك هو وحدة الكتاب المقدس وترابطه المُحكم رغم الاختلاف في أسلوب الكتابة من سفرٍ لآخر بسبب تأثر الأسلوب بشخصية الكاتب وخلفيته.

أمّا في رسالته الأولى فيقول القديس بطرس الرسول:

"الخلاص الذي فُتِّشَ وَبَحِّثَ عنه أنبياء، الذين تنبَّأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أيُّ وقتٍ أو ما الوقت الذي كان يدلُّ عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشَهِدَ بالآلام التي للمسيح، والأُمجاد التي بعدها. الذين أُعْلِنَ لهم أنهم ليس لأنفسهم، بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أُخْبِرْتُمْ بها أنتم الآن، بواسطة الذين بشَّروكم في الروح القدس المُرسَل من السماء. التي تشتهي الملائكة أن تطلَّع عليها." (١بط ١: ١٠-١٢)

فالقديس بطرس يقول إن الروح القدس قد شهد لآلام السيد المسيح، ولأمجاد القيامة من خلال وحيه للأنبياء. بل إن هؤلاء الأنبياء قد قدّموا شهادتهم وخدمتهم تلك، ليس لأنفسهم ولا لعصرهم، بل لنا نحن كانوا يُقدّمونها كتثبيت لكراسة الرسل في العهد الجديد، حيث كانت نبوات العهد القديم — في كثير من الأحيان — هي السند على أن الرب يسوع الذي يكرز به الرسل، هو هو الذي تنبأت عنه النبوات. إذاً فالكتاب المقدس موحى به من الله.

في تناولنا لموضوعنا "الروح القدس والكتاب المقدس"، لسنا بصدد الحديث عن استحالة تحريف الكتاب المقدس، ولكن لا يفوتنا أن نلفت النظر إلى أنه إذا كان الكتاب المقدس موحى به من الله، فإنه يستحيل تحريفه لأن "السماء والأرض تزولان ولكن كلام الله لا يزول" (مت ٢٤ : ٣٥).

وإذا انتقلنا إلى شهادات آباء الكنيسة عن وحي الروح القدس للكتاب المقدس، نجد القديس كليمنضس الروماني يقول:

«فَتَشْ بَعْنَايَةِ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ، حَيْثُ إِنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ نَطَقَ الرُّوحُ الْقُدُسُ.» (القديس كليمنضس الروماني)

فالقديس كليمنضس يشهد أن أسفار الكتاب المقدس موحى بها من الله، إذ هي "نطق الروح القدس".

والعلامة أوريجانوس يقول:

«لَمْ تَوْضَعْ الْأَسْفَارَ الْمُقَدَّسَةَ بِأَيَّةِ كَلِمَاتٍ بَشَرِيَّةٍ، وَإِنَّمَا كُتِبَتْ بِوَحْيٍ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَسُلِّمَتْ أَيْضًا وَأُوتِمِنُوا عَلَيْهَا (التلاميذ والرسل) بِإِرَادَةِ اللَّهِ الْآبِ بَابْنِهِ الْوَحِيدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ...» (العلامة أوريجانوس)

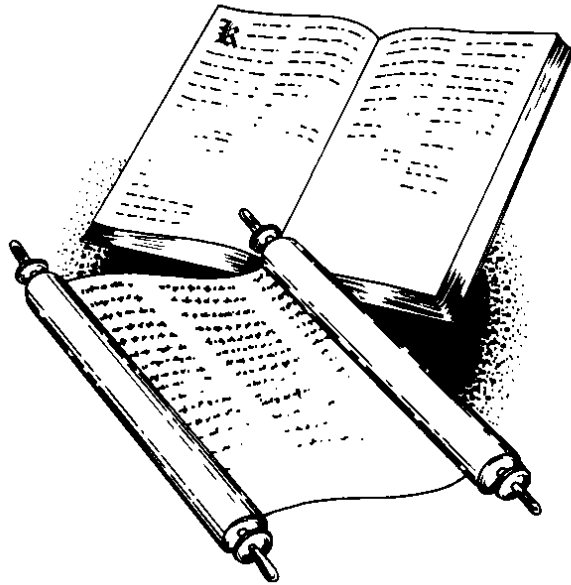
فالكتاب المقدس إذاً ليس مجرد كلمات بشرية نابعة من فكر بشري، بل هي كلمات الروح القدس التي أُعطيَت لَكُتَابِ الْأَسْفَارِ الْمُقَدَّسَةِ، الَّذِينَ أُوتِمِنُوا عَلَيْهَا.

أخيرًا يقول القديس أغسطينوس:

«إن كنت تؤمن بما تريد من الكتاب المقدس، وترفض ما لا تريد منه،
فأنت لا تؤمن بالكتاب المقدس، بل تؤمن بذاتك.» (القديس أغسطينوس)

هذه الكلمات للقديس أغسطينوس مبنية على أساس أن الكتاب المقدس موحى به من الله، ومن يؤمن بذلك فلا بُدَّ أن يؤمن بكل ما جاء فيه. أمّا إن كان أحدٌ يؤمن بما يريد، ويرفض ما يريد؛ فهذا لا يؤمن بالكتاب المقدس الموحى به من الله، بل يؤمن بذاته وفكره البشري.

وهكذا نصل إلى الحقيقة الثابتة وهي أن الكتاب المقدس الذي بين أيدينا موحى به من الروح القدس أحد الثالوث القدوس.



٢ - لماذا احتوى الكتاب المقدس على أسفار العهد القديم؟

لقد أصرت الكنيسة منذ نشأتها على التمسك بالعهد القديم، وتصدت للهراطقة الذين رفضوا العهد القديم وأنكروا أهميته. وقد اعتبرت الكنيسة أن أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد تُشكّل وحدة واحدة لا يمكن فصلها لأن كليهما قد أُوحى به من الروح القدس.

ومِمَّا يؤكد على أهمية العهد القديم ما قاله الرب يسوع المسيح نفسه مؤكداً أنه لم يأت لكي يلغي العهد القديم أو أن يستبدله، بل لكي يكمله:

"لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل." (مت ٥: ١٧، ١٨)

كما نجد السيد المسيح أيضاً قد طالب بطاعة وصايا العهد القديم حين قال:

"حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون." (مت ٢٣: ١-٣)

فالسيد المسيح يطالب الجموع بتنفيذ وحفظ ما يُقال لهم من الناموس بواسطة الكتبة والفريسيين لأنه كلام الله حتى وإن كانوا هم أنفسهم لا يحفظونه ولا يعملون به. فإن كانت هذه هي شهادة الرب يسوع المسيح عن العهد القديم، فمن يملك إذاً أن يرفضه أو يقلل من أهميته؟!

ونعلم أيضًا أن الكنيسة منذ نشأتها كانت تعتمد على العهد القديم في إثبات صحة تعليمها وشهادتها للرب يسوع الذي يُعْتَبَر هو محور العهد القديم ونقطة ارتكازه. فعلى سبيل المثال، قيل عن أبلُس أثناء كرازته في كورنثوس بإقليم أخائية:

"لأنه كان باشتداد يُفحم اليهود جهراً مُبيناً بالكتب أن يسوع هو المسيح." (أع ١٨ : ٢٨)

أي أن أبلُس كان يستخدم الكتب — يُقصد بها أسفار العهد القديم — ليُثَبِّت أن يسوع الناصري هو المسيح الذي ينتظره اليهود ليخلصهم. لذلك فنحن نؤمن أن السيد المسيح حاضرٌ وموجودٌ في كل كلمات الكتاب المقدس.

والقديس بولس الرسول في رسالة رومية يقول:

"بولس، عبدٌ ليسوع المسيح، المدعو رسولاً، المُفَرَّز لِإِجْلَالِ اللَّهِ، الذي سَبَقَ فَوَعَدَ به بأنبيائه في الكتب المقدسة، عن ابنه. الذي صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة، بالقيامة من الأموات: يسوع المسيح ربنا." (رو ١ : ١-٤)

فالقديس بولس الرسول يُعرِّف نفسه هنا كعبدٍ مكرَّسٍ لخدمة البشارة التي سَبَقَ الله فَوَعَدَ بها بواسطة الأنبياء في أسفار العهد القديم. ومحور هذه البشارة هو "ابنه" يسوع المسيح ابن الله الوحيد. فإذا كان السيد المسيح هو محور العهد القديم، فكيف يمكن لأحد أن يرفضه أو ينكر أهميته؟!

وفي رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس يقول:

"فإنني سلَّمتُ إليكم في الأول ما قَبَلْتُهُ أنا أيضاً: أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دُفِنَ، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب..." (١كو ١٥ : ٣، ٤)

"الْكُتُب" هنا يُقصد بها كُتُب أو أسفار العهد القديم، حيث يؤكد الرسول أن المسيح المصلوب والقائم من بين الأموات الذي يكرز به، هو تحققت فيه كل ما جاء في العهد القديم من نبوات عن المسيح المخلص.

وأيضًا في رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين:

"الله، بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا، بأنواع وطُرُق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثًا لكل شيء، الذي به أيضًا عَمِلَ العالمين..." (عب ١: ١، ٢)

أي أن الله ذاته كلم آباءنا بواسطة الأنبياء الذين تسجّلت نبواتهم في أسفار العهد القديم، وكانت النبوات عن الابن المتجسد الذي جاء في ملء الزمان بشخصه ككلمة الله الحي الأزلي.

إذًا كانت أسفار العهد القديم هي إحدى الطرق التي كلم الله بها الآباء بواسطة الأنبياء لكي يستعدّوا وينتظروا مجيء الله الكلمة المتجسد، الذي من يراه يكون قد رأى الأب.

وننتقل الآن إلى شهادات آباء الكنيسة عن أسفار العهد القديم، فنجد العلامة أوريجانوس يقول:

«بالإضافة إلى ذلك، لكي نبرهن على ما قلناه، فإننا نستشهد بما نسمّيه "العهد القديم"، وما نسمّيه "العهد الجديد". هذه التي نؤمن بأنها الكتب المقدسة.» (العلامة أوريجانوس)

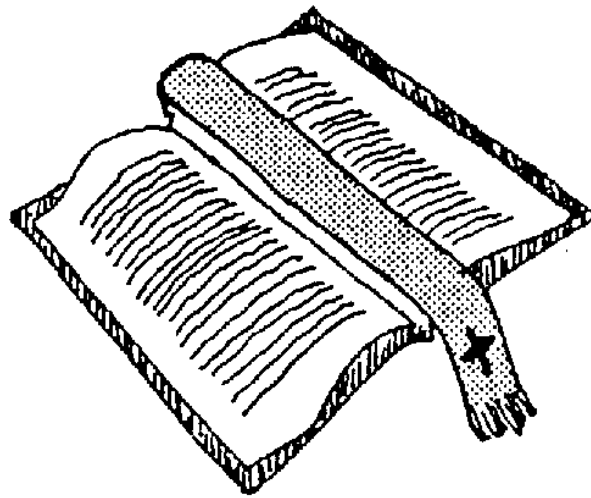
يخاطب هنا العلامة أوريجانوس البعض من غير المؤمنين. لذلك فهو يشرح لهم أنه في حديثه معهم يُثبت لهم ما يقول من خلال أسفار العهدين بالتساوي معتبرًا كليهما من الكُتُب المقدسة، أي الأسفار المقدسة من العهدين، والتي تُولف كتابًا واحدًا هو الكتاب المقدس.

والأسقف فيكتورينوس من القرن الرابع يقول:

"إن إعلان العهد الجديد لا يثبت إلا بواسطة الإعلان السابق له في العهد القديم." (الأسقف فيكتورينوس)

فالعهد الجديد لا يثبت ولا يظهر عمق أصالته إلا من خلال العهد القديم الذي نجد فيه النبوات التي سبقت فأعلنت عن كل ما يخص الرب يسوع المسيح له كل المجد.

هكذا نفهم حكمة الكنيسة المنقادة بالروح القدس، والتي تمسكت بالعهد القديم ليكون جزءاً أساسياً من كتابنا المقدس الموحى به من الله.



٣- ما المقصود بكلمة "إنجيل" الواردة في أسفار العهد الجديد؟

في حديثنا عن الكتاب المقدس، لا بُدَّ لنا من أن نفهم المقصود بكلمة "إنجيل" الواردة في أسفار العهد الجديد. فهل كان يُقصد بها كتابٌ معيّن؟ هل كان يُقصد بها كتاب العهد الجديد كله؟ أم كان يُقصد بها البشائر الأربعة فقط؟ أم معنى آخر غير ذلك؟

وللإجابة على هذه الأسئلة لابد من الرجوع إلى السياقات التي استُخدمت فيها هذه الكلمة، فمن أوائل المرات التي استُخدمت فيها، ما جاء في بشارة القديس مرقس: "وبعدما أُسَلِّمَ يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كَمَلَ الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل". (مر١: ١٤، ١٥)

بالطبع لم يعنِ السيد المسيح هنا بكلمة "إنجيل" كتابًا معيّنًا، لأننا جميعًا نعلم أن الرب يسوع المسيح وهو في الجسد لم يكتب أو يترك لنا كتابًا، بل قام آبائنا الرسل مَسُوقِينَ من الروح القدس بكتابة أسفار العهد الجديد بعد صعود الرب يسوع إلى السماء بحوالي خمس عشرة سنة، وعلى مدى حوالي خمسين سنة بعد ذلك. أي أن أسفار العهد الجديد كُتِبَتْ بواسطة الآباء الرسل على مدى الفترة من حوالي سنة ٥٠ ميلادية إلى حوالي سنة ١٠٠ ميلادية.

ولمعرفة ما قصده رب المجد باستخدامه لكلمة "إنجيل"، نرجع إلى الكلمة في الأصل اليوناني وهي كلمة "إف أنجيليون" *Ευαγγέλιον*، ومعناها البشارة المفرحة أو الخبر السار. وبالتالي يكون المقصود بكلمة "إنجيل" في هذه الآية هو أن السيد المسيح يكرز لأهل الجليل بالإيمان بالبشارة المفرحة بالخلاص واقتراب ملكوت الله، وليس بكتاب مكتوب.

وقبل صعود السيد المسيح مباشرةً نجده يقول لتلاميذه:

"وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها."

(مر١٦: ١٥)

أيضاً السيد المسيح هنا لا يقصد بقوله "واكرزوا بالإنجيل" الكرازة بكتاب معين، لأنه في وقت الصعود لم يكن هناك أي سفر من الأسفار المقدسة قد كُتب بعد، بل إن أول أسفار العهد الجديد كُتب حوالي سنة ٥٠ ميلادية^١. فالسيد المسيح هنا كان يطلب التلاميذ بالكرازة بالبشارة المفرحة بالخلاص الذي قدّمه للبشرية وللخليقة كلها.

كما نجد رب المجد أيضاً أثناء حديثه عن المرأة ساكبة الطيب يقول:

"الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم، يُخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكّاراً لها." (مت ٢٦: ١٣)

أيضاً السيد المسيح هنا في إشارته إلى الإنجيل لا يقصد كتاباً معيناً، بل البشارة المفرحة باسمه وبخلاصه.

والقديس بولس الرسول أيضاً يذكر كلمة "إنجيل" في رسالته إلى أهل رومية قائلاً:

"لأني لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن: لليهودي أولاً ثم لليوناني. لأن فيه مُعلن برُّ الله بإيمان، لإيمان، كما هو مكتوبُ أمّا البار فبالإيمان يحيا." (روا: ١٦، ١٧)

أيضاً يستخدم هنا القديس بولس الرسول كلمة "إنجيل المسيح" بمعنى البشارة المفرحة بالخلاص الذي أتمّه المسيح. لأنه حتى وقت كتابة الرسول لهذه الرسالة^٢ لم يكن الكثير من أسفار العهد الجديد قد كُتب بعد، وبالتالي لم يكن كتاب العهد الجديد قد اكتمل بعد.

^١ في الأغلب هو بشارة معلّمنا القديس مرقس البشير أو رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي.

^٢ كُتبت رسالة رومية حوالي سنة ٥٨ ميلادية، أي بعد حوالي خمس وعشرين سنة من بدء الكرازة بالمسيح. ورسالة رومية في الأغلب هي الرسالة الثامنة في ترتيب كتابتها بين رسائل القديس بولس الرسول الأربع عشرة.

وفي رسالة فيلبي يقول القديس بولس الرسول:

"أشكر إلهي عند كل ذكرى إياكم دائماً في كل أدعيتي، مقدّماً الطلبة
لأجل جميعكم بفرح، لسبب مشاركتكم في الإنجيل من أول يومٍ إلى
الآن." (في ١ : ٣-٥)

والرسول هنا في مدحه لأهل فيلبي على مشاركتهم في الإنجيل لا يقصد بالطبع
أنهم قد شاركوا في كتابة أسفار العهد الجديد، بل يقصد مشاركتهم في قبول البشارة
المفرحة، والكراسة باسم الرب يسوع المسيح.

إذاً كلمة "إنجيل" الواردة في العهد الجديد من الكتاب المقدس لا تعني كتاباً
مكتوباً، ولكن تعني بشارة مفرحة بالخلاص. ولذلك على قدر اهتمام آباء الكنيسة
وقديسيها بالقراءة اليومية المنتظمة للكتاب المقدس، إلا أنهم لم يعيشوا الإنجيل
بمجرد قراءتهم للكتاب المقدس، بل من خلال أيضاً علاقة شخصية مع الرب يسوع
المسيح، ومعايشة مستمرة للكنيسة من خلال أسرارها وليتورجياتها، فصارت حياتهم
إنجيلاً معاشاً وأيقونة للمسيح المخلص.



٤ - كيف يُفسَّر الكتاب المقدس؟

في البدايات المبكرة للكنيسة أثناء العصر الرسولي، كان هناك إيمان قوي بالرب يسوع المخلص، وكان المؤمنون يعيشون بحسب الإنجيل بالرغم من عدم وجود كتاب مقدس مكتوب. وحتى بعدما كُتبت جميع أسفار العهد الجديد، لم تكن قد تجمعت بالشكل التي هي عليه كما في أيدينا الآن، ولا كانت في مُتَنَاول الجميع كما هو الحال في أيامنا هذه. وقد وُجِدَ هذا الإيمان القوي وترسَّخ في نفوس المؤمنين عن طريق التسليم من الآباء الرسل ثم بعد ذلك من جيلٍ إلى جيل. وهذا التسليم للإيمان، بما يحتويه من مُجَمَّل التعاليم المسيحية، هو ما نسميه التقليد المقدس.

وكلمة "تقليد" لا تعني "محاكاة Imitation"، بل تُترجم في اللغة الإنجليزية "Tradition"، بمعنى التسليم يدًا بيدٍ كما في سباقات التتابع في العدو، حيث يقوم كل عداء في فريق بتسليم العصا لزميله يدًا بيدٍ ليستكمل هو السباق. فالتقليد الكنسي هو الذي حَفِظَ الإيمان، وهو الذي حَفِظَ الكتاب المقدس بعد تقنين الكنيسة للأسفار المقدسة. والكنيسة، في تسليمها الكتاب المقدس للمؤمنين، لم تكن تُسلِّم مجرد نص مكتوب، بل كانت تُسلِّم أيضًا معه الفهم والتفسير الصحيح لهذا النص مع كيفية تطبيق الكلام كحياة معاشة.

وعن ذلك يقول القديس بولس الرسول:

"فأمدحكم أيها الإخوة على أنكم تذكرونني في كل شيء، وتحفظون
التعاليم كما سلَّمتها إليكم." (١كو ١١ : ٢)

نلاحظ أن القديس بولس الرسول يمدحهم بسبب حفظهم للتعاليم بنفس الفكر والروح كما سلَّمتها هو إليهم. فالحديث هنا عن التسليم واضح جدًا. مع ملاحظة أن الأصل اليوناني لكلمة "التعاليم Παράδοσις" الواردة في هذه الآية هي نفسها التي تعني "التقاليد".

ويقول أيضاً:

"لأنني تسلّمتُ من الرب ما سلّمْتكم أيضاً: إن الرب يسوع في الليلة التي أسلّم فيها أخذ خبزاً..." (١كو ١١: ٢٣)

"فإنني سلّمْتُ إليكم في الأول ما قبَلْتُهُ أنا أيضاً: أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتُب، وأنه دُفِنَ، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتُب..." (١كو ١٥: ٣، ٤)

نلاحظ تأكيد القديس بولس الرسول على أنه لم يقل شيئاً ولم يُعلّم بشيءٍ لم يستلمه من رب المجد يسوع مباشرةً. فالتسليم كان هو الوسيلة الأساسية في الكنيسة التي من خلالها كان الإيمان يصل إلى الناس.

لذلك نجد الرسول يطالب المؤمنين في فيلبي بأن يلتزموا بما سلّمه لهم سواء بالتعليم أو بالقدوة:

"وما تعلّمتموه، وتسلمتموه، وسمّعتُموه، ورأيتموه فيّ، فهذا افعلوا، وإله السلام يكون معكم." (في ٤: ٩)

كما يوصي أيضاً المؤمنين في تسالونيكي بتجنّب أيّ شخصٍ لا يسلك بحسب التعليم الذي سلّمه هو لهم:

"ثم نوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح، أن تتجنّبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب، وليس حسب التعليم الذي أخذَه مِنَّا. إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يُتمثّل بنا، لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم..." (٢تس ٣: ٦، ٧)

ونلاحظ أن الحديث واضحٌ تماماً عن تسليم الإيمان من خلال القدوة والمثال من حياة القديس بولس الرسول شخصياً، وهو ما ذكره أيضاً في موضعٍ آخر:

**"تَمَسَّكَ بِصُورَةِ الْكَلَامِ الصَّحِيحِ الَّذِي سَمِعْتَهُ مِنِّي، فِي الْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ
الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. احْفَظْ الْوَدِيعَةَ الصَّالِحَةَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ السَّاكِنِ
فِينَا." (٢ تي ١: ١٣، ١٤)**

فالقديس بولس هنا يوصي تيموثاوس بتلميذه بالتمسك بما سلّمه له، مُعْتَبِرًا أَنْ مَا
سلّمه له هو وديعةٌ غاليةٌ يجب على تيموثاوس أن يحفظها من خلال الروح القدس
السّاكن في كليهما. بل ويوصيه أيضًا بعد ذلك أن يُسلّم هو بدوره هذه الوديعة لآخرين
يصلّحُوا لِأَنْ يَسَلِّمُوهَا لِمَنْ يَعْلَمُونَهُمْ:

**"وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدَعَهُ أَنْاسًا أُمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ
يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضًا." (٢ تي ٢: ٢)**

فهذه الآية تعبر بشكل جميل عن التسليم، فالقديس بولس الرسول سلّم الإيمان
والتعليم الصحيح لتلميذه تيموثاوس، الذي بدوره يسلم أناسًا أُمَنَاءَ أَكْفَاءَ للتعليم لكي
يُعَلِّمُوا آخَرِينَ. إذا نجد في هذه الآية حديث عن أربعة أجيال: القديس بولس الرسول،
تلميذه تيموثاوس، أناس أُمَنَاءَ أَكْفَاءَ للتعليم، ثم الآخرين الذين يتعلّمون منهم.

كما يؤكد أيضًا الرسول على أهمية مصدر التعليم فيقول:

"وَأَمَّا أَنْتَ فَاتَّبِعْ عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ وَأَيَقَنْتَ، عَارِفًا مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ." (٢ تي ٣: ١٤)

فهو يطالب تيموثاوس بالثبات على الإيمان الذي تسلمه، إذ أنه إيمانٌ رسوليٌّ
صحيحٌ موثوق المصدر وهو القديس بولس الرسول شخصيًا، والذي تسلم الإيمان من
الرب يسوع مباشرةً.

إذا فإيماننا الذي نحياه في الكنيسة مُستلَم من الأجيال التي سبقتنا رجوعًا إلى الآباء
الرسل الذين بدورهم قد استلموه من السيد المسيح كما يقول القديس بولس الرسول:

**"مَبْنِيَّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحِ نَفْسَهُ حَجَرِ
الزَّائِيَةِ." (أف ٢: ٢٠)**

لذلك نثق في كنيستنا وفي صحة إيمانها ونفتخر بها لأنها كنيسة رسولية وإيمانها رسولي.

هكذا نستنتج أن التفسير الصحيح للكتاب المقدس لا يكون إلا على ضوء التقليد الكنسي. مع ملاحظة أن مصادر التقليد الكنسي هي^٣:

١. الكتاب المقدس
 ٢. ليتورجيات الكنيسة
 ٣. المجامع الكنسية وتعاليم الآباء
 ٤. سير القديسين
 ٥. الفن الكنسي (الحن – الأيقونة – المبنى الكنسي)
- مع ملاحظة أن الكتاب المقدس يأتي على رأس مصادر التقليد.

وانتقالاً إلى أقوال الآباء حول تفسير الكتاب المقدس يقول القديس أغسطينوس:

"أنا لا أوّمن بالكتاب المقدس إلا كما يوجّهني سلطان الكنيسة."
(القديس أغسطينوس)

أي أننا لا نقبل تفسير الكتاب المقدس إلا بحسب تعليم الكنيسة وتقليدها. وهذا هو ما يحفظ وحدة الكنيسة، لأنه إذا كان فهم الكتاب المقدس وتفسيره يتمّ بشكل شخصي فردي، كانت النتيجة أن يصل كل فردٍ إلى تفسير شخصي وخاص يختلف عمّا يصل إليه الآخرون. فإذا قام كل فرد بتعليم تفسيره الخاص وتبعه البعض، تحولّت كنيسة المسيح الواحدة إلى شيع وطوائف مختلفة. وهذا ما يفسّر وجود أكثر من عشرين ألف طائفة مسيحية في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال، على الرغم من أن جميع هذه الطوائف يجمعها الإيمان بنفس الكتاب المقدس.

^٣ يمكن الرجوع لكتاب "هل الكتاب المقدس وحده يكفي؟ كلمات حول التقليد الكنسي" إصدار أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية.

وقد يقول قائلٌ إن من حق أيِّ إنسان أن يفسّر الكتاب المقدس كما يشاء لأن الروح القدس ساكنٌ فيه؛ ونحن نقول إن الروح القدس بالفعل ساكنٌ في المؤمنين الذين اعتمدوا باسم الثالوث القدوس، وأخذوا مسحة الروح القدس. وقد أوضحنا، في الموضوع الأول من هذا القسم "الروح القدس والمؤمنون"، أن الروح القدس يعلمنا ويقودنا لمعرفة أسرار الله، ولكن ليس خارجاً عن إطار التقليد الكنسي العام. وإذا كان الروح القدس هو الذي أوحى للرسل بالأسفار المقدسة، وهو الذي قادهم في كرازتهم وتعليمهم، بل وهو الذي قاد الأجيال التي تلتهم، وحفظَ هذا الإيمان بواسطة التقليد؛ فأياً تفسيرٍ للكتاب المقدس وأيِّ إيمانٍ يختلف أو يتعارض مع هذا التقليد، لا يكون من الروح القدس بل من الأهواء الشخصية والنزعات الفردية المدفوعة بالذات والكبرياء.

ولكي يرشد الروح القدس الإنسان للفهم الصحيح لكلمة يجب أن يكون للإنسان حياة نقية واستعداد قلبي لعمل الروح القدس، وهذا ما يشرحه لنا القديس أنثاسيوس الرسولي قائلاً:

"إلى جانب الدراسة والمعرفة الحقيقية بالكتاب المقدس، يجب أن يتحلّى الإنسان بحياة صالحة وروح نقية وفضيلة في المسيح؛ حتى يستطيع العقل، وهو يسبح في الكتاب المقدس، أن يكتسب ويفهم ما يريد بقدر ما تستطيع الطبيعة البشرية أن تدرك عن الله الكلمة. لأنه بدون الذهن النقي والحياة المتشبهة بحياة القديسين، لن يستطيع أحدٌ أن يفهم كلمات القديسين." (القديس أنثاسيوس الرسولي)

أي أنه إذا كان الكتاب المقدس هو كلمات الأنبياء والرسل القديسين المَسُوقِينَ من الروح القدس، فلا يمكن أن يفهمها ويختبرها إلا مَنْ يحيا حياة مقدسة، متشبهًا بحياة القديسين. على العكس من ذلك الهراطقة الذين كانت تقودهم قلوبهم غير النقية للتفسير الخاطئ للكتاب المقدس، ويقودهم كبرياؤهم للتعليم بهذه الهرطقات. ولذلك تصدّت الكنيسة لأمثال هؤلاء حتى إذا عادوا باتّضاع إلى فكر الكنيسة قبلتهم، أمّا إذا أصرّوا على تعاليمهم المنحرفة، قَطَعَتْهم من شركة الكنيسة بالسلطان المُعطى لها من أجل حفظ الإيمان نقيًا.

٥- ما هو دور الكتاب المقدس في خلاصنا؟

هذا السؤال الذي نحن بصدد إجابته الآن هو السؤال الأساسي في موضوعنا عن "الروح القدس والكتاب المقدس" من جهة ارتباطه بالموضوع العام عن "خدمة الخلاص".

ولكي نعرف دور الكتاب المقدس في خلاصنا، نبدأ استشهاداتنا بما جاء في رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية:

"لأني لستُ أَسْتَحْيِ بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لِأَنَّهُ قُوَّةُ اللَّهِ لِلخَلاصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ. لِأَنَّهُ فِيهِ مُعْلَنٌ بَرُّ اللَّهِ بِإِيمَانٍ، لِإِيمَانٍ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَمَّا الْبَارُّ فَبِإِيمَانٍ يَحْيَا." (روا: ١٦، ١٧)

وإن كانت كلمة "إنجيل" لا تعني كتابًا مكتوبًا، بل بشارة مفرحة بالخلاص كما أوضحنا سابقًا؛ إلا أن الآباء الرسل قاموا بتسجيل قصة هذه البشارة المفرحة بالخلاص، مع ما احتوته من أحداث حياة مخلصنا الصالح، في أسفار العهد الجديد التي شكّلت مع أسفار العهد القديم كتابنا المقدس. ومن هنا يمكننا القول بأن محور وهدف الكتاب المقدس هو الإعلان عن خلاص البشرية، ومن يؤمن بهذا الخلاص ينال البرّ أمام الله، أي ينال البراءة من الموت الذي صار من نصيب الإنسان نتيجة الخطية. وهذا ما قصده الرسول بقوله عن إنجيل المسيح إنه "قوة الله للخلاص لكل من يؤمن"، وإن "فيه مُعْلَنٌ بَرُّ اللَّهِ بِإِيمَانٍ، لِإِيمَانٍ" أي بواسطة الإيمان لأجل أن يحيا الإنسان بالإيمان.

ويقول أيضًا القديس بولس الرسول:

"وَأَعْرِفْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذَكَّرُونَ أَيْ كَلَامَ بَشَرَتِكُمْ بِهِ. إِلَّا إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَيْنًا!" (١كو١٥: ١، ٢)

فالكتاب المقدس يحتوي على بشارة الخلاص التي بإيماننا بها ننال الخلاص، بشرط أن نتمسك بكل ما جاء فيه (الكتاب المقدس).

ويُحدِّثنا الرب يسوع المسيح عن أهمية الكتاب المقدس ككتابٍ يحمل بشارة الخلاص، وبالتالي يقدِّم لنا الحياة الأبدية:

"فَتَشُوا الْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ

لِي." (يو ٥: ٣٩)

لذلك تُعْطِي الكنيسة اهتمامًا فائقًا للكتاب المقدس في كل صلواتها وليتورجياتها. ففي القداس الإلهي، بدايةً من رفع بخور عشية وحتى نهاية القداس، تُقرأ تسع قراءات من الكتاب المقدس: مزمور وإنجيل عشية، مزمور وإنجيل باكر، البولس، الكاثوليكون، الإبركسيس، وأخيرًا مزمور وإنجيل القداس. كذلك في صلاة القنديل (سرُّ مسحة المرضى)، تُقرأ إحدى وعشرون قراءة: سبعة من الرسائل، سبعة من المزامير، وسبعة من البشائر الأربعة. هكذا في كل الصلوات الطقسية مثل صلوات الإكليل، والتجنيز، والثالث، والحميم، ... وغيرها.

ويقول معلمنا يهوذا الرسول في رسالته:

"أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، إِذْ كُنْتَ أَصْنَعُ كُلَّ الْجَهْدِ لِأَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنِ الْخُلَاصِ

الْمُشْتَرَكِ، اضْطَرَرْتُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ وَاعِظًا أَنْ تَجْتَهِدُوا لِأَجْلِ الْإِيمَانِ

الْمُسْلِمِ مَرَّةً لِلْقَدِيسِينَ." (يه ١٤: ٣)

أي أن هدف كتابته للرسالة هو أن يجتهد الجميع في التمسك بالإيمان الثمين المسلم من الرب يسوع لأبائنا الرسل، لكي يشترك الجميع في الخلاص بهذا الإيمان.

وهو نفس ما تكلم عنه القديس بولس الرسول محدثًا تلميذه تيموثاوس:

"وَأَمَّا أَنْتَ فَاتَّبِعْ عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ وَأَيَقَنْتَ، عَارِفًا مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ. وَأَنْكَ مِنْذُ

الطفولية تَعْرِفُ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخُلَاصِ، بِالْإِيمَانِ

الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ." (٢ تي ٣: ١٤، ١٥)

فالكتاب المقدس قادر أن يعطينا الحكمة التي بها نسير في طريق الخلاص والحياة الأبدية، عن طريق معرفتنا بالرب يسوع المسيح ووصاياه المحيية.

ونفس المعنى يقوله القديس يعقوب الرسول في رسالته:

"لذلك اطرحوا كل نجاسة وكثرة شرٍّ، فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم." (يع ١ : ٢١)

ويقدّم لنا القديس بولس الرسول عملاً آخر للكتاب المقدس، ألا وهو تعليمنا وتقديم المعرفة الروحية اللازمة لنا لكي ننبت في رجاء الحياة الأبدية:

"لأن كل ما سبق فكتب كُتب لأجل تعليمنا، حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء." (رو ١٥ : ٤)

ويقول القديس بطرس الرسول في رسالته الثانية:

"وعندنا الكلمة النبوية، وهي أثبتت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم..." (٢بط ١ : ١٩)

فكلام الله كالسراج الذي ينير لكل إنسان طريق خلاصه، كما يقول المزمور الكبير: "سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي" (مز ١١٩ : ١٠٥).

وأخيراً يؤكد القديس بولس الرسول على دور الكتاب المقدس في إنذارنا قائلاً:

"فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثلاً، وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور." (١كو ١٠ : ١١)

أي أن ما هو مكتوب في الكتاب المقدس عمّا أصاب شعب بني إسرائيل من تيه وموت في البرية، إنما كُتب لأجل إنذارنا لنلا نتشبه بهم في تدمرهم وعدم إيمانهم، بل نتشبه بالقديسين في طاعتهم لكلام الله.

أمّا عن شهادات آباء الكنيسة عن دور الكتاب المقدس في خلاصنا فيقول القديس إيرينيؤس:

"لم نعرف خطة خلاصنا إلّا من أولئك الذين وصلتنا البشارة من خلالهم، حيث إنهم نشرُوا البشارة علانيةً للجميع. ثم بمشيئة الله في وقتٍ لاحقٍ سلّمُوا هذه البشارة إلينا في الكتاب المقدس، الذي صار أساسًا وعمودًا لإيماننا." (القديس إيرينيؤس)

أي أن قصة تعاملات الله مع الإنسان من أجل خلاصه، قد كَرَزَ بها تلاميذ الرب ورسله. ثم بعد ذلك دوّنوها وسجّلوها كتابةً في أسفار العهد الجديد لتُشكّل مع أسفار العهد القديم الكتاب المقدس، الذي صار هو المرجع والأساس لكل ما يخصّ إيماننا على مدى الأجيال.

ويقول العلامة ترنتليان:

"إننا نجتمع لنقرأ كُتُبنا المقدسة إذ أننا دائماً نشعر باحتياجنا إليها، وفي المناسبات المختلفة، وفي جميع الأحوال نُغذّي إيماننا بالكلام المقدس، ونقوّي رجاءنا، ونجعل يقيننا أكثر ثباتًا، أو على الأقل نُثبِت في نفوسنا عادات صالحة بأن نغرس فيها وصايا الله." (العلامة ترنتليان)

فنحن في احتياجٍ دائمٍ لقراءة الكلمات الإلهية في الكتاب المقدس، والتي بها يتغذى الإيمان، ويتقوّى الرجاء، وتثبّت وصايا الله في داخل نفوسنا. وهكذا نسلك في طريق خلاصنا إلى أن ننال نصيبنا الصالح في ملكوت السماوات.

إذاً الكتاب المقدس هو الذي يقدّم لنا المعرفة عن الخلاص الإلهي النابع من فيض محبة الله للبشر. كما يُعلّمنا الطريق الذي يجب أن نسلك فيه لننال هذا الخلاص الثمين، مع الإنذار والتحذير من أن نهمل اهتمامنا بخلاص نفوسنا.



٦- ما هي فاعلية كلمة الله في نفوس المؤمنين؟

يقول القديس بولس الرسول بكل وضوح:

"لأن كلمة الله حيّة وفعّالة وأمضى من كل سيف ذي حدّين، وخارقةٌ إلى مفرّق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميّزة أفكار القلب ونيّاته."
(عب ٤: ١٢)

فكلمة الله حيّة، ولذلك لها فاعلية داخل النفس، إذ هي تخترق الأعماق لتُميّز بين الخير والشر، بين النور والظلمة، بين ما هو لله وما هو للعالم.

لذلك يقول الرب يسوع نفسه عن كلامه:

"الروح هو الذي يُحيي. أمّا الجسد فلا يُفيد شيئاً. الكلام الذي أكلّمكم به هو روحٌ وحياةٌ..." (يو ٦: ٦٣)

وهو ما يؤكّد أن كلمة الله حيّة وفعّالة في نفوس المؤمنين.

ويحدّثنا القديس بولس الرسول عن عمل الكلمة في النفوس فيقول:

"من أجل ذلك نحن أيضاً نشكر الله بلا انقطاع، لأنكم إذ تسلمتم منّا كلمة خبرٍ من الله، قبلتموها لا ككلمة أناسٍ، بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله، التي تعمل أيضاً فيكم أنتم المؤمنين." (١ تس ٢: ١٣)

إذاً الكلمات التي كرّزَ بها الرسل ليست كلمات بشرية، بل كلمات إلهية. ولذلك فهي عاملةٌ في نفوس المؤمنين.

كما تحدّث السيد المسيح عن الارتباط بين ثباتنا في كلامه، وبين استجابة صلواتنا وطلباتنا:

"إن ثبتتم فيّ، وثبتَ كلامي فيكم، تطلبون ما تريدون فيكون لكم."
(يو ١٥: ٧)

أي أن مَنْ يَثْبُت في كلمة الله، ينال دالَّةً أمامه بفاعلية وعمل كلمة الله.

وليس ذلك فقط، بل إن كلمة الله لها فاعلية وعمل آخر، وهو أنها تنقي القلب وتقدس الفكر والحواس كما قال السيد المسيح نفسه لتلاميذه:

"أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به." (يو ١٥ : ٣)

وعن أهمية القراءة المنتظمة للكتاب المقدس يقول البابا ثاؤنا بابا الإسكندرية السادس عشر:

"لا تدع يوماً يمرُّ عليك دون قراءة الكتاب المقدس في الأوقات المناسبة بقدر ما يسمح الوقت. وأعطِ بعض الوقت للتأمل، ولا تطرح عنك عادة قراءة الكتاب المقدس، إذ لا يوجد شيءٌ يُغذي النفس، ويثري الذهن، كما تفعل تلك القراءات المقدسة." (البابا ثاؤنا بابا الإسكندرية السادس عشر)

هكذا نرى كيف أن الآباء الأولين كانوا يعطون أهمية قصوى للقراءة اليومية المنتظمة للكتاب المقدس مع التأمل، إذ كانوا يعتبرون ذلك بمثابة غذاء للنفس بكلمة الله، وإثراء للذهن بالأفكار المقدسة.

ويقول القديس الأنبا أرسانيوس معلّم أولاد الملوك:

"حتى لو لم يكن كلام الكتب المقدسة مفهوماً، فيجب استعماله ضد الشياطين. لأنهم يفهمونه ويهزمون بقوة الكلمات الإلهية، لأنهم لا يستطيعون احتمال صوت الروح القدس الذي يتكلم في الأنبياء والرسل." (القديس الأنبا أرسانيوس معلّم أولاد الملوك)

أي أننا حتى لو لم نفهم ما نقرأه في الكتاب المقدس فهماً كاملاً، وحتى إذا وجدنا صعوبات في استيعابه، يجب علينا ألا نتوقف عن القراءة. فالكلمات الإلهية في الكتاب المقدس هي سلاح لنا ضد الشياطين التي تفهم هذه الكلمات وترتعب منها كما قيل: "أنت تؤمن أن الله واحدٌ. حسناً تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون" (يع ٢ : ١٩).

بالطبع لم يقصد الأنبا أرسانيوس أن نرتضي بالقراءة بدون فهم، بل يقصد أن مواجهتنا لصعوبات الكتاب المقدس لا يجب أن تمنعنا من الاستمرار في القراءة بانتظام، مع محاولة الفهم عن طريق الصلاة وقراءة تفاسير الآباء وسؤال المرشدين الدارسين للكتاب المقدس.

ويعلمنا القديس الأنبا أنطونيوس أب الرهبان عن أهمية قراءة كلمة الله قائلاً:

"تعِبَ نَفْسُكَ فِي قِرَاءَةِ الْكُتُبِ، فَهِيَ تُخَلِّصُكَ مِنَ النِّجَاسَةِ."
(القديس الأنبا أنطونيوس)

"تعِبَ نَفْسُكَ فِي قِرَاءَةِ الْكُتُبِ، وَاتَّبَعَ الْوَصَايَا، فَتَأْتِي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ
سَرِيعًا." (القديس الأنبا أنطونيوس)

فجهادنا في قراءة الكتاب المقدس والقراءات الروحية يخلصنا من النجاسة، ويستجلب علينا مراحم الله.

ويقول أحد الآباء الشيوخ:

"قِرَاءَةُ الْكُتُبِ تُقَوِّمُ الْعَقْلَ الطَّوَّافَ." (أحد الآباء الشيوخ)

ويقول شيخ آخر:

"تعِبَ الْجَسَدُ بِكَثْرَةِ الْقِرَاءَةِ يَنْقِي الْعَقْلَ." (أحد الآباء الشيوخ)

فالقراءة في الكتب المقدسة تساعد على ضبط الفكر من التشتت، لكي يتتقى من أيِّ فكرٍ شريرٍ.

إذاً كلمة الله حيّة فعالة عاملة في نفوس المؤمنين. فهي تغذي النفس، وتنقي القلب، وتُثري الفكر وتساعد على ضبطه، وتخلص من النجاسة. ومن يثبت فيها ينال دالةً أمام الله.

الاستنتاجات

١. الكتاب المقدس هو كلام الله، إذ أن جميع أسفاره في العهدَيْن القديم والجديد موحى بها بواسطة الروح القدس. فلقد أَوْحَى الروح القدس لَكِتَابِ الأسفار المقدسة بما يكتبوه دون أن يلغي شخصياتهم أو أساليبهم أو خلفياتهم، ولكنه عَصَمَهُم من الخطأ. لذلك فنحن نقبل الكتاب المقدس كوحدةٍ واحدةٍ من وحي الروح القدس، فيها العهد القديم الذي تضمّن رموز وإشارات عن السيد المسيح، وفيها العهد الجديد الذي تحقّقت فيه النبوات.

٢. فهِم الكتاب المقدس يكون بحسب ما سلّمه السيد المسيح للرسل، والرسل للكنيسة، وكما فهمته الكنيسة على مرّ العصور، وليس بشكل فردي أو ذاتي. فما سلّمه السيد المسيح للرسل ثم للكنيسة، ليس هو نصّاً حرفياً بل بشارّة مُفْرِحة بالخلّاص يحيا فيها المؤمنون. وهذا المعنى هو المقصود بكلمة "إنجيل" الواردة في أسفار العهد الجديد.

٣. كلمة الله في الكتاب المقدس هي الإعلان الإلهي عن الله وتعاملاته المملوءة حبّاً مع البشرية من أجل خلاصها، كما أنها هي التي تقود المؤمنين في طريق الخلاص هذا، إذ هي حيّة وفعّالة.



القسم الرابع

الثالوث القدوس المساوي



القسم الرابع

الثالوث القدوس المساوي

في هذا القسم الرابع من موضوعنا عن "خدمة الخلاص" نتناول موضوع عقيدة الثالوث، ونعطيه عنوان "الثالوث القدوس المساوي"، وهذا التعبير مأخوذ عن كثير من الصلوات الليتورجية بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

في سياق حديثنا عن "خدمة الخلاص"، حيث نتتبع خط عمل الخلاص الإلهي بدءاً من الخلق ووصولاً إلى المجيء الثاني، يأتي الحديث عن عقيدة الثالوث كحديثٍ اعتراضيّ، بمعنى أن الحديث هنا عن عقيدة الثالوث لا يأتي في تسلسل حديثنا عن "خدمة الخلاص". ولذلك لن نتعرض في حديثنا عن الثالوث إلى تعريف المصطلحات الأساسية المرتبطة بهذا الموضوع مثل الأقنوم، والطبيعة، والجوهر، ... وغيرها.

ولكننا سنتناول الموضوع بالقدر الذي يرتبط بموضوعنا العام عن "خدمة الخلاص"، من جهة ارتباط خلاصنا بالإيمان بعقيدة الثالوث، والتأكيد على أن عمل الخلاص يختص بالثالوث القدوس وليس بالابن وحده مع توضيح دور الثالوث في عمل الخلاص، كما سنرى في إجاباتنا على الأسئلة المرتبطة بهذا الموضوع.

١- لماذا أعلن الله عن حقيقة الثالوث بأكثر وضوح في العهد

الجديد عنه في العهد القديم؟

٢- لماذا لا يكون إيماننا بالله أنه "واحد أحد" دون الدخول في

تفاصيل عقيدة الثالوث؟

٣- هل يمكن أن ننال الخلاص دون أن نؤمن بالثالوث؟

هذه الأسئلة الثلاثة مرتبطة ببعضها البعض، إذ أنها جميعاً تتعلق بإعلان الله لنا عن ذاته كإله واحد مثلث الأقانيم، والذي بدا أكثر وضوحاً في العهد الجديد عنه في العهد القديم، وبدون الإيمان بهذا الإعلان لا يكون لنا خلاص. لهذا نجيب هذه الأسئلة معاً ونبدأها ممّا جاء في رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل غلاطية:

"ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني. ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أباً^١ الآب. إذا لست بعد عبداً بل ابناً، وإن كنت ابناً فوارثٌ لله بالمسيح." (غل ٤: ٤-٧)

تشرح لنا هذه الآية عمل الخلاص كله، كما نجد فيها الحديث عن الآب والابن والروح القدس. فالآب أرسل ابنه الوحيد الجنس المولود منه قبل كل الدهور، أرسله متجسداً من العذراء مريم في ملء الزمان لننال نحن البشر التبني لله الآب، وبذلك صار الروح القدس ساكناً فينا، والذي به نستطيع أن نخاطب الآب السماوي: يا أبانا الآب. وإذ صرنا أبناء لله الآب، لم نعد بعد عبيداً، وصار لنا الميراث السماوي، وهكذا يكتمل خلاصنا.

^١ سبق لنا شرح كلمة "أباً" في إجابة السؤال السادس من موضوع "الروح القدس والمؤمنون" ص ٢٨٦.

إِذَا قَدْ أَعْلَنَ اللَّهُ لَنَا عَنْ حَقِيقَتِهِ كَالِهَ وَاحِدٍ مَثَلَتِ الْأَقَانِيمَ، رَغْمَ مَا فِي هَذَا الْإِعْلَانِ مِنْ صَعُوبَةٍ عَلَى الْفِكْرِ الْبَشَرِيِّ، لَا لَشَيْءٍ إِلَّا لَكِي يَعْلَنَ لَنَا عَنْ خَلَاصِهِ بِإِرْسَالِهِ لِابْنِهِ لِنَنَالَ التَّنَبُّيَّ، ثُمَّ بِسُكْنَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فِيْنَا لَكِي نَرْجِعَ لِلَّهِ مَرَّةً أُخْرَى كَأَبْنَاءِ أَحِبَّاءٍ. وَهَكَذَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ فِي ثَالُوثٍ، وَثَالُوثٌ فِي وَاحِدٍ؛ فَهُوَ لَا يُؤْمِنُ بِعَمَلِ الْخَلَاصِ، وَبِالتَّالِي لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ فِي هَذَا الْخَلَاصِ.

وَيَقُولُ أَيْضًا الْقُدَيْسُ بُولْسُ الرِّسُولِ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ:

"... لَكِنْ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ الْهِنَا." (١كو٦: ١١)

فَالَاغْتِسَالُ وَالتَّقْدِيسُ وَالتَّبَرُّيرُ قَدْ تَمَّ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِ الْإِبْنِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَ"بِرُوحِ الْهِنَا" أَيِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي هُوَ رُوحُ اللَّهِ الْآبِ.

وَنَلَاظُ أَنَّ الرِّسُولَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ عَنِ الرُّوحِ الْقُدُسِ إِنَّهُ رُوحُ الْآبِ، وَفِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ قَالَ إِنَّهُ رُوحُ الْإِبْنِ. فَالرُّوحُ الْقُدُسُ هُوَ رُوحُ الْآبِ كَمَا أَنَّهُ رُوحُ الْإِبْنِ أَيْضًا^٢، إِذْ أَنَّ الْأَقَانِيمَ الثَّلَاثَةَ لَهَا جَوْهَرٌ وَاحِدٌ.

وَفِيمَا يَلِي عِدَدٌ مِنَ الشَّوَاهِدِ الْكِتَابِيَّةِ الَّتِي تُؤَكِّدُ أَنَّهُ لَا خَلَاصَ لِلْإِنْسَانِ بِدُونِ إِيْمَانِهِ بِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ مَثَلَتِ الْأَقَانِيمَ: الْآبِ، وَالْإِبْنِ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. فَفِي رِسَالَةِ الْقُدَيْسِ بُولْسِ الرِّسُولِ الثَّانِيَةِ إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ:

"وَلَكِنْ الْكُلُّ مِنَ اللَّهِ، الَّذِي صَالَحْنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمَصَالِحَةِ، أَيِ إِنْ اللَّهُ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِيْنَا كَلِمَةَ الْمَصَالِحَةِ." (٢كو٥: ١٨، ١٩)

^٢ لَا يَعْنِي هَذَا أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ مُنْبَتِقٌ مِنَ الْآبِ وَالْإِبْنِ، لَكِنَّهُ مُنْبَتِقٌ مِنَ الْآبِ فَقَطْ، لِأَنَّ الْآبَ هُوَ الْمَصْدَرُ فِي الثَّلَاثِ الْقُدُوسِ الَّذِي يُؤَلَّدُ مِنْهُ الْإِبْنُ، وَيُنْبَتِقُ مِنْهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ.

فالرب يسوع المسيح الابن المتجسّد صُلِبَ على الصليب ليحمل عنا عقاب خطايانا ليصالحنا مع الله الآب.

وفي بشارة القديس يوحنا الإنجيلي:

"لأن هذه مشيئة الذي أرسلني أن كل مَنْ يرى الابن ويؤمن به تكون له حياةٌ أبديةً، وأنا أقيمُه في اليوم الأخير." (يو ٦ : ٤٠)

إذاً فلا قيامة ولا حياة أبدية إلا لِمَنْ يؤمن بالابن المُرسَل بحسب مشيئة الآب من أجل خلاص العالم.

وفي سفر أعمال الرسل:

"وليس بأحدٍ غيره الخلاص. لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء، قد أُعطيَ بين الناس، به ينبغي أن نخلص." (أع ٤ : ١٢)

أي لا خلاص إلا لِمَنْ يؤمن باسم ابن الله الذي ليس بأحدٍ غيره الخلاص.

وأيضاً في بشارة القديس يوحنا الإنجيلي:

"وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته." (يو ١٧ : ٣)

يعطي هنا الرب يسوع المسيح تعريفاً للحياة الأبدية بأنها هي معرفة الآب، ومعرفة الابن المُرسَل من الآب.

وفي رسالة رومية:

"وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم." (رو ٨ : ١١)

وهنا يتبيّن احتياجنا لعمل الروح القدس فينا. فإذا كان الروح القدس، روح الله الآب الذي أقام الرب يسوع المسيح من بين الأموات ساكنًا فينا، فالله الآب سيقمنا نحن الأموات بواسطة روحه الساكن فينا. إذاً إن لم نأخذ الروح القدس ليسكن فينا، فليس لنا قيامة أو حياة. فكيف يكون لمن لا يؤمن بالثالوث القدوس قيامة أو حياة؟!

وأخيراً، في بشارة القديس يوحنا الإنجيلي أيضاً:

"روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه،
وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكن معكم ويكون فيكم." (يو ١٤ : ١٧)

لا أحد يعرف الروح القدس ويقبله إلا أولاد الله الذين يسكن فيهم الروح القدس، وهو الذي يرشدهم إلى "الحق" الذي هو شخص الرب يسوع نفسه الذي قال: "أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يو ١٤ : ٦). وبالتالي فلا يمكن لأحد أن يعرف الآب أو يراه إلا في المسيح يسوع. إذاً لا يستطيع أحد أن يدعي أن له معرفة أو عشرة أو علاقة بالله، إلا إذا كان يؤمن بالثالوث القدوس، وله شركة مع الثالوث القدوس.

وفي هذا الصدد يقول الأب صفرونيوس من رهبان جبل القلمون في القرن الثامن:

«أما وقد دخلت بلاد مصر دعوةً جديدةً للتوحيد، تنكر الثالوث، فقد
تعيّن علينا أن نقول لكل المؤمنين بالمسيح، إنه لا خلاص لنا بدون
تمايز أقانيم الثالوث. هذه هي دعوة إنجيل ابن الله ربنا يسوع المسيح
لنا. وكل الذين يقبلون التوحيد الجديد، هم يُنكرون نعمة وسكنى
الروح القدس، كما ينكرون تجسّد ابن الله وصلبه وقيامته،
فهذه الإعلانات الإلهية هي التي أعطت لنا الإيمان بالثالوث القدوس.»
(الأب صفرونيوس)

يُثَبِّتُ هُنَا الْآبَ صَفْرُونِيوسَ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ لَا خَلَاصَ لِمَنْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالتَّوْحِيدِ الْحَقِيقِيِّ أَيِّ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْمُتَلَثِّ الْأَقَانِيمِ: الْآبَ، وَالابْنَ، وَالرُّوحَ الْقُدُسَ. وَبِأَنَّ أَقَانِيمَ الثَّالُوثِ مَتَمَايِزَةٌ عَنْ بَعْضِهَا الْبَعْضُ؛ أَيُّ أَنَّ الْآبَ لَيْسَ هُوَ الْابْنُ، وَلَيْسَ هُوَ الرُّوحُ الْقُدُسُ؛ كَذَلِكَ الْابْنُ لَيْسَ هُوَ الرُّوحُ الْقُدُسُ؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَالْأَقَانِيمُ الثَّلَاثَةُ الْآبَ وَالابْنَ وَالرُّوحَ الْقُدُسَ هِيَ إِلَهُ وَاحِدٌ لَهُ جَوْهَرٌ وَاحِدٌ وَكَيَانٌ وَاحِدٌ.

وَيُؤَكِّدُ الْآبَ صَفْرُونِيوسُ أَنَّ «هَذِهِ هِيَ دَعْوَةُ إِنْجِيلِ ابْنِ اللَّهِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ». فَالْإِنْجِيلُ هُوَ الْبَشَارَةُ الْمَفْرُوحَةُ بِالْخَلَاصِ الَّذِي تَمَّ بِتَجَسُّدِ ابْنِ اللَّهِ، وَبَصَلْبِهِ وَقِيَامَتِهِ وَصُعُودِهِ، وَهَذَا مَا قَالَهُ الْمَلَائِكَةُ لِلرَّعَاةِ وَقْتَ مِيلَادِ الْوَلَدِ يَسُوعَ: "... فَهِيَ أَنَا أَبْشُرُكُمْ بِفَرْحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مَخْلُصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ" (لوقا ٢: ١٠، ١١).

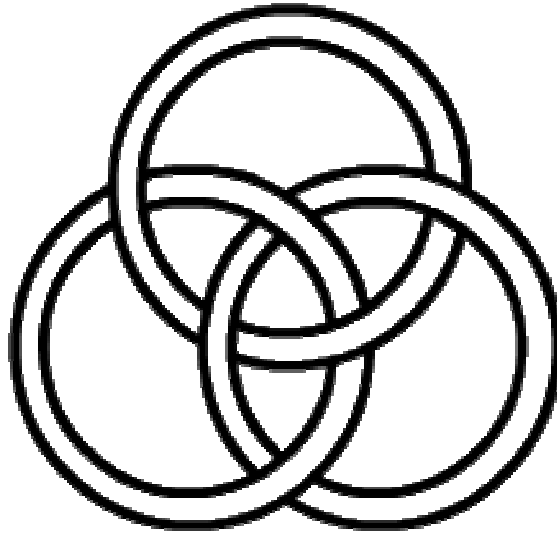
وَبِالتَّالِيِ كُلِّ الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ الْإِيمَانَ بِالتَّوْحِيدِ الْحَقِيقِيِّ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدَ مُتَلَثِّ الْأَقَانِيمِ، وَيَقْبَلُونَ التَّوْحِيدَ الْجَدِيدَ الَّذِي يُنْكِرُ الثَّالُوثَ، هُمْ يُنْكِرُونَ تَجَسُّدَ ابْنِ اللَّهِ، وَصَلْبِهِ، وَقِيَامَتِهِ، وَنِعْمَةً سَكَنَى الرُّوحَ الْقُدُسَ؛ وَبِالتَّالِيِ يَسْقُطُونَ مِنْ نِعْمَةٍ وَعَطِيَّةِ الْخَلَاصِ الَّتِي قَبَلْنَاهَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَمَا آمَنَّا بِهَذِهِ الْإِعْلَانَاتِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَيَقُولُ أَيْضًا الْآبَ صَفْرُونِيوسُ:

«وَهَكَذَا يُوَدِّي إِنْكَارَ الثَّالُوثِ إِلَى إِنْكَارِ كُلِّ تَعْلِيمٍ عَنِ النِّعْمَةِ، وَيَعِيدُ دَوْرَ النَّامُوسِ كَوَسِيطٍ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ، وَلَمْ يُعْطَ النَّامُوسُ لِلْخَلَاصِ، بَلْ كَمَا يَقُولُ الرَّسُولُ: "بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةُ الْخَطِيئَةِ" (رومية ٣: ٢٠).»
(الآبَ صَفْرُونِيوسُ)

فَإِنْكَارُ الْإِيمَانِ بِالثَّالُوثِ الْقُدُوسِ، هُوَ إِنْكَارٌ لِكُلِّ تَعْلِيمٍ عَنِ نِعْمَةِ الْخَلَاصِ. وَبِالتَّالِيِ هُوَ ارْتِدَادٌ إِلَى نَامُوسِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ الَّذِي لَا يُخَلِّصُ، بَلْ فَقَطْ يَنْهَى عَنِ الْخَطِيئَةِ دُونَ أَنْ يُعْطِيَ الْقُدْرَةَ عَلَى مَقَاوِمَتِهَا، كَمَا لَا يُكْفِّرُ عَنِ الْخَطِيئَةِ، بَلْ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ بِالمَوْتِ عَلَى مَنْ يَخْطِئُ. هَذَا هُوَ حَالُ مَنْ يَرْتَدُّ عَنِ الْإِيمَانِ بِالثَّالُوثِ الْقُدُوسِ.

أخيراً يمكننا القول بأن إعلان الله عن ذاته كإله واحد مثلاً الأقانيم أوجبه ضرورة الإعلان عن الخلاص الذي تمّ بإرسال الله الآب لابنه متجسداً لننعم بسكنى الروح القدس فينا من أجل خلاصنا. ولهذا كان الإعلان عن الثالوث القدوس أكثر وضوحاً في العهد الجديد، عهد النعمة الذي تمّ فيه الخلاص، عنه في العهد القديم الذي كانت فيه الرموز والتمهيد والانتظار لهذا الخلاص. وبالتالي لا خلاص، ولا معرفة بالله، ولا علاقة معه، لمن لا يؤمن بالثالوث القدوس المساوي.



٤- هل كان للثالوث دور في خلاصنا، أم أن الخلاص هو عمل يختصُّ بالابن وحده؟

لم يكن خلاصنا عملاً يختصُّ فقط بابن الله الأبنوم الثاني في الثالوث الذي تجسّد في ملء الزمان، بل كان خلاصنا عملاً يختصُّ بالثالوث القدوس: الآب، والابن، والروح القدس. وفيما يلي استعراض لدور كلٍّ من الآب والروح القدس في مُختلف المراحل الخلاصية التي اجتازها الابن:

أولاً: إرسالية الابن في ملء الزمان

يقول إشعياء النبي بالروح القدس:

"أنا أنا تكلمتُ ودعوته. أتيتُ به فينجحُ طريقه. تقدّموا إليّ. اسمعوا هذا: لم أتكلّم من البدء في الخفاء. منذ وجوده أنا هناك، والآن السيد الرب أرسلني وروحه." (إش ٤٨: ١٥، ١٦)

في الآية ١٥ "أنا أنا تكلمتُ ودعوته. أتيتُ به فينجحُ طريقه" هذه الكلمات كتبها إشعياء النبي على لسان الله الآب الأبنوم الأول في الثالوث، وهو يتحدّث عن ابنه الأبنوم الثاني الذي سيتجسّد في ملء الزمان. ثم في الآية ١٦ "تقدّموا إليّ. اسمعوا هذا: لم أتكلّم من البدء في الخفاء. منذ وجوده أنا هناك، والآن السيد الرب أرسلني وروحه" نجد الحديث للأبنوم الثاني في الثالوث، الابن الأزلي المساوي للآب في الجوهر والأزلية، والذي يتكلّم منذ البدء أي منذ الأزل. ويتحدّث عن نفسه أنه مُرسلٌ إلى العالم بالتجسّد في ملء الزمان من الآب ومن الروح القدس.

نرى في هذه الآية اشتراك الثالوث القدوس في إرسالية الابن إلى العالم بالتجسّد في ملء الزمان.

كذلك في رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل غلاطية:

"ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة،
مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني".
(غل ٤: ٤، ٥)

أي أن الله الآب أرسل ابنه متجسداً من السيدة العذراء مريم في ملء الزمان.

والرب يسوع نفسه يؤكد أنه مُرسلٌ من الآب كما ورد في بشارة القديس يوحنا الإنجيلي:

"والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتُم
هيئته". (يو ٥: ٣٧)

"وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني: أن كل ما أعطاني لا أُتلف منه شيئاً،
بل أقيمه في اليوم الأخير. لأن هذه مشيئة الذي أرسلني: أن كل مَنْ
يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير".
(يو ٦: ٣٩، ٤٠)

ثانياً: التجسدُ

يقول القديس بولس الرسول:

"لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحةً وقرباناً لم تُرد، ولكن هيأت لي
جسداً. بمحرقاتٍ وذبائحٍ للخطية لم تُسرَّ". (عب ١٠: ٥، ٦)

يكشف لنا هنا القديس بولس الرسول، مستشهداً بالمزمور (مز ٤٠: ٦)^٣، أن الابن
عند تجسده كما لو كان يخاطب الآب قائلاً: "ذبيحةً وقرباناً لم تُرد، ولكن هيأت لي

^٣ انظر ص ١٣٦.

جسدًا. بمحركاتٍ وذبائحٍ للخطية لم تُسرَّ." إذًا فالآب هو الذي هيَّأ جسدًا للابن، وبالتالي يكون للآب دورٌ في تجسُّد الابن.

كذلك نجد في بشارة القديس متى الإنجيلي:

"أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبةً ليوسف، قبل أن يجتمعا، وُجِدَتْ حُبْلَى من الروح القدس." (مت ١ : ١٨)
"ولكن فيما هو متفكِّرٌ في هذه الأمور، إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلمٍ قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخفْ أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذي حُبِلَ به فيها هو من الروح القدس." (مت ١ : ٢٠)

أي أن للروح القدس أيضاً دوراً في تجسُّد الابن.

وفي بشارة القديس لوقا الإنجيلي:

"فأجاب الملاك الروح القدس يحلُّ عليك، وقوة العليِّ تظللُك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله." (لو ١ : ٣٥)

فالملاك جبرائيل يبشِّرُ السيدة العذراء بميلاد الطفل يسوع، ويعلن أنه ابن الله القدوس، الذي يتجسَّد في أحشائها بحلول الروح القدس عليها، وبتظليل قوة الله الآب العليِّ، وهو ما يؤكِّد أنه وإن كان ابن الله هو الذي تجسَّد، إلّا أن تجسُّده لا يختصُّ به وحده، بل هو عمل مشترك مع الآب والروح القدس.

ثالثاً: الصليب

أ – الآب يبذل ابنه ويقبل ذبيحته:

في بشارة القديس يوحنا الإنجيلي:

"لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذلَ ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية." (يو ٣ : ١٦)

تجلّت قمة محبة الآب للبشر ببذله لابنه الوحيد على الصليب، لكي لا يَهْلِكَ كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية.

كذلك يقول القديس بولس الرسول في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس:

"ولكن الكل من الله، الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح، وأعطانا خدمة المصالحة، أي إن الله كان في المسيح مُصَالِحًا للعالم لنفسه، غير حاسبٍ لهم خطاياهم، وواضعًا فينا كلمة المصالحة. إذًا نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله. لأنه جعلَ الذي لم يعرف خطيئةً، خطيئةً لأجلنا، لنصير نحن برًّا الله فيه."
(٢كو ٥: ١٨-٢١)

أي أن الله الآب قد غفر لنا خطايانا وصالحَ العالم، الذي كان في عداوة مع الله بسبب الخطية، بصليب ابنه المتجسّد، الذي حمل خطايانا في جسده على خشبة الصليب لنصير نحن أبرارًا أمام الله الآب.

وأيضًا في رسالة رومية:

"الذي لم يُشْفَقِ على ابنه، بل بذّله لأجلنا أجمعين، كيف لا يَهْبُنَا أيضًا معه كل شيء؟" (رو ٨: ٣٢)

أي أن الآب مشتركٌ في الصليب ببذله لابنه الوحيد.

وفي ثيؤطوكية الأحد، وهي نفسها لحن "فاي إيطاف إنف" الذي يُقال في يوم الجمعة العظيمة، وفي عيدِ الصليب:

«هذا الذي أصعدَ ذاته ذبيحةً مقبولةً على الصليب عن خلاص جنسنا، فاشتّمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة.»
(ثيؤطوكية الأحد، القطعة الخامسة عشرة)

فالابن قدّم ذاته ذبيحة عن خلاص جنسنا، والآب قبل الذبيحة واشتمّها رائحة بخور، وصَفَحَ عن خطايانا.

ب — الابن يُقدّم ذاته:

وإن كُنّا قد أوضحنا بالآيات السابقة أن الآب مشترك في الصليب ببذله لابنه الوحيد، وبقبوله لذبيحة الابن من أجل إتمام المصالحة مع العالم؛ إلّا إنّنا نجد في الآيات التالية أن الابن أيضاً قدّم ذاته بإرادته وسلطانه من أجل محبته أيضاً للبشر:

"لهذا يُحبُّني الآب، لأنّي أضع نفسي لأخذها أيضاً. ليس أحدٌ يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطانٌ أن أضعها ولي سلطانٌ أن آخذها أيضاً..." (يو ١٠: ١٧، ١٨)

"بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة." (١ يو ٣: ١٦)

"واسلكوا في المحبة كما أحببنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا، قرباناً وذبيحةً لله رائحةً طيبةً." (أف ٥: ٢)

"الذي بذل نفسه لأجلنا، لكي يقدِّمنا من كل إثم، ويُطهرَ لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمالٍ حسنة." (تي ٢: ١٤)

نلاحظ التعبيرات في هذه الآيات: "لأنّي أضع نفسي لأخذها أيضاً"، "أضعها أنا من ذاتي"، "لي سلطانٌ أن أضعها ولي سلطانٌ أن آخذها أيضاً"، "ذاك (الرب يسوع) وضع نفسه لأجلنا"، "كما أحببنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا"، "الذي بذل نفسه لأجلنا"؛ وهي كلها تدل على أن الابن المتجسّد قد قدّم ذاته بملء إرادته وسلطانه على الصليب من أجل خلاصنا.

ج - الروح القدس يشترك في الصليب:

يقول القديس بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين:

"فكم بالحرّيّ يكون دم المسيح، الذي بروحٍ أزلّيٍّ قدّم نفسه لله بلا عيب، يُطَهِّرُ ضمائرَكم من أعمالٍ ميتةٍ لتخدموا الله الحيّ." (عب ٩ : ١٤)

أي أن المسيح قدّم نفسه لله الآب بروحٍ أزلّيٍّ هو الروح القدس. إذاً الروح القدس أيضاً مشتركٌ في عمل الصليب.

بالطبع هذا لا يعني أن الروح القدس قد صُلِبَ، بل يعني أنه وإن كان الابن المتجسّد هو الذي صُلِبَ على الصليب، إلّا أن الآب والروح القدس كانا مشتركين في عمل الفداء الذي تمّ بالصليب.

رابعاً: القيامة

وإن كان المسيح هو الذي قام من بين الأموات بسلطان لاهوته بحسب شهادة الكتاب المقدس، إلّا أن الكتاب المقدس أيضاً يؤكّد في مواضع أخرى أن الآب هو الذي أقام المسيح، بل ويؤكد أيضاً على دور الروح القدس في القيامة.

أ - المسيح قام بسلطان لاهوته:

الرب يسوع المسيح، بحسب طبيعته اللاهوتية، قام من الأموات بإرادته وسلطانه كما توضّح الآيات التالية:

"وأنه دُفِنَ، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب." (١كو ١٥ : ٤)

"ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين."
(١كو ١٥ : ٢٠)

"وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام." (٢كو ٥: ١٥)

ب — الآب أقام المسيح:

أمّا بحسب تجسّد المسيح، أي بكونه إنساناً كاملاً — كما هو إلهٌ كاملٌ — فقد قيل في أكثر من موضعٍ إن الآب أقام المسيح. وليس في هذا تعارض مع ما سبق أن شرحناه من أن المسيح قد قام من الأموات بإرادته وسلطانه بحسب طبيعته اللاهوتية. وفيما يلي بعض من الآيات التي تذكر أن الآب أقام المسيح من الأموات:

"بولس رسولٌ لا من الناس ولا بإنسانٍ، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات." (غل ١: ١)

"الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت، إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه." (أع ٢: ٢٤)

"إله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه مُعلّقين إيّاه على خشبة." (أع ٥: ٣٠)

"والله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم، ربنا يسوع، بدم العهد الأبدي." (عب ١٣: ٢٠)

ج — للروح القدس أيضاً دورٌ في القيامة:

يقول القديس بطرس الرسول في رسالته الأولى:

"فإن المسيح أيضاً تألم مرّة واحدةً من أجل الخطايا، البارٌّ من أجل الأئمة، لكي يُقربنا إلى الله، ممّاتاً في الجسد ولكن مُحيى في الروح." (١بط ٣: ١٨)

"مُمتًا في الجسد ولكن مُحيي في الروح" أي أن المسيح الذي مات بالجسد، هو الذي صار حيًا بالقيامة بواسطة الروح القدس. أي أن الروح القدس له دور في القيامة.

كذلك يقول القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية:
"وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة، بالقيامة من الأموات
يسوع المسيح ربنا." (رو ١: ٤)

أي الرب يسوع المسيح، الذي مات على الصليب، قد استعلن لنا وظهرت لنا حقيقة بكل قوة ووضوح كابن لله، وذلك بقيامته من بين الأموات بحسب روح القداسة أي بحسب الروح القدس الذي كان له دور في قيامة الرب يسوع المسيح.

خامسًا: الشهادة للمسيح

الشهادة للمسيح ابن الله المخلص يقدمها الابن عن نفسه، كما يقدمها الآب والروح القدس عنه. فيما يلي بعض الآيات التي توضح ذلك:

"أنا هو الشاهد لنفسي، ويشهد لي الآب الذي أرسلني." (يو ٨: ١٨)
"والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتُم هيئته." (يو ٥: ٣٧)
"ومتى جاء المُعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي." (يو ١٥: ٢٦)
"فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب، والكلمة، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد." (١ يو ٥: ٧)

هكذا نستخلص أن خلاصنا، وكل ما يتعلق به، لا يختص بالابن وحده، بل يختص أيضًا بالآب والروح القدس. أي أن خلاصنا هو عمل مُختص بالثالوث القدوس.

٥- هل لنا نحن المؤمنين شركة مع الثالوث، أم مع الروح القدس وحده؟

بعد أن أتمَّ الرب يسوع المسيح خلاصنا بالصليب والقيامة والصعود، أخذنا شركة الروح القدس الذي صار يسكن فينا. ولكن هذا لا يعني أنه بعد حلول الروح القدس على الكنيسة لم تكن شركتنا إلاَّ مع الروح القدس، بل مع الثالوث القدوس: الآب، والابن، والروح القدس.

يقول القديس يوحنا في رسالته الأولى:

"الذي رأيناه وسمِعناه نخبركم به، لكي يكون لكم أيضًا شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح." (١يو ١: ٣)

ونلاحظ تأكيد يوحنا الرسول على شركتنا مع الآب ومع ابنه.

أيضًا يقول القديس يوحنا في نفس الرسالة:

"إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة، نكذب ولستنا نعمل الحق." (١يو ١: ٦)

يشير القديس يوحنا إلى أن "لنا شركة معه"، أي مع الله الآب، إذ أنه في الآية التالية يقول: "وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يَطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ". ويضيف القديس يوحنا مؤكدًا على أن حقيقة شركتنا مع الآب تلزمنا بأن نسلك في النور، لأن سلوكنا في الظلمة يجعل شركتنا مع الآب شركة غير حقيقية.

ويقول القديس بولس الرسول:

"أَمِينَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي بِهِ دُعِيتُمْ إِلَى شَرَكَةِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا." (١كو ١: ٩)

هنا الحديث عن الشركة مع الابن.

وفي الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس:

"نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين." (٢كو ١٣: ١٤)

والحديث هنا عن شركة الروح القدس.

ويؤكد الأب صفرونيوس على شركتنا مع الثالوث القدوس قائلاً:

«نحن لا نصبح مسيحيين بالكلام، بل بالشركة في حياة المسيح، في بنوته للآب، وفي قوة قيامته، ومجد ملكوته... هذه ليست كلمات تُقال، بل حياة يسكبها ابن الله فينا بقوة وعطية الروح القدس.»
(الأب صفرونيوس)

وأيضاً يقول:

«إن فرح الخليقة الجديدة، هو فرح بالثالوث القدوس الذي فيه عادت الخليقة المتنوعة من التباعد إلى الوحدة، وإلى حدودها الجديدة التي رَسَمَهَا الابن، وإلى قوام حياتها الأبدية بعطية الآب، أي الروح المحيي، رب الخليقة، الروح القدس الذي منه تأخذ الخليقة الجديدة ثباتها في التقديس.» (الأب صفرونيوس)

إذاً من خلال الآيات والأقوال السابقة، نرى بوضوح التأكيد على شركتنا مع الثالوث القدوس، وليس مع الروح القدس وحده.



٦- هل الثالوث حقيقة أزلية، أم أنها ظهرت في زمنٍ مُعَيَّنٍ أو في عصرٍ ما؟

الله واحد مثلث الأفعانيم في جوهرٍ واحدٍ، وهذه الحقيقة أزلية أبدية لأن الله لا يتغير. ويعلن لنا الكتاب المقدس عن أزلية الآب والابن والروح القدس.

أ - من جهة الآب:

يقول داود النبي في المزمور:

"اذكُرْ مَراحِمَكَ يَا رَبِّ وَإِحْساناتِكَ، لَأَنَّهَا مِنْذُ الْأَزَلِّ هِيَ." (مز ٢٥: ٦)

والحديث هنا عن الله الآب، المصدر في الثالوث، الذي منه يُولَد الابن، وينبثق الروح القدس. وتذكر الآية أن مراحمه وإحساناته هي منذ الأزل؛ فإن كانت كذلك، فلا بُدَّ أن يكون الله الآب أزليًا.

ويقول المزمور أيضًا:

"كَرْسِيكَ مُثَبَّتَةٌ مِنْذُ الْقَدَمِ. مِنْذُ الْأَزَلِّ أَنْتَ." (مز ٩٣: ٢)

ويقول حَبَقُوق النبي:

"أَلَسْتُ أَنْتَ مِنْذُ الْأَزَلِّ يَا رَبِّ إِلَهِي قَدُوسِي؟ ... " (حب ١: ١٢)

والحديث واضح في الآيتين السابقتين عن أزلية الله الآب.

ب - من جهة الابن:

يقول إشعياء النبي:

"تَقَدَّمُوا إِلَيَّ. اسْمَعُوا هَذَا: لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنَ الْبَدْءِ فِي الْخَفَاءِ. مِنْذُ وَجُودِهِ أَنَا

هناك، وَالْآنَ السَّيِّدُ الرَّبُّ أَرْسَلَنِي وَرُوحُهُ." (إش ٤٨: ١٦)

قد استشهدنا بهذه الآية في إجابة السؤال الرابع، وقد قلنا أن الحديث هنا لله الابن الأبنوم الثاني في الثالوث، وهو يقول أنه موجودٌ منذ وجود الآب. فإن كان الآب أزلياً، بالتالي يكون الابن أيضاً أزلياً.

ويقول سليمان في الأمثال:

"الرب قَنَانِي أول طريقه، من قَبْلِ أعماله، منذ القَدَمِ. منذ الأزل مُسِحَتُ،
منذ البدء، منذ أوائل الأرض. إذ لم يكن غَمَرٌ أُبْدِئْتُ. إذ لم تكن
ينابيع كثيرة المياه. من قَبْلِ أن تَقَرَّرَتِ الجبال، قَبْلَ التلال أُبْدِئْتُ."
(أم ٨: ٢٢-٢٥)

وهنا نجد الحكمة تتحدّث عن نفسها، ويُقصد بالحكمة هنا شخص الابن الأبنوم الثاني في الثالوث. وكلمة "قَنَانِي" تعني اقْتَنَانِي أو وَلَدَنِي، أمّا تعبير "منذ الأزل مُسِحَتُ" فيعني أن الابن أزلي مولود من الآب قبل كل الدهور، ومساوٍ له في الجوهر والأزلية. أمّا كلمة "أُبْدِئْتُ" فلا تعني أن الابن له بداية في الزمن، بل تعني "منذ الأزل"، كما قيل: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يو ١: ١)، فكلمة "في البدء" هنا تعني "منذ الأزل"، لأنه إن كان "الكلمة الله"، وهو من البدء كائنٌ، فلا بُدَّ أن كلمة "البدء" يُقصد بها الأزل.

وفي نبوة ميخا النبي:

"أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا،
فَمِنْكَ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مِنْذِ الْقَدِيمِ
مِنْذِ أَيَّامِ الْأَزْلِ." (مي ٥: ٢)

"الذي يكون مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ" هو الرب يسوع المسيح الذي وُلِدَ في بيت لحم. وتقول عنه النبوة "ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" أي أن الابن المتجسّد من العذراء القديسة مريم هو أزليٌّ من جهة لاهوته. وهذه النبوة من أقوى النبوات عن ألوهية وأزلية الرب يسوع المسيح، الأبنوم الثاني الابن المتجسّد.

ويقول القديس بولس الرسول:

"الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل." (كو ١: ١٧)
والحديث عن ربنا يسوع المسيح، وأنه "قبل كل شيء" أي أنه أزليّ.

ج — من جهة الروح القدس:

يقول القديس بولس الرسول:

"فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحِ أَزَلِيِّ قَدَمَ نَفْسِهِ لِلَّهِ
بِلا عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدُمُوا اللَّهَ الْحَيَّ."
(عب ٩: ١٤)

"روح أزليّ" أي أن الروح القدس أزليّ.

إذا الآب أزليّ، والابن أزليّ، والروح القدس أزليّ، إله واحدٌ مثلث الأقانيم.



٧- هل كان للثالوث دورٌ في الخلق، أم أن الخلق عمل يخصُّ الآب وحده؟

كما كان الخلاص عمل يختصُّ بالثالوث، كذلك الخلق أيضاً عمل يختصُّ بالثالوث، وليس بالآب فقط، فيُذكر في سفر التكوين:

"في البدء خلق الله (إلوهيم) السماوات والأرض. وكانت الأرض خربةً وخاليةً، وعلى وجه الغمر ظلمةٌ، وروح الله (إلوهيم) يرفُّ على وجه المياه. وقال الله (إلوهيم) ليكن نورٌ، فكان نورٌ. ورأى الله (إلوهيم) النور أنه حسنٌ. وفصل الله (إلوهيم) بين النور والظلمة. ودعا الله (إلوهيم) النور نهراً، والظلمة دعاها ليلاً. وكان مساءً وكان صباح يوماً واحداً." (تك ١: ١-٥)

اللفظ العبري المُستخدَم في هذه الآيات للتعبير عن الله هو "إلوهيم"، وهو أحد الألفاظ المستخدمة للتعبير عن الله في العهد القديم، وهو بصيغة الجمع ومفرده "إلواه". لذلك استخدام هذا اللفظ عند الحديث عن الخلق يحمل إشارة لاشتراك الثالوث القدوس في عمل الخلق.

هذا لا يعني تعدُّ الآلهة، لأن ما ورد في سفر التثنية: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا ربُّ واحد" (تث ٦: ٤)، والذي يُعتبر عند اليهود بمثابة قانون إيمان، يؤكد بشكل صريح على وحدانية الله. مع ملاحظة أن اللفظ العبري المُستخدَم في هذه الآية أيضاً هو "إلوهيم". وقد استُخدِم هذا اللفظ كثيراً في العهد القديم للتعبير عن الله، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن الله ثالوث في واحد، وواحد في ثالوث.

ولا يفوتنا أن نلفت النظر إلى أن لفظ "إلوهيم" بصيغة الجمع لا يحمل معنى التعظيم، لأن استخدام الجمع لأجل التعظيم غير موجود في اللغة العبرية كما هو موجود في اللغة العربية، كأن نقول لشخصٍ واحدٍ "حضرتكم، أو فخامتكم، أو قداستكم،..." لأجل الاحترام والتعظيم.

ولأن الآب والابن والروح القدس مشتركون في عمل الخلق، نجد أن الكتاب المقدس يشير أحياناً إلى أن الابن خالق:

"كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان." (يو ١ : ٣)

كذلك في رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين يشير الكتاب المقدس إلى أن الآب خالق بالابن:

"الله، بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عمل العالمين." (عب ١ : ١ ، ٢)

بل وأيضاً يشير الكتاب المقدس إلى أن الروح القدس خالق:

"روح الله صنعني ونسمة القدير أحييتني." (أي ٣٣ : ٤)

كما جاء على لسان شخصية "أليهو" الذي أرسله الله لأيوب.

وأن الآب خالق بالروح القدس:

"أرسل روحك فتخلق، وتجدد وجه الأرض." (مز ١٠٤ : ٣٠)

أي أن الآب يرسل روحه القدوس فتخلق الخلائق، وتتجدد الأرض.

وحديثنا عن شركة الثالوث في عمل الخلق يتمشى مع القاعدة اللاهوتية الهامة التي نادى بها القديس أثناسيوس، ومن بعده الكثير من آباء الكنيسة المُعْتَبَرِينَ مثل القديس باسيليوس الكبير، والقديس غريغوريوس اللاهوتي، والقديس غريغوريوس أسقف نيصص، والقديس كيرلس الكبير،... وغيرهم؛ وتقول هذه القاعدة:

«كل شيء هو من الآب بالابن في الروح القدس.» (القديس أثناسيوس الرسولي)

فشركة الثالوث ليست فقط في عمل الخلاص والخلق، بل في كل أعمال الله وعطاياه للبشر.

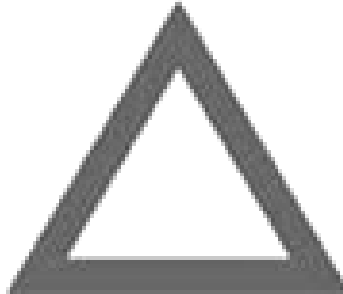
ويؤكد الأب صفرونيوس على شركة الثالوث القدوس في عمل الخلق قائلاً:

«لنفرح بالثالوث خالقنا، لأن كل الأشياء تأخذ وجودها وحدود طبيعتها (طبيعتها) من الآب، وشكل ورسم كيائها من الابن، وحياتها من الروح القدس. عمل واحد بإرادة واحدة، ونعمة وهبة واحدة للثالوث القدوس.» (الأب صفرونيوس)

وأيضاً يقول:

«لنفرح بالآب الذي يعطي لنا الوجود، وبالابن الذي به نتجه نحو غاية وجودنا، أي الراحة والفرح الأبدي في الله، ولنفرح بالروح القدس الذي يرسم حياتنا ويدبر الذين يلتصقون به، ويقودهم برفق نحو التقديس.» (الأب صفرونيوس)

هذه الآيات والأقوال جميعاً تؤكد على شركة أقاتيم الثالوث القدوس في عمل الخلق.



٨- هل كان لعقيدة الثالوث وجودٌ أو ظلالٌ في العهد القديم؟

مع تسليمنا بوضوح إعلان العهد الجديد عن عقيدة الثالوث، إلا أننا نجد في أسفار العهد القديم أيضاً إشارات وظلال شديدة الوضوح عنها. ففي أول آية في الكتاب المقدس في سفر التكوين:

"في البدء خلق الله (إلوهيم) السماوات والأرض." (تك ١ : ١)

نجد أن اللفظ العبري لكلمة "الله" هي "إلوهيم"، وهي بصيغة الجمع كما ذكرنا في إجابة السؤال السابق. فوجود عقيدة الثالوث وظلالها واضحة في العهد القديم من أول آية مذكورة فيه. وقد تكرر لفظ "إلوهيم" حوالي ألفين وخمسة مئة مرة، منها على سبيل المثال ما جاء في حديث الله مع نوح عن نهاية كل بشر بالطوفان:

"فقال الله (إلوهيم) لنوح نهاية كل بشرٍ قد أتت أمامي، لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم. فها أنا مهلكهم مع الأرض." (تك ٦ : ١٣)

وفي الترجمة العربية أيضاً للكتاب المقدس، نجد في سفر التكوين الحديث عن الله يأتي بصيغة الجمع مرات عديدة نذكر منها:

"وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيستلظون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض." (تك ١ : ٢٦)

"وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا عارفاً الخير والشر. والآن لعله يمدُّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد." (تك ٣ : ٢٢)

"وقال الرب هوذا شعبٌ واحدٌ ولسانٌ واحدٌ لجميعهم، وهذا ابتداءهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلمَّ ننزل ونبلي هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض." (تك ١١ : ٦، ٧)

"ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ قَائِلًا مَنْ أُرْسِلُ؟ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟ فَقُلْتُ هَئِنَذَا أُرْسِلْنِي." (إش ٦ : ٨)

نلاحظ التعبيرات "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا"، "وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحدٍ مِنَّا"، "هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلِّلْ"، "مَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا"، وهي جميعًا بصيغة الجمع في إشارةٍ إلى الثالوث القدوس.

أيضًا هناك آيات في العهد القديم تتحدّث بوضوح عن الأفانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس، نذكر منها:

"هَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلْأَمَمِ." (إش ٤٢ : ١)

الْمُتَحَدِّثُ هُوَ الْآبُ، وَالْحَدِيثُ عَنِ الْابْنِ الَّذِي أَخْلَى ذَاتَهُ آخِذًا شَكْلَ الْعَبْدِ، وَالَّذِي قَالَ عَنْهُ الْآبُ أَثْنَاءَ مَعْمُودِيَّتِهِ عَلَى يَدِ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَّرْتُ". وَيَسْتَكْمِلُ الْآبُ حَدِيثَهُ "وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ" أَيِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ الَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ بِهَيْئَةٍ جَسْمِيَّةٍ مِثْلَ حَمَامَةٍ.

"أَنَا تَكَلَّمْتُ وَدَعَوْتُهُ. أَتَيْتُ بِهِ فَيَنْجَحُ طَرِيقَهُ. تَقَدَّمُوا إِلَيَّ. اسْمَعُوا هَذَا: لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنَ الْبَدْءِ فِي الْخَفَاءِ. مِنْذُ وَجُودِهِ أَنَا هُنَاكَ، وَالْآنَ السَّيِّدُ الرَّبُّ أُرْسِلْنِي وَرُوحُهُ." (إش ٤٨ : ١٥، ١٦)

"أَنَا تَكَلَّمْتُ وَدَعَوْتُهُ. أَتَيْتُ بِهِ فَيَنْجَحُ طَرِيقَهُ." الْمُتَحَدِّثُ هُنَا الْآبُ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْابْنِ الْمَدْعُو لِإِتْمَامِ عَمَلِ الْخَلَاصِ وَالنَّصْرَةِ عَلَى الشَّيْطَانِ. وَيَرُدُّ الْابْنُ: "تَقَدَّمُوا إِلَيَّ. اسْمَعُوا هَذَا: لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنَ الْبَدْءِ فِي الْخَفَاءِ. مِنْذُ وَجُودِهِ أَنَا هُنَاكَ، وَالْآنَ السَّيِّدُ الرَّبُّ أُرْسِلْنِي وَرُوحُهُ." فَالْمُتَحَدِّثُ هُنَا الْابْنُ مُؤَكِّدًا وَجُودَهُ الْأَزَلِيَّ مِنْذُ وَجُودِ الْآبِ الْأَزَلِيِّ أَيْضًا، وَهُوَ يَقُولُ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنَ الْآبِ وَمِنَ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ.

"روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ المساكين، أُرْسَلَنِي
لأَعَصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ، لَأُنَادِيَ لِلْمَسِيئِينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ
بِالْإِطْلَاقِ." (إش ٦١ : ١)

المتحدّث هو الابن الذي يقول إن روح السيد الرب يحلُّ عليه، أي الروح القدس
روح الآب، لأن الرب (الآب) مَسَحَهُ أي خَصَّصَهُ لرسالة الخلاص ليبشِّرَ المساكين،
ويَعَصِبَ منكسري القلب، وينادي للمسيئِينَ بالعِتْقِ وللمأسورين بِالْإِطْلَاقِ. وهذا
الجزء هو الذي قرأه الرب يسوع حين دخل المجمع في الناصرة، ثم شرح للمجتمعين
أن هذا الكلام هو نبوة عن شخصه قائلاً: "إنه اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم"
(لو ٤ : ٢١).

وهناك آيات تحدّثت بوضوح عن الآب والابن، نذكر منها:

"قال الرب لربي اجلسْ عن يميني حتى أضع أَعْدَاءَكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ."
(مز ١١٠ : ١)

قال الرب (الآب) لرب داود (الابن) أن يجلس عن يمينه، وهو ما تمَّ عند صعود
الرب يسوع المسيح إلى السماء.

"مَنْ صَعِدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ؟ مَنْ جَمَعَ الرِّيحَ فِي حَفَنَتَيْهِ؟ مَنْ صَرَّ
الْمِيَاهِ فِي ثَوْبٍ؟ مَنْ ثَبَّتَ جَمِيعَ أَطْرَافِ الْأَرْضِ؟ مَا اسْمُهُ؟ وَمَا اسْمُ ابْنِهِ
إِنْ عَرَفْتَهُ؟" (أم ٤٠ : ٤)

نلاحظ السؤالين الأخيرين في هذه الآية "ما اسمه؟ وما اسم ابنه إن عَرَفْتَهُ؟" وهما
يحملان إشارة واضحة عن الآب وعن الابن.

"كنتُ أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى
وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قَدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمُلْكُوتًا

لنتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطانٌ أبديٌّ ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض." (دا ٧: ١٣، ١٤)

نلاحظ التعبيرات "ابن إنسان"، "قربوه"، "فأعطي سلطاناً ومجداً..."، وهي كلها عن الابن المتجسد. أما تعبير "القديم الأيام" فهو عن الآب.

وعن الروح القدس، نورد الشواهد الآتية:

"أين أذهب من روحك؟ ومن وجهك أين أهرب؟" (مز ١٣٩: ٧)

"روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني." (صم ٢٣: ٢)

"لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعهُ مِنِّي."
(مز ٥١: ١١)

"وأعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم، ولم تمنع منك عن أفواههم،
وأعطيتهم ماءً لعطشهم." (نح ٩: ٢٠)

الآيات الثلاثة الأولى الحديث فيها لداود النبي، أمّا الآية الأخيرة فهي عن بني إسرائيل بعد خروجهم من أرض مصر. ونلاحظ في هذه الآيات جميعاً الذكر الصريح للروح القدس روح الله.

هكذا نرى أن عقيدة الثالوث كان لها وجودٌ وظلالٌ قويةٌ في أسفار العهد القديم إلى أن صار الإعلان عن الثالوث القدوس أكثر وضوحاً في العهد الجديد بتجسد الابن الذي أخبرنا عن الآب، وبحلول الروح القدس على الكنيسة.

^٤ بالطبع هذا لا يعني أن الآب أقدم من الابن، بل كما أوضحنا سابقاً أن الآب والابن متساويان في الأزلية. لكن سبب استخدام هذه التعبيرات هو التأكيد على تمايز الأقانيم، أي أنه وإن كان الآب والابن إلهًا واحدًا، إلا أن الآب ليس هو الابن، ولا الابن هو الآب؛ بل الآب والابن والروح القدس هم ثلاثة أقانيم متميزة عن بعضها البعض، ولكن لها نفس الجوهر الواحد، أي إله واحد مثلث الأقانيم.

٩- ماذا أعلن العهد الجديد عن عقيدة الثالوث؟

لقد أعلن العهد الجديد بكل وضوح عن الآب المحب للبشر الذي بذل ابنه الوحيد الجنس من أجل حياة العالم؛ وعن الابن المساوي للآب، والذي أخبرنا وأرانا الآب في شخصه؛ وعن الروح القدس المُعزّي الذي يمكث معنا ويحلُّ فينا.

ونستطيع أن نتلمّس ذلك من خلال الاستشهاد بآيات من بشارة القديس يوحنا اللاهوتي الذي ركّز على اللاهوت أكثر من باقي البشيرين الذين كان تركيزهم بالأكثر على أحداث حياة الرب يسوع المسيح بالجسد على الأرض. وقد كتَبَ القديس يوحنا بشارته في أواخر القرن الأول الميلادي متأخراً عن باقي البشيرين للرد على الهرطقات التي بدأت في الظهور في ذلك الوقت. ولذلك حَفَظَ الله حياته إلى أواخر القرن الأول الميلادي، ولم يستشهد مثل باقي الآباء الرسل بل تَنَبَّحَ منفيّاً في جزيرة بَطْمُس، لكي يسجّل لنا بشارته التي يمكن أن نسمّيها بحق "إنجيل اللاهوت".

فعن الآب يقول القديس يوحنا الإنجيلي:

"لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذلَ ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَنْ
يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية." (يو ٣ : ١٦)

"لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل مَنْ يرى الابن ويؤمن به
تكون له حياة أبدية، وأنا أُقيمُه في اليوم الأخير." (يو ٦ : ٤٠)

الآية الأولى يعتبرها الكثيرون الآية المحورية في الكتاب المقدس كله لما تحويه من إعلان عن محبة الآب للبشر، والتي جعلته يبذل ابنه الوحيد من أجل حياة العالم. والآية الثانية تعلن عن مشيئة الآب في خلاصنا بأن نؤمن بابنه المرسل لأجل إتمام الخلاص، فننال الحياة الأبدية والقيامة في اليوم الأخير.

وعن الابن يقول:

"في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه." (يو ١ : ١-٥)

"خرجت من عند الآب، وقد أتيت إلى العالم، وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب." (يو ١٦ : ٢٨)

"أنا والآب واحد." (يو ١٠ : ٣٠)

"قال له فيلبس يا سيد أرنا الآب وكفانا. قال له يسوع أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس! الذي رأيته فقد رأي الآب، فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألسنت تؤمن أنني أنا في الآب والآب في؟ الكلام الذي أكلّمكم به لست أكلّم به من نفسي، لكن الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال." (يو ١٤ : ٨-١٠)

هذه الآيات هي أمثلة لإعلان العهد الجديد عن الابن من جهة:

- أزليته... "في البدء كان الكلمة".
- لاهوته ومساواته للآب في الجوهر... "وكان الكلمة الله"، "أنا والآب واحد".
- عدم انفصاله عن الآب... "والكلمة كان عند الله"، "خرجت من عند الآب، وقد أتيت إلى العالم، وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب"، "أنا في الآب والآب فيّ"، "الآب الحال فيّ".
- أنه خالق... "كل شيء به كان".
- أنه هو الحياة والمُعطي الحياة... "فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس".
- رؤيتنا ومعرفتنا للآب تتم فيه وبواسطته... "الذي رأيته فقد رأي الآب".

أما عن الروح القدس فيقول:

"وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم مُعْزِيًا آخر ليمكُث معكم إلى الأبد."
(يو ١٤: ١٦)

"ومتى جاء المُعْزِي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي
من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي." (يو ١٥: ٢٦)

تتعلق هاتان الآيتان بالإعلان عن الروح القدس المُعْزِي الذي يمكث معنا — نحن
المؤمنين — إلى الأبد، المُرسَل من الآب والابن، والمنبثق من الآب^٥، الذي يشهد
للمسيح ويرشدنا إلى الحق.

أخيرًا نذكر ما ورد في الرسالة الأولى للقدّيس يوحنا الإنجيلي:

"فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح
القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد." (١ يوح ٥: ٧)

ويمكننا القول بأن هذا هو مُجمل الإعلان عن "الثالوث القدوس المساوي" في العهد
الجديد.



^٥ (يو ١٥: ٢٦) تعلن بوضوح عن انبثاق الروح القدس من الآب فقط، وليس من الآب والابن. فالآب هو الأصل
والمصدر في الثالوث، ويُولد منه الابن، وينبثق منه الروح القدس. والقول بانبثاق الروح القدس من الآب
والابن يعني وجود مصدرين في الثالوث أي يعني وجود إلهين، لذلك ترفض كنيسة القبول بانبثاق الروح
القدس من الآب والابن.

١٠ - كيف أعلن الله عن حقيقة الثالوث في العهد الجديد؟

كما أوضحنا سابقاً أن الإعلان الواضح عن الثالوث القدوس كان في العهد الجديد، وذلك لأن العهد الجديد بدأ بتجسّد الابن الوحيد الجنس في ملء الزمان. والابن أعلن عن الآب وعن الروح القدس، كما أن الروح القدس الذي حلّ على الكنيسة أعلن - وما زال يعلن - عن الآب والابن.

الابن يعلن عن الآب:

"الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر." (يو ١: ١٨)

"كل شيء قد دفع إليّ من أبي، وليس أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له." (مت ١١: ٢٧)

أي أن الإعلان عن الآب يتمّ بواسطة الابن الكلمة الذي تجسّد في ملء الزمان.

الابن يعلن عن الروح القدس:

"وأنا أطلب من الآب فيعطيكمْ مُعزّيّاً آخر ليُمكّنْكم إليّ الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنّه لا يراه ولا يعرفه، وأمّا أنتم فتعرفونه لأنّه مأكّنٌ معكم ويكون فيكم." (يو ١٤: ١٦، ١٧)

فالرب يسوع المسيح الابن المتجسّد هو الذي بدأ في الإعلان عن الروح القدس المُعزّي، وهو الذي أعطى الوعد للتلاميذ والرسل بحلوله على الكنيسة.

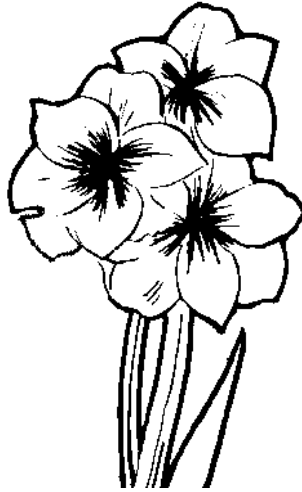
الروح القدس يعلن عن الآب:

"ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب."
(غل ٤: ٦)

بالمعمودية صرنا أبناء الله، وبالميرون أخذنا الروح القدس الذي به نستطيع أن نعرف الآب كأب سماوي، ونناديه "أبانا الذي في السماوات".

الروح القدس يعلن عن الابن:

"لذلك أعرفكم أن ليس أحدٌ وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أناثيما^٦.
وليس أحدٌ يقدر أن يقول يسوع ربُّ إلا بالروح القدس." (١كو ١٢: ٣)
هكذا يؤكد القديس بولس الرسول أنه لا يقدر أحدٌ أن يقول أن يسوع المسيح هو الله الذي ظهر في الجسد من أجل خلاصنا، إلا بالروح القدس الذي يعلن عنه.



^٦ "أناثيما" *Aváθεμα* كلمة يونانية معناها "محروماً" أو "مقطوعاً من الشركة". أي أن مَنْ يرفض الإيمان بالمسيح كإله ومخلص، فهو لا يتكلم بروح الله بل بروح غريب.

١١- إن كان الله محبة منذ الأزل، فلمن كانت هذه المحبة قبل خلق الخليقة كلها؟

نحن نعلم أن الله أزليٌّ، كما نعلم أن "الله محبة" (ايو٤ : ٨)، وهذه المحبة هي من صميم طبيعته منذ الأزل. ولم تبدأ محبة الله في الظهور بعد خلق الإنسان، أو حتى بعد خلق الملائكة؛ بل كانت — وما زالت — هناك حركة محبة متبادلة بين أقانيم الثالوث منذ الأزل. ومن فيض هذه المحبة خلقَ الله الإنسان ليدخل في شركة المحبة المتبادلة مع الثالوث القدوس. ولو لم تكن هناك محبة أزلية متبادلة بين الأقانيم، لما كانت المحبة من صميم طبيعته، بل مجرد صفة مكتسبة بوجود أيّة خليقة من المخلوقات.

ونستطيع أن نرى ذلك من خلال الكتاب المقدس، فالقديس متى البشير يذكر أنه أثناء المعمودية الرب يسوع على يد يوحنا المعمدان سَمِعَ صوت الآب:

"وصوتٌ من السماوات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ."
(مت ٣ : ١٧)

فالآب يَصِفُ الابن بأنه "الحبيب" أي موضوع محبته، فقد كانت هناك محبة بين الآب والابن منذ الأزل.

كما يذكر القديس يوحنا الإنجيلي في بشارته:

"لأن الآب يحبُّ الابن ويريه جميع ما هو يعملُه وسيُريه أعمالاً أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم." (يو ٥ : ٢٠)

"كما أحببني الآب كذلك أحببتكم أنا. أثبتوا في محبتي." (يو ١٥ : ٩)

"أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكمّلين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني، وأحببتهم كما أحببتني. أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني،

لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم. أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك، أمّا أنا فعرفتُك، وهؤلاء عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. وَعَرَفْتُهُمْ اسْمَكَ وَسَأَعْرِفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ."
(يو ١٧: ٢٣-٢٦)

نلاحظ في الآيات السابقة تكرار التعبيرات التي تؤكد على محبة الآب لابن قبل إنشاء العالم مثل: "لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم"، "الحب الذي أحببتني به".

وعن محبة الابن للآب جاء في بشارة القديس يوحنا:

"ولكن ليفهم العالم أَنِّي أُحِبُّ الآبَ وكما أوصاني الآب هكذا أفعل..."
(يو ١٤: ٣١)

نلاحظ تأكيد الرب يسوع المسيح ابن الله على محبته لله الآب "أَنِّي أُحِبُّ الآبَ".

إذا فالله أزلني في محبته، إذ كانت هناك حركة محبة متبادلة بين أقانيم الثالوث القدوس من قبل وجود الخليقة كلها وإلى الأبد.



الاستنتاجات

١. لَمَّا تجسّد الابن الكلمة من أجل خلاصنا، أخبرنا عن الآب وعن الروح القدس بوضوح.
٢. الإعلان الواضح عن الله الواحد كثالوث في العهد الجديد أوجبه ضرورة إتمام الخلاص الذي كان لكل أقنوم من الأقانيم الثلاثة دورٌ فيه.
٣. إذاً لا خلاص للإنسان بدون الإيمان بهذا الإعلان، الذي به ندخل إلى شركة الثالوث، فننال التبني للآب بعمل الابن وسكنى الروح القدس. وبذلك يكون كل شيء هو من الآب بالابن في الروح القدس.
٤. وجود الأقانيم الثلاثة هو وجودٌ أزليٌّ، أُعلنَ في العهد القديم من خلال ظلال ورموز وإشارات، إلى أن جاء كمال استعلانهِ في العهد الجديد من خلال الابن الكلمة المتجسّد.
٥. الله محبة، وحيث أن الله المُثلث الأقانيم هو أزليٌّ، فإن محبته كانت أزليّةً حتى من قَبْلَ خَلْق الإنسان، إذ كانت المحبة متبادلة داخل الثالوث بين الأقانيم الثلاثة.
٦. وحتى الخلق كان عمل محبة اشترك فيه الأقانيم الثلاثة.



القسم الخامس

أظهرت لي إعلان مجيئك



القسم الخامس

أظهرت لي إعلان مجيئك

هذا هو القسم الخامس والأخير من موضوعنا "خدمة الخلاص"، ونعطيه عنوان "أظهرت لي إعلان مجيئك"، وهو مأخوذ من صلوات القديس الغريغوري.

في الأغلب إن أول ما يتبادر إلى الأذهان، عند الحديث عن المجيء الثاني، هو موعد المجيء الثاني وعلاماته. لكننا لن نتطرق في الحديث إلى موعد المجيء الثاني أو إلى العلامات التي تسبقه، لعدم ارتباط هذه النقاط بخط الخلاص الذي حاولنا تتبعه من بداية هذه الدراسة؛ إنما سنتطرق إلى الأسئلة التي ترتبط بالموضوع العام عن "خدمة الخلاص": اكتمال الفداء والخلاص في مجيء المسيح الثاني بقيامة الأجساد، شكل جسد القيامة، الدينونة الأخيرة، أماكن الانتظار والاستقرار النهائي للأبرار والأشرار، تجديد الخليقة، وأخيراً عودة البشرية إلى حضن الأب والشركة مع الثالوث القدوس كهدفٍ نهائيٍّ لكل خدمة الخلاص.

١ - هل فداؤنا وخلصنا قد اكتملا بموت المسيح وقيامته وصعوده، أم أنهما يكتملان بمجيء المسيح الثاني؟

لقد أكمل مخلصنا الصالح عمل الخلاص بصليبه وقيامته وصعوده إلى السماوات وجلسه عن يمين الآب. أمّا من جهتنا نحن، فنوالنا لكمال الفداء والخلاص لن يتم إلاّ في مجيء المسيح الثاني.

ولتأكيد ذلك سنتناول أمثلة من آيات الكتاب المقدس التي ذُكرت فيها كلمة "فداء" لنكتشف أنها لم تكن دائماً الفداء الذي تمّمه مخلصنا بالصليب والقيامة والصعود، بل قد تعني أحياناً كمال الفداء والخلاص الذي نناله عند مجيء المسيح الثاني ليُكَلِّل المؤمنين الأبرار، الذين ثبتوا فيه إلى نهاية حياتهم، معه في ملكوته.

أولاً: آيات من رسائل القديس بولس الرسول تشير فيها كلمة "فداء" إلى خلاص المسيح بالصليب والقيامة والصعود

"متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح." (رو ٣ : ٢٤)

"ومنه أنتم بالمسيح يسوع، الذي صار لنا حكمةً من الله وبراً وقداًسةً وفداءً." (١كو ١ : ٣٠)

"الذي فيه لنا الفداء بدمه، غفران الخطايا، حسب غنى نعمته."
(أف ١ : ٧)

"الذي لنا فيه الفداء بدمه، غفران الخطايا." (كو ١ : ١٤)

ونلاحظ التعبيرات المستخدمة في هذه الآيات: "بالفداء الذي بيسوع المسيح"، "بالمسيح يسوع الذي صار لنا... فداءً"، "الفداء بدمه غفران الخطايا"؛ فجميعها تشير إلى خلاص المسيح بالصليب والقيامة والصعود.

ثانيًا: آيات من رسائل القديس بولس الرسول تشير فيها كلمة "فداء" إلى كمال الخلاص عند مجيء المسيح الثاني والقيامة العامة

"وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضًا نَنُ في أنفسنا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَّ فداءً أجسادنا." (رو ٨: ٢٣)

سبق لنا الحديث عن هذه الآية في القسم الثالث "صيرنا أطيهارًا بروحك القدوس"، وقد شرحنا أن المقصود بتعبير "باكورة الروح" هو عربون الروح القدس الذي حلَّ علينا بعد المصالحة مع الله، التي تَمَّت بالصليب والقيامة والصعود. ويستكمل الرسول حديثه "نحن أنفسنا أيضًا نَنُ في أنفسنا"، والأنين هنا هو ألم الجهاد الذي يجتازه أولاد الله في حروبهم الروحية في برية هذا العالم الحاضر. ثم يقول الرسول "مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَّ فداءً أجسادنا"، و"التَّبَنِّي" هنا لا يُقصد به ما نلناه بالمعمودية والميرون، والذي قد سبق لنا الحديث عنه في القسم الثالث؛ ولكن المقصود هنا بكلمة "التَّبَنِّي" هو التَّبَنِّي الكامل، النصيب الكامل وليس العربون، كمال مجد البنوة في ملكوت السماوات عندما تقوم أجسادنا من فساد الموت. أي أن "التَّبَنِّي" الذي نتوقعه وننتظره هو "فداء أجسادنا" الذي سيتم عند قيامة الأجساد من فساد الموت. وسنشرح بالتفصيل موضوع قيامة الأجساد في إجابتنا على السؤالين التاليين، ولكن ما نود أن نوضحه هنا في إجابتنا على السؤال الحالي هو أن كلمة "فداء" هنا لا تعني عمل المسيح الخلاصي بالصليب والقيامة والصعود، بل تعني كمال الفداء والخلاص عند مجيء المسيح الثاني والقيامة العامة.

كذلك في رسالة أفسس:

"الذي هو عربون ميراثنا، لفداء المُقْتَنَى، لمدح مجده." (أف ١: ١٤)

فتعبير "عربون ميراثنا" يُقصد به أيضًا عربون الروح القدس الذي حصلنا عليه، إلى أن ننال الميراث الكامل والنصيب الكامل الذي قال عنه الرسول "لفداء المُقْتَنَى"،

^١ راجع ص ٢٩٣، ٢٩٤.

لمدح مجده، فكلمة "فداء" هنا يُقصد بها كمال الفداء في ملكوت السماوات، و"المُقتنى" هو الإنسان. "لمدح مجده" أي لتظهر عظمة مجد الله الذي وهب للإنسان هذا الميراث الفائق في ملكوت السماوات.

وأيضاً في رسالة أفسس:

"ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتِمتم ليوم الفداء." (أف ٤: ٣٠)

هنا نجد نفس المعنى السابق، فتعبير "روح الله القدوس الذي به خُتِمتم ليوم الفداء" يُقصد به عربون الروح القدس الذي نناله بسرِّي المعمودية والميرون، إلى اليوم الذي ننال فيه الفداء الكامل في ملكوت السماوات، وهو ما لا يتحقق إلا في المجيء الثاني للمسيح. وبالتالي كلمة "فداء" في هذه الآية تعني الفداء الكامل الذي ننتظره في مجيء المسيح الثاني.

وانتظار المجيء الثاني من أجل نوال الفداء الكامل في ملكوت السماوات قد أنبأ به الملاكان اللذان تكلماً مع التلاميذ والرسل عند صعود الرب يسوع إلى السماوات:

"وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو مُنطلق، إذا رجُلان قد وقفا بهم بلباس أبيض، وقالا أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه مُنطلقاً إلى السماء." (أع ١: ١٠، ١١)

كذلك أيضاً في سفر الرؤيا قيل:

"هوذا يأتي مع السحاب، وستنظره كل عين، والذين طعنوه، وينوح عليه جميع قبائل الأرض. نعم آمين." (رؤ ١: ٧)

والحديث هنا عن المجيء الثاني للرب يسوع حيث يأتي في مجده ظاهراً للجميع كملك الملوك ورب الأرباب، فينوح الأشرار من فرط ندمهم على طعنهم له برفضهم الإيمان به. على عكس الأبرار الذين ينتظرونه قائلين: "آمين. تعال أيها الرب يسوع"

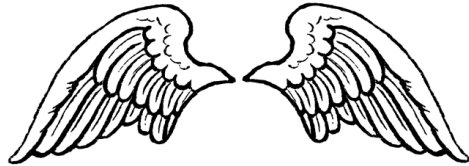
(رؤ ٢٢: ٢٠)، مترجّين ميراث الملكوت المُعدّ لهم منذ تأسيس العالم حيث ينالون كمال فدائهم وخلصهم.

لذلك يصلّي الكاهن في القداس الكيرلسي قائلاً:

«فالآن يا الله الآب ضابط الكل، فيما نحن نبشّر بموت ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنّا كلنا يسوع المسيح، ونعترف بقيامته المقدسة، وصعوده إلى السماوات، وجلوسه عن يمينك أيها الآب، وننتظر ظهوره الثاني الآتي من السماوات المخوف المملوء مجداً في انقضاء هذا الدهر. هذا الذي يأتي فيه ليدين المسكونة بالعدل ويعطي كل واحد كأعماله، إن كان خيراً وإن كان شراً...» (القداس الكيرلسي)

أي أن صلوات القداس الإلهي تؤكد انتظارنا للظهور الثاني لربنا يسوع المسيح المخوف المملوء مجداً ليدين المسكونة بالعدل حسب عمل كل واحد. مع ثقتنا أن دينونته هي بحسب مراحمه، وبالأخصّ لأولاده المنتظرين وال طالبيين هذه المراحم على الدوام.

إذا نحن ننتظر مجيء المسيح الثاني ليدين المسكونة بالعدل، ويعطي أولاده الأبرار — بحسب غنى رحمته — كمال فدائهم الذي قد نالوا عربونه أثناء جهادهم على الأرض، ليكتمل في ملكوت السماوات بقيامة أجسادهم من فساد الموت.



٢- كيف نقول بأن المسيح قد خلّصنا بموته الذي به داس الموت، ورغم ذلك كل إنسانٍ منا يرى مَنْ حوله يموتون بالجسد، بل وهو نفسه ينتظر موت الجسد وفساده وتحلُّه في التراب كحقيقةٍ مؤكَّدةٍ؟

لقد اجتاز ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح الموت، ولكنه داس الموت وانتصر عليه بالقيامة من الأموات. أمّا بالنسبة لنا نحن المؤمنين، فالموت هو الانفصال عن الله بالحياة في الخطية؛ بينما موت الجسد هو مجرد رقاد انتظاراً لقيامة الجسد في مجيء السيد المسيح الثاني كما سنرى.

يقول السيد المسيح في بشارة القديس يوحنا الإنجيلي:

"الحق الحق أقول لكم: إنه تأتي ساعةٌ وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون... لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعةٌ فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعّلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عمّلوا السيئات إلى قيامة الدينونة." (يو: ٥: ٢٥، ٢٨، ٢٩)

"الحق الحق أقول لكم"... كثيراً ما بدأ السيد المسيح كلامه بهذا التعبير تأكيداً لأن ما سيقوله هو إعلان هام عن الحق، إذ هو الوحيد القادر أن يعلن عنه لأنه هو وحده الطريق والحق والحياة.

"تأتي ساعةٌ وهي الآن"... كلمة "الآن" كثيراً ما وردت في العهد الجديد لتعني الدهر الحاضر كله، وليست لحظة معينة من الزمن وقت نُطق الكلمة أو كتابتها. فنحن عندما نستخدم كلمة "الآن" فهي تعني اللحظة التي نعيشها، والتي ننطق فيها هذه الكلمة.

أما بالنسبة للمسيح ولأسفار العهد الجديد^٢، فكلمة "الآن" تعني الدهر الحاضر كله، أي أنها تظل سارية من لحظة النطق بها أو من لحظة كتابتها إلى انقضاء الدهر الحاضر ومجيء المسيح الثاني ليبداً الدهر الآتي. وكذلك الأمر بالنسبة لكلمة "اليوم"، لذلك كثيراً ما يُنظر إلى الدهر الحاضر الذي نعيش فيه كيوم واحد، يُطلق عليه أحياناً يوم العهد الجديد، وأحياناً يُسمى "اليوم الثامن"^٣. لأن الله خلق الخليقة في سبعة أيام، ولكن الإنسان — رأس الخليقة — فسَدَ بالخطية، لذلك جاء الرب يسوع في يوم جديد، بعد زمن العهد القديم، ليُخلِّصنا من الموت ويُدخلنا في عهد الأبدية.

"حين يسمع الأموات"... نحن نعلم أن الأموات بالجسد لا يسمعون ولا يبصرون، ولكن المقصود هنا بالأموات هم الخطاة الأموات بالخطية.

"صوت ابن الله"... صوت ابن الله الذي ظهر في الجسد كان دائماً يدعو إلى التوبة لأجل نوال ملكوت السماوات، فهكذا يخبرنا القديس متى البشير عن كرازة المسيح: "من ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات" (مت ٤: ١٧).

"والسامعون يَحْيَوْنَ"... السامعون هم الذين يَقْبَلُونَ دعوة المسيح لهم، فيقدِّمون توبة لينالوا الحياة الأبدية مع الله، بعد أن كانوا أمواتاً بالخطية في انفصال عن الله.

"فإنه تأتي ساعة"... نلاحظ اختلاف هذه الساعة عن تلك التي سبق أن تكلمنا عنها. فالأولى قيل عنها إنها "الآن"، أما هذه الساعة فليست الآن، بل في الدهر الآتي عند المجيء الثاني للرب يسوع.

"فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعَلُوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عَمِلُوا السيِّئات إلى قيامة الدينونة"... أي أنه عند المجيء الثاني

^٢ بالنسبة لأسفار العهد القديم، وبالأخص أسفار الأنبياء كانت التعبيرات المُستخدمة كثيراً هي: "في ذلك اليوم"، "في تلك الأيام"، "في ذلك الوقت"، للإشارة إلى نبوات تتحقَّق في العهد الجديد.

^٣ سبق لنا الإشارة إلى هذا الأمر في الموضوع الأول من القسم الأول من هذا الكتاب ص ٢٤، ٢٥.

للرب يسوع سيقوم كل الأموات بالجسد، الأبرار إلى حياة أبدية مع الله، والأشرار إلى دينونة أبدية وعذاب أبدي في البحيرة المتقدة بنار وكبريت المعدة لإبليس وملائكته.

إذًا، يمكننا أن نقرأ هذه الآيات هكذا:

"الحق الحق أقول لكم (إعلان هام عن الحق) إنه تأتي ساعة وهي الآن (الدهر الحاضر أو يوم العهد الجديد)، حين يسمع الأموات (بالخطية) صوت ابن الله (الداعي للتوبة)، والسامعون (الذين يقبلون ويقدمون توبة) يحيون (مع الله حياة أبدية)... لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة (ليست الآن ولكن في الدهر الآتي عند مجيء المسيح الثاني) فيها يسمع جميع الذين في القبور (الأموات بالجسد) صوته (المنادي بالقيامة)، فيخرج (قيامة الجسد) الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة (الحياة الأبدية في ملكوت السماوات)، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة (الدينونة الأبدية والعذاب الأبدي في جهنم)."

ولكي نفهم معنى قيامة الجسد، لا بد أن نبدأ أولاً بشرح معنى الموت الجسدي. موت الجسد يحدث عند مفارقة الروح للجسد، وقد سبق أن شرحنا ذلك عند حديثنا في القسم الثاني من هذا الكتاب عن موت الرب يسوع على الصليب بالجسد^٤. وبالتالي تكون القيامة بأن يقوم الجسد من الفساد والتراب والقبر ليتحد ثانية بالروح التي تكون في مكان انتظار: إما في الجحيم للأشرار، أو في الفردوس للأبرار. وسيأتي لاحقاً الشرح بالتفصيل عن طبيعة جسد القيامة وعن أماكن انتظار الأرواح. ولكن ما يعيننا هنا أن نعرفه هو أن الجسد لا يفنى بالموت، بل ينتظر القيامة العامة في المجيء الثاني ليقوم بطبيعة جديدة. ولولا خلاص المسيح وغلبته للموت، لما كان لنا رجاء في القيامة للحياة الأبدية.

^٤ انظر ص ٢١٢.

ويردُّ القديس بولس الرسول في الفصل المشهور عن القيامة في الأصحاح الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس^٥ على مَنْ كانوا ينكرون القيامة في هذه المدينة قائلاً:

"ولكن إن كان المسيح يُكرَّر به أنه قام من الأموات، فكيف يقول قومٌ بينكم إن ليس قيامة أموات؟ فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام! وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا وباطلٌ أيضاً إيمانكم، ونُوجد نحن أيضاً شهود زورٍ لله، لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يُقَمَّ، إن كان الموتى لا يقومون، لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام. وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلٌ إيمانكم أنتم بعد في خطاياكم! إذا الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا! إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاءٌ في المسيح، فإننا أشقى جميع الناس. ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقيين. فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضاً قيامة الأموات. لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيَا الجميع." (١كو ١٥: ١٢-٢٢)

أي أن إيماننا بقيامتنا في اليوم الأخير يرتبط ارتباطاً مباشراً ووثيقاً بإيماننا بقيامة الرب يسوع من بين الأموات، حتى إنه إذا لم تكن قيامةٌ للأموات، فلا يكون المسيح قد قام. وبالتالي تكون الكرازة بالإيمان بالمسيح المصلوب والقائم من بين الأموات باطلة، ولا يكون لنا رجاءٌ في القيامة، ونكون بعد تحت حكم الموت الذي حُكِمَ به علينا نتيجة خطايانا ولا خلاص لنا. هكذا يوضِّح القديس بولس الرسول أهمية إيماننا بقيامتنا بالجسد عند مجيء المسيح الثاني.

ويستكمل الرسول "إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاءٌ في المسيح، فإننا أشقى جميع الناس"، أي أن رجاءنا في المسيح ليس في العالم الحاضر فقط، بل إنه يقيمنا في

^٥ رتبت الكنيسة أن تكون قراءة البولس في صلوات التجنيز من هذا الأصحاح، وكذلك فصل الإنجيل في تجنيز الرجال من (يو ٥)، وهي نفس الفصول التي نستشهد بها في إجابة السؤال الحالي.

اليوم الأخير كما يقول داود النبي في المزمور: "مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ؟ وَمَعَكَ لَا أُرِيدُ شَيْئًا عَلَى الْأَرْضِ" (مز ٧٣: ٢٥). فالمسيح قد قام بسلطانه الذاتي أولاً، ليصير باكورة الراقيين كأول مَنْ قام من الأموات ليحيا إلى الأبد دون أن يموت مرّة أخرى. ونحن أيضاً لنا رجاءٌ أن نقوم بقوته ونملك معه في ملكوته. فكما أن الموت تسلّط علينا من قَبْلِ أبينا آدم، فكذلك تكون لنا قيامةٌ من قَبْلِ ربنا ومخلصنا يسوع المسيح.

وفي دفاع القديس بولس الرسول ضد شكاية اليهود أمام فيلكس الوالي يقول:

"ولي رجاءٌ بالله في ما هم أيضاً ينتظرونه: أنه سوف تكون قيامةٌ
للأموات، الأبرار والأثمة." (أع ٢٤: ١٥)

وهو تأكيد على قيامة الأموات سواء الأبرار أو الأثمة. بالطبع هؤلاء لحياة أبدية، وأولئك لعذاب أبدي.

ونستشهد أيضاً بالآية الواردة في رسالة رومية التي سبق أن استشهدنا بها في إجابتنا على السؤال السابق:

"وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً
نَنْ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَيُّ فِدَاءِ أَجْسَادِنَا." (رو ٨: ٢٣)

وقد أوضحنا أن "فداء أجسادنا" هو قيامة الأجساد لنوال كمال مجد البنوة لله في ملكوت السماوات.

كل هذه الآيات التي سبق أن أوردناها تؤكد أن موتنا بالجسد ليس هو نهاية المطاف، ولا هو فناء للأجساد — كما تؤمن بعض الطوائف مثل شهود يهوه، ولكن هناك قيامة للأجساد في المجيء الثاني للمسيح، الذي خلّصنا وبموته داس الموت، وسيأتي ثانية ليقمنا لنكون معه إلى الأبد في ملكوته.

هكذا أيضًا يؤكد آباء الكنيسة، فيقول القديس يوستين الشهيد:

«إننا ننتظر أن نستعيد أجسادنا مرةً أخرى بالرغم من موتها ودفنها في الأرض.» (القديس يوستين الشهيد)

ويقول القديس أنثاسيوس الرسولي في كتاب تجسّد الكلمة:

«لأننا - كالبذور التي تُلقى في الأرض - فهكذا نحن لا نفنى عندما ننحلّ بالموت، بل نُزرع في الأرض لنقوم ثانيةً، بما أن الموت قد أُبِيدَ بنعمة قيامة المخلص. لهذا إذا أخذ المغبوط بولس على عاتقه تأكيد القيامة للجميع، إذ يقول "لأن هذا الفاسد لا بُدَّ أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت. ومتى لبسَ هذا الفاسد عدم فساد، ولبسَ هذا المائت عدم موت، فحينئذٍ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة. أين ذنبك (شوكتك) يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟»
(من كتاب تجسّد الكلمة ف ٢١ / ٢)

يؤكد القديس أنثاسيوس على عدم فناء الأجساد بالموت، بل قيامتها ثانيةً في المجيء الثاني للمسيح الذي أباد الموت بقيامته. ويُشبه القديس أنثاسيوس موت الجسد، وانحلاله في تراب الأرض ثم قيامته ثانيةً، بالبذور التي تُزرع في الأرض وتُدفن فيها لكي يخرج منها نباتات حيّة مثمرة. وقد استخدم هذا التشبيه أصلاً القديس بولس الرسول لتوضيح كيفية قيامة الجسد، وشكل جسد القيامة، وسنستوفي الحديث في هذا الأمر في إجابتنا على السؤال التالي. ويستشهد القديس أنثاسيوس بما جاء في (١كو ١٥: ٥٣-٥٥) من أن الفاسد لا بُدَّ أن يلبس عدم فساد، والمائت يلبس عدم موت؛ ويقصد الرسول بذلك أن الجسد الترابي الفاسد والمائت لا بُدَّ أن يقوم في المجيء الثاني لابساً جسد القيامة غير الفاسد وغير المائت إلى الأبد. حينئذٍ تكون الغلبة الكاملة والأخيرة على الموت، وحينئذٍ يُقال بالحقيقة "أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟" ونود أن نلفت النظر أن الأصل اليوناني لكلمة "شوكتك" Κέντρον هو نفس الكلمة التي تُطلق على ذنب العقرب الذي يلدغ به. فالموت كان هو وسيلة الشيطان

الذي به كان يتسلط على البشر، كما أن الذنب هو وسيلة العقرب التي يستخدمها في لدغاته القاتلة.

وأيضاً يقول القديس كيرلس الكبير في أمر قيامة الجسد:

«إننا نصير متّحدين معه بقيامته من وجهين: فإننا من جهةٍ سنحيا مع المسيح بأن تعود أجسادنا إلى الحياة (في اليوم الأخير)، ومن جهةٍ أخرى نحن نحيا معه (منذ الآن) حينما نُقرب له نفوسنا فتتغير صفاتنا الداخلية إلى القداسة لسيرة صالحة في الروح القدس.»
(القديس كيرلس الكبير)

أي أننا أولاً نشترك مع المسيح في قيامته ونحن بعد هنا على الأرض، عندما نقوم من خطايانا ونتركها لنلتصق بالمسيح، فتظهر قداسته في حياتنا بفعل الروح القدس الساكن فينا. هذه هي حياة التوبة التي نحياها الآن في الجسد بقوة قيامة المسيح فينا وبعمل روحه القدوس، وهي أيضاً ما يُطلق عليه الكتاب المقدس "القيامة الأولى" كما قيل في سفر الرؤيا: "مُبَارَكٌ وَمَقْدَسٌ مَنْ لَهُ نصيب في القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم..." (رؤ ٢٠: ٦). فالتوبة قيامة لأنها تغيير اتجاه من الخطية إلى القداسة، وانتقال من الموت إلى الحياة.

ثم ثانياً نشترك مع المسيح في قيامته عند مجيئه الثاني لنقوم معه بقوته ومناداته لابسين أجساد القيامة التي تليق بالحياة الأبدية في ملكوت السماوات. وهذه هي "القيامة الثانية" التي تقابل "الموت الثاني" للأشرار الذين يقومون أيضاً، ولكن للعذاب الأبدي في جهنم.

إذاً فموت الجسد الذي نرى كل يوم كثيرين من حولنا يجتازونه، بل ونحن جميعاً نعلم أننا سنجتازه؛ ليس هو النهاية، بل كما تقول الكنيسة في أوشية الراقدين: "لا يكون موتٌ لعبيدك، بل هو انتقالٌ"، أي انتقال على رجاء القيامة في اليوم الأخير. وهذا الإيمان بقيامة الأجساد في المجيء الثاني، هو من صميم الإيمان المسيحي حتى إننا

نجدّه في الاعتراف بالإيمان الذي يُردّده المتقدّم للمعمودية (أو الاشبين في حالة معمودية الأطفال) وراء الكاهن بعد جدد الشيطان وقطع العهد معه. ونص هذا الاعتراف هو^٦:

«أعترف لك أيها المسيح إلهي، وبكل نواميسك المُخلّصة، وكل خدمتك المُحيية، وكل أعمالك المُعطية الحياة.

أؤمن بإله واحد، الله الآب ضابط الكل، وابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا، والروح القدس المُحيي، وقيامة الجسد، والكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية. آمين.» (الاعتراف بالإيمان في صلوات المعمودية)

ونلاحظ أن هذا الاعتراف أو القانون يحتوي على خمسة بنود أساسية:

١. الله الآب ضابط الكل
 ٢. ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا
 ٣. الروح القدس المُحيي
 ٤. قيامة الجسد
 ٥. الكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية
- أي أن الإيمان بقيامة الجسد هو واحد من الخمسة بنود الرئيسية في إيمان الكنيسة منذ عصر الرسل. وهو ما يؤكّد لنا أهمية الإيمان بعقيدة قيامة الجسد والفهم الصحيح لها.
- وقد أكّد أيضاً قانون إيمان نيقية في ختامه على هذا الأمر حيث قيل:
- «وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي. آمين.» (قانون الإيمان)

^٦ يُعتَبَر هذا الاعتراف قانون إيمان مختصر قديم وأصيل في الكنيسة، ويُسمّى "قانون إيمان الرسل"، إذ كان يستخدمه الرسل للتعبير عن حقائق الإيمان المسيحي. وهو سابق لقانون الإيمان الذي نستخدمه الآن، والذي كُتِبَ في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، ثم أُضيفَ إليه الجزء الخاص بالروح القدس في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م، ثم وُضِعَت مقدمته في مجمع أفسس ٤٣١م.

فبعد الإقرار بالإيمان بالله الواحد: الآب والإبن والروح القدس، وبالتجسد، وموت المسيح، وقيامته، وصعوده، جاء الإقرار بالإيمان بمجيئه الثاني، وقيامه الأموات المنتظرة وحياة الدهر الآتي.

وعلى قدر ما رأينا من أهمية لموضوع قيامة الجسد في إيماننا، إلا أنه — للأسف — قد يشوبه بعض التشويش في فكر البعض، إذ يظن البعض أن الجسد يموت ويتوارى في تراب الأرض ويفنى، أو أنه سجن للروح التي تتخلص منه عند الموت، أو أنه شر نتخلص منه بالموت، إذ كان هو الذي يسقطنا في الخطية.

ولكن، على العكس من ذلك، قد رأينا أن الجسد لا يفنى بالموت، ولا هو شر إذ هو خليفة الله، بل سيقوم في اليوم الأخير. فالجسد الذي شارك في جهاد الإنسان الروحي ضد الخطية وشارك في حمل الصليب، وتعب في الخدمة أو النسك أو ضبط الجسد من أجل حياة الفضيلة والقداسة، فهذا الجسد لا بُدَّ أن يكون شريكاً في مجد الملكوت. أمّا الجسد الذي تبع الأهواء والشهوات، وعاش في الخطية ولم يقاوم الشيطان وقيل مشوراته؛ فهذا الجسد أيضاً لا بُدَّ أن يقوم للعذاب الأبدي.

ومما يؤكد أيضاً ضرورة قيامة الأجساد في مجيء المسيح الثاني، هو أنه كما خلق للإنسان روحاً، كذلك خلق له جسداً. وكما أن الروح لا تفنى، كذلك الجسد الذي خلقه الله لا يمكن أن يفنى. وقد خلق الله الروح والجسد متحدَيْن في وحدة لم تتفصل إلا بالموت الذي مزق الإنسان. لذلك في القيامة العامة عند مجيء المسيح الثاني لا بُدَّ أن تقوم الأجساد ليتحد كل جسد إنسان بروحه، فيعود الإنسان إلى وحدته ويقف كل إنسان — روحاً وجسداً — أمام الله، ليجازي كل واحد حسب أعماله خيراً كانت أم شراً.

أخيراً نوكد أن ربنا يسوع المسيح قد خلصنا وداس الموت لنا، وإن كنا نموت بالجسد، إلا أننا ننتظر قيامة الجسد في مجيء المسيح الثاني الذي يأتي ليدين المسكونة بالعدل. فيقوم الأبرار بالجسد للحياة الأبدية، وهكذا يكتمل خلاصهم. ويقوم الأشرار إلى عذاب أبدي، وهكذا تكتمل دينونتهم.

٣ - ما هو شكل جسد القيامة؟ وما هي طبيعته؟

يطرح هذا السؤال نفسه كأول ما يتبادر إلى الذهن بعد حديثنا في إجابة السؤالين السابقين عن قيامة الجسد. ولقد توقع أيضاً القديس بولس الرسول أن يُطرح هذا السؤال عليه بعد حديثه عن قيامة الجسد في الأصحاح الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس وأجاب هكذا:

"لكن يقول قائلٌ كيف يُقام الأموات؟ وبأيّ جسمٍ يأتون؟ يا غبي! الذي تزرعه لا يُحيا إن لم يمُت. والذي تزرعه لست تزرع الجسم الذي سوف يصير، بل حبةً مُجرّدة، ربما من حنطة أو أحد البواقي. ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد. ولكل واحدٍ من البزور جسمه." (١كو ١٥: ٣٥-٣٨)

السؤال الذي توقعه القديس بولس مطابق تماماً لسؤالنا الحالي. ويبدأ الرسول ردّه على السؤال بوصف مَنْ يسأله من الذين ينكرون القيامة في كورنثوس^٧ بالغباوة، لأنه يسأل مُحاولاً الاستمرار في إنكار القيامة. ثم يعطي الرسول تشبيهاً نعتبره أساس الإجابة على هذا السؤال وهو أن جسد القيامة، الذي لا يمكن أن نأخذه إلا بعد الموت، يشبه النبات الذي ينمو من مجرد حبة صغيرة من أي نوع من أنواع البزور. هكذا يخرج النبات الحي والمثمر من الحبة التي تموت وتُدْفَن وتتحلّل في الأرض لأن "الذي تزرعه لا يُحيا إن لم يمُت". ويقول الرسول: "والذي تزرعه لست تزرع الجسم الذي سوف يصير، بل حبةً مُجرّدة، ربما من حنطة أو أحد البواقي"، فأيّ نبات نزرعه له جذر وساق وأغصان وأوراق وأزهار وثمار، ونحن لا نزرع شيئاً من هذه، بل كل ما نزرعه في الأرض هو مجرد حبة صغيرة جداً قد تكون من فضلاتنا. ومن هذه الحبة الصغيرة التي تُدْفَن وتتحلّل في الأرض يخرج النبات بكل أجزائه على اختلاف أشكالها: جذور، سيقان قد تكون من الخشب، ثمار متنوعة؛ كل هذه من الحبة الصغيرة

^٧ راجع ص ٤٠٣.

التي دُفِنَتْ في الأرض. هكذا أيضًا الجسد المادي الأرضي اللحمي يموت ويدفن في الأرض ويتحلل، وفي المجيء الثاني يقوم هو نفسه بطبيعة أخرى غير مادية وغير لحمية بل روحانية.

وكما أن شكل وطبيعة مادة الحبة المزروعة مختلفان تمامًا عن شكل وطبيعة النبات الذي يخرج من هذه الحبة المزروعة؛ كذلك شكل وطبيعة الجسد الأرضي يختلفان تمامًا عن شكل وطبيعة جسد القيامة الروحاني.

وعلى رغم الاختلاف الواضح بين شكل وطبيعة الحبة المزروعة، وبين شكل وطبيعة النبات الخارج منها بمختلف أجزائه؛ إلا أننا لا نستطيع القول بأنه مختلف عنها في جوهره، لأن هذا النبات لم يخرج إلا من هذه الحبة المزروعة. كذلك بالنسبة لجسد القيامة الروحاني، فهو يختلف عن الجسد المادي الأرضي في شكله وطبيعته، ولا يختلف عنه في جوهره وكيانه، لأنه خارجٌ منه. حتى إننا نقول أن نفس الجسد المادي الأرضي اللحمي الذي يموت ويدفن ويتحلل ويعود إلى تراب الأرض، هو هو نفسه الذي سيقوم بطبيعة جديدة مختلفة روحانية.

ويوجد مثال من الطبيعة يستطيع أن يقرب إلينا حقيقة قيامة الأجساد بطبيعة جديدة روحانية، وهو "دودة القز". فدودة القز دودة تزحف على الأرض بأرجل عديدة، وبعد فترة من الزمن تقوم بعمل شرنقة تدخل داخلها لتخرج منها كفراشة لها أجنحة تستطيع أن تطير بها في الجو. فكما أن الدودة التي كانت تزحف على الأرض هي نفسها، في طور آخر من حياتها، تصير فراشة تطير في الجو؛ كذلك أيضًا في قيامة أجساد الراقدين: نفس الجسد الذي مات ووُضِعَ في القبر وتحلّل وأصابه الفساد، هو نفسه الذي يقوم بطبيعة جديدة روحانية مختلفة عن الطبيعة الأولى المادية اللحمية. هكذا نجد في مثال دودة القز الحقيقتين الأساسيتين المرتبطتين بقيامة الأجساد وهما:

١. تقوم جميع أجساد الراقدين بطبيعة جديدة روحانية.
٢. الجسد الذي مات هو هو نفسه الذي يقوم، على الرغم من اختلاف طبيعة جسد القيامة عن طبيعة الجسد المادي.

وحيث أن القيامة — كما أوضحنا سابقاً — لا تختصُّ بالأبرار فقط، بل الأبرار والأشرار؛ فإن طبيعة جسد القيامة تكون طبيعة روحانية سواء للأبرار أو للأشرار ، ولكن الفرق أنه بالنسبة للأبرار سيكون جسد القيامة نورانياً ممجّداً لاثنافاً بالحياة الأبدية أمام عرش المسيح في ملكوت السماوات. أمّا بالنسبة للأشرار فسيكون جسد قيامتهم مظلماً وفي هوان، مُعدّاً للعذاب الأبدي في النار الأبدية المُعدّة لإبليس وملائكته.

ويستكمل القديس بولس الرسول حديثه عن جسد القيامة في نفس الأصحاح:

"هكذا أيضاً قيامة الأموات: يُزْرَع في فسادٍ ويُقَام في عدم فساد. يُزْرَع في هوانٍ ويُقَام في مجدٍ. يُزْرَع في ضعفٍ ويُقَام في قوة. يُزْرَع جسمًا حيوانيًا ويُقَام جسمًا روحانيًا. يوجد جسمٌ حيوانيٌّ ويوجد جسمٌ روحانيٌّ. هكذا مكتوبٌ أيضًا صار آدم، الإنسان الأول، نفسًا حيّةً، وآدم الأخير روحًا مُحييًّا. لكن ليس الروحاني أولًا بل الحيواني، وبعد ذلك الروحاني. الإنسان الأول من الأرض ترابيٌّ. الإنسان الثاني الرب من السماء. كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضًا، وكما هو السماوي هكذا السماويون أيضًا. وكما لبسنا صورة الترابي، سنلبس أيضًا صورة السماوي. فأقول هذا أيها الإخوة: إن لحمًا ودمًا لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد." (١كو ١٥ : ٤٢ - ٥٠)

حديث القديس بولس هنا يختصُّ بقيامة الأبرار المُخلّصين فقط، إذ يقارن بين الجسد المادي المائت وبين جسد القيامة الروحاني الممجّد. ثم يقارن بين آدم الإنسان الأول الذي أورثنا الإنسان العتيق الفاسد والجسد الترابي المائت، وبين آدم الثاني الأخير الرب يسوع المسيح السماوي الذي أورثنا الإنسان الجديد السماوي والجسد الروحاني الممجّد. أي أننا كأولاد لآدم الأول نأخذ الجسد الترابي المائت، ولكن كأولاد لآدم الثاني — ربنا ومُخلّصنا يسوع المسيح — نأخذ الجسد الروحاني الممجّد، على مثال جسد قيامة رب المجد الذي قام به من بين الأموات ناقضًا أوجاع الموت، إذ قام

هو أولاً — كباكورة للراقدين — بهذا الجسد الروحاني الممجّد، لنقوم نحن أيضاً في مجيئه الثاني بجسد روحاني ممجّد على مثال جسد قيامته. ويؤكد القديس بولس الرسول على أن جسد القيامة هو الذي يليق بمجد ملكوت الله، أمّا الجسد الترابي فيقول عنه: "إن لحمًا ودمًا لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد".

وفي الرسالة إلى أهل فيلبي يقول القديس بولس الرسول:

"فإن سيرتنا^٨ نحن هي في السماوات، التي منها أيضاً ننتظر مُخلّصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيُغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء".
(في ٣: ٢٠، ٢١)

أي أن وطننا هو السماء التي منها ننتظر المسيح مُخلّصنا الصالح في مجيئه الثاني ليُغيّر شكل جسد تواضعنا من الصورة الترابية المائتة إلى الصورة الروحانية الممجّدة. فالرب يسوع المسيح قد أخلّى ذاته، وأخذ "شكل جسد تواضعنا"، واجتاز موت الصليب بهذا الجسد، ثم داس الموت وقام من بين الأموات ظافراً ممجّداً بالجسد الروحاني. وسيأتي ثانية من السماء ليقينا معه بجسد روحاني ممجّد "على صورة جسد مجده"، وهكذا يكتمل خلاصنا وفداؤنا في ملكوت السماوات. والرب يسوع المسيح هو الوحيد القادر أن يعطينا هذه القيامة "بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء".

ونود أن ننوّه هنا، لمن يجد صعوبة في تصوّر قيامة الجسد، إلى أن خلقة الإنسان من العدم من تراب الأرض بنفخة من الله بجسد مادي مرئي ملموس، هي أصعب في تصوّرها من تصوّر قيامة الجسد الروحاني الممجّد من الجسد الترابي الذي فسّد وتحلّل في القبر.

^٨ ترجمتها الصحيحة جنسيتنا أو انتمائنا أو وطننا.

ويكتب القديس يوحنا الرسول عن قيامتنا في رسالته الأولى:

"أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، ولم يُظهر بعدُ ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو. وكل من عنده هذا الرجاء به، يُظهر نفسه كما هو ظاهر." (١ يوحنا ٣: ٢، ٣)

فهو يتكلم عن الرب يسوع أنه "إذا أُظهر" أي متى ظهرَ في بهاء مجده في مجيئه الثاني المخوف والمملوء مجدًا، حينئذٍ "تكون مثله" أي سنقوم بأجسادنا الروحانية الممجدّة المماثلة لجسده الممجّد الذي قام به من بين الأموات لنرى المسيح في مجده. ونحن الآن نحيا في حياتنا على الأرض على رجاء هذا المجد. ورجاؤنا هذا، هو الذي يدفعنا إلى السلوك في الحياة المقدسة الطاهرة متشبهين بحياة السيد المسيح على الأرض الذي أعطانا المثال في القداسة والطهارة "وكل من عنده هذا الرجاء به، يُظهر نفسه كما هو ظاهر".

ويقول القديس بولس الرسول في رسالة كولوسي:

"متى أُظهر المسيح حياتنا، فحينئذٍ تظهرون أنتم أيضًا معه في المجد." (كو ٣: ٤)

"أظهر" هنا أيضًا تعني ظهور المسيح في مجد مجيئه الثاني، "حياتنا" هنا هي صفة للمسيح، فالمسيح هو حياتنا كلنا كما نقول في أوشية الإنجيل، "فحينئذٍ تظهرون أنتم أيضًا معه في المجد" أي تقومون معه في مجد القيامة بالجسد الممجّد.

ويقول القديس كيرلس الأورشليمي عن طبيعة جسد القيامة:

«وبالطبع سيُقام هذا الجسد، ولكن ليس كالجسد الترابي، إذ أنه سيبقى إلى الأبد. فلن يحتاج إلى طعام لكي يحيا، أو سلاّم لكي يصعد، لأنه سيكون روحانيًا، إنه أمر فائق وغير موصوفٍ من حيث قيمته وجدارته.» (القديس كيرلس الأورشليمي)

ويؤكد القديس أغسطينوس على حقيقة أن الجسد الترابي الذي يموت هو نفسه الذي يقوم روحانيًا ممجدًا فيقول:

«إن التغيير لن يكون في جوهر الجسد. وإنما "يُقام جسمًا روحانيًا" بمعنى أنه سيكون في خضوع تام للروح.» (القديس أغسطينوس)

أي أن جسد القيامة ليس جسدًا آخرَ مختلفًا في جوهره عن الجسد المائت، بل هو هو نفسه ولكن بطبيعة جديدة روحانية ممجّدة، على مثال البذرة والنبات. ويشرح القديس أغسطينوس معنى أن الجسد سيكون روحانيًا بأنه سيكون خاضعًا تمامًا للروح. لأن الجسد الأرضي المائت، بعد سقوط الإنسان في الخطية والفساد، صار يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر (غل ٥: ١٧). وصار هدف الجهاد الروحي للإنسان، وهو في هذا العالم، أن يُميت أعمال الجسد الخاطئة لكي يسلك بالروح في حياة القداسة، كما قال القديس بولس الرسول: "لأنه إن عشتُم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد فستحيون" (رو ٨: ١٣). أمّا جسد القيامة فسيكون خاضعًا للروح خضوعًا كاملاً، وبالتالي سيكون غير قابل للسقوط أو للخطية أو للموت، لذلك سيبقى في مجد الملكوت إلى الأبد.

إذاً جميع البشر، الأبرار والأشرار، يموتون بالجسد الترابي الأرضي؛ ثم يقومون في مجيء المسيح الثاني، بنفس أجسادهم ولكن بطبيعة روحانية: الأبرار في مجد يليق بملكوت الله على مثال الجسد الممجّد الذي قام به المسيح، والأشرار في ظلمة وهوان للعذاب في النار الأبديّة المُعدّة لإبليس وملائكته.



٤ - هل الدينونة الأبدية حقيقة مؤكدة؟

٥ - كيف سيدين المسيح المسكونة في مجيئه الثاني؟

٦ - إن كانت مجازاة الأبرار هي حياة أبدية، فهل دينونة الأشرار هي فناؤهم؟

الدينونة الأبدية حقيقة مؤكدة ستتم بواسطة الرب يسوع المسيح في يوم مجيئه الثاني، كما أعلن هو نفسه عن ذلك:

"لأن الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن، لكي يُكرّم الجميع الابن كما يُكرّمون الآب. مَنْ لا يُكرّم الابن لا يُكرّم الآب الذي أرسله." (يو ٥: ٢٢، ٢٣)

وفي ختام عظة القديس بولس الرسول في مدينة أثينا، المُسجَّلة في سفر أعمال الرسل يقول:

"لأنه أقام يوماً هو فيه مُزمع أن يدين المسكونة بالعدل، برجلٍ قد عيّنه، مُقدِّماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات." (أع ١٧: ٣١)

لقد أقام الله الآب يوماً لدينونة المسكونة بالعدل، "برجلٍ" أي بالرب يسوع المسيح ابن الله الذي تجسّد وصار إنساناً، والذي سيقوم بعمل الدينونة. "قد عيّنه" فالرب يسوع هو المعين أو المخصّص أو المكرّس أو الممسوح لإتمام عمل الخلاص، ولذلك هو مسيح الرب. ويُدلّل القديس بولس الرسول في عظته، على أن الرب يسوع المسيح هو الذي سيدين المسكونة بالعدل، بقوله: "مُقدِّماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات"، حيث كلمة "إيماناً" هنا مقصود بها "دليلاً" أو "برهاناً". وبالتالي تكون قيامة الرب يسوع دليلاً على مجيئه الثاني للدينونة، إذ أن الله الآب الذي أقامه من الأموات قد مجّده ليأتي ثانية من أجل الدينونة. فالمسيح الذي جاء لأجل خلاص العالم وانتصر على الموت وعلى

الشیطان وقام من بین الأموات، هو الذي لا بُدَّ أن يأتي ثانيةً ليدین المسكونة، لأنه يعرف الذين قبلوه، والذين رفضوه.

وأيضاً عن الدينونة — كحقيقة مؤكدة — يقول القديس بولس الرسول:

"لأنه لا بُدَّ أننا جميعاً نُظهر أمام كرسيِّ المسيح، لينال كل واحدٍ ما كان بالجسد بحسب ما صنع، خيراً كان أم شراً." (٢كو٥: ١٠)

أي أنه لا بُدَّ أن جميع البشر يقفون أمام كرسيِّ المسيح للدينونة بحسب أعمال كل واحدٍ.

وينقلنا هذا إلى الحديث عن كيفية دينونة المسيح للمسكونة، ولن نجد في الكتاب المقدس عن هذه النقطة أفضل ممَّا قيلَ في بشارة القديس متى الأصحاح الخامس والعشرين:

"ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذٍ يجلس على كرسيِّ مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيُميِّز بعضهم من بعضٍ كما يُميِّز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المُعدَّ لكم منذ تأسيس العالم. لأنني جُعتُ فأطعمتموني. عطِشتُ فسقيتموني. كنتُ غريباً فأويتُموني. عرياناً فكسوتُموني. مريضاً فزرتُموني. محبوساً فأتيتم إليَّ. فيجيبه الأبرار حينئذٍ قائلين يا ربُّ، متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، أو عطشاً فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريباً فأويناك، أو عرياناً فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتيناك إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبني فعلتم. ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدة لإبليس وملائكته، لأنني جُعتُ فلم تُطعموني. عطِشتُ

فلم تَسْقُونِي. كنتُ غريباً فلم تأوونِي. عُرِياناً فلم تكسونِي. مريضاً
ومحبوساً فلم تزوروني. حينئذٍ يُجيبونه هم أيضاً قائلين يارب، متى
رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً
ولم نخدمك؟ فيجيبهم قائلاً الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد
هؤلاء الأصاغر، فَبِي لم تفعلوا. فيمضي هؤلاء إلى عذابٍ أبديٍّ
والأبرار إلى حياةٍ أبديةٍ." (مت ٢٥ : ٣١-٤٦)

يَتَضَح من هذه الآيات أن أساس ومقياس الدينونة سيكون هو المحبة. ولا عجب
في ذلك، فإن كان الله محبة، ونحن مُطَالَبُونَ أن نُشَبِّهَهُ؛ فلا بُدَّ أن يكون أساس تقيمتنا
في الدينونة هو المحبة، ولا سِيَّماً أن السيد المسيح أجاب على سؤال الفريسي عن
الوصية العظمى في الناموس: "فقال له يسوع تحبُّ الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل
نفسك، ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلاً تحبُّ قريبك
كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلَّق الناموس كله والأنبياء" (مت ٢٢ : ٣٧-٤٠).

ويقول قداسة البابا شنودة الثالث إن الرب يسوع المسيح في دينونته سَيَزِنَ قدر
الحب في أعمالنا، وعلى أساسه سيكافئنا.

وفي نهاية هذا الجزء نجد التأكيد على أبدية: سواء المكافأة أو العقاب "فيمضي
هؤلاء إلى عذابٍ أبديٍّ والأبرار إلى حياةٍ أبديةٍ". فإن كان نصيب الأبرار هو حياة
أبدية، فنصيب الأشرار هو عذاب أبدي، وليس مجرد الفناء. ولو كانت نهاية الأشرار
هي الفناء، لكان من السهل عليهم أن يتمادوا في شرهم على أساس أن نهايتهم هي
الفناء.

وفي سفر دانيال نجد تأكيد على قيامة الجسد للدينونة، فالحياة الأبدية في بهاء
المجد للأبرار، والازدراء أو الهوان الأبدي للأشرار:

"وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى
الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي. والفاهمون يَضِيئون

كضياء الجلد، والذين ردُّوا كثيرين إلى البرِّ كالكوكب إلى أبد الدهور.
(١٢١: ٢، ٣)

مع ملاحظة أن كلمة "كثيرون" تعني جميع الراقدين أي جميع البشر.

وإن كانت أجساد جميع الأبرار ستقوم بطبيعة روحانية ممجَّدة، إلاَّ إن هذا لا يعني تساوي الجميع في المجد والبهاء في الأبدية، وهذا ما يكشفه لنا الوحي الإلهي على فم القديس بولس الرسول:

"مجد الشمس شيء، ومجد القمر آخر، ومجد النجوم آخر. لأنَّ نجمًا
يمتاز عن نجمٍ في المجد." (١كو١٥: ٤١)

أي أن كل واحدٍ سينال نصيبًا من المجد والبهاء في الأبدية مختلفًا عن الآخر حسب أعمال محبته على الأرض، لذلك قال السيد المسيح لتلاميذه: "في بيت أبي منازل كثيرة" (يو١٤: ٢).

ومعلِّمنا القديس لوقا البشير أيضًا يؤكِّد على الدينونة قائلاً:

"فقال له بطرس يارب، أَلنَّا نقول هذا المثلَّ أم للجميع أيضًا؟ فقال الرب فَمَنْ هو الوكيل الأمين الحكيم الذي يُقِيمُه سيده على خَدَمِهِ ليعطيهم العُلوَّة^٩ في حينها؟ طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا! بالحق أقول لكم أنه يُقِيمُه على جميع أمواله. ولكن إن قال ذلك العبد في قلبه سيدي يُبطئُ قدومه، فَيبتدئُ يضرب الغلمان والجواري، ويأكل ويشرب ويسكر. يأتي سيد ذلك العبد في يومٍ لا ينتظره وفي ساعةٍ لا يعرفها، فيقطعُه ويجعل نصيبه مع الخائنين. وأمَّا ذلك العبد الذي يَعْلَمُ إرادة سيده ولا يستعدُّ ولا يفعل بحسب إرادته، فيُضْرَب كثيرًا. ولكن الذي لا يَعْلَمُ، ويفعل ما يستحقُّ ضرباتٍ، يُضْرَب قليلًا. فكلُّ

^٩ أي الطعام.

مَنْ أُعْطِيَ كَثِيرًا يُطَلِّبُ مِنْهُ كَثِيرٌ، وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيرًا يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرٍ."
(لو ١٢: ٤١-٤٨)

في هذا الحديث للسيد المسيح نفهم أن جميع البشر هم وكلاء أو ثمنوا على عطايا الله ومواهبه، وعلى أساس أمانتهم فيما أوكل إليهم ستكون دينونتهم. فإما أن يُقاموا على جميع الأموال، أو أن يُجعل نصيبهم مع الخائنين. بالطبع هذا تشبيه لدينونة اليوم الأخير في مجيء المسيح الثاني. وقد سبق أن استوفينا هذه النقطة، ولكن ما يضيفه هذا الحديث هو عدم تساوي حتى الأشرار في عقابهم الأبدي إذ قال السيد المسيح أن هناك نوعين من العبيد الأشرار الذين لا يعملون إرادة سيدهم وبالتالي يستحقون الضربات: النوع الأول هو الذي يعلم إرادة سيده، وهذا يُضرب كثيراً لأنه يعلم ولم يستعد، والنوع الثاني هو الذي لا يعلم إرادة سيده، وهذا يُضرب قليلاً لأنه لا يعلم. فالتعبيران: "يُضرب كثيراً"، و"يُضرب قليلاً" يشيران إلى الاختلاف في درجة العقاب والعذاب الأبدي.

إذاً فكما أن الأبرار يختلفون عن بعضهم البعض في مكافآتهم الأبديّة من حيث المجد والبهاء والأكاليل والقرب من الله، كذلك الأشرار أيضاً يختلفون عن بعضهم البعض في عقابهم الأبدي من حيث الهوان والظلمة والضربات والعذاب. وهذا يتمشى مع القاعدة: "فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيرًا يُطَلِّبُ مِنْهُ كَثِيرٌ، وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيرًا يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرٍ".

ونود أن نتوقف عند هذه النقطة قليلاً لما لنا فيها من منفعة روحية، فنحن كأولاد لله، دُعِيَ اسمنا علينا، قد أخذنا الكثير من المواهب الروحية، بخلاف المواهب الشخصية. لقد أخذنا أن نكون مسيحيين، أخذنا الخلاص، الروح القدس بمواهبه وثماره، الكنيسة وأسرارها وغناها، الكتاب المقدس وكلمة الله، البنوة لله، ... إلى آخره ممّا لا يُحصَى من المواهب سواء في عددها أو في عظمتها. وهذا يُحمّلنا بمسؤولية عظيمة كوكلاء على هذه العطايا والمواهب، مُطالِبِينَ أن نستخدمها ونتاجر بها كوزنات إلهية لحساب مجد الله ولحساب أبديتنا، لكي نوجد أُمْنَاءَ أمام الله عندما نقف

أمامه لنعطي حساب وكالتنا. ليس هدف هذا الكلام هو التخويف أو الترهيب، بل الحثُّ على التدقيق والانتباه والسهر على خلاصنا في يقظة روحية حقيقية.

أخيرًا نختم الحديث عن الدينونة بأحد الأمثلة من أقوال الآباء حول هذا الموضوع للقديس كليمنضس الروماني:

«إن كنا نعمل إرادة السيد المسيح، سنجد راحة. ولكن إن كنا لا نعملها بل نتجاهل وصاياه، لن ينفذنا شيء من العقاب الأبدي.» (القديس كليمنضس الروماني)

إذا ملخص إجابات الأسئلة الثلاثة المطروحة هو أن الدينونة حقيقة مؤكدة لجميع البشر بوقوفهم أمام كرسي المسيح الذي سيدين المسكونة بالعدل بحسب محبة كل إنسان لله وللقريب، لينال الأبرار حياة أبدية، والأشرار عذاب أبدي، وليس فناءً، مع عدم تساوي الجميع سواء في المكافأة أو في العقاب.



٧- هل تتعارض الدينونة الأبديّة للأشرار مع محبة المسيح؟

الله محبة، وقد خَلَقْنَا أصلاً من فيض محبته، وعندما أخطأنا بَذَل ابنه المتجسّد من أجل خلاص جميع البشر، إذ هو "يريد أن جميع الناس يَخْلُصُونَ، وإلى معرفة الحق يُقْبَلُونَ" (١تي ٢: ٤). وهو سيأتي ثانيةً ليدِين المسكونة بالعدل فيأخذ معه الأبرار إلى الحياة الأبديّة، ويذهب الأشرار إلى العذاب الأبدي. ولا يوجد تعارض بين محبة الله اللانهائيّة، وبين الدينونة الأبديّة للأشرار، لأن الإنسان قد خُلِقَ حرّاً على صورة الله، فإذا أصرَّ على اختياره لطريق الهلاك، يكون العذاب الأبدي هو مصيره الذي اختاره لنفسه بكامل حريته وإرادته، ويكون هو المسئول عن هذا المصير. كما لا يكون لله دَخْلٌ في اختيار الإنسان لهذا النصيب المرّ، بينما الله قد أعطى كل أنواع فُرص التوبة لهذا الإنسان. لذلك نوال الإنسان لنصيب العذاب الأبدي لا يتعارض مع محبة الله.

ففي بشارة القديس متى البشير نجد أحد أمثال السيد المسيح عن العبد الذي لم يغفر:

"لذلك يُشَبِّه ملكوت السماوات إنساناً ملكاً أراد أن يُحاسب عبيده. فلماً ابتدأ في المحاسبة قُدِّمَ إليه واحدٌ مديونٌ بعشرة آلاف وزنة. وإذ لم يكن له ما يوفي أمرَ سيده أن يُباع هو وامراته وأولاده وكل ماله ويوفي الدَّيْنَ. فخرَّ العبد وسجد له قائلاً يا سيد، تمهّل عليّ فأوفيكَ الجميع. فتحنَّ سيد ذلك العبد وأطلقه، وترك له الدَّيْنَ. ولمّا خرج ذلك العبد وجَدَ واحداً من العبيد رفقائه، كان مديوناً له بمئة دينارٍ، فأمسكه وأخذ بعنقه قائلاً أوفني ما لي عليك. فخرَّ العبد رفيقه على قدميه وطلبَ إليه قائلاً تمهّل عليّ فأوفيكَ الجميع. فلم يرد بل مضى وألقاه في سجن حتى يوفي الدَّيْنَ. فلماً رأى العبيد رفقائه ما كان، حزنوا جداً وأتوا وقصّوا على سيدهم كل ما جرى. فدعاه حينئذ سيده وقال له أيها العبد الشرير كل ذلك الدَّيْنَ تركته لك لأنك طلبتَ إليّ. أفما كان ينبغي أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتُك أنا؟ وغضبَ سيده وسلّمه إلى المُعَذِّبِينَ

حتى يوفي كل ما كان له عليه. فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحدٍ لأخيه زلاته." (مت ١٨ : ٢٣-٣٥)

ونلاحظ تعليق السيد المسيح في نهاية هذا المَثَل أنه قبل حُكْم الله على الإنسان، فإن الإنسان هو الذي يحكم بالدينونة على نفسه عندما يرفض أن يترك من قلبه لأخيه زلاته. ونلاحظ كلمة "من قلوبكم"، فالمغفرة ليست كلمات نقولها باللسان، بل تترك من القلب لأن الله فاحص القلوب والكُلَى، وهو يكافئ كل واحدٍ على ما في قلبه من محبة. أمّا مَنْ يحمل الكراهية وعدم المغفرة في قلبه، فهو يحكم على نفسه بالدينونة. ولذلك يوصينا سليمان الحكيم في الأمثال: "فوق كل تحفٍّ احفظ قلبك، لأن منه مخرج الحياة" (أم ٤ : ٢٣).

وفي الصلاة الربّانية نقول: "اغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا"، فنحن نطلب المغفرة على أساس مغفرتنا نحن للمسيئين إلينا.

وتُحكى قصة جميلة ومشهورة عن القديس الأنبا ابرآم أسقف الفيوم المتّيح أنه كان يُصالح بين اثنتين متخاصمتين من أفراد شعبه، وإذ رفضا محاولاته للصلح بينهما، طلب إليهما أن يقفا للصلاة. فصلّى معهما الصلاة الربّانية حتى وصل إلى: "واغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا"، فقالها الأنبا ابرآم هكذا: "ولا تغفر لنا ذنوبنا كما لا تغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا". فتأثرا جداً إذ تذكرّا أن عدم مغفرتهم لبعضهما البعض يمنع عنهما مغفرة الله لهما. فخرجا من عنده متصالحين.

هكذا نرى أن الإنسان هو الذي يحكم على نفسه بالدينونة إذا لم يغفر هو للآخرين.

وفي بشارة القديس يوحنا البشير:

"لأنه هكذا أحبّ الله العالم حتى بذلَ ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يُدان، والذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. وهذه هي الدينونة:

إن النور قد جاء إلى العالم، وأحبَّ الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل مَنْ يعمل السيّات يُبغض النور، ولا يأتي إلى النور لئلاَّ تُوبَّخ أعماله. وأمّا مَنْ يفعل الحق فيقبل إلى النور، لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة." (يو ٣: ١٦-٢١)

يؤكد مخلصنا أن إرساليته من قبل الله الآب هدفها ألاَّ يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لكن عدم الهلاك ونوال الحياة الأبدية مشروطان بالإيمان من قبل الإنسان نفسه، حتى أن السيد المسيح قال: "الذي يؤمن به لا يُدان، والذي لا يؤمن قد دين". إذا فالإنسان هو الذي يحكم على نفسه بالدينونة عندما يرفض الإيمان بالله وبخلاصه، إذ يؤكد السيد: "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم". فمجيء المسيح الأول كان هدفه الخلاص لكل مَنْ يؤمن به لينال كمال الخلاص والحياة الأبدية في مجيء المسيح الثاني. أمّا مَنْ لا يؤمن فقد حكمَ على نفسه بالدينونة والعذاب الأبدي في مجيء المسيح الثاني.

ثم يُعرّف السيد المسيح الدينونة تعريفاً رائعاً: "وهذه هي الدينونة إن النور قد جاء إلى العالم، وأحبَّ الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة". يكشف لنا هذا التعريف أن دينونة المسيح للأشرار في مجيئه الثاني لا تعني أنه سيغيّر شكله من منظر المحبة والطف إلى القسوة والصرامة، لأن الله ثابتٌ وليس عنده تغييرٌ ولا ظلٌّ دورانٍ، لكن دينونة الأشرار ستكون بعدم ثبوتهم أمامه. فالمسيح هو نور العالم، أمّا الأشرار فسالكون في الظلمة ويحبّونها، لذلك فقد رفضوا المسيح في مجيئه الأول للخلاص، ولن يثبتوا أمامه في مجيئه الثاني للدينونة. وبالتالي قد حكموا على أنفسهم بالدينونة ليس فقط في مجيء المسيح الثاني، بل برفضهم إياه بمحبتهم وسلوكهم في ظلمة الخطية أثناء حياتهم على الأرض. وهذا ما يؤكده السيد المسيح بقوله: "لأن كل مَنْ يعمل السيّات يُبغض النور، ولا يأتي إلى النور لئلاَّ تُوبَّخ أعماله".

أمّا من جهة الرب يسوع المسيح، فهو يطيل أناته حتى على الأشرار منتظراً رجوعهم إليه بالتوبة القلبية والاعتراف والتناول من جسده ودمه الأقدس، فإذا أصرَّ

الإنسان على رَفْضِ التوبة، ورَفْضِ كشف الخطية وفضحها بالاعتراف، ورَفْضِ أعظم عطية قَدَّمَهَا لنا الرب يسوع وهي جسده ودمه اللذان لنا بهما الخلاص وغفران الخطايا والحياة الأبدية لكل مَنْ يَتَنَاوَلُ منهما؛ فَمَثَلُ هذا الإنسان يكون قد استوفى واستنفد كل فُرْصِ التوبة التي أعطاهَا له الله، وهي كل لحظة من لحظات حياته على الأرض حيث كان باب التوبة مفتوحًا. هكذا يحكم مَثَلُ هذا الإنسان على نفسه بالدينونة الأبدية، وليس المسيح هو الذي يحكم عليه.

وعلى العكس من ذلك الأبرار، إذ يستكمل السيد المسيح حديثه قائلاً: "وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبَلُ إِلَى النُّورِ، لَكِي تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللَّهِ مَعْمُولَةٌ". وتُذَكِّرُنَا هذه الآية بقصة تُحْكِي عن القمص ميخائيل إبراهيم (تتَّيْحُ في ٢٦ مارس ١٩٧٥م) الذي كان إنسانًا بارًا تَقِيًّا. وقد كان قبل سيامته كاهنًا يعمل كاتبًا في أحد أقسام الشرطة. وفي أحد أحاديث مأمور القسم معه أثنى عليه، وعدَّد فضائله من أمانة والتزام ومحبة وغيرها، ولكن مع عيب واحد فقط وهو أنه مسيحيٌّ. فردَّ عليه ميخائيل أفندي بكل لطفٍ مؤكِّدًا أن كل هذه الفضائل التي عدَّدها المأمور هي من المسيح، وبدون المسيح تضيع منه هذه الفضائل كلها.

هكذا الإنسان البار يُقْبَلُ إِلَى النور لكي تتبدَّد من حياته أيَّة ظلمة، وتظهر أعماله أَنَّهَا بِاللَّهِ مَعْمُولَةٌ. وحتى إن أخطأ، فإنه يقدِّم توبةً، بل إن التوبة بالنسبة لأولاد الله هي حياة يمارسونها كل أيامهم على الأرض إلى أن ينالوا ميراثهم في الحياة الأبدية.

وللقديس هيلاري أسقف بواتييه قول جميل يؤكد هذه المعاني:

"يوجد رجاءٌ في رحمة الله سواء في الزمان الحاضر أو في الأبدية. أمَّا التوبة فهي ممكنة في الزمان الحاضر فقط، وليست في الأبدية. ولا توجد توبة عن الخطية في أي وقت آخر سوى الزمان الحاضر. فكل إنسان يمكن له، ويستطيع بإرادته الخاصة خلال حياته على الأرض، أن يختار التوبة بكامل حريته. ولكن عندما نموت فإن حياتنا الأرضية تنتهي، وتنتهي معها إرادتنا." (القديس هيلاري أسقف بواتييه)

فإن الله محبة، وهو رؤوف ورحيم وكثير الرحمة أزليًا وأبديًا. لذلك لنا رجاء في قبوله لتوبتنا ونحن بعد على الأرض، كما في قبوله لنا في الحياة الأبدية في ملكوت السماوات. بالطبع يختص هذا الكلام بأولاد الله السالكين في حياة التوبة. لذلك يضيف القديس هيلاري أن التوبة ممكنة فقط في الزمان الحاضر، وليست في الأبدية، إذ أن الإنسان طالما هو حي على الأرض، فباب التوبة مفتوح أمامه، ويمكنه أن يتوب مترجيًا مراحم الله التي تقبله في الأبدية. أمّا إذا لم يتب وهو بعد حي على الأرض، فلا مجال للتوبة بعد انتهاء أيام الإنسان.

لذلك نقول دائمًا إن أعلى ما يملكه الإنسان هو اللحظة الحاضرة التي يمكنه أن يقدم فيها توبة مقبولة حيث باب التوبة مفتوح. لأن الماضي قد عبر بكل ما فيه ولا نملك أن نسترجع منه شيئًا، والمستقبل لا نعرفه ولا نملك فيه شيئًا، ولا نضمن أصلاً أن نكون موجودين فيه. لذلك تقول إحدى القديسات وتسمى القديسة سارة الراهبة^{١٠}: "إنني لا أضع رجلي على درجة السلم إلا وأتصور أنني أموت قبل أن أرفعها، حتى لا يغرّيني العدو بالأمل في طول الحياة". إذاً كل لحظة يحياها الإنسان على الأرض هي فرصة للتوبة.

هنا قد يسأل أحد: إذا كان الأشرار قد رفضوا التوبة، فلماذا لا يشفع فيهم الرب يسوع المسيح بشفاعته الكفارية ليكفر عن خطاياهم أمام الآب في مجيئه الثاني؟

والإجابة هي: أولاً، إنهم رفضوا التوبة بكامل حريتهم واختيارهم، وأصرّوا على هذا الاختيار مع علمهم بما ينتظر من يرفض التوبة من مصير مؤلم. وحتى لو افترضنا جدلاً أن الأشرار سيعيشون إلى الأبد على الأرض، فإنهم لن يقبلوا الإيمان والتوبة والرجوع إلى الله، لذلك فدينونتهم عادلة.

^{١٠} سيرتها المذكورة في كتاب السنكسار يوم ١٥ برمهات.

أمّا ثانيًا، إن كان المجيء الأول للمسيح في الجسد لأجل إتمام الخلاص، فمجيئه الثاني للدينونة لكي يعطي كل واحدٍ حسب أعماله خيرًا كانت أم شرًّا. فزمان التوبة قد انقضى.

ونذكر تشبيهًا لنياقة الأنبا رافائيل الأسقف العام متعلقًا بالإجابة على هذا السؤال، إذ قال إن شفاعة المسيح الكفّارية فينا أمام الآب تشبه وديعة مالية ضخمة جدًا قد وضعها أبُّ لابنه في البنك، وأعطاه الحق أن يصرف من عائدها الكفيل أن يشتري به كل ما يحتاج إليه. هكذا دم المسيح يطهرنا من كل خطية، فنحن نعتزف أمام الكاهن ونأخذ الحلّ من خطايانا باستحقاقات دم المسيح. أي أن الخطايا تُغفر بحق الدم المسفوك على الصليب، والذي به يشفع فينا المسيح شفاعةً كفّاريةً أمام الآب.

أمّا مجيء المسيح الثاني فيشبه سحب الوديعة من البنك بواسطة الأب، حينئذٍ إذا جاء الابن ليصرف من العائد لن يجد لأن الوديعة سُحِبَتْ. وبالتالي فلا مجال للشفاعة الكفّارية ولا لمغفرة الخطايا. بالطبع لا يعني هذا انقضاء مراحم الله، لكنه يعني أنه قد جاء الوقت ليُكَلَّل الأبرار الذين استفادوا من الوديعة في ملكوت السماوات. أمّا الذين ازددوا بها، وأصرُّوا على رفض الاستفادة منها رغم كل ما أُعطيَ لهم من فُرَصٍ، فَهُم الذين حكموا على أنفسهم بالدينونة الأبدية.

نقول أخيرًا إنه لا تعارض بين الدينونة الأبدية للأشرار مع محبة المسيح، إذ بخلاف أن دينونتهم عادلة، فَهُم الذين حكموا على أنفسهم بالدينونة أولاً بإصرارهم على رفض التوبة والحياة مع الله رغم كل ما يعطيه لهم من فُرَصٍ، حتى إننا نعتبر أن كل لحظة من لحظات الحياة على الأرض هي فرصة توبة.



٨- أين تذهب أرواح الراقدين الآن بعد موتهم بالجسد؟

لقد شرحنا سابقاً أن الموت الجسدي الذي يجتازه جميع البشر يحدث بانفصال الروح عن الجسد، ويوضع الجسد في القبر انتظاراً للقيامة العامة عند المجيء الثاني، أما الروح فتذهب لمكان انتظار حتى يأتي المسيح في مجيئه الثاني. وهناك مكانان لانتظار الأرواح: الجحيم للأشرار، والفردوس للأبرار. وعند مجيء المسيح الثاني، تقوم جميع الأجساد بالطبيعة الروحانية: الأبرار في مجد وبهاء، والأشرار في هوان وظلمة. ثم يتحد كل جسد إنسان قائم من الموت بالروح الخاصة بهذا الإنسان، والتي كانت تنتظر في أحد مكاني الانتظار الجحيم أو الفردوس. ويقف كل إنسان أمام كرسي المسيح للدينونة العامة لينال كل واحد بحسب أعماله: الأشرار عذاب أبدي في جهنم، والأبرار حياة أبدية في ملكوت السماوات أمام عرش الله والخروف يخدمونه نهائياً وليلاً في فرح وتسبيح لا ينقطع.

لقد تحدّث الكتاب المقدس عن فكرة الانتظار، إذ يقول القديس بولس الرسول:
"فهؤلاء كلهم، مشهوداً لهم بالإيمان، لم ينالوا الموعد، إذ سبق الله فنظرَ لنا شيئاً أفضل، لكي لا يكملوا بدوننا." (عب ١١ : ٣٩ ، ٤٠)

فبعدما تكلم عن شخصيات الإيمان في هذا الأصحاح الحادي عشر من الرسالة إلى العبرانيين، وهو الأصحاح المشهور عن الإيمان، ذكرَ أن هذه الشخصيات رغم عظمة إيمانهم، إلا أنهم لم ينالوا موعد الحياة الأبدية في ملكوت السماوات بعد، إذ هم في انتظار حتى نُكَمَّل نحن جهادنا على الأرض، وهكذا من جيل إلى جيل حتى انقضاء هذا الدهر ومجيء المسيح الثاني، لنبدأ جميعاً معاً الدهر الآتي في الأبدية السعيدة. وكان الرسول يوجّه حديثه هذا للعبرانيين مشجّعاً إياهم ليكملوا جهادهم حتى ينالوا هذا النصيب الصالح. وهذا الكلام موجّه لنا نحن أيضاً "إذ سبقَ الله فنظرَ لنا شيئاً أفضل، لكي لا يكملوا بدوننا".

والقديس يوحنا في سفر الرؤيا تحدّث أيضاً عن الانتظار:

"ولمّا فَتَحَ الختم الخامس، رأيتُ تحت المذبح نفوس الذين قُتِلُوا من أجل كلمة الله، ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم، وصرخوا بصوتٍ عظيمٍ قائلين حتى متى أيها السيد القدوس والحق، لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض؟ فأعطوا كل واحد ثياباً بيضاً، وقيل لهم أن يستريحوا زماناً يسيراً أيضاً حتى يكمل العبيد رفقاؤهم، وإخوتهم أيضاً، العتيدون أن يُقتلوا مثلهم." (رؤ ٦: ٩-١١)

فالذين قدّموا حياتهم من أجل الشهادة للمسيح، عندما صرخت نفوسهم لله قائلين: "حتى متى أيها السيد القدوس والحق، لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض؟" حينئذٍ قيل لهم أن تستريح نفوسهم وتنتظر في الفردوس، وهو ما نفهمه من تعبير "فأعطوا كل واحد ثياباً بيضاً، وقيل لهم أن يستريحوا زماناً يسيراً أيضاً حتى يكمل العبيد رفقاؤهم، وإخوتهم أيضاً"، إلى أن تتم الكنيسة المجاهدة جهادها، ممثلة في المؤمنين عبر العصور الذين يجاهدون حتى الدم ضد الخطية والشيطان، ثابتين في الإيمان والشهادة ليسوع المسيح. وهذا ما استكمل به القديس يوحنا حديثه "حتى يكمل العبيد رفقاؤهم، وإخوتهم أيضاً، العتيدون أن يُقتلوا مثلهم".

هذا عن فكرة الانتظار، أمّا عن مكاني انتظار الأرواح، فنجد الحديث الواضح عن الجحيم في قصة الغني ولعازر:

"فرفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ." (لو ١٦: ٢٣)

ونلاحظ أن الكتاب المقدس يذكر بوضوح أن الغني كان في الجحيم، وأن لعازر كان في حضن إبراهيم، وأن هوة عظيمة تفصل بين مكان الغني ومكان إبراهيم ولعازر. ونفهم ضمناً أن مكان إبراهيم ولعازر هو الفردوس.

أمّا الفردوس، كمكان لانتظار الأبرار، فيذكره الرب يسوع المسيح على الصليب:

"فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس."

(لو ٢٣: ٤٣)

ونلاحظ أن الرب يسوع قال للص أنه سيكون معه في الفردوس وليس في ملكوت السموات.

وكما أن هناك مكانين لانتظار الأرواح، هناك أيضًا مكانان لاستقرار جميع البشر بعد قيامة الأجساد العامة في اليوم الأخير. وعن مكان استقرار الأشرار، وهو جهنم، يقول الرب يسوع المسيح:

"ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدر أن يقتلوا، بل خافوا بالحرى من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم." (مت ١٠: ٢٨)

أما كلمة "جهنم" فهي كلمة عبرية الأصل مشتقة من كلمتين هما "جيه" و"هنوم"، ومنعاهما "وادي هنوم". ووادي هنوم^{١١} هو وادٍ حقيقي موجود في جنوب أورشليم. وقد أطلق الكتاب المقدس اسم "جهنم" أي "وادي هنوم" على مكان استقرار الأشرار بعد دينونتهم، لأن وادي هنوم الحقيقي كان يصلح لأن يكون تشبيهًا تصويريًا لحقيقة العذاب الأبدي.

فوادي هنوم كان مسرحًا للعبادات الوثنية المنحرفة، حيث كان الأطفال يُقدّمون فيه كذبائح بشرية لإله العمونيين، الذي يُسمّى "مولوك" أو "ملكوم"، وعندما جاء يوشيا أحد ملوك يهوذا الصالحين أبطل هذه العبادات، ونجّس ذلك الوادي ليصير مزبلة لأورشليم (٢مل ٢٣: ١٠). ولذلك كان يتولّد الدود في هذا المكان لقذارته، فكانوا يُشعلون فيه النار لحرق هذه النفايات ولمنع انتشار الأمراض، وكانت النار لا تُطفأ لما يُلقى فيها باستمرار من زباله أورشليم التي كانت بمثابة وقود للنار. ويُقال أن هذا المكان استُخدم

^{١١} ذُكر "وادي هنوم" في (نح ١١: ٣٠)، كما ذُكر في (يش ١٨: ١٦) باسم "وادي ابن هنوم".

بعد ذلك لإلقاء بقايا الذبائح الحيوانية التي كانت تُقدَّم في الهيكل. ومن هنا نفهم التعبير الذي استخدمه المسيح ثلاث مرات في بشارة القديس مرقس البشير عن عذاب الأشرار في جهنم: "حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ" (مر ٩: ٤٤، ٤٦، ٤٨). هكذا يتضح كيف صار هذا الوادي، بما فيه من قذارة ونفايات ودود ونار بشكل دائم، صالحًا ليكون تشبيهًا تصويريًا للمكان الأخير لاستقرار الأشرار بعد دينونتهم، حتى أن اسم هذا الوادي أُطلق على هذا المكان.

أمَّا ملكوت السماوات مكان الاستقرار النهائي للأبرار مع الرب يسوع المسيح الجالس على عرش مجده، فذكر كثيرًا في الكتاب المقدس، نورد منها على سبيل المثال:

"لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين. لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبدًا. لأنه هكذا يُقدَّم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدي." (٢بط ١: ١٠، ١١)

ويتحدث القديس إيرينيؤس عما يحدث للمسيحيين الأبرار المقدسين لله بعد موتهم بالجسد قائلاً:

"إن أرواح المسيحيين تذهب لمكان غير مرئي، وهو المكان الذي أعده الله لهم، ويظلُّوا هناك حتى القيامة الأخيرة... وبعدئذ، يلبسون أجسادًا ويقومون مرة أخرى (أي بأجسادهم المُجددة) تمامًا كما قام ربنا بنفسه. هكذا سيقفون أمام الله." (القديس إيرينيؤس)

والحديث هنا عن انتظار الأبرار فقط في الفردوس، ثم انتقالهم بعد القيامة في مجيء المسيح الثاني إلى ملكوت السماوات.

هكذا نستخلص أن الأرواح بعد موت الجسد تنفصل عن الأجساد لتنتظر في أحد مكانين: الجحيم لأرواح الأشرار، والفردوس لأرواح الأبرار. ثم بعد القيامة العامة لجميع أجساد البشر في مجيء المسيح الثاني، تتحد الأرواح بالأجساد القائمة ثانية لتستقر في أحد مكانين نهائيين: جهنم للأشرار، وملكوت السماوات للأبرار.

٩- ماذا يحدث لباقي الخليقة في مجيء المسيح الثاني؟

خَلَقَ اللهُ الخليقة في ستة أيام، وفي نهايتها خَلَقَ اللهُ الإنسان كتاج للخليقة، وكرأس لها. وكما قلنا من قبل أن الخليقة كانت خاضعة للإنسان، وكان الإنسان خاضعاً لله. ولمَّا عَصَى الإنسان الله، عَصَتْهُ الخليقة ولم تَعُدْ خاضعةً له. بل ونجد أنه بسقوط الإنسان لُعِنَتِ الأرض بسببه. هكذا نرى قدر الارتباط بين الخليقة كلها وبين الإنسان الذي خُلِقَتْ من أجله الخليقة.

فمع حديثنا عن المجيء الثاني، وعن اكتمال خلاص الإنسان وفدائه، وهو ما نسميه أحياناً التجديد الكامل للإنسان لينال الحياة الأبدية؛ كان لا بدُّ أن نتطرق في الحديث إلى ما يحدث للخليقة أيضاً في ذلك الوقت، وما ينتظرها هي أيضاً من تجديد.

ومن أكثر الأجزاء التي تطرقت إلى موضوع تجديد الخليقة، ما جاء في الأصحاح الثامن من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية:

"فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا. لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله. إذ أُخضِعَت الخليقة للبُطْل - ليس طوعاً، بل من أجل الذي أُخضِعَهَا - على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن".
(رو ٨: ١٨-٢٢)

يبدأ القديس بولس الرسول حديثه في هذا الجزء بأن ما قد يعانيه الإنسان من آلام في الزمان الحاضر أثناء حياته على الأرض، لا يُقَارَن بالمجد المُعدُّ له في الأبدية. فمهما كانت آلام الزمان الحاضر شديدة، فهي تُحَسَب لا شيء بجانب أمجاد الملكوت.

وإن كان الإنسان - رأس الخليقة كلها - يحتمل آلام الزمان الحاضر منتظراً على رجاء أمجاد الأبدية، فكذلك الخليقة - التي سقطت هي أيضاً ولُعِنَتْ بسبب سقوط الإنسان رأسها - تنتظر اكتمال خلاص الإنسان وكمال تجديده، لتتال هي أيضاً

نصيبها من التجديد. ومن هنا ينتقل الحديث إلى الخليفة "انتظار الخليفة يتوقع استعلان أبناء الله"، و"استعلان أبناء الله" يُقصد به تجلي مجد أبناء الله في الأبدية بنوالهم لكمال مجد البنوة وميراث ملكوت السماوات.

ويستكمل الرسول حديثه "إذ أُخضِعَت الخليفة للبُطل – ليس طوعاً، بل من أجل الذي أخضعها – على الرجاء"، "البُطل" أي البطلان أو الفساد أو العدم أو فقدان القيمة، وبالتالي يكون معنى تعبير "أُخضِعَت الخليفة للبُطل" أن الخليفة فسدت وصارت إلى العدم وفقدت قيمتها.

ثم تأتي الجملة الاعتراضية "ليس طوعاً، بل من أجل الذي أخضعها" أي أن فساد الخليفة وفقدانها لقيمتها ودخولها في حالة العدم، لم يحدث من ذاتها أو بسببها أو بإرادتها بل رغماً عنها "ليس طوعاً"، إذ قد وصلت إلى هذه الحالة بسبب الإنسان "الذي أخضعها"، لارتباطها به لأنه رأسها.

ثم تأتي تكملة الجملة الأصلية "على الرجاء". أي أنه إذا حذفنا الجملة الاعتراضية من وسط الجملة الأصلية، فإنها تُقرأ هكذا: "إذ أُخضِعَت الخليفة للبُطل... على الرجاء"، وبالتالي يكون المعنى أنه وإن كانت الخليفة قد فسدت وفقدت قيمتها بسبب خطية الإنسان وسقوطه، إلا أن لها رجاء في التجديد ثانية أيضاً مع الإنسان الذي له رجاء في الخلاص. فالخليفة مرتبطة بالإنسان ارتباطاً وثيقاً، فقد سقطت معه ولها رجاء في التجديد أيضاً معه.

وارتباط الخليفة بالإنسان رأسها يشبه ارتباط الوزارة برئيس الوزراء، فإذا استقال رئيس الوزراء أو أُقيل، فهذا يعني تلقائياً وبالضرورة حلَّ الوزارة، ليُختار رئيس وزراء جديد يُشكّل وزارة جديدة ترتبط به أيضاً.

"لأن الخليفة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله" وهذا هو رجاء الخليفة أن تُعتق من عبودية الفساد والبُطل والعدم الذي صارت إليه، كما أن للإنسان رجاء في أن ينال حرية مجد أولاد الله في ملكوت السماوات بعد عبودية الخطية وحروبها وبعد آلام الزمان الحاضر.

"فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن" أي كما أن المرأة التي تتألم بآلام مخاض الولادة تنتظر المولود، كذلك الخليقة تئن وتتمخض منتظرة تجديدها. وهي تنتظر لأن الإنسان نفسه ينتظر، إذ أنه لم يزل بعد خلاصه الكامل وتجديده الكامل الذي ينتظره في مجيء المسيح الثاني.

والقديس بطرس الرسول تكلم أيضاً في موضوع تجديد الخليقة قائلاً:

"ولكن سيأتي كلص في الليل، يوم الرب، الذي فيه تزول السماوات بضجيج وتحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها. فبما أن هذه كلها تنحل، أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى؟ منتظرين وطالبيين سرعة مجيء يوم الرب، الذي به تنحل السماوات ملتهبة، والعناصر محترقة تذوب. ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة، وأرضاً جديدة، يسكن فيها البر." (٢بط ٣: ١٠-١٣)

أي أنه عند مجيء يوم الرب، حيث يأتي المسيح ثانية في مجده، تنحل الخليقة المادية وتنتهي. ولذلك نحن كأولاد الله لا نضع رجاءنا في الأشياء المادية لأنها زائلة، لكننا نحيا في "سيرة مقدسة وتقوى" لأن رجاءنا في الله وفي الأبدية، كما يقول القديس بولس الرسول: "ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى، بل إلى التي لا تُرى. لأن التي تُرى وقتية، وأما التي لا تُرى فأبدية" (٢كو ٤: ١٨). من أجل ذلك يقول القديس بطرس إننا منتظرون وطالبون سرعة مجيء يوم الرب لننال أكاليل رجائنا. ويختم حديثه بأننا "بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر"، وهذا هو تجديد الخليقة، حيث تنتهي الخليقة المادية وتنحل، لتقوم سماوات جديدة وأرض جديدة، يسكن فيها البر. مع التأكيد على أنه لا السماء الجديدة هي سماء مادية، ولا الأرض الجديدة هي أرض مادية، مثل السماء والأرض اللذين نحيا الآن بينهما.

ويكرّر القديس يوحنا الرائي أيضاً الحديث عن السماء الجديدة والأرض الجديدة قائلاً:

«ثم رأيتُ سماءً جديدةً وأرضاً جديدةً، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مَضَتَا، والبحر لا يوجد في ما بعد. وأنا يوحنا رأيتُ المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلةً من السماء من عند الله مُهيَّأةً كعروسٍ مُزَيَّنةٍ لرجلها. وسمعتُ صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم. وسيمسح الله كل دموعهم من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزنٌ ولا صراخٌ ولا وجعٌ في ما بعد، لأن الأمور الأولى قد مَضَتْ. وقال الجالس على العرش ها أنا أصنع كل شيءٍ جديداً. وقال لي اكتب فإن هذه الأقوال صادقةٌ وأمينةٌ.» (رؤ ٢١: ١-٥)

وأخيراً نورد أحد أقوال القديس يوحنا الذهبي الفم في موضوع تجديد الخليقة:

«إنه (تجديد الخليقة) يشبه مربّيةً تُربّي ابن ملك. عندما ينال الابن سلطان أبيه تتمتع هي معه بالخيرات، هكذا أيضاً بالنسبة للخليقة معنا. ها أنت ترى في كل الأمور أن الإنسان يحتل مركز القيادة، فمن أجله خُلِقَت كل الأشياء.» (القديس يوحنا الذهبي الفم)

يُشَبَّه الذهبي الفم الخليقة بمربّية تُربّي ابن الملك، وابن الملك هو الإنسان. ويقول إنه عندما ينال ابن الملك سلطان أبيه، لا بُدَّ أن المربّية تتمتع بوضعٍ خاصٍّ جداً، إذ هي مربّيته المُقَرَّبَة إليه مثل أمه. هكذا أيضاً الخليقة تنال تجديدها في مجيء المسيح الثاني، عندما ينال الإنسان كمال تجديده بالقيامة الممجّدة في الحياة الأبدية في ملكوت السموات، لأنه "يحتل مركز القيادة، فمن أجله خُلِقَت كل الأشياء".

إذا إن كان الإنسان هو رأس الخليقة، وبسقوطه فسدت هي معه؛ ففي مجيء المسيح الثاني، ينال الإنسان كمال مجد بنوته، وكذلك الخليقة أيضاً تتجدد معه لتقوم سماءً جديدةً وأرضاً جديدةً.



١٠- ما هو الهدف النهائي لخدمة الخلاص؟

إذ نأتي إلى السؤال الأخير في هذا القسم "أظهرت لي إعلان مجيئك"، والسؤال الأخير في موضوعنا العام عن "خدمة الخلاص"، لا بُدَّ لنا من أن نكشف عن هدف هذه الرحلة الطويلة التي تتبناها على مدى صفحات هذا الكتاب. فكل ما سبق أن شرحناه من أعمال إلهية خلاصية كان يهدف إلى أن تعود البشرية إلى حضن الآب السماوي، بعد أن انفصلت عن الله بسبب الخطية، مُثَلَّة في المؤمنين الأمناء الذين ثَبَتُوا في الله حتى نهاية حياتهم على الأرض.

وعودة البشرية إلى حضن الآب لن تتحقق إلاَّ عند مجيء المسيح الثاني، حيث يأتي الرب يسوع المسيح في مجده مع ملائكته القديسين، ويَطْرَحُ الشيطان وجنوده في بحيرة النار والكبريت. ثم ينادي بالقيامة: فيقوم الأبرار للحياة الأبدية في ملكوت السماوات، ويقوم الأشرار إلى العذاب الأبدي في جهنم. هكذا يَمْلِكُ المسيح على الكل، ويضع جميع أعدائه موطناً لقدميه. وبقِيامة الأموات يُبْطِلُ الموت كآخر عدوٍّ للمسيح. حينئذٍ يُسَلِّمُ المسيح المَلِكُ الله أبيه، ويعود المؤمنون الأبرار أعضاء جسد المسيح إلى حضن الآب في خضوع تامٍّ بلا سقوط أو احتمال للسقوط، إذ لا يوجد شيطان أو عدو يحاربهم أو يغويهم أو يخدعهم. وبذلك يتحقق الهدف النهائي لخدمة الخلاص، ويكون الثالوث القدوس الإله الواحد هو الكل في الكل.

ومن أكثر أجزاء الكتاب المقدس التي تكشف لنا عن الهدف النهائي لخدمة الخلاص، وعمَّا يحدث في النهاية عند مجيء المسيح الثاني، هو ما كتبه القديس بولس الرسول في الأصحاح الخامس عشر من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس^{١٢}:

"١٢ فإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ. ٢٢ لِأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. ٢٣ وَلَكِنْ كُلُّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ: الْمَسِيحُ بَاكُورٌ، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ. ٢٤ وَبَعْدَ ذَلِكَ

^{١٢} قمنا بوضع أرقام الآيات في هذا الجزء بالذات، نظرًا لما فيه من بعض الصعوبة، لتسهيل متابعة الشرح.

النهاية، متى سَلَّمَ المَلِكُ لِهَّ الآبِ، متى أَبْطَلَ كلَّ رِياسَةٍ وكلَّ سُلْطانٍ وكلَّ قوَّةٍ. ^{٢٥}لأنَّه يجب أن يَمْلِكَ حتَّى يضع جميع الأعداء تحت قدميِّه. ^{٢٦}آخر عدوٍّ يُبْطَلُ هو الموت. ^{٢٧}لأنَّه أَخْضَعَ كلَّ شيءٍ تحت قدميِّه. ولكن حينما يقول إن كل شيءٍ قد أُخْضِعَ، فواضحٌ أنه غير الذي أُخْضِعَ له الكل. ^{٢٨}ومتى أُخْضِعَ له الكل، فحينئذٍ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أُخْضِعَ له الكل، كي يكون الله الكل في الكل. " (١كو ١٥ : ٢١-٢٨)

قد تبدو بعض الصعوبة في فهم هذه الآيات، ولكننا سنتناولها جزءاً بجزءٍ لنتمكن من شرحها:

"^{٢٩}فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضاً قيامة الأموات. ^{٣٠}لأنَّه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحْيَا الجميع. ^{٣١}ولكن كلَّ واحدٍ في رُتبته: المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح في مجيئه... يمكن اعتبار هذه الآيات مدخلاً للحديث عن بلوغ النهاية في تدبير عمل الخلاص في مجيء المسيح الثاني. فيقول الرسول إنه كما دخل الموت إلى العالم من قِبَلِ خطية إنسانٍ واحدٍ هو آدم الأول أب كل البشر، كذلك القيامة ستكون للجميع من قِبَلِ قيامة إنسانٍ واحدٍ هو يسوع المسيح الإله المتجسّد، آدم الثاني بكر القيامة والخلقة الجديدة. وقد قام المسيح من الأموات بسلطانه الذاتي بالجسد الممجّد، إذ هو البكر والباكورة؛ أمّا المؤمنون باسمه، الثابتون فيه والذين له، فهو لاء سيقومون أيضاً بأجسادٍ ممجّدة، ولكن عندما يناديهم هو في مجيئه الثاني.

"^{٣٢}وبعد ذلك النهاية، متى سَلَّمَ (الابن) المَلِكُ لِهَّ الآبِ... أي أنه بعد مجيء المسيح الثاني والقيامة العامة المذكورة في الآيات السابقة، تأتي النهاية عندما يُسَلَّمَ المسيح المَلِكُ لِهَّ أبيه، حيث تتحقّق غاية وهدف عمل الخلاص كله بمَلِكِ الله الآب على الكل وعودة البشرية إلى حضن الآب ودينونة الشيطان والأشرار. ولكي نفهم كيف نبلغ نهاية رحلة خدمة الخلاص والهدف النهائي لها، وندرك معنى تسليم المسيح المَلِكُ لِهَّ الآب، نتحدّث في ثلاث نقاطٍ رئيسيةٍ جاءت في هذا الجزء من (١كو ١٥):

أ – مُلْكُ المسيح... خضوع كل شيء تحت قدميه

٢٤... متى أَبْطَلَ كل رياسة وكل سلطان وكل قوة. ٢٥ لأنه يجب أن يَمْلِكَ حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه... ٢٦ لأنه أَخْضَعَ كل شيء تحت قدميه. ولكن حينما يقول إن كل شيء قد أُخْضِعَ، فواضح أنه غير الذي أَخْضَعَ له الكل... أولى خطوات بلوغ النهاية هي أن يُبْطَلَ المسيح كل رياسة وكل سلطان وكل قوة، وأن يُخْضَعَ الآب كل شيء تحت قدمي ابنه يسوع المسيح ١٣.

لقد جاء مخلصنا، في مجيئه الأول، في مظهر الضعف مُخْلِياً ذاته آخِذاً شكل العبد، وصُلِّبَ على الصليب ثم تمجَّد بالقيامة والصعود والجلوس عن يمين الآب. ولكن حتى الآن نجد كثيرين يرفضون قبول الإيمان به، كثيرين يرفضون لاهوته وخلصه، وكثيرين أعداء لصلبيه. وحتى الآن هو يعطي الفرصة للجميع للتوبة حتى لهؤلاء الأعداء.

أمّا في مجيئه الثاني، فيأتي في مجده ليدين الجميع، حيث يقف جميع البشر أمام كرسيّ المسيح فيُميِّز بعضهم من بعض كما يُميِّز الراعي الخراف من الجداء: فيكون نصيب الأشرار هو العذاب الأبدي مع الشيطان الذي تَبِعُوهُ أثناء حياتهم على الأرض، أمّا الأبرار فيكون نصيبهم مع المسيح في ملكوته. هكذا يكون المسيح قد أَخْضَعَ جميع أعدائه تحت قدميه: الشيطان والأشرار الذين تَبِعُوهُ. ويكون أيضاً قد مَلَكَ على الأبرار، الذين آمنوا باسمه، وصاروا أعضاء جسده. وقد كان هؤلاء الأبرار يُحَارَبُونَ بحروب الشيطان ويسقطون ثم يقومون متمسكين بالتوبة والرجاء في المسيح. هؤلاء يَمْلِكُ عليهم المسيح ليصيروا معه أمام عرشه يخدمونه نهائياً وليلاً إلى الأبد بدون

١٣ قيل في الكتاب المقدس أن الآب هو الذي أَخْضَعَ كل شيء لابنه يسوع المسيح، وذلك بحسب تجسّد الابن؛ أمّا بحسب لاهوت الابن، فالآب والابن واحد، وإن كان الآب هو الأصل والمصدر في الثالوث كما سبق أن شرحنا.

سقوط أو حروب روحية أو حتى احتمال للسقوط. حينئذ تتحقق نبوة داود النبي^{١٤} التي تقول إن الآب قد "أخضع كل شيء تحت قدميه (قدمي المسيح)"^{١٥}.

لقد أشار القديس بولس الرسول إلى هذه النبوة أيضاً من مزامير داود في رسالته إلى العبرانيين مرتين، المرة الأولى في الأصحاح الثاني:

"أخضعت كل شيء تحت قدميه. لأنه إذ أخضع الكل له لم يترك شيئاً غير خاضع له. على أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مُخضعاً له."
(عب ٢: ٨)

"أخضعت كل شيء تحت قدميه..." هذه هي النبوة من مزامير داود النبي، ويقتبسها القديس بولس الرسول، وهي عن المسيح الذي سيخضع له الله الآب كل شيء تحت قدميه.

"لأنه إذ أخضع الكل له لم يترك شيئاً غير خاضع له..." هذا تعليق القديس بولس الرسول على النبوة السابقة، فهو يؤكد بأن الله الآب لم يترك شيئاً غير خاضع تحت قدمي ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا.

"على أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مُخضعاً له..." "الآن" كما شرحنا من قبل تعني هذا الدهر الحاضر^{١٦}. إذاً إن كانت النبوة تقول بأن الآب أخضع كل شيء وكل

^{١٤} مز ٨: ٦، مز ١١٠: ١

^{١٥} أمّا تكملة الآية: "ولكن حينما يقول إن كل شيء قد أخضع، فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل"، فهي جملة اعتراضية ذكرها القديس بولس الرسول لنلا يظن أحد أنه عندما قيل إن الكل يخضع للمسيح ابن الله، أن الآب هو أيضاً سيخضع للمسيح الابن. وهو ما لا يمكن أن يحدث لأن الآب هو المصدر للكل، وهو المولود منه الابن ولادة أزلية، والمنبثق منه الروح القدس أيضاً منذ الأزل. لذلك يمكن أن نقرأ هذه الآية هكذا: "ولكن حينما يقول (الروح القدس على فم داود النبي في المزمور): 'إن كل شيء قد أخضع (للمسيح بواسطة الآب)'. فواضح أنه غير (أي يُستثنى من كل الأشياء التي ستخضع) الذي أخضع له الكل (أي الآب الذي أخضع الكل للمسيح الابن)". إذاً المقصود بهذه الجملة الاعتراضية أنه وإن كان الابن يملك على كل شيء ويخضع له الكل، إلا أن الآب يُستثنى من هذا الكل، لأنه هو الذي سيُسلم له المسيح الابن المَلِك "كي يكون الله (الثالوث القدوس) الكل في الكل".

^{١٦} انظر ص ٤٠٠، ٤٠١.

الأعداء تحت قدمي الابن، إلا أن ذلك لا ينطبق على الدهر الحاضر، بل على الدهر الآتي عند مجيء المسيح الثاني.

والمرّة الثانية في الأصحاح العاشر:

"وأما هذا فبعدما قدّم عن الخطايا ذبيحةً واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله، مُنتظراً بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطئاً لقدميه."
(عب ١٠: ١٢، ١٣)

هنا يتحدّث القديس بولس الرسول عن ربنا يسوع المسيح الذي قدّم ذاته ذبيحةً من أجلنا، ثم صعد إلى السماوات وجلس إلى الأبد عن يمين الله. وإذ ليس الكل بعد خاضعاً للمسيح في هذا الدهر الحاضر قال القديس بولس الرسول عن المسيح: "مُنتظراً بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطئاً لقدميه"، أي إنه مازال ينتظر أن توضع أعداؤه موطئاً لقدميه، وهو ما لن يحدث إلا في مجيئه الثاني، حيث يأتي في بهاء مجده مع ملائكته القديسين وستنظره كل عين والذين طعنوه. حينئذٍ فقط توضع أعداؤه موطئاً لقدميه.

ب – إبطال الموت

"آخر عدوٌّ يُبطل هو الموت"... أي أن المسيح في مجيئه الثاني للدينونة سينادي بالقيامة "يسمع جميع الذين في القبور صوته" (يو ٥: ٢٨)، فيقوم الأبرار خاضعين للمسيح بفرح إلى الحياة الأبدية، ويقوم الأشرار خاضعين للمسيح بخوف ومذلة إلى العذاب الأبدي. ويُدان الشيطان وكل جنوده الشريرة. وبقیامة جميع البشر من الموت، يكون الموت قد غلبَ وبطلَ نهائياً كآخر عدوٍّ يُغلب ويُوضع تحت قدمي المسيح في مجد مجيئه الثاني.

وعن إبطال الموت كآخر عدوٍّ يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:

«(الموت) كيف يكون الأخير؟ بعد الكل، بعد الشيطان، بعد جميع الأشياء الأخرى؟ لأنه هكذا في البداية أيضاً جاء الموت أخيراً، حيث

جاءت مشورة الشيطان أولاً، ثم عصياننا، وبعد ذلك الموت. إذاً تقديرًا
هو بالحقيقة قد أُبطل الآن، أما في الواقع (فإنه سيُبطل) في ذلك
الوقت.» (القديس يوحنا الذهبي الفم)

أي أنه وإن كنا نقول الآن في هذا الدهر الحاضر أن الموت قد أُبطل، فهذا صحيح
"تقديرًا"، لأن المسيح قد قام من الموت وانتصر عليه، وصرنا نحن نموت ولكن على
رجاء القيامة في مجيء المسيح الثاني. أمّا إبطاله بالكامل وغلبته النهائية ستكون في
مجيء المسيح الثاني عندما يسمع جميع الذين في القبور صوته، حينئذٍ يقوم جميع
البشر من الموت. هكذا يكون الموت قد غلب وأبطل نهائيًا.

ج — خضوع الابن للآب... تسليم الملك للآب

^{٢٨}ومتى أخضع له الكل، فحينئذٍ الابن نفسه أيضًا سيخضع للذي أخضع له الكل،
كي يكون الله الكل في الكل... إذ ملك المسيح على الكل، ووُضع جميع أعدائه موطئًا
لقدميه وآخرهم الموت "أخضع له الكل"، فحينئذٍ يخضع الابن (المسيح) نفسه لله الآب
الذي أخضع الكل للابن.

وهنا نتوقف لنشرح معنى خضوع الابن للآب:

أولاً: خضوع الابن للآب لا يعني أبدًا أنه كان هناك نوعٌ من الصراع بينهما، كما
لا يعني أيضًا أن الابن لم يكن خاضعًا للآب في أي وقتٍ من الأوقات، ثم سيخضع له
بعد ذلك.

ثانيًا: من جهة لاهوت الابن، فهو والآب واحدٌ، وهو مساوٍ للآب في الجوهر. فلا
مجال للحديث عن أن الابن لم يكن خاضعًا للآب.

ثالثًا: من جهة تجسّد الابن، لقد رأينا في القسم الثاني كيف كان المسيح خاضعًا
لِلآب في تجسّده، في حياته المقدسة على الأرض، في قبوله للآلام، وفي صليبه. وإذا

كان قد قيل عن الرب يسوع المسيح إنه كان خاضعاً لأمه بالجسد العذراء مريم وللقديس يوسف البار خطيبها، فكيف يمكن أن يكون غير خاضع لله الآب؟!!

إذاً لا يمكن أن يكون معنى خضوع الابن للآب في نهاية الأزمنة، الذي ذكره القديس بولس الرسول، أن الابن لم يكن خاضعاً للآب في أي وقتٍ من الأوقات.

ولكن المعنى المقصود هو أن الأبرار المؤمنين بالمسيح الذين هم أعضاء جسده، الذي هو الكنيسة، هم الذين سيخضعون للآب خضوعاً كاملاً عند مجيء المسيح الثاني. فعلى الرغم من كونهم أبراراً أمام الله، وعلى الرغم من خضوعهم له، إلا أنهم في حياتهم على الأرض كان خضوعهم لله خضوعاً نسبياً جزئياً، إذ كانوا يسقطون في الخطية — عصيان الله — بسبب حروب الشيطان، لكنهم كانوا يقدمون توبةً على رجاء المغفرة بدم المسيح، مع الالتزام باليقظة الروحية والسهر والانتباه لأن إبليس خصمهم كأسدٍ زائرٍ يجول ملتصقاً بمن يبتلعه. أما بعد مجيء المسيح ودينونة إبليس والأشرار، فلا شيطان، ولا حروب، ولا خطية، بل خضوعاً كاملاً ومطلقاً لله.

هذا الخضوع الكامل من قبل الأبرار المخلصين، الذين هم أعضاء جسد المسيح، يُحسب أنه خضوعاً من المسيح لله الآب. وهذا هو مفهوم خضوع الابن للآب.

ويوضح القديس غريغوريوس النيسي هذا المفهوم في قولٍ مختصرٍ له:

«خضوع جسد الكنيسة يُنسب إلى الابن الذي اتحد بالطبيعة الإنسانية.»

(القديس غريغوريوس النيسي)

ويؤكد نفس هذا المعنى في قولٍ آخر له:

«ولا توجد طريقة أخرى لاتحاد أحد بالله إن لم يصِر جسداً واحداً معه،

كما يقول القديس بولس. بمعنى أننا عندما نتحد معاً في جسدٍ واحد،

نصير جميعاً جسد المسيح الواحد. إذاً عندما يسود الصلاح على

الجميع، فحينئذ كل جسد الإنسان سيخضع للقوة المُحيية، وهكذا فإن خضوع جسده يُقال عنه بأنه خضوعٌ للابن الذي اتحد بالكنيسة التي هي جسده.» (القديس غريغوريوس النيسي)

يبدأ القديس غريغوريوس حديثه عن اتحادنا في جسد المسيح بالمعمودية أثناء حياتنا على الأرض في الدهر الحاضر لنصير أعضاء في جسد المسيح. ثم ينتقل إلى الحديث عن الدهر الآتي عند مجيء المسيح الثاني بقوله: "عندما يسود الصلاح على الجميع، فحينئذ كل جسد الإنسان سيخضع للقوة المُحيية"، ولن يسود الصلاح إلا عندما يأتي المسيح ثانيةً ويملك على الكل، حينئذ يخضع له الكل: الأشرار خضوع الخوف والمذلة للدينونة، والأبرار خضوع الفرح والحب للحياة الأبدية. وحينئذ فقط نستطيع أن نقول أن خضوع الأبرار لله هو خضوعٌ كاملٌ. وحيث أن هؤلاء الأبرار هم أعضاء جسد المسيح، إذاً نستطيع أن نقول أن المسيح قد خضع للآب. وهذا ما يقوله القديس غريغوريوس في تكملة حديثه: "وهكذا فإن خضوع جسده يُقال عنه بأنه خضوعٌ للابن الذي اتحد بالكنيسة التي هي جسده".

وفي قولٍ شاملٍ لقداسة البابا شنودة الثالث — أطال الله حياته بموفور الصحة والعافية — عن موضوع خضوع الابن للآب^{١٧}:

«إن السيد المسيح أخذ جسداً خضع فيه لله الآب. وقدّم لنا الأمثلة، حتى كما سلك نسلُك نحن أيضاً (١يو ٢: ٦). ولكن لم يتم خضوعنا بعد. لا تزال إرادة الناس حرة، وبحريتهم قد يكسرون وصايا الله. السيد المسيح كإنسان قدّم خضوعه للآب. ولكن البشرية — التي هي جسده — لم تخضع بعد. لذلك أعطى رسله "خدمة المصالحة"، لكي يُنادوا اصطلاحوا مع الله (٢كو ٥: ٢٠). في هذه المصالحة يخضع المؤمنون لله، ويكونون أهلاً لأن يقدم السيد خضوعهم للآب قائلاً له:

^{١٧} نقتبسه عن مقالٍ لقداسته نُشرَ في مجلة الكرازة بتاريخ ٣٠ يونيو ١٩٩٥م، نقلاً عن كتاب "أحداث المجيء الثاني" للشماس الدكتور/ إميل ماهر إسحق (حالياً القمص شنودة ماهر) ص ١٤٧.

تفضلَ أيها الآب خضوع أعضائي، خضوع جسدي هذا، الذي هو الكنيسة.» (قداسة البابا شنودة الثالث)

ويقول أيضاً القديس غريغوريوس النيسي:

«إذاً قد صار واضحاً من خلال كل ما قلناه، أن المعنى الذي يقصده الرسول بولس في هذا الجزء من الرسالة إلى كورنثوس بخصوص خضوع الابن للآب، هو الإعلان بكل وضوح عن معرفة الله والخلص الذي تحقق لكل الطبيعة الإنسانية.» (القديس غريغوريوس النيسي)

أي أن خضوع الابن للآب بجسده الذي هو الكنيسة معناه الإعلان بكل وضوح عن وصول الطبيعة البشرية إلى كمال الخلاص وكمال معرفة الله. ليست معرفة عقلية أو نظرية، بل معرفة اختبارية قريبة جداً، بالوجود في حضن الآب السماوي والتمتع بشركة الثالوث القدوس كهدفٍ نهائيٍّ لقصة الخلاص.

وبخضوع المؤمنين الأبرار الخضوع الكامل لله الآب، تكون البشرية قد عادت إلى حضن الآب ثانيةً بحسب مشيئته الصالحة بعد أن تغرّبت عنه بالخطية والسقوط، وبهذا يكون "الله الكل في الكل"^{١٨}، أي المالك على الكل. وهذا هو الهدف النهائي لخدمة الخلاص التي أتمّها مخلصنا الصالح ربنا يسوع المسيح.

وأخيراً، نستشهد بما قاله القديس بطرس الرسول في عظته في الهيكل، والمُسجَّلة في سفر أعمال الرسل:

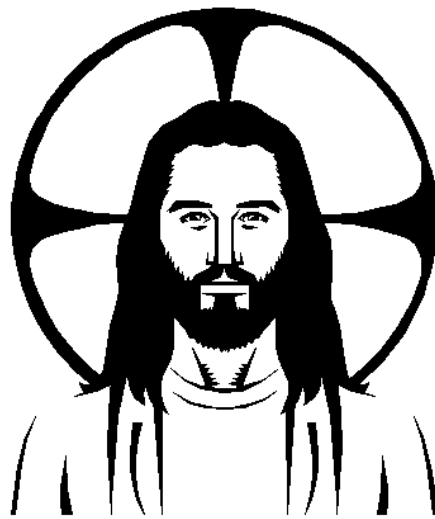
"فتوبوا وارجعوا لتُحمى خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب. ويُرسَل يسوع المسيح المُبشِّرُ به لكم قبلُ. الذي ينبغي أن

^{١٨} لا يشير هذا التعبير إلى أقنوم الآب وحده، بل إلى اللاهوت الخاص بالثالوث القدوس.

السماء تَقْبَلُهُ إِلَى أَزْمَنَةِ رَدِّ كُلِّ شَيْءٍ، الَّتِي تَكَلَّمَ عَنْهَا اللَّهُ بِفَمِّ جَمِيعِ
أَنْبِيَائِهِ الْقَدِيسِينَ مِنْذُ الدَّهْرِ. " (أَع ٣: ١٩-٢١)

فهو يدعو اليهود الذين كانوا في الهيكل إلى التوبة من أجل نوال مغفرة الخطايا، ليكون لهم نصيبٌ صالحٌ مع المسيح، الذي سيرسله الآب من السماء ثانيةً، والذي صعدَ إلى السماء، ويبقى هناك إلى أن يأتي في مجيئه الثاني. وقد سمَّى الوحي الإلهي، على فم القديس بطرس الرسول، هذا الوقت "أزمنة رَدِّ كُلِّ شَيْءٍ". أي رجوع كل الأشياء إلى وضعها الصحيح، حيث يدان الشيطان والأشرار، ويُبطل الموت، ويضعُ المسيح جميع الأعداء تحت قدميه ويملك على الكل. ثم يُسلم المسيح المُلكَ لله الآب، فتعود البشرية مرَّةً ثانيةً إلى أحضان الآب السماوي بحسب مشيئته الصالحة.

هكذا تكتمل هذه القصة الجميلة قصة خلاصنا، وهذه الخدمة المباركة التي أكملها مخلصنا الصالح ربنا يسوع المسيح من أجل محبته ومحبته أبيه الصالح والروح القدس للبشرية. وهكذا نصل إلى قمة وهدف هذه الرحلة المباركة، التي نطلب برجاءٍ من إلهنا الصالح أن نتمم نحن خلاصنا بخوفٍ ورعدةٍ، لننال هذا النصيب الصالح معه في ملكوته.



الاستنتاجات

١. جاء المسيح مرةً مُتَجَسِّدًا لأجل إتمام عمله الخلاصي بالصليب والقيامة والصعود، ويجيء ثانيةً — مجيئًا مسبقًا بعلاماتٍ — بمجدٍ عظيمٍ لكي يُعطي الثابتين فيه للنهاية الخلاص الأبدي الذي نالوا عربونه على الأرض بعمل الروح القدس فيهم. وهكذا يصل عمل الخلاص إلى كماله.
٢. إذ لا يصل عمل الخلاص إلى كماله إلا بمجيء المسيح الثاني، فإن جميع البشر يجتازون الموت بانفصال النفس عن الجسد لأن الموت لم يُبطل بعد. هكذا يرقُد المؤمنون على رجاء القيامة.
٣. كما جَبَلَ الله الإنسان من تراب الأرض، فهكذا يقيم جسده الذي رقد في التراب هو هو بعينه، ولكن بطبيعة جديدة روحانية مُمَجَّدة على مثال جسد المسيح القائم، لكي يعود ويتحد ثانيةً بالنفس التي انفصل عنها، والتي كانت في الانتظار: في الجحيم للأشرار، وفي الفردوس للأبرار.
٤. يقف كل إنسانٍ كاملاً بنفسه وجسده القائم أمام كرسيِّ المسيح ليُعطي حسابًا عن أعماله، خيرًا كانت أم شرًا، إذ أن الجسد الذي اشترك مع النفس في الحياة على الأرض، لا بُدَّ من أن يشترك معها في الحياة الأبدية في ملكوت السموات للأبرار أو في العذاب الأبدي في جهنم للأشرار بحسب دينونة المسيح العادلة.
٥. كما دَخَلَ إلى العالم الفساد واللعنة بخطية الإنسان، فهكذا بتجديد الإنسان — بكمال الخلاص في القيامة العامة — تتجدد الخليقة كلها.
٦. تبلغ قصة خدمة الخلاص غايتها النهائية بمجيء المسيح الثاني والقيامة العامة، التي بها يصير إبطال الموت كآخر عدوٍّ. حينئذٍ يَخضع الكل للمسيح، الذي يصير مَلِكًا على الكل. ثم يُسَلَّم المسيح المَلِكُ لله الآب، إذ يقدِّم إليه الكنيسة — التي هي جسده — في خضوع الحب. وهذا هو المقصود بخضوع الابن للآب. وبذلك تكون البشرية قد عادت ثانيةً إلى حضن الآب بحسب المشيئة الإلهية.



خاتمة

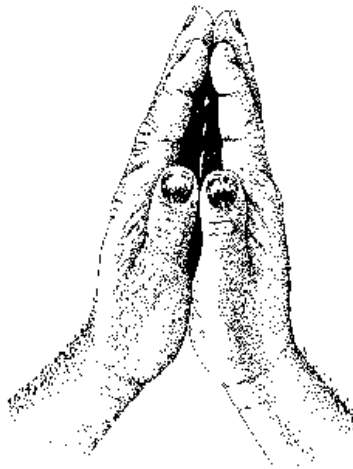
ما أسعدنا نحن المسيحيين بهذا الخلاص الثمين، وهذا الإيمان الغالي! إن إيماننا المسيحي ليس هو مجرد إيمان آبائنا الذي وراثناه عنهم، إذ قد وُلدنا من أبوين مسيحيين، بل يجب أن يكون إيماناً واختياراً شخصياً. فعلى الرغم من أن غالبيتنا قد وُلدوا في الإيمان المسيحي، واعتمدوا وهم بعد أطفال لا يملكون إي إدراك للإيمان، إلا أنه يجب علينا — وقد صرنا ناضجين من جهة السن والفكر والإدراك — أن نعرف إيماننا حق المعرفة.

لقد نشأنا جميعاً في الكنيسة، ومع ظهور حركة مدارس الأحد وتأثيرها الكبير، انتشر التعليم المسيحي وصار لدينا الكثير من المعلومات المتعلقة بالإيمان. لكن ما زال الأمر يحتاج إلى مزيد من وضوح الرؤية وتكاملها حول الإيمان المسيحي، على الأخص بالنسبة للشباب الذي يتعرض للكثير من الأسئلة سواء يتساءلها في داخل نفسه، أو تُطرح عليه من الخارج. لذلك يجب أن تكون لنا رؤية واضحة عن إيماننا المسيحي تجعلنا ثابتين راسخين غير متزعزعين، وتجعلنا مستعدين لمجابهة كل مَنْ يسألنا عن سبب الرجاء الذي فينا.

لقد بدأنا دراستنا عن "خدمة الخلاص" منذ نحو السنتين والنصف ونحن نهدف إلى تقديم إيماننا المسيحي الأرثوذكسي من خلال أسئلة مثارة، وإجابات كتابية آباءية. ونشهد إننا مع انتهائنا من هذه الدراسة الشيقة والرحلة المباركة، قد وصلنا إلى ما يرقى لمستوى الاكتشاف: كم أن إيماننا المسيحي شديد الترابط والتماسك! بمعنى أنه إذا تتبّعنا حقائق الإيمان المسيحي، بدءاً من الخلق إلى نهاية الأزمنة ومجيء المسيح الثاني، نجد أنها ترسم صورة متكاملة شديدة الترابط والحبك وبلا ثغرات على الرغم مما يحويه الإيمان من حقائق تفوق إدراك العقل البشري. وهذا ما ينفي الفكرة الخاطئة التي لدى البعض من المسيحيين أن الإيمان المسيحي يصعب فهمه أو إدراكه أو شرحه

أو تقديمه للآخرين. لقد كنّا نعلم ونثق بحقيقة ترابط وتماسك إيماننا، لكن ليس بالقدر الذي توصلنا إليه بعد الانتهاء من هذه الدراسة.

لذلك نتمنى أن يشترك معنا كل مؤمن في إدراك هذه الحقيقة، لكي يشعر بعظم هذه العطية أن ندعى مسيحيين، وأن نحيا هذا الخلاص الثمين، وأن يكون لنا رجاء في الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل المحفوظ لنا في السماوات. وليس ذلك فقط بل أن يتحوّل هذا الإدراك إلى خبرة عملية مُعاشة من خلال الحياة المقدسة التقوية مع الله، ومن خلال الحياة الكنسية التي بها نختبر الإيمان عملياً، ومن خلال حياة القديسين الذين اختبروا طريق الخلاص وأكملوا السعي، لنتمثّل نحن بإيمانهم وحياتهم.



ملحق الفهارس

مختصر سير الآباء المذكورين في هذا الكتاب

أثناسيوس، البابا (٢٩٧ - ٣٧٣):

هو بابا الإسكندرية العشرون. كان شماساً في الإسكندرية وقت انتشار بدعة أريوس، وشارك مع البابا ألكسندروس في مجمع نيقية المسكوني. أصبح بطريركاً سنة ٣٢٨م وكان له دورٌ كبيرٌ في دحض البدعة الأريوسية.

أرسانيوس، القديس (٣٥٤ - ٤٤٠):

كان مُعلِّمٌ ذائع الصيت في روما، فسلمه الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير ابنه لكي يعلمهما، لذلك اشتهر بلقب "معلِّم أولاد الملوك". اشتاق إلى حياة الرهينة، فترك العالم وذهب إلى وادي النطرون ليتربَّه، وصار أحد كبار آباء الرهينة، وعُرف بمحبته للهدوء والصمت.

أغسطينوس، القديس (٣٥٤ - ٤٣٠):

كان أسقفًا لهيبو، بدأ حياته كإنسان وثني بعيد عن الله، إلّا أنه بعد التقائه بالقديس أمبروسيوس بدأت حياته تتغيَّر إلى أن اعتمد سنة ٣٨٧م. صار أحد أشهر آباء الكنيسة وساهم في دحض الكثير من الهرطقات، اشتهر بغزارة مؤلفاته إذ بلغت حوالي ٢٣٢ كتاباً.

أغناطيوس الأنطاكي، الشهيد (٣٠ - ١١٠):

هو أحد الآباء الرسولين، وُلِدَ في سوريا وصار أسقفًا لأنطاكية حوالي سنة ٧٠م. استشهد عن طريق إلقاءه للوحوش الضارية في روما بأمر من تراجان الامبراطور. أرسل سبع رسائل رعوية لعدد من الكنائس، واشتهر بتأسيسه لنظام العبادة في كنيسة أنطاكية.

أنطونيوس، القديس (٢٥١ - ٣٥٥):

هو مؤسس الرهبنة، لذلك حَمَلَ لقب "أبو الرهبان". بدأ حياته الرهبانية سنة ٢٦٩م تاركاً كل شيء وراءه، ومنذ سنة ٣٠٥م بدأ ينظّم ويرعى الكثيرين ممّن جاءوا إليه طالبين السكنى معه. نال شهرة ومحبة واسعة سواء على مستوى الشعب أو القيادات الحاكمة في عصره. كان له دورٌ كبيرٌ في دعم القديس أناسيوس في حربه ضد الأريوسية.

أوريجانوس، العلامة (١٨٥ - ٢٥٤):

كان أحد رؤساء مدرسة الإسكندرية. وقد تتلمذ على يد القديس كليمنضس الإسكندري، ثم تولّى إدارة مدرسة الإسكندرية من بعده. نال شهرة واسعة بسبب تفسيراته للكتاب المقدس ومؤلفاته العديدة. ووُجِدَتْ، بعد وفاته، بعض الأخطاء في كتاباته.

إيرينيئوس، القديس (١٣٠ - ٢٠٠):

كان أسقف ليون في فرنسا. تتلمذ على يد القديس بوليكرابوس أسقف سميرنا. وقد اشتهر بلقب "أبو التقليد الكنسي" بسبب نقاوة تعاليمه.

باسيليوس الكبير، القديس (٣٢٩ - ٣٧٩):

سيم رئيساً لأساقفة كبادوكية سنة ٣٧٠م، يُعتَبَر أحد كبار آباء الكنيسة ومعلميها. كان له دورٌ كبيرٌ في دحض الكثير من البدع والهرطقات أشهرها الأريوسية. له الكثير من الكتابات العقائدية والتفسيرية بالإضافة إلى عدد كبير من الرسائل والقوانين النسكية، وهو صاحب القداس الباسيلي الذي تُصَلَّى به الكنيسة القبطية.

ترتليان، العلامة (١٦٠ - ٢٣٠):

أحد الآباء المدافعين، ويُعتَبَر أب علم اللاهوت في الكنيسة اللاتينية. وُلِدَ في قرطاجنة بشمال إفريقيا. دَرَسَ القانون والبلاغة واشتغل بهما لفترة إلى أن اتجه للمسيحية وكرّس كل طاقاته لها، ويُقال إنه قد سيمَ كاهناً. وقد ترك العلامة ترتليان الكثير من المؤلفات والكتب.

ثاؤنا، البابا (٢٤٠ - ٣٠٠):

هو بابا الإسكندرية السادس عشر، ارتقى كرسي البطريركية سنة ٢٨٢م خلفاً للبابا مكسيموس. وفي عهده تمّ بناء أول كنيسة في الإسكندرية يُصَلِّي فيها المسيحيون علناً. اشتهر برسائله إلى كبار الموظفين في الدولة الرومانية ممّن اعتنقوا المسيحية، يحثّهم فيها على الاتضاع والأمانة في العمل.

ديديموس الضير، القديس (٣١٣ - ٣٩٨):

تولّى إدارة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية سنة ٣٤٦م، عُرف عنه شِدّة علمه ونسكه. تتلمذ على يديه الكثير من الآباء القديسين أمثال جيروم وغريغوريوس النزينزي، كما كانت له صداقة مع القديس أنطونيوس الكبير. يُعتَبَر أول من اخترع طريقة الكتابة بالحروف البارزة. قام بعمل تفسير كامل لأسفار الكتاب المقدس، بالإضافة إلى العديد من الكتابات والمؤلفات الأخرى.

سارة، الأم (القرن الرابع):

هي راهبة قديسة من الصعيد، ترهّبت في أحد أديرة الراهبات، ثم توحّدت بجوار النهر لمدة ستين عاماً. ذاع صيت حكمتها حتى إن الكثيرين توافدوا عليها طلباً للبركة الروحية. لها الكثير من الأقوال الواردة في بستان الرهبان. تتيجت وعمرها ثمانون عاماً.

صفرونيوس، الأب (القرن الثامن):

من آباء الرهبنة في أديرة جبل الطير جهة المنيا. عاش في القرن الثامن الميلادي. له عدة مؤلفات باللغة القبطية عن أمور عقائدية وروحية مختلفة.

غريغوريوس النيسي، القديس (٣٣٠ - ٣٩٥):

سيم أسقفًا على مدينة نيصص سنة ٣٧٣م على يد أخيه القديس باسيليوس الكبير لكي يعاونه في مواجهة التيار الأريوسي، يُعتَبَر أحد كبار آباء الكنيسة. تعرَّض للنفي على يد الامبراطور فالنس الأريوسي بالإضافة لمضايقات كثيرة من الأريوسيين. اتَّسمت كتاباته بالعمق والروحانية، وتعدَّدت ما بين العقدي والتفسيري، وقد نالت كتاباته ضد الهرطقة أونوميوس ومقدونيوس شهرة واسعة.

فيكتورينوس، الشهيد (استشهد ٣٠٣):

كان أسقفًا لمدينة بيتوه. كَتَبَ العديد من المؤلفات التفسيرية، وقد اشتهر كمفسِّرٍ لسفر الرؤيا بشكل خاص، تأثَّر به كثيرًا القديس جيروم. قاوم الكثير من الهرطقة في عصره إلى أن استشهد في عهد دقلديانوس سنة ٣٠٣م.

كبريانوس، الشهيد (٢٠٠ - ٢٥٨):

صار أسقفًا على قرطاجنة بشمال افريقيا سنة ٢٤٩م، وصار اللاهوتي الغربي الثاني بعد العلامة ترنتيان. عاصر الكثير من موجات الاضطهاد التي مرَّت على الكنيسة. قاوم العديد من الهرطقة واشتهر بدفاعه عن وحدة الكنيسة، نالت كتاباته شهرة كبيرة؛ وقد تتوَّعت ما بين الكتابات العقائدية، والكتابات الروحية التي تمس مشاكل الشعب.

كليمنضس الإسكندري، القديس (١٥٠ - ٢١٥):

أحد رؤساء مدرسة الإسكندرية. كان وثنيًا ثم اعتنق المسيحية وتلمذ على يد العلامة بننينوس. سيم كاهنًا وتسلم رئاسة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية بعد معلمه بننينوس. لُقّب "أبو الفلسفة المسيحية" من كثرة كتاباته ومعرفته، وقد كان أوريغانوس أحد تلاميذه.

كليمنضس الروماني، الأسقف الشهيد (استشهد ١٠١):

كان أحد معاوني القديس بولس الرسول في الخدمة، لذلك تعتبره الكنيسة أحد الآباء الرسولين. أصبح ثالث أسقف على مدينة روما سنة ٩٢م. أمر الامبراطور تراجان بنفيه، ثم حُكِمَ عليه بالموت غرقًا. كَتَبَ رسالة شهيرة إلى أهل كورنثوس يحثهم فيها على حل مشاكلهم بأسلوب مسيحي. استشهد سنة ١٠١م.

كيرلس الأورشليمي، القديس (٣١٥ - ٣٨٦):

اختير هذا الأب في سنة ٣٤٨م خلفًا للأبنا مكسيموس أسقف أورشليم نظرًا لعلمه وتقواه. دَخَلَ في صراع مع الأريوسيين مدافعًا عن لاهوت السيد المسيح. حدثت خلافات بينه وبين أكاكوس أسقف قيصرية بسبب الميل الأريوسية لهذا الأخير، وبسبب رغبته في إخضاع القديس كيرلس الأورشليمي تحت سيطرته. ومن أجل هذه الخلافات نُفِيَ هذا القديس ثلاث مرات مبتعدًا عن كرسيه. من أشهر أعماله "عظات الموعوظين" التي ألقاها في كنيسة القبر المقدس، وتُعتبر أشهر عمل أبائي يشرح المفاهيم اللاهوتية لسر المعمودية.

كيرلس الكبير، البابا (٣١٣ - ٣٩٨):

هو بابا الإسكندرية الرابع والعشرون، سيم أسقفًا سنة ٤١٢م خلفًا لخاله البابا ثاوفيلوس. تلمذ على يد مُعَلِّمي مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، إلى جوار تلمذته للقديس سيرابيون أب رهبنة نتريا. أصبح أكبر مدافع عن الإيمان الأرثوذكسي ضد هرطقة

نسطور بطريرك القسطنطينية. حضر مجمع أفسس المسكوني سنة ٤٣١م. له العديد من المؤلفات في مواجهة الأريوسيين والنساطرة.

موسى الأسود، القديس الشهيد (٣٤٠ - ٤٠٥):

أحد أشهر آباء الرهبنة وقديسي التوبة في الكنيسة، بدأ حياته كـلص وقاطع طريق إلى أن جذبته حياة التوحّد، فترهّب عند القديس مقاريوس الكبير، ومارس كل أنواع النسك والفضيلة. له الكثير من الأقوال الروحية النافعة، استشهد في إحدى غارات البربر على الأديرة.

هيلاري، الأسقف (٣١٠ - ٣٦٨):

سيم أسقفًا لمدينة بواتييه في الغرب سنة ٣٥٠م. شارك مع القديس أثناسيوس في الدفاع عن الإيمان المستقيم في مواجهة أريوس، لذلك لُقّب بلقب "أثناسيوس الغرب"، تعرّض للنفي عدة مرات بسبب ولاءه للقديس أثناسيوس ورفضه التوقيع على قرار حرمة. كتّب العديد من المؤلفات لدحض الأريوسية، أشهرها كتاب "الثالوث"، كما كان أول من ألف تراويل باللغة اللاتينية.

يوحنا الذهبي الفم، القديس (٣٤٧ - ٤٠٧):

اختير الذهبي الفم بطريركًا على القسطنطينية سنة ٣٩٨م، وهو أحد كبار الآباء في الكنيسة. اشتهر القديس يوحنا بوعظه الروحي الجميل، كما عُرف عنه أيضًا صرامته في مواجهة الأخطاء سواء من جهة الشعب، أو الإكليروس، أو حتى الأباطرة. ترك لنا تراثًا كبيرًا من الكتب والعظات والمؤلفات.

يوستين الشهيد (١٠٠ - ١٦٥):

أحد الآباء المدافعين. وُلِدَ في نابلس بأرض فلسطين، وكان وثنيًا في بداية حياته، من أشهر دفاعاته "حوار مع تريفو اليهودي"، استشهد في روما سنة ١٦٥م.

فهرس الآيات التى وردت في هذا الكتاب

الخروج	العهد القديم	التكوين
١٠٠ : ١ - ٢	٣ : ٢٢ - ٢٤	٣٨٠ : ١
١٠١ : ١١ - ١٦	٤ : ٣ - ٥	٣٧٧ : ١ - ٥
٨٧ : ٢١ - ٢٢	٤ : ٢٤	٢١ : ٢٦
٨٨ : ٣ - ٨	٤ : ٢٦	٣٨٠ : ٢٦
١٠١ : ٢٨	٦ : ٣	١٦ : ٢٦ - ٣١
اللاويين	٦ : ٣	٢ : ١ - ٣
٩٢ : ٩	٦ : ٣	٢٥ : ٣
٧٣ : ٢٤ - ٣٠	٦ : ١ - ٦	١٨ : ٧
العدد	٦ : ١٣	٢٦٧ : ٧
١٠٢ : ٣ - ٥	٦ : ١٣ - ١٤	٢٢ : ٨ - ٩
١٠٣ : ٣٩ - ٥١	٨ : ٢٠ - ٢١	٣٧ : ٩
التثنية	١١ : ١ - ٩	٢٢ : ١٥
٧٧ : ٢٥ - ٤٠	١١ : ٦ - ٧	٢٨ : ١٦ - ١٧
٣٧٧ : ٦	١٢ : ١ - ٤	٢٣ : ١٨ - ٢٤
٧٤ : ١ - ٦	١٢ : ١ - ٤	٢١ : ١٩
٧٧ : ١٣ - ١٧	١٢ : ٧	٢٣ : ١٩ - ٢٠
٧٤ : ٩ - ١٤	١٢ : ٧ - ٨	٣٥ : ١ - ٦
١٢٦ : ١٨	١٤ : ١٨	٤٦ : ٦ - ٢٤
صموئيل الثانى	١٤ : ١٨ - ٢٠	٨٢ : ٧
٣٨٣ : ٢٣	١٥ : ١ - ٦	٥٥ : ١٥
الملوك الثانى	١٥ : ٧ - ٢٠	٦٠ : ١٥
٤٢٩ : ٢٣	١٥ : ١٣ - ١٦	١١٨ : ١٥
نحميا	٢٢ : ١ - ٣	١٤٦ : ١٩
٣٨٣ : ٩	٢٢ : ١٠ - ١٢	٦٠ : ٢١
أيوب	٢٢ : ١٥ - ١٨	٨٢ : ٢١
٣٧٨ : ٣٣	٢٢ : ١٥ - ١٨	٣٠ : ٢٢
المزامير	٤٩ : ١٠	٣٨٠ : ٢٢
١٢٥ : ١٦		

حقوق	١٢٠	١٤ : ٧	١٢٣	٨ - ٦ : ٢٢	
٣٧٤	١٢ : ١	١٢٧	٧ - ٦ : ٩	١٢٣	١٨ - ١٦ : ٢٢
زكريا	١١٩	٥ - ١ : ١١	٢٢٣	٧ : ٢٤	
١٢٢	٩ : ٩	٣٣	١٥ - ١٢ : ١٤	٢٣٨	٧ : ٢٤
١٢٢	١٣ - ١٢ : ١١	١٢١	١ : ١٩	٢٣٤	١٠ - ٧ : ٢٤
الأسفار القانونية الثانية	٣٨١	١ : ٤٢	٣٧٤	٦ : ٢٥	
الحكمة	٣٦٤	١٦ - ١٥ : ٤٨	١٣٦	٦ : ٤٠	
١٦	٢٣ : ٢	٣٨١	١٦ - ١٥ : ٤٨	٣٦٥	٦ : ٤٠
١٩	٢٣ : ٢	٣٧٤	١٦ : ٤٨	٣٨٣	١١ : ٥١
٣٤	٢٥ - ٢٤ : ٢	١٢٣	٦ : ٥٠	١٢٥	١٨ : ٦٨
٣٦	٢٥ - ٢٤ : ٢	١٢٤	١٢ - ١ : ٥٣	١٢٣	٢١ : ٦٩
العهد الجديد	٩٤	١٠ : ٥٣	٤٠٤	٢٥ : ٧٣	
متى	٢٠٩	١٠ : ٥٣	١١٩	٤ - ٣ : ٨٩	
٣٦٦	١٨ : ١	٣٨٢	١ : ٦١	١٢٠	٢٩ : ٨٩
٣٦٦	٢٠ : ١	١٢١	٢ - ١ : ٦١	١٢٠	٣٧ - ٣٥ : ٨٩
١٤٠	٢٣ - ٢٠ : ١	٢٣٥	٣ - ١ : ٦٣	٣٧٤	٢ : ٩٣
١٧٨	١٧ - ١٣ : ٣	إرميا		٣٧٨	٣٠ : ١٠٤
١٦٩	١٤ : ٣	٧٨	٢ - ١ : ١٥	٣٨٢	١ : ١١٠
١٦٩	١٥ : ٣	حزقيال		١٢٦	٤ - ١ : ١١٠
٣٨٩	١٧ : ٣	٣٢	١٩ - ١٢ : ٢٨	٩٧	٤ : ١١٠
١٨٢	٢ : ٤	دانيال		٢٥١	٤ : ١١٠
١٩٠	٢ : ٤	٣٨٣	١٤ - ١٣ : ٧	٣٤٨	١٠٥ : ١١٩
١٨٧	١١ - ٣ : ٤	٤١٨	٣ - ٢ : ١٢	٣٨٣	٧ : ١٣٩
٤٠١	١٧ : ٤	هوشع		الأمثال	
٣٣٤	١٨ - ١٧ : ٥	١٢٥	٢ - ١ : ٦	٤٢٢	٢٣ : ٤
٤٢٩	٢٨ : ١٠	١٢١	١ : ١١	٣٧٥	٢٥ - ٢٢ : ٨
٣٨٧	٢٧ : ١١	يونس		١٥	٣١ : ٨
٤٢٢	٣٥ - ٢٣ : ١٨	٢٦٨	٢٨ - ٢٧ : ٢	٣٢٢	١٣ : ٢٨
٣٠٧	٦ - ٤ : ١٩	١٧٨	٢٨ : ٢	١٢٧	٤ : ٣٠
٤١٧	٤٠ - ٣٧ : ٢٢	ميخا		٣٨٢	٤ : ٣٠
٣٣٤	٣ - ١ : ٢٣	١٢٠	٢ : ٥	إشعياء	
٣٣٢	٣٥ : ٢٤	٣٧٥	٢ : ٥	٣٨١	٨ : ٦

٣٦٥	٣٧ : ٥	١١٤	٤٨ - ٤٤ : ٢٤	٢٩٢	٢١ : ٢٥
٣٧١	٣٧ : ٥	٢٣٣	٥١ : ٢٤	٤١٧	٤٦ - ٣١ : ٢٥
٣٤٧	٣٩ : ٥	٢٣٤	٥٢ : ٢٤	٣٣٩	١٣ : ٢٦
١١٤	٤٧ - ٤٦ : ٥	يوحنا		٣٠٤	٢٨ - ٢٦ : ٢٦
٣٦٥	٤٠ - ٣٩ : ٦	١٣٤	١ : ١	١٩٠	٣٧ : ٢٦
٣٦٠	٤٠ : ٦	٣٧٥	١ : ١	١٩٣	٣٨ : ٢٦
٣٨٤	٤٠ : ٦	٣٨٥	٥ - ١ : ١	٣٠٢	١٩ : ٢٨
٣٢٤	٥٦ - ٥١ : ٦	٣٧٨	٣ : ١	مرقس	
٣١٤	٥٤ : ٦	١٥١	٤ : ١	١٥٠	١٥ - ١٤ : ١
١٦٨	٥٦ - ٥٤ : ٦	١٤٥	٤ : ١	٣٣٨	١٥ - ١٤ : ١
٣٥٠	٦٣ : ٦	١٦٧	١٣ - ١١ : ١	٣١٧	١٣ : ٦
٢٧٢	٣٩ - ٣٧ : ٧	١٣٤	١٤ : ١	٤٣٠	٤٤ : ٩
٣٧١	١٨ : ٨	١٣٥	١٨ : ١	٤٣٠	٤٦ : ٩
٢٨٢	٣٢ - ٣١ : ٨	١٥٦	١٨ : ١	٤٣٠	٤٨ : ٩
٦٩	٣٩ : ٨	٣٨٧	١٨ : ١	١٩٠	٣٢ : ١٣
٣٦	٤٤ : ٨	١٦٩	٢٩ : ١	٣٣٨	١٥ : ١٦
٢٣٧	٩ : ١٠	٢٠٩	٢٩ : ١	٣٠٢	١٦ : ١٦
٢٨١	١٦ : ١٠	٣٠٢	٥ : ٣	٢٣٣	١٩ : ١٦
٣٦٨	١٨ - ١٧ : ١٠	١٥٥	١٣ : ٣	لوقا	
١٦٤	١٨ : ١٠	٢٤٣	١٣ : ٣	١٣٤	٣٥ - ٣٠ : ١
٣٨٥	٣٠ : ١٠	٤٢٣	٢١ - ١٦ : ٣	١٦٤	٣٥ : ١
١٩٠	٣٣ : ١١	٢٠٤	١٦ : ٣	٣٦٦	٣٥ : ١
١٨٢	٤٢ : ١١	٣٦٦	١٦ : ٣	١٤٠	١١ - ١٠ : ٢
١٨٤	٤٢ : ١١	٣٨٤	١٦ : ٣	٣٦٢	١١ - ١٠ : ٢
١٩٠	٢٧ : ١٢	١٧٠	٣٤ : ٤	٣٨٢	٢١ : ٤
١٩٣	٢٧ : ١٢	٢٥	٨ : ٥	٢٢٣	١٨ : ١٠
٢٢٢	٣٢ : ١٢	٢٥	١٧ : ٥	١٨٨	١٩ : ١٠
١٧٣	١٧ - ١٢ : ١٣	٣٨٩	٢٠ : ٥	٤١٩	٤٨ - ٤١ : ١٢
٢١٦	٢٧ : ١٣	٤١٥	٢٣ - ٢٢ : ٥	٤٢٨	٢٣ : ١٦
٤١٨	٢ : ١٤	٤٠٠	٢٥ : ٥	١٨١	٤٤ - ٤١ : ٢٢
١١٥	٦ : ١٤	٤٤٠	٢٨ : ٥	٤٢٩	٤٣ : ٢٣
١٥١	٦ : ١٤	٤٠٠	٢٩ - ٢٨ : ٥	١١٤	٢٧ : ٢٤

٣١٥	٦ : ٦	٢٧٧	١١ : ١٧	٢٣٧	٦ : ١٤
٦٩	٨ - ٣ : ٧	١٧٢	١٩ : ١٧	٢٨٢	٦ : ١٤
٢٨٩	٢٩ : ٨	٢٧٧	٢١ : ١٧	٣٦١	٦ : ١٤
٣١٠	٣٨ - ٣٦ : ٨	٣٩٠	٢٦ - ٢٣ : ١٧	٣٨٥	١٠ - ٨ : ١٤
٣١٠	٤٨ - ٤٦ : ١٠	١٦٥	١١ : ١٩	٣٨٦	١٦ : ١٤
٢٨٩	١٢ : ١١	٢٢٠	٣٦ : ١٩	٢٦٨	١٧ - ١٦ : ١٤
٢٨٩	٢ : ١٣	٣٠٦	٢٣ - ٢١ : ٢٠	٣٠٣	١٧ - ١٦ : ١٤
٢٨٩	٤ : ١٣	أعمال الرسل		٣٨٧	١٧ - ١٦ : ١٤
١١٦	٢٩ - ٢٦ : ١٣	٢٤٥	٣ - ١ : ١	٣٦١	١٧ : ١٤
٣١٦	٢٣ : ١٤	٢٦٨	٤ : ١	٣٨	٢١ : ١٤
٢٩٠	٢٨ : ١٥	٢٣٣	٩ : ١	٢٨٤	٢٦ : ١٤
٢٩٠	٧ - ٦ : ١٦	٣٩٨	١١ - ١٠ : ١	١٨٧	٣٠ : ١٤
٣١٠	٣٣ - ٣٠ : ١٦	٣٣٠	١٦ : ١	١٨٨	٣٠ : ١٤
٤١٥	٣١ : ١٧	٣١٥	٢٠ : ١	٣٩٠	٣١ : ١٤
٣٣٥	٢٨ : ١٨	٣١٥	٢٦ : ١	٣٥١	٣ : ١٥
٣١٢	٦ - ٥ : ١٩	٢٦٩	٤ - ١ : ٢	٣٥٠	٧ : ١٥
٣١٣	١٨ : ١٩	٢٨٨	٤ : ٢	٣٨٩	٩ : ١٥
٣١٤	٧ : ٢٠	١٤٩	٢٣ : ٢	٢٨٤	٢٦ : ١٥
٤٠٤	١٥ : ٢٤	٣٧٠	٢٤ : ٢	٣٧١	٢٦ : ١٥
٣٣٠	٢٥ : ٢٨	٢٢٥	٢٨ - ٢٤ : ٢	٢٤٢	٢٦ : ١٥
رومية		٢٦٩	٣٣ : ٢	٣٨٦	٢٦ : ١٥
٢٢٦	٤ - ١ : ١	٢٨٦	٣٧ : ٢	٢٤١	٧ : ١٦
٣٣٥	٤ - ١ : ١	٢٨٧	٣٨ : ٢	٢٧٣	٧ : ١٦
٣٧١	٤ : ١	٣٠٩	٣٨ : ٢	٢٨٦	٨ : ١٦
٣٣٩	١٧ - ١٦ : ١	٣١٢	٣٨ : ٢	٢٨٤	١٥ - ١٣ : ١٦
٣٤٦	١٧ - ١٦ : ١	٣٠٩	٤١ : ٢	٢٤٧	٢٣ : ١٦
٧٨	١١ : ٢	٣١٤	٤٢ : ٢	٣٨٥	٢٨ : ١٦
٥٢	٤ : ٣	١١٥	١٨ : ٣	٣٦٠	٣ : ١٧
٧٨	٩ : ٣	٤٤٥	٢١ - ١٩ : ٣	١٦٥	٥ : ١٧
١١٢	٢٠ : ٣	١١٥	٢٥ - ٢٢ : ٣	١٨٣	٥ : ١٧
٣٦٢	٢٠ : ٣	٣٦٠	١٢ : ٤	٢٣٧	٥ : ١٧
١١٦	٢١ : ٣	٣٧٠	٣٠ : ٥	٢٧٣	٥ : ١٧

٣٦٩	١٥ : ٥	٢٨٥	١٢ - ٩ : ٢	٣٩٦	٢٤ : ٣
١٩٤	١٧ : ٥	٣٠٠	١ : ٤	٢٥٥	٢٥ - ٢٤ : ٣
٢٣٠	١٧ : ٥	٣٥٩	١١ : ٦	٢٠٤	٨ - ٦ : ٥
٢٥٧	١٩ - ١٨ : ٥	٢٧٦	١٥ : ٦	٤٨	١٢ : ٥
٣٥٩	١٩ - ١٨ : ٥	٣٤٨	١١ : ١٠	١١١	٢١ - ٢٠ : ٥
٣٦٧	٢١ - ١٨ : ٥	٣٤١	٢ : ١١	٣١٩	٦ - ٣ : ٦
٤٤٣	٢٠ : ٥	٣٤٢	٢٣ : ١١	٢٢٦	٦ - ٥ : ٦
٩٥	٢١ : ٥	٣٠٥	٣٠ - ٢٣ : ١١	٢٥٦	٦ : ٦
١٧٦	٢١ : ٥	٨٨	٢٥ : ١١	٩٠	٢٣ : ٦
٢٢١	٢١ : ٥	٣٨٨	٣ : ١٢	١٠٩	١٢ - ٧ : ٧
١٩١	٩ : ٨	٢٨٨	١٣ - ٤ : ١٢	١٦٤	١٩ : ٧
٣٦	٣ : ١١	٢٧٤	١٣ : ١٢	٢٧٩	١ : ٨
٣٧٣	١٤ : ١٣	٢٧٥	٢٧ : ١٢	١٧٥	٤ - ٣ : ٨
غلاطية		٣٤٦	٢ - ١ : ١٥	٢٦٩	٩ : ٨
٣٧٠	١ : ١	٣٣٥	٤ - ٣ : ١٥	٣٦٠	١١ : ٨
٢٨٣	٩ - ٦ : ١	٣٤٢	٤ - ٣ : ١٥	٤١٤	١٣ : ٨
١٧٥	١٢ : ٣	٢٤٤	٨ - ٣ : ١٥	٢٨٥	١٧ - ١٤ : ٨
٢٢١	١٣ : ٣	٣٦٩	٤ : ١٥	٤٣١	٢٢ - ١٨ : ٨
٢٥٥	١٣ : ٣	٤٠٣	٢٢ - ١٢ : ١٥	٤٨	٢٠ - ١٩ : ٨
٦٦	١٦ : ٣	٢٢٧	٢٣ - ١٢ : ١٥	٢٩٣	٢٣ : ٨
١١٠	٢٥ - ١٩ : ٣	٣٦٩	٢٠ : ١٥	٣٩٧	٢٣ : ٨
٣١١	٢٧ : ٣	٤٣٧	٢٨ - ٢١ : ١٥	٤٠٤	٢٣ : ٨
٣١٨	٢٧ : ٣	٢١٣	٢٢ : ١٥	٢٨٦	٢٧ - ٢٦ : ٨
١٤٥	٥ - ٤ : ٤	٤٠٩	٣٨ - ٣٥ : ١٥	١٦٣	٢٩ : ٨
٢٥٧	٥ - ٤ : ٤	٤١٨	٤١ : ١٥	٢٥٧	٣٢ - ٣١ : ٨
٣٦٥	٥ - ٤ : ٤	٤١١	٥٠ - ٤٢ : ١٥	٣٦٧	٣٢ : ٨
٢٨٦	٧ - ٤ : ٤	كورنثوس الثانية		١٧٥	٥ : ١٠
٣٥٨	٧ - ٤ : ٤	٢٩١	٢٢ - ٢١ : ١	٣٤٨	٤ : ١٥
١٥٠	٤ : ٤	٤٣٣	١٨ : ٤	٣١٦	١٦ : ١٥
٣٨٨	٦ : ٤	٢٩٢	٥ - ٤ : ٥	كورنثوس الأولى	
٤١٤	١٧ : ٥	٤١٦	١٠ : ٥	٣٧٢	٩ : ١
٢٨٧	٢٣ - ٢٢ : ٥	٢١٠	١٥ - ١٤ : ٥	٣٩٦	٣٠ : ١

العبرانيين	١٨٨	٤ : ١٣	أفسس
٣٣٦ ١ : ١ - ٢		كولوسي	٣٩٦ ٧ : ١
٣٧٨ ١ : ١ - ٢	٣٩٦ ١ : ١٤		١٤٨ ١٢ - ٩ : ١
٢٣٦ ١ : ٣	٣٧٦ ١ : ١٧		٢٧٩ ١٠ : ١
١٦٣ ١ : ٦	١٦٢ ١ : ١٨ - ٢٠		٢٩٣ ١٤ - ١٣ : ١
١٥٢ ١ : ١٣ - ١٤	٢٧٥ ١ : ١٨		٣٢١ ١٣ : ١
٤٣٩ ٢ : ٨	٢٠٦ ٢ : ١٣ - ١٥		٣٩٧ ١٤ : ١
١٥٣ ٢ : ١٠	٤١٣ ٣ : ٤		٢٧٥ ٢٣ - ٢٢ : ١
١٥٧ ٢ : ١٠ - ١٥	تسالونيكي الأولى		٢٢٢ ٢ : ٢
١٤٢ ٢ : ١٤	٣٥٠ ٢ : ١٣		٢٢٩ ٦ : ٢
١٩٦ ٢ : ١٤ - ١٥	٢٧٩ ٥ : ٩		٢٠٥ ١٨ - ١٣ : ٢
١٩٣ ٢ : ١٥	تسالونيكي الثانية		٩٤ ١٤ : ٢
١٩٢ ٢ : ١٧ - ١٨	٢٨٧ ٢ : ١٣		٢٨٢ ٢٠ - ١٩ : ٢
١٩٦ ٢ : ١٧ - ١٨	٣٤٢ ٣ : ٦ - ٧		٣٤٣ ٢٠ : ٢
٢٤٩ ٣ : ٢	تيموثاوس الأولى		٢٨١ ٤ : ١ - ٦
٣٥٠ ٤ : ١٢	١٤٠ ١ : ١٥		٢٥٦ ٤ : ٢٢ - ٢٤
١٩٧ ٤ : ١٤ - ١٦	٢٤٧ ٢ : ٣ - ٦		٣٢١ ٤ : ٣٠
٩٠ ٥ : ١ - ٣	٤٢١ ٢ : ٤		٣٩٨ ٤ : ٣٠
١٨١ ٥ : ٧	١٦٦ ٢ : ٥		٣٦٨ ٥ : ٢
٢٣٧ ٦ : ١٩ - ٢٠	تيموثاوس الثانية		٢٨٧ ٥ : ٩
٢٤٩ ٦ : ١٩ - ٢٠	١٤٨ ١ : ٩ - ١٠		٢٧٦ ٥ : ٢٢ - ٣٠
١٦٦ ٦ : ٢٠	٢٥٦ ١ : ٩ - ١٠		٣٠٨ ٥ : ٢٣
٢٣٩ ٦ : ٢٠	٣٤٣ ١ : ١٣ - ١٤		٣٠٧ ٥ : ٣١ - ٣٣
٩٨ ٧ : ١ - ١٠	٣٤٣ ٢ : ٢		٢٩٤ ٦ : ١٠ - ١٩
٢٥٠ ٧ : ١١	٢٧٩ ٢ : ١٠		فيلبي
٢٥٠ ٧ : ٢١	٣٤٣ ٣ : ١٤		٣٤٠ ١ : ٣ - ٥
٢٥١ ٧ : ٢٣ - ٢٤	٣٤٧ ٣ : ١٤ - ١٥		٩٢ ٢ : ٥ - ٨
٢٤٧ ٧ : ٢٤ - ٢٧	٣٣٠ ٣ : ١٦ - ١٧		١٣٥ ٢ : ٥ - ٨
٢٥١ ٧ : ٢٧	تيطس		٢٠٦ ٢ : ٦ - ٨
٢٤٦ ٨ : ١ - ٢	٣٦٨ ٢ : ١٤		٤١٢ ٣ : ٢٠ - ٢١
٢٥٢ ٨ : ٦	٣١٩ ٣ : ٥ - ٦		١٤٦ ٣ : ٢٠
٢٥٢ ٩ : ١٢			٣٤٢ ٤ : ٩

١٥١	١٢ : ٥	١١٧	١٣ - ١٠ : ١	٣٦٩	١٤ : ٩
	يهودا	١٤٩	٢١ - ١٨ : ١	٣٧٦	١٤ : ٩
٣٤٧	٣ : ١	١٧٤	٢٣ - ٢١ : ٢	٩١	٢٢ : ٩
	رؤيا يوحنا	١٩٦	٢٥ - ٢١ : ٢	٢٣٥	٢٤ : ٩
١٦٣	٥ - ٤ : ١	٩٣	٢٢ : ٢	٢٣٩	٢٤ : ٩
١٠٤	٦ : ١	٢٠٦	١٨ : ٣	٢٥٢	٢٤ : ٩
٣٩٨	٧ : ١	٣٧٠	١٨ : ٣	٢٠٧	٢٦ : ٩
٢١٢	١٨ - ١٧ : ١	١٩٦	١ : ٤	٢٠٩	٢٨ : ٩
٥١	٧ : ٢	٢٥٨	١٩ : ٤	٢٠٧	٥ - ٤ : ١٠
٤٢٨	١١ - ٩ : ٦		بطرس الثانية	١٣٦	٦ - ٥ : ١٠
٣٧	٩ : ١٢	٤٣٠	١١ - ١٠ : ١	٣٦٥	٦ - ٥ : ١٠
٤٠٦	٦ : ٢٠	٣٤٨	١٩ : ١	١٧٠	٧ : ١٠
٤٣٤	٥ - ١ : ٢١	٣٣١	٢١ - ١٩ : ١	٢٣٦	١٢ : ١٠
٢٣٤	١٢ : ٢١	٣٣	٤ : ٢	٢٥٣	١٢ : ١٠
٥١	١٥ - ١٤ : ٢٢	٤٣٣	١٣ - ١٠ : ٣	٤٤٠	١٣ - ١٢ : ١٠
٣٩٩	٢٠ : ٢٢		يوحنا الأولى	٢٢٤	٢٠ - ١٩ : ١٠
		١٤٤	٢ - ١ : ١	٢٣٧	٢٠ - ١٩ : ١٠
		٥٠	٢ : ١	٢٢٢	٢٠ : ١٠
		٣٧٢	٣ : ١	٧٠	١٢ - ٨ : ١١
		٣٧٢	٦ : ١	٧٠	١٩ - ١٧ : ١١
		٣٠٣	٩ : ١	٤٢٧	٤٠ - ٣٩ : ١١
		١٦٦	٢ - ١ : ٢	٢٠٧	٢ : ١٢
		٤٤٣	٦ : ٢	٣٧٠	٢٠ : ١٣
		٣٢١	٢٠ : ٢		يعقوب
		٤١٣	٣ - ٢ : ٣	٣٤٨	٢١ : ١
		٣٦٨	١٦ : ٣	٣٥١	١٩ : ٢
		١٤	٨ : ٤	٣٠٨	١٥ - ١٤ : ٥
		٣٨٩	٨ : ٤	٣٠٣	١٦ : ٥
		١٤	١٩ : ٤		بطرس الأولى
		٣٧١	٧ : ٥	٢٨٧	٢ - ١ : ١
		٣٨٦	٧ : ٥	٣٣١	١٢ - ١٠ : ١

فهرس أقوال الآباء التى وردت في هذا الكتاب

أثناسيوس، البابا	٣٧٨-٣٤٥-٣٢٣-٢٧٠-١٩٣-١٨٢-١٤٢
كتاب تجسّد الكلمة	١٧-١٩-٢٠-٣١-٤٣-٤٤-٤٩-٥٢-٥٣-٥٧-١٠١-١٤١-١٤٣-١٥٢-١٥٣-١٥٤-١٥٥-٢١٩-٢١٧-٢١٦-٢١٥-٢٠٨-١٥٨-١٥٦-٤٠٥-٢٣٩-٢٣٢-٢٢٨-٢٢٣-٢٢٢-٢٢١-٢٢٠
أرسانيوس، القديس	٣٥١
أغسطينوس، القديس	١١٣-٢٨٠-٣٣٣-٣٤٤-٤١٤
أغناطيوس الأنطاكي، الشهيد	٢٨١-٣١٥
أقوال من بستان الرهبان	٣٥٢
القوانين الرسولية	٣١٢
أنطونيوس، القديس	٣٥٢
أوريجانوس، العلامة	٣٣٢-٣٣٦
إيرينيؤس، القديس	٢٧٠-٢٧٩-٢٨٣-٣١٦-٣٢٠-٣٤٩-٤٣٠
باسيليوس الكبير، القديس	٢٩٠-٣١٤
ترتليان، العلامة	١١٥-٣٠٠-٣٤٩
ثاؤنا، البابا	٣٥١
ديديموس الضرير، القديس	٢٧٠-٣٢٠-٣٢١
سارة، الأم	٤٢٥
شنودة الثالث، البابا	٤٤٤
صفرونيوس، الأب	٣٦١-٣٦٢-٣٧٣-٣٧٩
غريغوريوس النيسي، القديس	٤٤٢-٤٤٣-٤٤٤
فيكتورينوس، الشهيد	٣٣٧
كبريانوس، الشهيد	٢٨٠-٣١٣
كليمنضس الإسكندري، القديس	٢٨٠

كليمنضس الروماني، الأسقف الشهيد	موسى الأسود، القديس الشهيد
٤٢٠-٣٣٢	٣٢٢
كيرلس، الأورشليمي	هيلاري، الأسقف
٤١٣-٣٢٥	٤٢٤
كيرلس الكبير، البابا	يوحنا الذهبي الفم، القديس
١٣٨-١٤١-١٤٣-١٤٤-١٤٥-١٤٦-١٧١-١٧٢	٢٩٠-٣٠٠-٣٠١-٣١١-٣٢٥-٤٣٤-٤٤١
١٧٦-١٧٩-١٨٢-١٨٣-١٨٤-١٨٥-١٨٧-١٨٨	
١٩١-١٩٢-١٩٤-١٩٧-١٩٨-٢٠٨-٢١٠-٢١١	يوسنتين الشهيد
٢١٣-٢٢٨-٢٢٩-٢٣٠-٢٣٨-٢٣٩-٢٤٠-٢٤١	٤٠٥
٢٤٢-٢٤٨-٢٤٩-٢٥٣-٢٥٤-٢٥٨-٢٥٩-٢٧٠	
٢٧٣-٢٧٤-٢٧٧-٤٠٦	



فهرس النصوص الليتورجية التي وردت في هذا الكتاب

ثيوطوكية الأحد ٣٦٧-١٣٦-٩٣	قانون الإيمان ٤٠٧
ثيوطوكية الاثنين ١٤١	القداس الباسيلي ١٧٤-٦١-٣٤
ثيوطوكية الثلاثاء ١٤٦	القداس الغريغوري ٢٣٨-١٧٥-١٧٠-١٥١-١٣٦-١٠٨-٣٠-١٤
ثيوطوكية الأربعاء ١٣٧	القداس الكيرلسي ٣٩٩
ثيوطوكية الخميس ١٣٨-١٣٧	القسمه السريانية ٢١٢
طقس المعمودية ٤٠٧	نكصولوجية باكر ٢٧٨



المراجع

أ - الكتب الكنسية

١. الكتاب المقدس (الإصدار الثالث)، إصدار دار الكتاب المقدس.
٢. الخولاجي المقدس (الطبعة الثانية)، إعداد القمص عبد المسيح صليب المسعودي البرموسي، إصدار دير السيدة العذراء البرموس.
٣. الابصلمودية المقدسة (الطبعة الثانية)، إعداد القمص مينا المحلاوي البرموسي، إصدار دير السيدة العذراء البرموس.

ب - المراجع العربية

٤. تجسّد الكلمة، القديس أثناسيوس الرسولي، ترجمة د. جوزيف موريس، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية.
٥. خضوع الابن للآب، القديس غريغوريوس النيسي، ترجمة د. سعيد حكيم، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية.
٦. عظام ثلاث عن ملكي صادق ويوحنا الإنجيلي، القديس كيرلس الكبير، ترجمة د. ميشيل بديع، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية.
٧. الإيمان بأمر لا تُرى، القديس أغسطينوس، ترجمة أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية، إصدار كنيسة مارجرس سبورتنج.
٨. لاهوت المسيح عند آباء ما قبل نيقية، إعداد أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية، إصدار كنيسة مارجرس سبورتنج.
٩. الثالث فرح الخليقة الجديدة، الأب صفرونيوس.
١٠. السماء، نيافة الأنبا يوانس أسقف الغربية المتنّح.
١١. مسيحنا فوق الزمان، نيافة الأنبا يوانس أسقف الغربية المتنّح.
١٢. عقيدة المسيحيين في المسيح، نيافة الأنبا يوانس أسقف الغربية المتنّح.

١٣. أمّا إسرائيل فلا يعرف، القمص روفائيل البرموسي، إصدار دير السيدة العذراء البرموس.
١٤. المسيح في نبوات العهد القديم، القس شنودة ماهر إسحق.
١٥. الخلاص الذي ننتظره (٤ أجزاء)، القس شنودة ماهر إسحق.
١٦. الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر، القمص تادرس يعقوب ملطي، إصدار كنيسة مارجرس سبورتنج.
١٧. عطية الروح القدس، القمص تادرس يعقوب ملطي، إصدار كنيسة مارجرس سبورتنج.
١٨. تفسير رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، القمص تادرس يعقوب ملطي، إصدار كنيسة مارجرس سبورتنج.
١٩. التجسّد والميلاد في تعليم آباء الكنيسة، إعداد رهبان دير أبو مقار، إصدار دار مجلة مرقس.
٢٠. المسيح في حياته المقدسة وآلامه وموته وقيامته وصعوده وكهنوته السماوي من أجلنا، إعداد رهبان دير أبو مقار، إصدار دار مجلة مرقس.
٢١. المسيح في صومه وصلاته من أجلنا، إعداد رهبان دير أبو مقار، إصدار دار مجلة مرقس.
٢٢. لاهوت عقائدي — لاهوت مقارن — حوارات مسكونية — أقوال آباء، تدريس نيافة الأنبا بيشوي مطران دمياط وكفر الشيخ، إصدار أسقفية التعليم والمعاهد الدينية.
٢٣. بستان الرهبان، إصدار لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف.

ج — مراجع أجنبية

- 24- A Dictionary of Early Christian Beliefs, David W. Bercot, Hendrickson Publishers.
- 25- What The Church Fathers Say About (2 volumes), George w. Grube, Light & Life Publishing.

26- The Orthodox Study Bible, New Testament and Psalms,
St. Athanasius Orthodox Academy, Conciliar Press.

د – مراجع إلكترونية عربية

٢٧. الكتاب المقدس والقطمارس (الإصدار ٣)، إعداد القمص أغناطيوس

الأنبا بيشوي، إصدار دير الأنبا بيشوي العامر.

٢٨. قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية، إعداد القمص

تادرس يعقوب ملطي والقس يوسف حلّيم، إصدار كنيسة مارجرس

سبورنتج.

هـ – مراجع إلكترونية أجنبية

29- PC Study Bible (Version 4.2b), BibleSoft.



فهرس الكتاب

٥	 تقديم
٧	 مقدّمة
١١	 القسم الأول: خلقتني إنساناً كمحب للبشر
١٣	 الموضوع الأول: الخلق
٢٦	 الاستنتاجات
٢٧	 الموضوع الثاني: الوصية والسقوط
٣٩	 الاستنتاجات
٤١	 الموضوع الثالث: الموت ونتائج السقوط
٥٨	 الاستنتاجات
٥٩	 الموضوع الرابع: اختيار شعب إسرائيل
٨٠	 الاستنتاجات
٨١	 الموضوع الخامس: الذبيحة والكهنوت
١٠٥	 الاستنتاجات
١٠٧	 الموضوع السادس: الناموس والنبوات
١٢٩	 الاستنتاجات
١٣١	 القسم الثاني: باركت طبيعتي فيك
١٣٣	 الموضوع الأول: التجسّد
١٥٩	 الاستنتاجات
١٦١	 الموضوع الثاني: حياة السيد المسيح المقدسة على الأرض
٢٠٠	 الاستنتاجات
٢٠٣	 الموضوع الثالث: الصليب والقيامة والصعود
٢٦٠	 الاستنتاجات

٢٦٣	 القسم الثالث: صيّرنا أظهاراً بروحك القدوس
٢٦٥	 الموضوع الأول: الروح القدس والمؤمنون
٢٩٦	 الاستنتاجات
٢٩٩	 الموضوع الثاني: الروح القدس والأسرار
٣٢٧	 الاستنتاجات
٣٢٩	 الموضوع الثالث: الروح القدس والكتاب المقدس
٣٥٣	 الاستنتاجات
٣٥٥	 القسم الرابع: الثالوث القدوس المساوي
٣٩١	 الاستنتاجات
٣٩٣	 القسم الخامس: أظهرت لي إعلان مجيئك
٤٤٦	 الاستنتاجات
٤٤٧	 خاتمة
٤٤٩	 ملحق الفهارس
٤٥١	 مختصر سير الآباء المذكورين في هذا الكتاب
٤٥٧	 فهرس الآيات التي وردت في هذا الكتاب
٤٦٤	 فهرس أقوال الآباء التي وردت في هذا الكتاب
٤٦٦	 فهرس النصوص الليتورجية التي وردت في هذا الكتاب
٤٦٧	 المراجع
٤٧٠	 فهرس الكتاب

إصدارات الأسرة

أولاً: سلسلة "من كتابات الآباء":

١. "يوم الأحد... يوم القيامة" للقديس جيروم.
٢. "الغيرة والحسد" للقديس كبريانوس.
٣. "الأعمال والعطاء" للقديس كبريانوس.
٤. "الإيمان بأمور لا تُرى" للقديس أغسطينوس.
٥. "من وحي الميلاد" للقديس أغسطينوس.
٦. "لقاء مع المسيح القائم" للقديس أغسطينوس.
٧. "الصلاة الربانية" للقديس كبريانوس.
٨. "تجم المشرق" للقديس يوحنا الذهبي الفم.
٩. "هل حقاً قام؟! " للقديس يوحنا الذهبي الفم.
١٠. "سر المعمودية ومياه التجديد" للقديس غريغوريوس أسقف نيصص.
١١. "الأنبا بولا أول سائح عرفته المسيحية" للقديس جيروم.
١٢. "مات عنا" للبابا ألكسندروس بطريرك الإسكندرية التاسع عشر.
١٣. "درب القيامة" مجموعة مقالات لآباء الكنيسة.

ثانياً: سلسلة "آراء أرثوذكسية معاصرة":

١. "هل الكتاب المقدس وحده يكفي؟" (كلمات حول التقليد الكنسي).
٢. "كيف نقرأ الكتاب المقدس؟" (تحت الإعداد).

ثالثاً: سلسلة "دراسات كنسية متنوعة":

١. "صلاة الحميم" (بحث تاريخي، آباء، روحي، طقسي).
٢. "تاريخ المسيحية" (نظرة سريعة على أصول الطوائف).
٣. "لاهوت المسيح عند آباء ما قبل نيقية".
٤. "خدمة الخلاص... أنت الذي خدمت لي الخلاص".